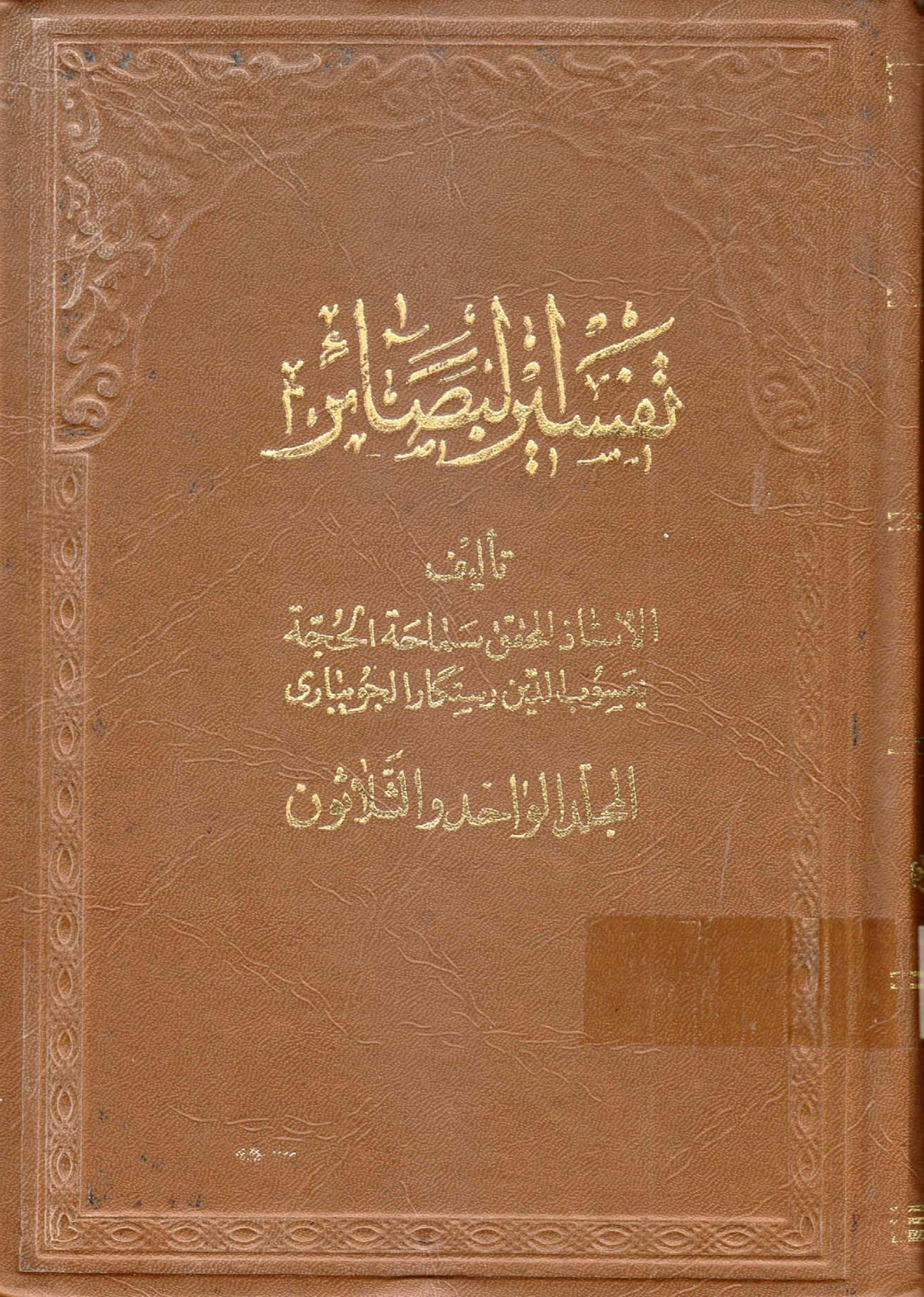

تفسير البصائر
تأليف
الاستاذ المحقق سماحة الحجة
يعسوب الدين رستگارا الجويباری
المجلد الواحد والثلاثون


شبكة الفكر
alfeker.net

سُورَةُ لُقْمَانَ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمّٓ ﴿١﴾ تِلْكَ اٰيٰتُ الْكِتٰبِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَّرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ بِالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
اُولٰٓئِكَ عَلٰى هُدًى مِّنْ رَّبِّهِمْ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَّشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَّيَتَّخِذَهَا
هُزُوًا اُولٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِ اٰيٰتُنَا وَلّٰى مُسْتَكْبِرًا
كَاَنْ لَّمْ يَسْمَعْهَا كَاَنَّ فِيٓ اُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ اَلِيمٍ ﴿٧﴾ اِنَّ
الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَهُمْ جَنّٰتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا
وَعْدَ اللّٰهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا
وَاَلْقٰى فِي الْاَرْضِ رَوَاسِيَ اَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَآبَّةٍ وَاَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَاَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هٰذَا خَلْقُ اللّٰهِ
فَاَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهٖ بَلِ الظّٰلِمُونَ فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾
وَلَقَدْ اٰتَيْنَا لُقْمٰنَ الْحِكْمَةَ اَنِ اشْكُرْ لِلّٰهِ وَمَنْ يَّشْكُرْ فَاِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهٖ وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَاِذْ قَالَ لُقْمٰنُ لِابْنِهٖ وَهُوَ
يَعِظُهٗ يٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللّٰهِ اِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا

الْاِنْسَانَ بِوَالِدَیْهِ حَمَلَتْهُ اُمُّهٗ وَهْنًا عَلٰى وَهْنٍ وَّفِصَالُهٗ فِیْ عَامَیْنِ اَنِ
اشْكُرْ لِیْ وَلِوَالِدَیْكَ اِلَیَّ الْمَصِیْرُ ﴿۱۴﴾ وَاِنْ جَاهَدٰكَ عَلٰۤى اَنْ تُشْرِكَ بِیْ
مَا لَیْسَ لَكَ بِهٖ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِی الدُّنْیَا مَعْرُوْفًا وَّاتَّبِعْ
سَبِیْلَ مَنْ اَنَابَ اِلَیَّ ثُمَّ اِلَیَّ مَرْجِعُكُمْ فَاُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ ﴿۱۵﴾ یٰبُنَیَّ
اِنَّهَاۤ اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِیْ صَخْرَةٍ اَوْ فِی السَّمٰوٰتِ
اَوْ فِی الْاَرْضِ یَاْتِ بِهَا اللّٰهُ اِنَّ اللّٰهَ لَطِیْفٌ خَبِیْرٌ ﴿۱۶﴾ یٰبُنَیَّ اَقِمِ الصَّلٰوةَ
وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلٰى مَاۤ اَصَابَكَ اِنَّ ذٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ الْاُمُوْرِ ﴿۱۷﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِی الْاَرْضِ
مَرَحًا اِنَّ اللّٰهَ لَا یُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ ﴿۱۸﴾ وَاقْصِدْ فِیْ مَشْیِكَ
وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ اِنَّ اَنْكَرَ الْاَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِیْرِ ﴿۱۹﴾
اَلَمْ تَرَوْا اَنَّ اللّٰهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِی السَّمٰوٰتِ وَمَا فِی الْاَرْضِ وَاَسْبَغَ عَلَیْكُمْ
نِعَمَهٗ ظَاهِرَةً وَّبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ یُّجَادِلُ فِی اللّٰهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَّلَا هُدًى
وَّلَا كِتٰبٍ مُّنِیْرٍ ﴿۲۰﴾ وَاِذَا قِیْلَ لَهُمُ اتَّبِعُوْا مَاۤ اَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوْا بَلْ نَتَّبِعُ
مَا وَجَدْنَا عَلَیْهِ اٰبَآءَنَا اَوَلَوْ كَانَ الشَّیْطٰنُ یَدْعُوْهُمْ اِلٰى عَذَابِ السَّعِیْرِ ﴿۲۱﴾
وَمَنْ یُّسْلِمْ وَجْهَهٗۤ اِلَى اللّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقٰى

وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ
فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا
ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ
مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ
وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ
وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا
يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا
إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا

لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ
عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا
تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

«فضلها وخواصها»

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في أماليه باسناده عن عمرو بن جبير العرزميّ عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: من قرأ سورة «لقمان» في كل ليلة وكّل الله به في ليلته ملائكة يحفظونه من إبليس وجنوده حتى يصبح، فاذا قرأها بالنهار لم يزالوا يحفظونه من إبليس وجنوده حتى يمسي.

رواه الطبرسي في المجمع، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار، وشيخ المحدثين الحر العاملي في وسائل الشيعة، ومثله في فقه الرضا. وفي المجمع «العزرمي» بدل «العرزمي» وهو الصحيح.

أقول: و ذلك لان من قرأها متدبراً فيها وأسلم وجهه لله جل وعلا، وعمل عملاً صالحاً إبتغاءاً لوجه الله تعالى، فهو في حماية الله سبحانه، فيحفظه الملائكة بأمر الله تعالى ولاسلطان للشيطان وأعوانه على المؤمن حقاً.

قال الله تعالى: «ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله» الرعد: ١١).

وقال حكاية عن الشيطان: «ولاغوينهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط عليّ مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلاّ من اتبعك من الغاوين» الحجر: ٣٩ ـ ٤٢).

وقال: «كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين» يوسف: ٢٤).

وفي المجمع : ابيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ومن قرأ سورة «لقمان» كان لقمان له رفيقاً يوم القيامة، واعطى من الحسنات عشراً بعدد من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر .

أقول: ان الرواية وإن كانت مردودة سنداً لمكان ابيّ ، ولكنها مقبولة متناً فانه مؤيد بقوله تعالى : «ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً» النساء : ٦٩) فمن قرأ سورة «لقمان» وآمن بالله تعالى وأطاع رسوله وعمل صالحاً فقد فاز فوزاً عظيماً .

قال الله تعالى : «ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون» النور : ٥٢) .

وفي البرهان: وقال الصادق عليه السلام : من كتبها وسقى بها رجل أو إمرأة في جوفها غاشية أوعلة من العلل عوفي ، وأمن من الحماء وزال عنه كل أذى باذن الله تعالى .

أقول: ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة ما في الرواية والله تعالى هو أعلم.

﴿الغرض﴾

تدور السورة حول الحكمة : حكمة الخالق ، وحكمة الكتاب ، وحكمة عبد من صالح العباد ، وتقرّر آثار الحكمة وعلائمها فى هذا العالم و فى النفوس والاعمال. . .

فى الخلق من الخالق ، وفى النفوس من الكتاب ، وفى الاعمال من العبد ، وتشير إلى نموذج عال من حكمة العبد ، ولذلك سميت به لاشتمالها على قصّة تضمن فضيلة الحكمة ، وسرّ معرفة الله تعالى وصفاته ، وذم الشرك ، والامر بفضائل الاخلاق وصالح الاعمال ، و النهى عن رذائل الاخلاق وفساد الاعمال . . .

وعلينا معاشر المسلمين السعى فى تحصيل الحكمة بالعلم بواقعه لا باصطلاحاته، و بالعمل مخلصين لا متظاهرين . . .

وفى السورة : تنويه بالمؤمنين المحسنين الذين ينتفعون بحكمة الكتاب فيكون لهم فيها هدى ورحمة ، وهم يصيرون بها ذوى القلوب السليمة ، والارواح الطيبة الراغبة فى الحق والخير والهدى والطاعة وصالح الاعمال . . .

وفيها : تقرير محبة الله جل وعلا لهؤلاء الابرار وعنايته تعالى بهم ، و وعده إياهم بأجر عظيم ، وحكمة التنزيل بالارتفاع بالمؤمن المحسن إلى ذرى الفضائل والمكرمات والكمال الخلقى والنفسى .

وفيها : تقريع للكافرين وتنديد بالمعطلين المستكبرين ، وحكاية لبعض أقوالهم السخيفة من التقاليد العمياء ، وردود مفحمة عليهم وتوبيخ عليهم

لتمسكهم بالاحاديث الباطلة ليضلوا بها الناس عن سبيل الله جل و علا من غير علم .

وهتاف بالسامعين وتحديهم على طريق الاشارة إلى حكمة الخالق في الخلق، وإشارة إلى عقيدة المشركين بكون الله تعالى هو الخالق الرازق المتصرف في الكون وأمر للنبي ﷺ بانذار هؤلاء وتبشيرهم بعذاب الله المهين الأليم و تسلية له ﷺ على عناد الكافرين وأقوالهم وتمسكهم بتقاليد الآباء الباطلة . . .

وإشارة إلى لقمان وحكمته و إلى جملة من مواعظه لابنه على سبيل ضرب المثل والحث على كريم الاخلاق والمبادىء ، وعلى الاحسان بالوالدين وطاعتهما في سواء السبيل .

وفي الختام : هتاف بالناس ودعوة لهم إلى التقوى والخوف من يوم لاينفع فيه مال ولابنون ، والله تعالى هو العالم بهم وبهذا اليوم .

﴿النزول﴾

سورة «لقمان» مكيّة نزلت بعد سورة «الصافات» وقبل سورة «سباء» و هي السورة السابعة والخمسون نزولاً، وإحدى والثلاثون مصحفاً.

وتشتمل على أربع وثلاثين آية، سبقت عليها ٢٩٠٤/ آية نزولاً، و ٣٤٦٩/ آية مصحفاً على التحقيق.

و مشتملة على ٥٤٠/ كلمة وقيل: ٥٤٢ كلمة وقيل: ٥٤٨/ كلمة وعلى ٢١١٠/ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

في البرهان: سورة لقمان مكية إلا الايات: (٢٧ و٢٨ و٢٩) فنزلت بالمدينة.

وفي الدر المنثور: عن إبن عباس: ان سورة لقمان مكية سوى ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهي: «ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام ـ إلى تمام ثلاث آيات.

وفي تفسير المراغي: سورة لقمان مكية إلاّ الايات: (٢٨ و٢٩ و٣٠) فمدنية، فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر إلى المدينة قال له أحبار اليهود: بلغنا انك تقول: «وما اوتيتم من العلم إلاّ قليلاً» اعنيتنا أم قومك؟ قال: كلاّ عنيت فقالوا: انك تعلم اننا او تينا التوراة وفيها بيان كل شيء فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ذلك في علم الله قليل فأنزل الله تلك الايات.

وفي تفسير البحر المحيط: ان سبب نزول سورة لقمان ان قريشاً سئلت عن قصة لقمان مع إبنه وعن برّ والديه فنزلت.

وفي تفسير البيان : قيل : إن الاية «ومن الناس من يشترى لهو الحديث الخ» نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة كان إشترى كتباً فيها احاديث الفرس من حديث رستم وإسفنديار، فكان يلهيهم بذلك ، ويطرف به ليصدّ من سماع القرآن وتدبر ما فيه .

وفي أسباب النزول : للواحدى النيسابورى في قوله تعالى : «ومن الناس من يشترى لهو الحديث» قال الكلبي ومقاتل : نزلت في النضر بن الحارث ، وذلك انه كان يخرج تاجراً إلى فارس ، فيشترى أخبار الاعاجم فيرويها ، ويحدث بها قريشاً ويقول لهم : ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يحدثكم بحديث عاد وثمود ، وأنا احدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الآكاسرة ، فيستملحون حديثه ويتركون إستماع القرآن فنزلت فيه هذه الاية .

وفيه : باسناده عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لايحلّ تعليم المغنيات ولابيعهن وأثما نهن حرام ، وفي مثل هذا نزلت هذه الاية : «ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضلّ عن سبيل» إلى آخر الاية و ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلّا بعث الله تعالى عليه شيطانين : أحدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب ، فلايزالان يضربان بأرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت .

وفيه : عن إبن عباس : نزلت هذه الايـة في رجل إشترى جارية تغنيه ليلاً ونهاراً .

وفي تفسير الطبرى : عن أبي امامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لايحل بيع المغنيات ولاتراؤهن ولاالتجارة فيهن ولا أثما نهنّ ، وفيهنّ نزلت هذه الاية : «ومن الناس من يشترى لهو الحديث» .

وفي رواية : قال إبن عباس في قوله تعالى : «ومن الناس من يشترى لهو الحديث الاية» نزلت في النضر بن الحارث إشترى قينة (مغنيـة) وكان لايسمع بأحد يريد الاسلام إلّا إنطلق بها إليه ، فيقول : اطعميه واسقيه وغنيه و يقول

هذا خير مما يدعوك إليه محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الصلاة والصيام وان تقاتل بين يديه .

و في أسباب النزول : في قوله تعالى : «وإن جاهداك على أن تشرك بي» نزلت في سعد بن أبي وقاص .

وفي تفسير القمي : ان قوله تعالى : «و إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله... الخ» نزل في النضر بن الحرث إذقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اتبع ما انزل إليك من ربك قال : بل اتبع ما وجدت عليه آبائي .

وفي شواهد التنزيل : باسناده عن أنس بن مالك في قوله : «ومن يسلم وجهه إلى الله» قال : نزلت في علي بن أبي طالب ،كان أول من أخلص لله الايمان، وجعل نفسه وعلمه لله «وهو محسن» يقول : مؤمن مطيع «فقد استمسك بالعروة الوثقى» هي قول : لاإله إلّا الله «وإلى الله ترجع الامور» .

وفي ينابيع المودة : مالفظه : أخرج في المناقب عن أنس قال : نزلت هذه الآية من علي عليه السلام .

وفي كفاية الخصام : باسناده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام : أنت العروة الوثقى .

وفي المناقب المأة : لابن شاذان عن إبن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا أيها الناس إن لله باباً من دخلها أمن من نار جهنم وهول القيامة ، فقام أبوسعيد الخدري ، وقال : بيّن لنا ذلك الباب، فقال : هو علي بن أبيطالب هو أمير المؤمنين وسيّد الوصيين ، وأخو رسول الله وخليفة الله على الناس أجمعين ثم قال: ياأيها الناس من أراد أن يتمسّك بالعروة الوثقى فليتمسك بولاية علي بن أبيطالب ، ولايته ولايتي ، وطاعته طاعتي ، ومن أراد أن يقتديني فعليه بولاية علي بن أبيطالب و الائمة من ذريتي فانهم خزّان علمي .

فقام جابر بن عبدالله الانصاري فقال : كم عددهم يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : يا جابر رحمك الله فقد سئلت عن تمام الاسلام ، عددهم عدد الشهور وهم عند الله إثني

عشر فى كتاب الله، وعددهم عدد العيون التى جرت لموسى عليه السلام حين ضرب بعصاه الحجر فانفجرت ، وعددهم عدد نقباء بنى إسرائيل حيث قال : «وبعثنا منهم إثنى عشر نقيباً» فالائمة يا جابر إثنا عشر: أولهم علي بن أبيطالب وآخرهم القائم صلوات الله عليهم أجمعين .

وفى تفسير القمى: ان اليهود سئلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الروح فقال : الروح من أمر ربى وما او تيتم من العلم إلاّ قليلاً . قالوا : نحن خاصة قال : بل الناس عامة قالوا : فكيف يجتمع هذان يا محمد تزعم إنك لم تؤت من العلم إلاّ قليلاً وقد اوتيت القرآن واوتينا التوراة ، وقد قرأت : «ومن يؤت الحكمة» وهى التوراة «فقد اوتى خيراً كثيراً» فأنزل الله تعالى : «ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله» يقول: علم الله أكثر من ذلك فأما ما آتاكم فهو كثير فيكم قليل فيما عند الله .

وفى أسباب النزول للسيوطى عن عكرمة قال : سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الروح فأنزل الله : «ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما او تيتم من العلم إلاّ قليلاً» فقالوا : تزعم : أنا لم نؤت من العلم إلاّ قليلا وقد اوتينا التوراة وهى الحكمة ، ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً ، فنزلت: «ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام» الاية .

وفيه: عن عطاء بن يسار قال : نزلت بمكة : «وما او تيتم من العلم إلاّ قليلاً» فلما هاجر إلى المدينة أتاه صلى الله عليه وآله وسلم أحبار اليهود فقالوا: ألم يبلغنا عنك إنك تقول: «وما اوتيتم من العلم إلاّ قليلاً» إيانا تريد أم قومك ؟ فقال : كلاً عنيت ، قالوا : فانك تتلو أنا قد اوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :هى فى علم الله قليل ، فأنزل الله: «ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام» الخ .

وفيه: عن قتادة قال: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد (ينفط) فنزل : «ولو أن ما فى الارض» الاية .

وفيه : عن مجاهدقال : جاء رجل من أهل البادية فقال : إن امرأتى حبلى، فأخبرنى بما تلد؟ و بلادنا مجدبة فأخبرنى متى ينزل الغيث ؟ وقد علمت متى ولدت ؟ فاخبرنى متى أموت ؟ فأنزل الله : «ان الله عنده علم الساعة» .

وفي الكشاف : أتى رجل من محارب وهو الحرث بن عمرو بن حارثة رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أخبرنى عن الساعة متى قيامها؟ وانى قدالقيت حبّاتى فى الارض وقدأبطات عنّا السماء فمتى تمطر ؟ وأخبرنى عن إمرأتى فقد اشتملت مافى بطنهاأذكر أم انثى؟ وانى عملت ماعملت أمس؟ فما أعمل غداً؟ وهذا مولدى قد عرفته ، فأين أموت؟ فنزلت : «ان الله عنده علم الساعة» الخ .

وفى أسباب النزول للواحدى النيسابورى فى قوله تعالى : «ان الله عنده علم الساعة» قال : نزلت فى الحارث بن عمرو إبن حارثة بن محارب بن حفصة من أهل البادية أتى النبى ﷺ فسئله عن الساعة ووقتها ، وقال : إن أرضنا أجدبت ، فمتى ينزل الغيث ؟ وتركت امرأتى حبلى فماذا تلد ؟ وقد علمت أين ولدت فبأىّ أرض أموت ؟ فأنزل الله تعالى هذه الاية .

﴿ القراءة ﴾

قرأحمزة «رحمة» بالرفع ، على إضمار المبتداء أى هو أو تلك رحمة ، و الباقون بالنصب على الحال، والعامل معنى الاشارة فى «تلك» أى فى حال الهداية والرحمة . وقرأ إبن كثير وأبوعمرو «ليضل» بفتح الياء ثلاثياً على اللازم أى ليضل هو نفسه ، والباقون بضمها من باب الافعال أى ليضل غيره عن طريق الهدى .

وقرأ حمزة وعاصم «يتخذها» بالنصب عطفاً على «ليضل» والباقون بالرفع عطفاً على «من يشترى» ويجوز أن يكون على الاستئناف .

وقرأحفص «هزؤاً» باسكان الزاء وإبدال الهمزة واواً ، و الباقون بضم الهمزة و بالهمزة ، ولكن القراءة المشهورة هى ضم الزاء مع الواو أى «هزواً» .

وقرأ نافع «اذنيه» بسكون الذال والباقون بضمها. وقرأعاصم وحمزة «أن اشكر» بكسر النون وصلاً والباقون بضمها .

وقرأ حفص «يابنى» بفتح الياء لخفة الفتحة وصلاً والباقون بكسرها وصلاً على أن الكسر تدل على الياء المحذوفة . وعلى هذا ليس «بنى» على حقيقة التصغير وإن كان على لفظه ، وإنما هو على وجه الترقيق كما يقال للرجل : يا أخى .

وقرأ أبوعمرو «وهناً على وهن» بفتح الهاء فيهما على أن الهاء من حروف الحلق والباقون على سكونهما بهذا الوزن المصدرى .

وقرأ أبوجعفر و نافع «مثقال» بالرفع على أن «تك» بمعنى تقع فلا تحتاج إلى خبر والباقون بالفتح على أن «تك» من أفعال الناقصة .

وقرأ نافع وأبوعمرو وحمزة «تصاعر» بالالف بعد الصاد من باب المفاعلة والباقون «تصعر» من باب التفعيل .

وقرأ أبوجعفرونافع وأبوعمرو وحفص «نعمه» بفتح العين و بعد الميم هاء مضمومة على التذكير والجمع ، والباقون «نعمة» باسكان العين و بعد الميم تاء منونة منصوبة على التأنيث والافراد ، وان الافراد يدل على الكثرة .

وقرأ نافع «يحزنك» بضم الياء من باب الافعال ، و الباقون بفتح الياء و ضمّ الزاء ثلاثياً .

وقرأ أبوعمرو «البحر» بالنصب عطفاً على إسم «ان» والباقون بالرفع حملاً على محل «ان» ومعموليها ، أوعلى الابتداء .

وقرأ أبوعمرو «بما يعملون خبير» بياء الغيبة ، والباقون «تعملون» بتاء الخطاب .

وقرأ حمزة وأبوعمروو حفص «يدعون» على الغيبة والباقون بالخطاب .

وقرأ إبن كثير وأبوجعفرونافع وإبن عامروعاصم «ينزل» بتشديد الزاء من باب التفعيل ، والباقون بالتخفيف من باب الافعال .

﴿الوقف والوصل﴾

«الم قف» فيستحب الوقف ولابأس في الوصل ، و «الحكيم لا» للحال التالى ، و«للمحسنين لا» للوصف التالى ، و«يوقنون ط» لتمام الكلام ، و«بغير علم لا» للعطف التالى و«هزوًا ط» لاستيناف التالى ، و«وقرًا ج» لانقطاع النظم مع إتصال الفاء و«النعيم لا» للحال التالى ، والعامل معنى الفعل فى «لهم» و «فيها ط» على أن التقدير: وعدالله وعداً حقاً ، و«حقًا ط» لتمام الكلام .

«دابة ط» لاستيناف التالى والالتفات ، و« كريم ى» علامة العشر التى توضع عند إنتهاء عشر آيات . و«من دونه ط» للعدول بحرف الاضراب ، و«مبين ع» علامة إنتهاء الركوع وهو الحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن نحو عامين ، و«أن اشكر لله ط» لابتداء الكلام التالى ، و«لنفسه ج» لاحتمال عطف التالى والاستيناف ، و«بالله ط» لابتداء التالى ، و«بوالديه ج» لانقطاع النظم مع تعلق «أن اشكر» بوصينا ، و«ولوالديك ط» لتمام الكلام .

«معروفًا ز» للعدل عن بعض الامور إلى الكل مع إتفاق الجملتين ، و«الى ج» لان «ثم» لترتيب الاخبار، و«بها الله ط» لاستئناف التالى ، و «ما أصابك ط» لتمام الكلام و«الامور ج» للاية ووقوع العارض مع عطف المتفقتين ، و«مرحًا ط» لاستيناف التالى الذى يكون فى موضع التعليل ، و«فخور ج» لما تقدم .

«من صوتك ط» لما ذكر، و«الحمير ع» لماسبق ، و«باطنة ط» لتمام الكلام، و«آباؤنا ط» لما تقدم ، و«الوثقى ط» لتمام الكلام ، و« كفره ط» و«عملوا ط» لماسبق،

و«ليقولن الله ط» لتمام السئوال ، و«الحمدلله ط» لتمام الجواب ، و «الارض ط» و « كلمات الله ط» لان مابعدهما مستأنف في موضع التعليل، و«واحدة ط» .

«القمر ز» لان « كل» مبتداء مع عطف «أنّ» الآتية على «أن» المتقدمة ، و«الباطل لا» للعطف التالى ، و«الكبير ع ى» قد تقدم الكلام فيهما فراجع . و «آياته ط» لاستيناف التالى مع كونه في موضع التعليل ، و«الدين ج» لتمام الكلام والفاء التالية ، و«مقتصد ط» لاستيناف التالى ، و«عن ولده ز» لعطف الجملتين مع صدق الاتصال معنى و«شيئاً ط» لابتداء التالى .

«الدنيا قف» للفصل بين موعظتين ، و«الساعة ج» لاختلاف الجملتين ، و «الغيث ج» وإن اتفقت الجملتان للتفصيل بين غيب وغيب ، و«الارحام ط» لابتداء الجملة المنفية التى فيها إستفهام ، و«غداً ط» لابتداء نفى آخر مع تكرار نفس دون الاكتفاء بضميرها ، و«تموت ط» لتمام الكلام وكون التالى فى موضع التعليل.

﴿ اللغة ﴾

٤١- اللقم ولقمان - ١٣٧٨

لقم الطريق وغيره يلقمه لقماً ـ من باب نصر ـ : سدّ فمه .

ألقمه : أسكته ، ويقال : رجل لقم ـ ككتف ـ : يعلو الخصوم .

ويقال لطرف الطريق : اللقم . واللقم ـ كصرد ـ : معظم الطريق ، وقيل : وسطه ، وقيل : واضحه .

ولقم الطعام يلقمه لقماً ـ من باب علم ـ : بادر بأكله ، وأكله سريعاً .

إلتقم الشئ : إبتلعه . اللقمة ـ بالفتح ـ : أكل اللقمة بمرّة ، و بالضمّ من الخبر.

مايهيّأ للقم ، أو إسم لما يلقم فى مرة كالجرعة إسم لما يجرع فى مرة .

قال الله تعالى : «فالتقمه الحوت وهومليم» الصافات : ١٤٢) أى إبتلعه .

الحنطة اللقيمية : نوع من الحنطة ، سنبلها كبير بقدر اللقمة ، تنبت فى السراة ، وقيل : نسبة إلى لقيم ـ كرجيل ـ : قرية بالطائف .

قيل : نسبة إلى لقيم ـ كرجيل ـ : قرية بالطائف .

ركيّة متلقّمة : كثير الماء .وفى حديث الركوع : «تلقم بأطراف أصابعك عين الركبة» أى تجعلها كالقمة لها .

وفي الحديث : «ان رجلاً ألقم عينه خصاصة الباب» أي جعل الشق الذي في الباب محاذي عينه ، فكأنه جعله للعين كاللقمة للفم .

و **لقمان** : إسم حكيم صالح معروف ، يحتمل أن يكون مشتقاً من لقمت الطعام ألقمه وتلقمته ، ورجل تلقام : كثير اللقم ، واللقيم كذلك . وسمي بلقمان لانه كان يبتلع الكلمات الحكيمة كابتلاع الاكول اللقم ، وأن يكون مشتقاً من لقم الطريق فانه كان يسدّ فمه إلّا في موارد ضرورية كما ان هذا هو دأب الحكيم إذ لا يكون كثير الكلام . وعلى أيّ تقدير قال الله تعالى : «ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله» لقمان :١٢) .

٣٧- الشكر- ٨٠٥

شكر النعمة يشكرها شكراً وشكوراً وشكراناً - من باب نصر- : عرفها ونشرها ، وأثنى على المنعم بما أولاه من النعمة ، فهو شاكر، وذاك مشكور.

الشكر: عرفان الجميل والاحسان ونشره وتحديثه ، والشكر: تصور النعمة وإظهارها .قيل : الشكر: مقلوب عن الكشر أي الكشف ،ويضادّه الكفر وهو الغفلة عن النعمة والاحسان وسترها . الشكران : خلاف الكفران .

قال الله تعالى : «قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم» النمل : ٤٠) .

شكره وشكر له ،يقال : شكر الله وشكر لله وبالله ،وشكر نعمة الله وبنعمته.

الشكور من عباد الله : هو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظّف عليه من عبادته ، وإظهار ما أنعمه الله تعالى قلباً ولساناً وعملاً .

الشكور- من أبنية المبالغة - : الكثير الشكر، يستوي فيه المذكر والمؤنث قال الله تعالى : «إن في ذلك لايات لكل صبار شكور» لقمان : ٣١) أي كثير الشكر.

قيل : الشاكر: من يشكر على الرخاء ، والشكور: من يشكر على البلاء ، والشاكر: من يشكر على العطاء والشكور: من يشكر على المنع. شاكره الحديث: فاتحه إياه ، وشاكره فلاناً : أراه انه شاكر له .

والشكر من الله تعالى لعباده : مغفرته لهم ، وإنعامه عليهم ، ومجازاتهم على

صالح أعمالهم . . . وقبولها قال الله تعالى : «ومن تطوّع خيراً فان الله شاكر عليم» البقرة : ١٥٨) .

ومن أشعار عبدالرحمن بن حسّان بن ثابت الانصارى :

من يفعل الحسنات الله يشكرها ـ والشرّ بالشرّ عندالله مثلان .

والشكور من أسماءالله تعالى : أن يزكوعنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء .

قال الله تعالى : «ويزيدهم من فضله انه غفور شكور» فاطر:٣٠) .

شكّر وتشكّر له ـ من بابى التفعيل والتفعل ـ : شكر له .

شكرت الناقة يشكر شكراً ـ من باب علم ـ :إمتلأ ضرعها ،والدابة:سمنت، وفلان : سخي أوغزر عطاؤه بعد بخله ، والنخلة : خرج منها الشكير. دابة شكور: مظهرة بسمنها إسداء صاحبها إليها ، وقيل : أصله من عين شكرى أى ممتلئة ، فالشكر على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه .وفى حديث يأجوج ومأجوج: «وان دواب الارض تسمن وتشكر شكراً من لحومهم» أى تسمن و تمتلىء شحماً.

أشكر الضرع: إمتلأ لبناً .وإشتكرت السماء : جدّ مطرها أى إشتدّ وقعه. واشتكر الحرد والبرد : إشتدّا. وإشتكر الرجل فى عدوه : إجتهد . والمشتكرة: الريح الشديدة . ويقال : هوأشكر من بروق وهو نبت يخضرّ ويتربى بأدنى مطر. والشكر ـ بفتح الشين وسكون الكاف ـ: يكنّى به عن فرج المرأة وعن النكاح . وقيل : كناية عن لحم الفرج .

وفى الحديث : «انه نهى عن شكر البغى» ، الشكير: الشعر فى أصل عرف الفرس . الشكير: الكرم يغرس من قضيبه .

۵۱- الوعظ - ۱۶۸۴

وعظه يعظه وعظاً وعظة ـ من باب ضرب نحووعد ـ : نصحه بالطاعة و وصّاه بالتقوى وأرشده إلى الخير والصلاح مع تذكيره الله تعالى و تخويفه عقابه كي يسلس قياده للامتثال والعمل، ويرق قلبه ويلين.

قال الله تعالى: «وإذقال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتشرك بالله» لقمان:۱۳)

يقال: وعظه بالزواجر وبقصص الهالكين، وذكّره بها و رقّق قلبه للخير بقصّها. ويقال: وعظه بالطاعة وأرشده إلى الخير والصلاح ووصّاه بالتقوى.

الموعظة: إسم من الوعظ، وهو: ما يرقّق القلب، ويميله نحوالطاعة من قول أوفعل. والموعظة: ما يسوق الانسان إلى التوبة إلى الله تعالى و إصلاح السيرة، والتحذير عن المعاصى والتخويف بتبعات الاغترار بالدنيا وزخارفها...

العظة: الموعظة والهاء فيه عوض من الواو المحذوفة كالعدة من الوعد. و في الدعاء: «أعوذ بك أن تجعلنى عظة لغيرى» أى موعظة بأن يتعظ بى.

وفى الحديث: «لا جعلنك عظة لغيرك» أى موعظة و عبرة لغيرك. و جمع العظة: العظات. والواعظ: الناصح، وقد إشتهر به جماعة من المحدثين والخطباء، والجمع: وعّاظ. والوعّاظ ـ كضرّاب ـ : الواعظ. والاتعاظ: قبول الموعظة.

وفى الحديث: «وعلى رأس الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم» يعنى حججه التى تنهاه عن الدخول فيما منعه الله منه وحرّمه عليه و البصائر التى جعلها فيه.

وفيه: «يأتى على الناس زمان يستحلّ فيه الربا بالبيع والقتل بالموعظة» هوأن يقتل البرىء ليتعظ به المريب كماقال الحجاج فى خطبته: «واقتل البرىء

بالسقيم» .

يقال : السعيد من وعظ بغيره ، والشقي من اتعظ به غيره . والوعظة ـ بفتح الواو ـ : المرة وبكسرها : التذكير والنصح والتخويف بالعواقب . . .

٢٧ - الصعر ـــ ٨٥٧

صعر وجهه يصعر صعراً ـ من باب علم ـ : مال إلى أحد شقيه . وصعر رأسه: صغر . الصعر : ميل في الوجه أو الخد خلقة أو لمرض ، ومنه قيل : صعّر خدّه و صاعره : أماله عن النظر إلى الناس من الكبر تهاوناً كأنه معرض عنهم .

قال الله تعالى حكاية عن لقمان : « ولاتصعّر خدّك للناس» لقمان : ١٨) أى لاتمله عنهم كما يفعل المتكبرون .

قيل : الصعر : ميل فى العنق ، والتصعير : إمالته عن النظر كبراً .

والصعار : المتكبر لانه يميل خدّه ، ويعرض عن الناس بوجهه .

وفى الحديث : «يأتى على الناس زمان،ليس فيهم إلاّ أصعر أو أبتر».

الاصعر : المعرض بوجهه كبراً . وقيل : الاصعر : رذالة الناس الذين لادين لهم .

ومنه حديث عمار : «لايلي الامر بعد فلان إلاّ كل أصعر أبتر» أى كل معرض عن الحق ناقص .

و في الحديث : « كل صعّار ملعون» .

إصعّرت الابل : سارت شديداً. والصعر : داء فى البعير يلوى عنقه ويميله منه . فشبه الرجل الذى يتكبّر على الناس به .

وفى الحديث : «فى الصعر الدية» وهو أن يثنى عنقه ، فيصير فى ناحية .

الصعرور : شيء أصفر غليظ يابس فيه رخاوة كالعجين ، والصعرور أيضاً : بلل يخرج من الاحليل على التشبيه ، وهو أول ما يحلب من اللبأ أو اللبن المصمغ فى اللبأ قبل الافصاح .

والصيعرية : إعتراض في السير ، وسمة في عنق الناقة ، ووسم لاهل اليمن لم يكن يوسم إلاّ النوق .

١١ - الخد - ٣٩٩

خدّ الارض يخدّها خداً- من باب نصر نحو مدّ - : شقّها . وخدّ السيل في الارض : إذا شقّها بجريه .

و من ذلك الاخدود و هو الحفرة المستطيلة ، والجمع : الأخاديد . وأصل ذلك من خدّى الانسان وهما ما اكتنفا الانف عن اليمين والشمال .

قال الله تعالى : «قتل أصحاب الاخدود» البروج : ٤) دعاء بالهلاك على قوم شقّوا لمؤمنى زمانهم اخدوداً أضرموا فيه النار لاحراقهم .

وفي حديث الميت : «أتاه ملكا القبر يخدان الارض بأقدامهم» أي يشقانها شقاً .وفي خبر : « أنهار الجنة تجرى في غير اخدود». وفي الحديث : «لايبقى على وجهه - يعنى إبليس - مضغة لحم إلاّ تخدّدت» أي تشققت .

وخدّت الضربة فيه : أثّرت ، وخدّ الدمع في خدّه : أثر . وخدّ الفرس الارض بحوافره : أثر فيها . و أخاديد السياط :آثارها . والخد يستعار للارض و لغيرها كاستعارة الوجه ، وتخدّد اللحم زواله عن وجه الجسم ، يقال : خدّدته فتخدّد .

الخد : أحد جانبي الوجه، والخدان : جانبا الوجه وهما ما جاوز مؤخر العين إلى منتهى الشدق .

قال الله تعالى : «ولاتصعر خدّك للناس» لقمان : ١٨) تصعير الخد : أمالته وهو كناية عن الصلف والتكبر .

والمخدة - بالكسر - : الوسادة لانها توضع تحت الخد ، والجمع مخادّ كدواب . والخدّ : الجدول ، والجمع أخدّة على غير قياس والكثير : خداد و

خدّان . خدّد لحمه تخديداً : هزل و نقص وتشنّج ، وخدّد السير لحمه : هزله فهو لازم ومتعد . وتخدّد لحمه تخدداً : إضطرب من الهـزال وتشنج ، وتخدّد القوم : صاروا فرقاً .

الخدّ : الطريقة والطائفة من الناس يقال : رأيت خداً من الناس أى طبقة وطائفة منهم . وقتلهم خداً فخداً أى طائفة بعد طائفة .

خادّه مخادّة : حنق عليه فعارضه فى عمله .

والمخدان ـ بكسر الميم وفتح الخاء ـ : النابان . و إذا شق الجمل بنامه شيئاً قيل : خدّه .

٩ ـ السبغ ـ ٦٦٨

سبغ الشىء يسبغ سبوغاً ـ من باب نصر ـ : تم واتسع وطال . وسبغ فلان إلى بلده :مال إليه ووصله . وسبغ المطر : دنا إلى الارض و إمتدّ . شىء سابغ : كامل واف .

و أسبغ النعمة : أتمها وأصفاها . وأسبغ شعره : أطاله .

قال الله تعالى : «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» لقمان : ٢٠) .

ومنه الدعاء : «وأسبغ علينا نعمك» أى أفضها علينا سابقة واسعة .

وفى الدعاء : «الحمدلله سابغ النعم» أى واسعها وتامها وكاملها .

وأسبغ فلان الوضوء : أبلغه مواضعه ووفّى كل عضو حقه · اسباغ الوضوء: المبالغة فيه وإتمامه . وفى الحديث قال رسول الله ﷺ : «أسبغ وضوءك يزد فى عمرك» .

أسبغ فلان ثوبه : جعله سابغاً تاماً وافياً واسعاً . وفى حديث الملاعنة : «إن جائت به سابغ الأليتين» أى تامها وعظيمتها من سبوغ الثوب والنعمة .

ومنه حديث شريح : «أسبغوا لليتيم فى النفقة»أىأنفقوا عليه تمام مايحتاج

إليه ووسعوا عليه فيها . وانهم لفى سبغة من العيش اى سعة . و دلو سابغة :طويلة والسابغات : جمع سابغة و هى الدرع التى تغطى المقاتل غطاء وافياً .

قال الله تعالى : «أن اعمل سابغات و قدّر فى السرد» سبأ : ١١) أى دروعة واسعة ضافية .

درعة سابغة : نامة واسعة طويلة ، وعنه استعير إسباغ الوضوء و إسباغ النعمة و كان إسم درع النبى ﷺ ذو السبوغ لتمامها وسعتها .

التسبغة : شىء من حلق الدروع و الزرد يعلّق بالخوذة دائراً معها ليستر الرقبة وجيب الذرع .

٣٤ - العروة - ٩٩٩

عرا يعرو عرواً واوىّ - من باب نصر نحو دعا -: ألمّ به وأتاه طالباً معروفه. والقاصد عار ، والمقصود معروّ .

العروة : سادة الناس الذين يعتصمون بهم ويعيشون بعرفهم ، شبهوا بعرى الشجر العاصمة الماشية فى الجدب .

قال الله تعالى : «فقد استمسك بالعروة الوثقى» لقمان : ٢٢) .

العروة : ما يوثق به لايخشى إنفصامه ، ويعوّل عليه . والعروة : ما يتعلق به من ناحيته. العرا : الناحية . والعروة : الشجر الملتف ، ومنه تفهم عروة الدلو والكوز أى اذنهما ومقبضهما . وعروة القميص : مدخل زرّه لان الاصابع تتعلق بها حين تمسكه . وكذلك يتعلق الزرّ بالعروة . وكل ما يؤخذ باليد من حلقة فهو عروة . أرض عروة : خصبة خصباً يبقى فتتعلق بها الابل حتى تدرك الربيع . والعروة : شجرة تتعلق بها الابل لانها عصمة لها تراغم إليها .

العروة : النفيس من المال . والعروة : الاسد ، وبه سمى الرجل عروة . العروة : حوالى البلد . والعروة : الشجرة التى لايسقط ورقها فى الشتاء كالاراك و

السدر . والعروة : المال الـذى يكفى سنة . والعروة : مازال باقياً فى الارض و لايذهب .

وجمع العروة: عرى. فى الحديث : «وذلك أوثق عرى الايمان» على التشبيه بالعروة التـى يتمسك بها ويستوثق .

وفى الحديث : «عرى الايمان للصلاة والزكاة والحج والعمرة وأوثق عرى الايمان الحب فى الله» والعرى: قادة الجيش . والعراوة : نبات طيب الرائحة إعتراه: قصد عراه وناحيته ، وقدتكون عروة من عروته ـ السابقة ـ على ما بين المضعف والمقصود من تبادل .

قال الله تعـالى : «ان نقول إلاّ إعتراك بعض آلهتنـا بسوء» هود : ٥٤) أى غشيك وأصـابك . وفى الحديث : «كانت فـدك لحقوق رسول الله التى تعروه» أى تغشاه .

٩ ـ الوثق والوثقى ـ ١٦٤٢

وثق به يثق ثقة و وثوقاً وموثقاً ـ من باب ضرب نحو وعد ـ : إئتمنه وسكن إليه . والموثق : الائتمـان ، ويطلق ، و يطلق على العهد الموكد لانه يقع بـه الائتمـان . يقال : وثقت به : سكنت إليه ، وإعتمدت عليه ، وأوثقته : شددتـه . الثقة مصدر ـ كعدة ـ يوصف به ، فيقال : شاهد وراوثقة أى موثوق به ، يستوى فيه الواحد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث ، وقد يجمع فى الذكور والاناث.

فيقال : رجال ثقات ، ونساء ثقات .

الموثق : إسم من الميثاق وهو الذى يعتمد عليه .

قال الله تعالى : «حتى تؤتون موثقاً من الله» يوسف : ٦٦) .

الموثق من الشجر : الذى يعوّل عليه الناس إذا انقطع الكلاء والشجر .

وثق يوثق وثاقة ـ من باب كرم ـ : صلب وإشتدّ وقوى وثبت فصار محكماً

فهو وثيق وذاك وثيقة ـ. وجمعها : و ثائق ، وفي حديث الدعاء : «واخلع وثائق أفئدتهم» .

الوثيقة : فعيلة بمعنى المفعول أي موثوق به لأجل الدين . والتاء فيها لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية . يقال :وقدأخذ فلان بالوثيقة في أمره أي بالثقة، واستوثقت منه : أخذت من الوثيقة . ووثقت الشيء توثيقاً : إذا ربطته وشددته . و منه الحديث : «إذا مات المؤمن وثقه ملك الموت ولولا ذلك لم يستقر» .

ووثقت فلاناً : إذا قلت له: انه ثقة ، ومنه الحديث : «ليس من العدل القضاء بالظن على الثقة» الوثيق : الشيء المحكم .

يقال: دابة وثيقة الخلق،و يقال : عقد وثيق : محكم ، وعروة وثيقة :محكمة لاتنقطع ولاتنفصم . ويقال في التفضيل : العقد الاوثق والعروة الوثقى .

قال الله تعالى: «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى» لقمان : ٢٢) الوثقى : تأنيث الاوثق ، والوثقى قريبة من الموثق . ويقال المتمسك بالدين والايمان والقرآن وأهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين: متمسك بالعروة الوثقى أي متمسك بحبل متين يعصمه من الزلل والضلال وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس .

الميثاق : أصله موثاق يجيء لمعان : **الميثاق** : العهد و كأنه في الاصل إسم آلة من الوثوق إذ به يكون الوثوق والطمأنينة أو هو من الوثاق كأن الذي يعطى العهد بشيء يوثق نفسه و يلزمها ما في العهد .

في حديث يوم الغدير : «يسمى في الارض يوم الميثاق المأخوذ والجمع المشهود » و ذلك لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ عليهم العهد و الميثاق في ذاك الجمع المشهود .

والميثاق : ما يشد به العهد و يؤكد باليمين كأنه عهد على إلتزام العهد.
قال الله تعالى :«وإذ أخذنا ميثاقكم» البقرة : ٢٣) الميثاق : العهد .

وقال تعالى : «الذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه» البقرة : ٢٧)ميثـاق العهد ما يؤكده ويقويه . وجمع الميثاق : مواثيق ومياثق . . .

أوثقه ايثاقاً : شدّه بحبل أوسلسلةأونحوهما . يقال : أوثق الاسير .الوثاق ـ بكسر الواو وفتحها ـ : إسمان لما يوثق بهالشيء .

قالالله تعالى : «ولايوثق وثاقه أحد» الفجر : ٢٦) أى ايثاقه .

الوثاق يجيىء بمعنى الايثاق وبمعنىالحبل ونحوه يوثق به .

قـال الله تعالى : « فشدّواالوثاق» محمد ﷺ :٤) الوثاق هنا : الحبل يوثق به .

وفى الحديث :«من مات فى البحر يوثق فى رجله حجر» .

واثقه على كـذا و بكذا : عاهده عليه قال الله تعالى : «واذكروا نعمةالله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به» المائدة : ٧) .

المواثقة : المعاهدة . و فى حديث كعب بن مالك : «ولقد شهد مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقناعلىالاسلام» أى تحالفنا وتعاهدنا .

وقال الامام محمد بنعلى الباقر عليه السلام : «أخذالله ميثاق شيعتنا بالولاية وهم ذريوم أخذ الميثاق على الذر» .

وفى حديث تلبية إبـراهيم عليه السلام : «فلم يبق أحد أخذ ميثاقه بالموافاة فى ظهر الرجل ولابطن إمرأة إلاّ أجاب بالتلبية» .

وثّق الامر توثيقاً : أحكمه .

توثّق توثقاً : تقوّى وتثبّت فى أمره .

إستوثق منه : طلب منه الوثيقة .

٩ـ الختر والختار ـ ٣٩٧

ختره يختره ختراً ـ ورد منأبواب ثلاثة : علم وضرب ونصر ـ : غدر به و

أقبح فـي غدره . وختر نفسه ختوراً : خبث . وختر نفسه : أخذه الختر و هـو كالخدر يأخذ المرء عند شرب دواء أو سم حتى يضعف ويسكر لاجتهاده فيه .

الختار وختير والختور : مبالغات في الغدر والخديعة .

قال الله تعالى : «وما يجحد بآياتنا إلاّ كل ختار كفور» لقمان : ٣٢) .

وفي الحديث : «لن تمدّ لنا شبراً من غدر إلاّ مددنا لك باعاً من ختر» .

وفيه : «ماختر قوم بالعهد إلاّ سلّط عليهم العدو الختر» .

وفيه : «العاقل غفور والجاهل ختور» .

ختّره الشراب : فسدبنفسه وتركه مسترخياً ، وتختّر : تفتّر وإسترخى.

ويقال : شرب اللبن حتى تختّر وفتر بدنه وكسل وحمّ من مرض أوغيره .

وتختّر : إختلط ذهنه من شرب اللبن ونحوه .

وتختّر : مشى مشية الكسلان .

﴿النحو﴾

١ـ (الم)

إسم مبنيّ يعبّر عنه ونحوه بالحروف المقطعة ومفاتح السور ، وفي موضعه وجوه : أحدها ـ نصب بفعل مقدر أي إقرأ أو اتل «الم» وقيل : بفعل قسم مقدر. ثانيها ـ رفع على تقدير المبتداءِ أي هذا «الم» ثالثها ـ رفع على الابتداءِ و«تلك» خبره . رابعها ـ جرّ على حرف القسم ، فبقي عمله بعد الحذف .

٢ـ (تلك آيات الكتاب الحكيم) .

«تلك» مبتداء ، و «آيات الكتاب» خبره ، وإضافة «آيات» إلى «الكتاب» بيانية أي آيات من الكتاب . وقيل : «تلك» خبر لمحذوف أي هذه تلك و«آيات الكتاب» بدل من «تلك» .

و «الحكيم» وصف من «الكتاب» باعتبار أنه ينطق بالحق ويبيّن كما إذا بيّن الرجل الحكيم . وقيل : على تقدير : ذي الحكمة . وقيل : أي ذي الحكم.

وقيل : الحكيم بمعنى الحاكم . وقيل : على حذف الموصوف أي قائله الحكيم ثم إختلف في القائل فقيل : هو الله تعالى ، وقيل : هو الملائكة التي تنزله على محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم . وقيل : هو الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم .

٣ـ (هدى ورحمة للمحسنين) .

«هدى» منصوب على الحال من «آيات» و العامل فيها معنى الاشارة من لفظ «تلك» وقيل : مفعول لأجله و «رحمة» عطف على «هدى» كقوله : «هذه ناقة الله لكم آية»

هود : ٦٤) ولايجوز أن يكون حالاً من «الكتاب» لانه مضاف إليه ولاعامل يعمل في الحال . ويحتمل أن يكون «هدى» منصوباً على التمييز .

و«للمحسنين» متعلق بمحذوف ،وهو نعت من«هدى» كقوله تعالى : «فتمثل لها بشراً سوياً» مريم : ١٧) .

٤ـ(الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون)

«الذين» موصولة ، و«يقيمون» صلتها ، والجملة في موضع جرّ ، وصف من «للمحسنين» أو بيان له . ويجوز أن تكون الجملة في موضع الرفع على القطع أي هم الذين ، وفي موضع النصب باضمار أعني .

وأصل «يقيمون» يقومون فثقلت الكسرة على الواو ، فنقلت إلى القاف ،ثم قلبت الواو ياءاً لكسر ماقبلها ،فصار يقيمون . و «الصلاة» مفعول به ،و «يؤتون» عطف على «يقيمون» و أصل «يؤتون» يؤتيون، فثقلت الضمة على الياء، فنقلت إلى ما قبلها بعد حذف كسرة التاء، فالتقت الساكنان: الياء و واو الجمع ، فحذفت الياء لكون الواو علامة الجمع والعلامة لاتغير و لاتحذف ، فصار يؤتون ، و «الزكاة» مفعول به . «وهم» الواو للحال و «هم» في موضع رفع على الابتداء ، و «بالاخرة» متعلق بـ«يوقنون» وهم الثاني تأكيد للاول و «يوقنون» خبر المبتداء والجملة في موضع نصب ، حال من ضمير الموصول .

والأفعال الثلاث أفعال مضارعة لجمع الغيبة من باب الافعال .

٥ـ (اولئك على هدى من ربهم و اولئك هم المفلحون) .

«اولئك» إسم إشارة بصيغة الجمع على غير لفظ واحده ، يكون للمذكر و المؤنث ، والكاف فيه حرف خطاب ،وفي موضع الاشارة رفع على الابتداء و«على هدى» متعلق بمحذوف وهو الخبر أي اولئك ثابتون على هدى . ويجوز أن يكون «اولئك» نعتاً من «للمحسنين» .

إن قلت : أصل «على» الاستعلاء والهدى لايستعلى عليه ، فكيف يصح معناها

ههنا ؟

قلت : معنى الاستعلاء حاصل لان منزلتهم علت باتباع الهدى ، ويجوز أن يكون لما كانت أفعالهم كلها على مقتضى الهدى كان تصرفهم بالهدى كتصرف الراكب بما يركبه .

و «من ربهم» متعلق بمحذوف ، في موضع جر ، نعت من «هدى» أي هدى كائن ، وفي المحذوف ضمير يعود إلى «هدى» .

«واولئك» الواو للعطف و «اولئك» مبتداء و «هم» مبتداء ثان ، و «المفلحون» خبر للثاني والجملة خبر للاول ، ويجوز أن يكون «هم» ضمير فصل لا موضع له من الاعراب ، و «المفلحون» خبر «اولئك» و «المفلحون» إسم فاعل للجمع المذكر من باب الافعال .

٦ـ (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم و يتخذها هزواً اولئك لهم عذاب مهين) .

الواو للعطف على «الذين يقيمون الصلاة» على أن تلك الايات إستوعبت أقسام الناس، و «من» هنا تبعيضية ، فتحت نونها ، ولم تكسر لئلا تتوالى الكسرتان، و «من» موصولة، في موضع رفع على الابتداء وماقبله الخبر ، أو خبر لما قبله أي بعض الناس .و يجوز أن يكون «من» نكرة موصوفة و «يشترى» صفة لها والتقدير: ومن الناس فريق يشترى. كقوله تعالى : «ومن الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الاخر» البقرة : ٨) ويجوز أن تكون الجملة في موضع الجر صفة من «الناس» .

و «من» موحدة اللفظ ، تستعمل في التثنية والجمع والتأنيث بلفظ واحد، والضمير الراجع إليها يجوز أن يفرد حملاً على لفظها ، وأن يثنى ويجمع ويؤنث حملاً على معناها .

و «يشترى» فعل مضارع من باب الافتعال إمّا صلة لـ «من» وإما صفة لها على ما تقدم . و «لهو الحديث» مفعول به ، وإضافة «لهو» إلى «الحديث» بيانية أي

الحديث الذى هو لهو ومنكر . وقيل : تبعيضية أى يشترى بعض الحديث الذى هو لهو منه . وعلى الاول فالمراد من «الحديث» المنكر منه وعلى الثانى الاعم منه .

و«ليضل» اللام للعاقبة تسمى بالصيرورة ، ومدخولها فعل مضارع من باب الافعال ، منصوب بـ«أن» مضمرة على حذف المفعول أى لان يضل الناس ، و«عن سبيل الله» متعلق بفعل الاضلال ، و«بغير علم» فى موضع النصب على الحال أى ليضل الناس جاهلاً أو غير عالم . قيل : «بغير علم» متعلق بـ«يشترى» ويجوز أن يكون متعلقاً بـ«ليضل» كقوله تعالى : «و من أوزار الذين يضلونهم بغير علم» النحل : ٢٥) .

«ويتخذها» الواو للعطف ومدخولها منصوب بالعطف على «ليضل» و ضمير «ها» راجع إلى «آيات الكتاب» مفعول أول ، و «هزواً» مفعول ثان . وقيل : الضمير راجع إلى « سبيل الله » لان السبيل كقوله تعالى : « قل هذه سبيلى » يوسف : ١٠٨) وقيل : راجع إلى «الحديث» على أن المراد بالحديث الاحاديث .

و«اولئك» مبتداء أول و«لهم» متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و«عذاب» مبتداء مؤخر و «مهين» نعت من «عذاب» والجملة خبر للمبتداء الثانى .

٧- (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى اذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم) .

الواو للعطف و «إذا» حرف شرط و «تتلى» فعل مضارع ، مبنىّ للمفعول و«عليه» متعلق بـ«تتلى» و«آياتنا» فاعل نيابىّ و «ولّى» فعل ماض من باب التفعيل وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «من» والجملة جزاء الشرط ، و «مستكبراً» حال من ضمير «ولى» .

« كأن» حرف تشبيه ، مخففة ، إسمها ضمير شأن مقدر ، و«لم يسمعها» فى موضع رفع ، خبر لها ، والضمير راجع إلى الايات ، والجملة فى موضع نصب ، حال

ثانية من ضمير«ولي» و«كأنّ» حرف تشبيه و«في اذنيه» متعلق بمحذوف و هو خبرلحرف التشبيه ، و«وقراً» إسمها ، والجملة في موضع نصب ، حال ثالثة من ضمير«ولي» والمعنى : ولي مستكبراً مشابهاً لمن لم يسمعها ، مشابهاً لمن في اذنيه وقر.

وقيل : إن الحرفين المتشابهين مستأنفان. وقيل :إن حرف التشبيه الاولى ومعموليها حال ثان ، وقيل : حال من ضمير«مستكبراً» و حرف التشبيه الثانية و معموليها حال من «لم يسمعها» بناء على الحال المتداخلة ، وقيل : ان الثانية بدل أو بيان من الاولى .

«فبشره» الفاء للتفريع ومدخولها فعل أمر، خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من باب التفعيل ، والضمير في موضع نصب ، مفعول به ، و«بعذاب» متعلق بفعل التبشير، و«أليم» نعت من «عذاب» .

٨ـ (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم)

«ان» حرف تأكيد، و«الذين» موصولة في موضع نصب، إسمها ،و«آمنوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب الافعال صلة الموصول،و«عملوا» عطف على «آمنوا» و«الصالحات» جمع الصالحة ، مفعول به ، و«لهم» متعلق بمحذوف،خبر مقدم ، و«جنات» مبتداء مؤخر، اضيف إلى «النعيم» الجملة في موضع رفع، خبر لحرف التأكيد .

٩ـ (خالدين فيها وعدالله حقاً وهو العزيز الحكيم)

«خالدين» حال مقدرة من ضمير«لهم» و«فيها» متعلق بـ «خالدين» أي مقدراً خلودهم في جنات النعيم إذا دخلوها . و«وعدالله حقاً» مصدران مؤكدان:الاول مؤكّد لنفسه . والثاني مؤكد لغيره فان «لهم جنات النعيم» في معنى : وعدهم الله جنات النعيم . فأكّد معنى الوعد بالوعد ، «حقاً» يدل على معنى الثبات ، فأكد به معنى الوعد . ومؤكّدهما «لهم جنات النعيم» .

وقيل : «وعدالله» مصدر لفعل محذوف ، على تقدير: وعدالله وعداً حقاً ،وقد جاءالنظم القرآنى على تلك الصورة الموجزة المعجزة ، فحذف الفعل ، واقيم المصدرمقامه ، واضيف إلى فاعل الفعل . و«حقاً» صفة للمصدرعلى تقدير: وعدالله وعداً حقاً . وقيل : إن «حقاً» حال من «وعدالله» . وقيل : مصدر لفعل محذوف أى حق ذلك حقاً .

«وهو» الواوللاستيناف و«هو» مبتداء و«العزيز» خبره و«الحكيم» نعت من «العزيز» .

١٠- (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماءاً فانبتنا فيها من كل زوج كريم)

«خلق» فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «العزيز» و الجملة فى موضع رفع ، نعت ثان من «العزيز» ظاهراً ، ونعت ثالث لله تعالى على أن «العزيز» نعت أول لله تعالى . و«السموات» جمع السماء مفعول به .

فى الباء فى «بغير» وجوه : أن يكون متعلقاً بـ«خلق» ثانيها ــ أن تكون فى موضع نصب ، حالاً من «السموات» . ثالثها ــ متعلق بـ«ترون» والجملة فى موضع نصب ، حال من ضمير«خلق» فالمعنى : خلق السموات مرئية بغير عمد .

وفى «غير» وجوه : أحدها ــ أن يكون «غير» صفة لمحذوف مجرور بالباء على تقدير: بعمد غير عمد . ثانيها ــ أن يكون «غير» بمعنى «لا» . ثالثها ــ فى موضع نصب ، على الحال ، وتقديره : خالية عن عمد . و«عمد» جمع عماد .

وفى «ترونها» وجوه : أحدها ــ فى موضع جرّ ، نعت من «عمد» أى بغير عمد مرئية . وضمير التأنيث راجع إلى «عمد» ثانيها ــ فى موضع نصب ، حال من «السموات» فالضمير راجع إليها . ثالثها ــ فى موضع رفع على الاستيناف .

«والقى» الواوللعطف ، و«القى» فعل ماض من باب الافعال ، وفاعله .

ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «العزيز» و«في الارض» متعلق بـ «القى» و «رواسى» جمع الراسية أوالراسيات ، مفعول به .

«أن تميد بكم» في موضع نصب ، مفعول له ، على تقدير : حذرأن تميدأو كراهة أن تميد بكم . وقيل : على تقدير : لان لاتميد بكم . و«بث» فعل ماض عطف على «خلق» و«فيها» متعلق بـ«بث» والضمير راجع إلى «الارض» و«أنزلنا» فعل ماض للتكلم مع الغير، عطف على «خلق» على طريق الالتفات و«من السماء» متعلق بفعل الانزال و«ماء»مفعول به «فانبتنا» الفاءسببيةوقيل : للنتيجة ومدخولها فعل ماض للتكلم معالغير، من باب الافعال ، و«كريم» نعت من «زوج» .

١١ـ (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين)

«هذا» مبتداء و«خلق الله» أى مخلوقه و«فارونى» الفاء ههنا بمنزلة لام التوطئة ، ومدخولها فعل أمر لجمع المذكر المخاطب ، من باب الافعال ، أصله أريونى ، فثقلت الضمة على الياء ، فنقلت إلى ما قبلها بعدحذف حركتها،فالتقت الساكنان ،فحذفت الياء ، فصارأرونى . والنون للوقاية ، والياء للتكلم وحده فى موضع نصب ، مفعول أول .

و«ماذا» بمنزلة إسم واحد ، فى موضع نصب ، مفعول به لـ«خلق» والمعنى: أىّ شيء خلق ، و«الذين» فى موضع رفع ،فاعل الفعل ، والجملة فى موضع نصب، سدّ مسدّ المفعولين لـ«فارونى» إذله ثلاث مفاعيل . . .

وقيل : «ما» إستفهام إنكارى فى موضع رفع على الابتداء ، و«ذا» بمعنى الذى و«خلق الذين» صلته ، والجملة خبر المبتداء و«أرونى»علّق عن العمل ومابعده سدّ مسدّ المفعولين . وقيل : «ما» فى موضع نصب بـ«فارونى» و«ذا» زائدة . و«من دونه» متعلق بـ«خلق» والضمير راجع إلى «الله» «بل» للانتقال و«الظالمون» مبتداء و «فى ضلال» متعلق بمحذوف خبره و«مبين» نعت من «ضلال» .

١٢- (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله و من يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد)

الواو تحتمل العطف والاستيناف و«لقد» اللام للقسم تدل على قسم مقدر و مدخولها حرف تحقيق و«آتينا» فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال . و «لقمان» مفعول أول ، وهو إسم علم ، فان كان عجمياً فمنعه من الصرف للعجمة و العلمية ، وإن كان عربياً فمنعه للعلمية وزيادة الالف والنون، و«الحكمة» مفعول ثان .

«أن» تفسيرية لان ايتاء الحكمة فى معنى القول أى قلنا له : اشكر لله على ما أتاك و«اشكر» فعل أمر، خطاب للنبى ﷺ وقيل : على تقدير: لان اشكر. و «لله» متعلق بـ«اشكر» و«ومن» الواو للاستيناف ومدخولها إسم شرط ، و«يشكر» مجزوم بالشرط ، و«فانما» الفاء للجزاء ، ومدخولها كلمة حصر و«يشكر» فعل مضارع والجملة جزاء الشرط ، و«لنفسه» متعلق بـ«يشكر» و«من كفر» ظاهر مما تقدم ، و«حميد» نعت من «غنى» .

١٣- (واذقال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم)

الواو للعطف ، عطف على «أن اشكر لله» و«إذ» فى موضع نصب ، ظرف يتعلق بفعل مقدر، وتقديره : اذكر إذ قال لقمان . وقيل : منصوب بـ«آتينا» «وهو» الواو للحال و«هو» مبتداء و«يعظه» خبره ، والجملة فى موضع نصب ، حال من «لقمان» و«يا» حرف نداء و«بنى» منادى ، أصله : بنيى بياء التصغير، وياء هى لام الكلمة ، وأصلها واو عند قوم ، وياء عند الاخرين ، والياء الثالثة ياء المتكلم . وفيه وجهان : أحدهما - انه ابدل الكسرة فتحة ، فانقلبت ياء الاضافة ألفاً ، ثم حذفت الالف كما حذفت الياء مع الكسرة لانها أصلها. ثانيهما - ان الالف حذفت من اللفظ لالتقاء الساكنين . وتصغير «بنى» تصغير إشفاق لا تصغير حقيقة و«لا» حرف نهى ، و«تشرك» فعل مضارع لخطاب المفرد المذكر من باب الافعال ، مجزوم

بحرف النهي ، و «بالله» متعلق بفعل الاشراك ، و «إنّ» حرف تأكيد و «الشرك» إسمها و «لظلم» اللام للتأكيد ، ومدخولها خبر لـ «ان» و «عظيم» نعت من «لظلم» .

١٤ـ (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك اليّ المصير) .

الواو للعطف و «وصينا» فعل ماض للتكلم مع الغير من باب التفعيل . عطف على «آتينا» و «الانسان» مفعول به ، و «بوالديه» تثنية ، مجرورة بالباء مضيفة إلى ضمير «الانسان» متعلق بـ «وصينا» و «حملته» فعل ماض ، وتاء الساكنة علامة للتأنيث ، والضمير في موضع نصب ، مفعول به و «امه» فاعل الفعل ، والجملة في موضع نصب ، حال باضمار «قد» ، والعامل هو معنى الفعل الذى يدل عليه قوله تعالى : «وصينا» فان معناه : أمرنا الانسان بالاحسان إلى والديه حال كونه محمولاً لامه .

«وهنا» منصوب على الحال أى ذات وهن أى موهونة . وقيل : على تقدير : في وهن . وقيل : مصدر فعل محذوف أى تهن وهناً . وقيل : منصوب بحرف الجر على تقدير : حملته امه بوهن ، فحذف الجار فاتصل الفعل به فنصبه ، و «على وهن» في موضع الصفة لـ «وهنا» ويجوز أن يتعلق أيضاً بالعامل في «وهناً» .

«وفصاله» الواو للحال ، ومدخولها مبتداء ، و «في عامين» متعلق بمحذوف خبره والجملة في موضع نصب ، حال من «الانسان» و «أن» تفسيرية للتوصية و «إليّ» متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و «المصير» مبتداء مؤخر .

١٥ـ (وان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب الى ثم إليّ مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون) .

الواو للعطف ، و «ان» حرف شرط و «جاهدا» فعل ماض لتثنية المذكر الغائب من باب المفاعلة . وضمير التثنية راجع إلى «لوالديك» وكاف الخطاب

في «جاهداك» في موضع نصب ،مفعول به ، و «على» ومجرورها بعد إنسباكه إلي المصدر ،متعلق بـ«جاهداك» ، و «ما»في موضع نصب ، مفعول به لفعل الاشراك، و«ليس» من الافعال الناقصة ، و «لك» متعلق بمحذوف وهو خبر لـ«ليس» و«به» متعلق بـ«علم» وهو إسمها ، والجملة في موضع نصب ، نعت من «ما» .

«فلا» الفاء للجزاء ، ومدخولها حرف نهي و «تطع» فعل مضارع من باب الافعال ، مجزوم بحرف النهي وضمير التثنية في موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى «لوالديك» والجملة جزاء الشرط . و «صاحب» فعل أمر من باب المفاعلة عطف على «فلاتطعهما» من عطف الامر على النهي . والكلام في ضمير التثنية هو الكلام، و «في الدنيا» متعلق بـ«صاحب» . و «معروفاً» صفة لمحذوف أي مصاحباً معروفاً و هو حسناً جميلاً .

و قيل : أي صحاباً معروفاً . وقيل ، أصحاباً معروفاً . وقيل : على تقدير: بمعروف .

«و اتبع» الواو للعطف ، ومدخولها فعل أمر من باب الافتعال ، عطف على «فلا تطعهما» و«سبيل» مفعول به ، اضيف إلى «من» وهو إسم موصول ، و «أناب» فعل ماض من باب الافعال، صلة الموصول ، و «إلىّ» متعلق بـ«أناب» و «ثم» حرف عطف ، و «إلىّ» متعلق بمحذوف ، وهو خبر مقدم و «مرجعكم» مبتداء مؤخر . «فانبئكم» الفاء للتفريع، ومدخولها فعل مضارع ، للتكلم وحده من باب التفعيل، وضمير الجمع في موضع نصب ، مفعول به ، و «بما» متعلق بفعل التنبيه ، و«ما» موصولة ، و« كنتم» فعل ناقص لجمع المذكر المخاطب ، و «تعملون» في موضع نصب ، خبر لفعل الناقص ، والجملة صلة الموصول ،على حذف العائد ، أي تعملونه أو به .

١٦- (يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير) .

«يا» حرف نداء و «بنى» منادى منصوب للاضافة وقد تقدم الكلام فيه ، و «انها» حرف تأكيد، والضمير في موضع نصب ، إسمها ، راجع إلى الفعلة أو الخصلة السيئة والحسنة . و «إن» حرف شرط ، و «تك» فعل مضارع من أفعال الناقصة ، مجزوم بحرف الشرط ، إسمها ضمير مستتر فيها ، راجع إلى المعصية والطاعة أو إلى الخصلة الموزونة ، و «مثقال حبة» خبرها ، و «من خردل» متعلق بمحذوف ، نعت من «مثقال» وقيل : نعت من «حبة» .

«فتكن» الفاء للعطف ، ومدخولها مجزوم بالعطف على الشرط ،وإسمها ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الخصلة ، و «في صخرة» متعلق بمحذوف ، خبرها أى مستقرة في جوف صخرة و «أوفي السموات» عطف على «في صخرة» و كذلك «أو في الارض» و «يأت» فعل مضارع مجزوم ، و «بها» متعلق بـ «يات» والضمير راجع إلى الخصلة و «الله» فاعل الفعل والجملة جزاء الشرط ، وجملتا الشرط و الجزاء في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد .

و «ان» حرف تأكيد و «الله» إسمها ، و «لطيف» خبرها و «خبير» نعت من «لطيف» .

١٧ـ (يا بني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور) .

وقد تقدم الكلام في «يابني» ، و «أقم» فعل أمر من باب الافعال ، و «الصلاة» مفعول به ، و «أمر» فعل أمر عطف على «أقم» و «بالمعروف» متعلق بـ «امر» و «انه» فعل أمر ، و «عن المنكر» متعلق بـ «انه» و «اصبر» فعل أمر عطف على «أقم» و «ما» موصولة مجرورة ، متعلقة بـ «اصبر» و «أصاب» فعل ماض من باب الافعال ، وضمير الخطاب في موضع نصب ، مفعول به ، والجملة صلة الموصول ، و «ان» حرف تأكيد ، و «ذلك» في موضع نصب إسمها ، و «من عزم الامور» في موضع رفع خبرها .

۱۸ـ (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور) .

الواو للعطف ، و «لا» حرف نهى ، و «تصعر» فعل مضارع ، مجزوم بحرف النهى من بـاب التفعيل ، عطف على «أقـم» و «خدّ» مفعول به ، اضيف إلى كاف الخطاب ، و «للناس»متعلق بفعل التصعير ، و «لاتمش» عطف على «لاتصعر» و«فى الارض» متعلق بفعل المشى .

«مرحاً» مصدر وقع موقع الحال أى تمرح مرحاً أو لأجل المرح ، و«ان» حرف تأكيد و «الله» إسمها ، و «لا» حرف نفى ، و «يحبّ» فعل مضارع ، منفى بحرف النفى ، من باب الافعال ، والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد، و« كل» مفعول به اضيف إلى «مختال» و «فخور» نعت من «مختال» .

۱۹ـ (و اقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) .

الواو للعطف، و «اقصد»فعل أمر و «فى مشيك» متعلق به «اقصد» و«اغضض» عطف على «اقصد» و «من صوتـك» صفة لمحذوف أى اكسر شيئاً من صوتك . و قيل : «من» زائدة .

و«ان» حرف تأكيد،و «أنكر» أفعل تفضيل، إسمها ، اضيف إلى «الاصوات» جمع الصوت، و «لصوت» اللام للتأكيد، ومدخولها خبر لحرف التأكيد ،اضيف إلى «الحمير» جمع الحمار .

۲۰ـ (ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات و مـا فى الارض و أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة و من الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) .

الهمزة للاستفهام ، و «لم» حرف جحد. و«تروا» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب ، مجزوم بحرف الجحد ،و «ان»حرف تأكيد ، و «الله» إسمها ، و«سخّر» فعل ماض من باب التفعيل فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و «لكم» متعلق

بـ«سخر» واللام للتمليك ، وقيل : للتعليل الغائى أى لاجلكم ، والجملة سدّت مسدّ المفعولين لفعل الرؤية .

و «ما» موصولةفي موضع نصب، مفعول به لفعل التسخير ، و «في السموات» متعلق بمحذوف ، وهو صلة الموصول ، و «مافى الارض» عطف على ما قبله ، و «أسبغ» فعل ماض من باب الافعال ، و «عليكم» متعلق بـ«أسبغ» و «نعمه» جمع نعمة ، مفعول به ، و «ظاهرة» حال أو نعت من «نعمه» وافردت لارادة الجنس .

«ومن الناس» الواو للاستيناف ، و «من» للتبعيض ،و«الناس» مجرور ،متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و «من» فى موضع رفع على الابتداء ، و «يجادل» فعل مضارع من باب المفاعلة ، صلة للموصول ، و «فى الله» متعلق بـ«يجادل» و «بغير علم» فى موضع نصب على الحال أى يجادل جاهلاً أو غير عالم . ويحتمل أن يكون متعلقاً بـ«يجادل» و «لاهدى» عطف على«علم» و«لا كتاب» عطف أيضاً ، و «منير» نعت من «كتاب» .

٢١ـ (و اذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) .

«إذا» حرف شرط ، و «قيل» فعل ماض ، مبنى للمفعول ، فعل للشرط ، و «لهم» فى موضع رفع ، على نيابة الفاعل، والضمير راجع إلى المجادلين ، و «اتبعوا» فعل ماض من باب الافتعال ، و «ما» موصولة فى موضع نصب ، مفعول به . و«أنزل »فعل ماض من باب الافعال ، و«الله»فاعل الفعل ، والجملة صلة الموصول و«قالوا» جزاء الشرط .

«بل» حرف إضراب ، و «نتبع» فعل مضارع للمتكلم مع الغير و«ما»موصولة فى موضع نصب ، مفعول به ، و«وجدنا» فعل ماض للتكلم مع الغير، صلة الموصول و «عليه» متعلق بـ«وجدنا» و «آباءنا» جمع أب مفعول به ، اضيف إلى ضمير التكلم مع الغير .

«أولو» الهمزة استفهامية ، والواو للعطف و «لـو» وصلية ، و «كان» فعل ناقص ، و «الشيطان» إسمه ، و «يدعو» في موضع نصب ، خبر ، و «هم» في موضع نصب ، مفعول به ، و «إلى عذاب» متعلق بـ«يدعو» اضيف إلى «السعير» .

٢٢- (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور) .

«من» إسم شرط ، و «يسلم» فعل مضارع من باب الافعال ، مجزوم بالشرط ، و «وجهه» مفعول به ، و «إلى الله» متعلق بـ«يسلم» و «وهو» الواو للحال و «هو» مبتداء و «محسن» خبره والجملة في موضع نصب ، حال من «من» و «فقد» الفاء للجزاء ومدخولها حرف تحقيق ، و «استمسك» فعل ماض من باب الاستفعال ، و «بالعروة» متعلق بـ«إستمسك» و«الوثقى» صفة من «العروة» والجملة جزاء الشرط .

«والى الله» الواو للاستيناف و «إلى الله» متعلق بمحذوف ، وهو خبر مقدم و «عاقبة الامور» مبتداء مؤخر .

٢٣- (ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور) .

الواو للعطف و «من» إسم شرط و «كفر» فعل الشرط ، «فلا» الفاء للجزاء ومدخولها حرف نهي و «يحزن» فعل مضارع ، مجزوم بحرف النهي ، وكاف الخطاب في موضع نصب ، مفعول به ، و «كفره» فاعل الفعل والجملة جزاء الشرط ، و «إلينا» متعلق بمحذوف ، خبر مقدم و «مرجعهم» مبتداء مؤخر «فننبئهم» الفاء للتفريع والنتيجة و «ننبيء» فعل مضارع للمتكلم مع الغير من باب التفعيل ، و «هم» في موضع نصب ، مفعول به ، و «بما» متعلق بـ«ننبيء» و «ما» موصولة و «عملوا» صلة الموصول على حذف العائد ، ويحتمل أن يكون «ما» مصدرية .

«ان» حرف تأكيد و «الله» إسمها و «عليم» خبرها و «بذات» متعلق بـ«عليم» اضيف إلى «الصدور» : جمع الصدر .

٢٤- (نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) .

«نمتع» فعل مضارع للتكلم مع الغير من باب التفعيل ، و«هم» فى موضع نصب ، مفعول به ، و «قليلاً» نعت لمحذوف أى تمتيعاً أو لظرف محذوف أى زماناً قليلاً . و «ثم» حرف عطف ، و «نضطر» فعل مضارع للتكلم مع الغير من باب الافتعال ، و «هم» فى موضع نصب ، مفعول به و «إلى عذاب» متعلق بـ«نضطر» و «غليظ» نعت من «عذاب» .

٢٥- (ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمدلله بل أكثرهم لايعلمون) .

اللام للقسم وهى التى تدخل على أداة الشرط للايذان بأن الجواب بعدها مبنى على قسم قبلها ، لاعلى الشرط ، ومن ثم تسمى اللام المؤذنة ، واللام التوطئة لأنها وطّأت الجواب للقسم أى مهدته له ، و «سئلت» فعل ماض ، خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم و «هم» فى موضع نصب ، مفعول به ، و «من» إستفهامية فى موضع رفع على الابتداء و «خلق» خبره و «السموات» مفعول بـه ، و «الارض» عطف على «السموات» و «ليقولن» اللام للتأكيد ، دخلت فى جواب القسم ، ومدخولها فعل مضارع لجمع المذكر الغائب ، مؤكد بنون الثقيلة ، والجملة جواب للقسم .

«الله» خبر لمحذوف أى هو الله والجملة مقولة للقول ، و «قل» فعل أمر و «الحمد» مبتداء و «لله» متعلق بمحذوف ، وهو الخبر ، والجملة مقولة للقول ، و «بل» حرف إضراب للانتقال ، و «أكثرهم» مبتداء ، و «يعلمون» خبره على حذف المفعول ، أى لايعلمون ذلك .

٢٦- (لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد) .

«لله» متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و «ما» موصولة فى موضع رفع على الابتداء و «فى السموات» متعلق بمحذوف وهو الصلة ، و«الارض» عطف على «السموات» و «ان» حرف تأكيد ، و «الله» إسمها ، و«هو» مبتداء ، و «الغنى» خبره

و«الحميد» نعت من «الغنى» والجملة فى موضع رفع ، خبرلحرف التأكيد .

٢٧- (ولوأن مافى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيزحكيم)

«لو» ههنا لتقرير الجواب وجد الشرط أم فقد ، و لكنه مع فقده أولى ، و ذلك لان العقل يجزم بأن الكلمات إذالم تنفد مع كثرة هذه الامور فلان لاتنفد مع قلتها وعدم بعضها أولى ، و«أن» حرف تأكيد ، و«ما» موصولة ، فى موضع نصب ، إسمها و«فى الارض» متعلق بمحذوف صلة الموصول أى الذين إستقر فى الارض ، و«من شجرة» فى موضع نصب، حال من ضمير «إستقر» أومن «ما» و«أقلام» جمع قلم ، خبر لحرف التأكيد .

«والبحر» الواو للحال ومدخولها مبتداء ، ومابعده خبره ، والجملة فى موضع نصب ، على الحال ، وعامل الحال ما فى «أقلام» من معنى الفعل لان «أقلام» قام مقام «كاتبات» فكأنه قيل :كاتبات والبحر يمده .

وقيل : ان الجملة عطف على موضع إسم «ان» وخبرها، والضمير فى «يمده» فى موضع نصب ، مفعول به ، و«سبعة» فاعل الفعل ، اضيف إلى «أبحر» جمع بحار و«ما» نافية ، و«نفدت» فعل ماض و« كلمات الله» فاعل الفعل ، والجملة جواب ا «لو» ، و«ان» حرف تأكيد ، و«الله» إسمها ، و«عزيز» خبرها و«حكيم» نعت من «عزيز» .

٢٨- (ماخلقكم ولابعثكم الاكنفس واحدة ان الله سميع بصير)

«ما» حرف نفى تشبه بـ«ليس» و«خلقكم» مبتداء و«لابعثكم» عطف على «خلقكم» و«إلّا» حرف إستثناء و« كنفس» فى موضع رفع ، خبر المبتداء ،ولم تعمل «ما» لمكان «إلّا» و«واحدة» نعت من « كنفس» .

قيل : «خلقكم» مبتداء والكاف فى موضع رفع لانه خبر المبتداء ،ولايجوز أن تعمل «ما» لمكان «إلّا» لانها تشبه بـ«ليس» فى نفى الحال ،وإذا دخلت عليها

«إلا» أبطلت منها معنى النفى ، وهووجه الشبه الموجب للعمل ، فاذا زال وجه الشبه الموجب للعمل بطل العمل ، وتقديره : ما خلقكم ولابعثكم إلّا كبعث نفس واحدة ،فحذف المضاف ، واقيم المضاف إليه مقامه .

٢٩- (ألم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير)

الهمزة للاستفهام، ومدخولها حرف جحد و«تر»فعل مضارع لخطاب المفرد المذكر مجزوم بحرف الجازم ، و«أنّ» حرف تأكيد ، و«الله» إسمها ، و «يولج» فعل مضارع من باب الافعال ، في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، والجملة المؤكدة سدّت مسدّ المفعولين بناء على أن «تر» بمعنى تعلم . و«الليل» مفعول به ، و«فى النهار» متعلق بـ«يولج» .

«ويولج النهار فى الليل» عطف على ماقبلها ، و«سخر» فعل ماض من باب التفعيل ، و«الشمس» مفعول به ، و«القمر»عطف على «الشمس» والجملة عطف على «يولج» و« كل» مبتداء و«يجرى» في موضع رفع ، خبر المبتداء ، و «الى أجل» متعلق بـ«يجرى» و«مسمى» صفة لـ «أجل» .

«وان» الواو للعطف ، و«أن» حرف تأكيد ، و«الله» إسمها ، و«بما» متعلق بـ«خبير» ، وهو خبر لحرف التأكيد ، و«ما» موصولة ، و«تعملون» صلتها على حذف العائد ، والجملة المؤكدة عطف على الجملة المؤكدة المتقدمة .

٣٠- (ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير)

«ذلك» مبتداء ، و«هو» مبتداء و«الحق» خبره والجملة خبر لحرف التأكيد، والجار والمجرور متعلق بمحذوف أى يقضى أو يقطع والجملة خبر «ذلك».وقيل :«هو» ضمير فصل و«وأن» الواو للعطف.ومدخولها حرف تأكيد،و«ما» موصولة، في موضع نصب إسم لحرف التأكيد ،و«يدعون»صلة الموصول .و«الباطل»خبر لحرف التأكيد،

والجملة عطف على الجملة المؤكدة المتقدمة .

«هو» مبتداء ويحتمل الفصل ، و«العلى» خبر لحرف التأكيد ، و «الكبير» نعت من «العلى» والجملة عطف على ماسبق .

۳۱- (ألم تران الفلك تجرى فى البحر بنعمت الله ليريكم من آياته ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور)

«تجرى» فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و «فى البحر» متعلق بـ «تجرى» و«بنعمت الله» فى موضع نصب ، حال من «الفلك» و يحتمل أن يكون متعلقاً بـ«تجرى» على ان الباء للسببية ، و قيل : للاستعانة أى تجرى محملة بنعمت الله . وقيل : الباء للتعدية ، وقيل : للمعية . و«ليريكم» اللام للغاية ، و مدخولها فعل مضارع من باب الافعال ، وضمير الخطاب فى موضع نصب ، مفعول به ، و«من» للتبعيض وهى ومدخولها فى موضع نصب ، مفعول ثان أى بعض آياته، و«ان» حرف تأكيد و«فى ذلك» متعلق بمحذوف خبر لحرف التأكيد، و«لايات» اللام للتأكيد ومدخولها إسم لـ «ان» و«لكل» متعلق بمحذوف ، اضيف إلى «صبار» صيغة مبالغة ، و«شكور» مبالغة ، نعت من «صبار» .

۳۲- (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور)

الواو للعطف و«إذا» حرف شرط ، و«غشى» فعل ماض ـ نحو رضى ـ وضمير الجمع فى موضع نصب ، مفعول به ، و«موج» فاعل الفعل ، و الجملة شرطية و «كالظلل» فى موضع رفع ، نعت من «موج» ويحتمل أن يكون فى موضع نصب، على الحال من «موج» .

«دعوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب ، جزاء للشرط ، و«الله» مفعول به، والجملة ، جزاء للشرط ، و«مخلصين» حال من ضمير «دعوا» و«له» متعلق بـ «مخلصين» و«الدين» مفعول به . و«فلما» الفاء للتفريع ، و مدخولها حرف ترد

لربط مضمون جملة بوجود مضمون اخرى ، وذلك إذا دخلت في الماضي ، و«نجّى» فعل ماض من باب التفعيل، و«هم» في موضع نصب ، مفعول به ، و«إلى البر»متعلق بـ«نجى» . وقيل : «لما» ظرف ، عاملها معنى «مقتصد» على تقدير: اقتصدوا.وقيل: في الكلام حذف على تقدير: فمنهم مقتصد ومنهم كافر ويدل على المحذوف قوله تعالى : «وما يجحد بآياتنا الخ» . «فمنهم» الفاء للتفصيل على تقدير: إنقسموا على قسمين ، ومدخول الفاء متعلق بمحذوف خبر مقدم و«مقتصد» مبتداء مؤخر. و«ما» الواو للاستيناف ومدخولها حرف نفي ، و«يجحد» فعل مضارع ، و«بآياتنا» متعلق بـ«يجحد» و«إلّا» حرف استثناء و«كل» فاعل الفعل ، اضيف إلى «ختار» مبالغة أي شديد الغدر، و«كفور» صفة من «ختار» .

٣٣ـ (ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ان وعدالله حق فلاتغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور)

«يا» حرف نداء و«أيّ» وصلية، و«ها» تنبيهية ، و«الناس» منادى و«اتقوا» فعل امر لجمع المذكر المخاطب من باب الافتعال أصله: اوتقيوا فقلبت الواو تاء، ثم ادغمت التاء في التاء ، فان الادغام يدفع الثقل ،ولم تقلب ياء على ما هو مقتضاه لانها ان قلبت ياء أولم تقلب لزم قلبها تاء في هذه اللغة فالاولى الاكتفاء باعلال واحد فصار اتقيوا فثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى ما قبلها بعد حذف حركتها فالتقت الساكنان : الياء والواو فحذفت الياء فصار اتقوا .

و«ربكم» مفعول به ، و«واخشوا» الواو للعطف ، ومدخولها فعل أمر، و «يوماً» مفعول به ، ولايجوز أن يكون ظرفاً لانه يصير الامر بالخشية في يوم القيامة ويوم القيامة ليس بيوم التكليف ، وإنما هو يوم الجزاء ، وأما قوله تعالى: «بل لا تخافون الاخرة» المدثر: ٥٣) فاريد بالاخرة أهوالها وجزائها .

«لايجزى» فعل مضارع ، منفي ، و«والد» فاعل الفعل ، والجملة في موضع

نصب ، نعت من «يوماً» و«عن ولده» متعلق بفعل الجزاء ، و «عن» بدلية ، و «ولا مولود» عطف على «والد» و«هو» مبتداء ولايجوز أن يكون ضمير الفعل ، لان الفصل لايقع بين النكرتين ، و«جاز» خبره والجملة في موضع رفع ، نعت من «مولود» و«شيئاً» مفعول به ، ومفعول «يجزى» محذوف ، ويجوز أن يكون سدّ مسدّ مفعوليها جميعاً .

«ان» حرف تأكيد ، و«وعدالله» إسمها ، و«حق» خبرها ، «فلا» الفاء للتفريع ومدخولها حرف نفي ، و «تغرن» فعل مضارع للمفرد المغائب ، مؤكد بنون الثقلية ، وضمير الخطاب في موضع نصب ، مفعول به ، و«الحياة» فاعل الفعل ، و «الدنيا» صفة ا «الحياة» و«ولايغرنكم» عطف على «تغرنكم» و«بالله» متعلق بـ «يغرنكم» و«الغرور» بناء مبالغة ، فاعل الفعل .

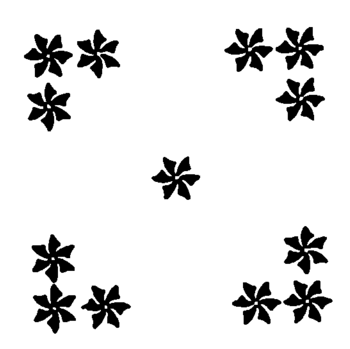
٣٤- (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير)

«ان» حرف تأكيد ، و«الله» إسمها ، و«عنده» ظرف مبنى متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و«علم الساعة» مبتداء مؤخر ، والجملة في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد . «وينزل» الواو للعطف ، ومدخولها فعل مضارع من باب التفعيل ، عطف على جملة خبر «ان» فانها في معنى : يعلم أى ان الله يعلم الساعة وينزل ، و«الغيث» مفعول به «ويعلم» عطف على «ينزل» .

و«ما» موصولة في موضع نصب ، مفعول به ، و«في الارحام» جمع الرحم ، متعلق بمحذوف ، وهو صلة الموصول ، «وماتدرى» الواو تحتمل الحال والاستيناف ومدخولها حرف نفي و«تدرى» فعل مضارع ، و«نفس» فاعل الفعل ، و«ماذا» في موضع نصب بـ «تكسب» لا بـ «تدرى» لان الاستفهام ينتصب بما بعده لابماقبله ، و هذا إذا جعل «ما» و«ذا» بمنزلة شيء واحد ، فان جعلا كلمتين وجعل «ما» بمنزلة الذى فموضع «ذا» رفع على ما قدمناه ولم يجز نصبه بـ «تدرى» لماذكرناه

وإنما نحكم على موضع الجملة بالنصب بدخوله عليها .

«غداً» منصوب على الظرفية لـ «تكسب» و«ما تدرى نفس» عطف على ما قبلها ، و«بأىّ أرض»متعلق بـ«تموت» و«إن» حرف تأكيد و«الله» إسمها ،و«عليم» خبرها ، و«خبير» نعت لـ«عليم» أوخبر بعد خبر.



﴿البيان﴾

١- (الم)

رمزمن رموزالوحى السماوى ، إفتتح بها تسع وعشرون سورة من السور القرآنية على أساليب متنوعة .

٢- (تلك آيات الكتاب الحكيم) .

فى بعد الاشارة تنويه بآيات الكتاب وبعد منزلتها ، و إلفات إلى جلال قدرها وعلوّ سلطانها ، وإلى اسلوبها وأهدافها وعظاتها ، و ايذ ان بعلوّ شأن الكتاب نفسه وكونه فى الغاية القاصية من الفضل والشرف، والمعنى : تلك آيات الكتاب العجيب الشأن البالغ ، فى أقصى مراتب الكمال .

وفى وصف «الكتاب» بالحكمة براعة إستهلال بالنسبة إلى موضوع سورة «لقمان» الحكيم ، لانها تدور على الحكمة والحكيم ، فهوحكيم ، نزل من لدن حكيم ، يصف حكيماً من عبادالله تعالى وعلينا بتمهيد نفوسنا لافاضة خير الحكمة عليها إذمن اوتى الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً .

وفى وصف الكتاب بالحكمة لتكرار موضوع الحكمة فى هذه السورة،فناسب أن تصفه بما هو يناسب موضوعها كما هوطريقة القرآن الكريم فى جميع السور، فكأن هذه السورة حيّ متصفة بالحكمة فى قوله وبيانه ، وفى توجيهه وصميمه،إذ فيه روح وحياة وحركة ، وفى شخصية ذاتية مميزة ، وفيه ايناس لمن آنس به و يعيش تحت ظلاله . وهو حكيم لايلغو ولايلهو، حكيم ولا يتكلم بمالا يعنى فضلا عن

باطل وحكيم لاتبديل لكلماته ، ولاتلوّن في أقواله . . .

٣ـ (هدى ورحمة للمحسنين) .

من جملة الاوصاف التي إمتاز بهاالقرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية النازلة على الانبياء عليهم السلام ان القرآن نفسه هدى ورحمة ونور . . . لان المرادمنها الحاصل بالمصدر ، وأماسائر الكتب ففيها هدى ورحمة ونور لقوله تعالى :«وأنزلنا التوراة فيها هدى ونور» وقدقال في حق القرآن : «قدجاءكم من الله نور وكتاب مبين» .

فالقرآن هوعين الهدى ، وعين النور ، وعين الرحمة . . . و انها ذاتيات له .

ولايخفى : ان أفاعيل المبادى الذاتية ، وإن كانت تامة الآثار والنتائج ليس فيها شائبة نقص إلّا انها قديتخلف عنهاالاثر لالقصور الفاعل وعدم تماميته بل لضعف القابل وسوء إختياره وإنحرافه عن القبول ، ومنها هداية القرآن الكريم .

ومن ثم خصّت الهداية والرحمة بالمحسنين لبقاء فطرتهم بحالها ، وكانت أنفسهم مستعدة لتلقى هداية الحق ورحمته عليها،فاحسنوا على مااقتضته،فوردوا موارد الكتاب وانتفعوا بما قدروا على تحصيله وحمله من هداه ورحمته،فحسنت نياتهم وأقوالهم وأفعالهم . . .

وقيل : ووصفه أيضاً بانه هدى ورحمة للمحسنين تتميماً لصفة حكمته ، فهويهدى إلى الواقع الحق ويوصل إليه لاكاللهو الشاغل للانسان عمايهمّه، وهو رحمة لانقمة صارفة عن النعمة .

٤ـ (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون)

بيان لاوصافهم الثلاث ووظائفهم : وظيفية عملية ، وهي الصلاة ، و وظيفة مالية وهي ايتاء الزكاة ، ووظيفة قلبية ، وهي الايقان بالاخرة .

وتقرير لما عملوا من الحسنات ، وان اريدبها جميع الحسنات، فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها على غيرها ، وقصر

الاشارة هنا على إقامة الصلاة وايتاءِ الزكوة من بين الاعمال الفرعيةللدلالة على أنهما رأس الاعمال الحسنة كلها ، والقطبالذى يدورعليه كل حسن ، وفىتقديم الصلاة ايماء إلى أن العمدة فىالاحسان إقامة الصلاة . وعلىالايقـان بالاخرةللد لالة على أنه هوالموجب للايمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ.

فالصلاة رياضة للنفس ، وإعدادلهالتقبل الاعمال الصالحة ، والزكوةتطبيق عملىلكل عمل صالح. . إذكان المال والتصرفات الدائرة حوله هوالمحكالذى تظهربه أخلاق الناس لما للمال من سلطان علىالنفوس فى جمعه، وفى إنفاقه، و انالايمان اليقينى بحقيقة الحياة الاخروية ، و ما وعدالله فيها يوجب التـوحيد والايمان بالنبوة ،مع الايماءِ إلى أن إقامة المحسنين الصلاة وايتاءهم الزكوة ليس عملاً تلقائياً ، وإنما هوعمل مرتكزإلى عقيدة هىالايمان باليوم الاخر، بعد الايمان بالله تعالى ايماناً محققاً مستيقناًلايتلبس به شك أوإرتياب ،وبهذاالايمان الوثيق الذى يقوم فىظله العمل يجيىء العمل على صفة كاملة ، حيثيعطيه المرء كل مشاعره ، فلايلحقه ضعف أوفتور.

وفى تكرارالضمير«هم» من التأكيد مالايخفى .

٥- (اولئك على هدى من ربهم واولئك همالمفلحون)

تنويه بشأن الذين تحققوا بالصفات الثلاث التى جمعت الاية السابقة ، و حثّ لغيرهم علىالتحقق بها ، فان «اولئك» إسم مبهم يصلح أن يشار به إلى كلحاضر تعرفه الاشارة أوبمنزلة الحاضر.

وفىالاشارة ايذان بأن مايرد عقيبه ، فالمذكورون قبله أهللاكتسابـه من أجل الخصال التى عددت لهم كـأنه قيل : اولئك المميـزون بتلك الصفات والخصال . فصارالكلام من ترتيب الحكم على الاوصاف المناسبة ، و إفادة العلية بخلاف المضمر، فانه راجع إلى الذات ، وليس فيه ملاحظة أوصافها ، وإن كانت متصفة بها فى نفسها ، ولكن «اولئك» إشارة إلى الذات مع صفاتها ، فـالمناسب

إتيان إسم الاشارة ، ولذا قال تعالى : «اولئك على هدى» .

وقوله : «على هدى» مثل لتمكنهم من الهدى وإستقرارهم عليه وتمسكهم به ، فشبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ، و معنى «هدى من ربهم» أى منحوه من عنده واوتوه من قبله ، وهواللطف والتوفيق الذى اعتضدوا به على أعمال الخير والشرحتى إلى الأفضل فالافضل .

ونكّر«هدى» ليفيد ضرباً مبهماً لايبلغ كنهه ولايقادرقدره كأنه قيل: أيّ هدى . وفى ايثار كلمة «رب» وإضافتها إلى ضمير«المحسنين» ولم يقل: «من الله» مالايخفى على القارىءالخبير.

وفى تكرار«اولئك» تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى ، فهى ثابت لهم بالفلاح لتمييزهم بهما عن غيرهم بالمثابة .

٦ـ (ومن الناس من يشترى لهوالحديث ليضل عن سبيل الله بغيرعلم و يتخذها هزواً اولئك لهم عذاب مهين)

تنديد بفريق من الذين يتمسكون بالأحاديث الباطلة ليضلوا بها سامعيها عن سبيل الله من غيرعلم ، وتقرير لموقفهم من آيات الله ولتشويش عليها ومقابلتها بالاستهزاءِ والاستخفاف وتفضيل مجالس الغناءِ على سماع القرآن . وتنديد أيضاً بالغناءِ وتحريمه بقطع النظرعن الموضوع بذاته .

فالناس فريقان : فريق طالب الهدى ،وفريق طالب الضلالة حيث لم يطلبوا الهدى ولم يلتمسوا الاسباب التى تفتح لهم الطريق إليه بل سعوا فى إضلال الناس.

قوله تعالى : «اولئك» إشارة إلى «من يشترى» ومعنى البعد فيه مع قرب العهد بذكر المشارإليه ايذان ببعد منزلتهم فى الشرارة أى اولئك الموصوفون بما ذكرمن إشترائهم لهوالحديث لاضلال الناس وصدّهم عن سبيل الله تعالى.

وقوله تعالى : «لهم عذاب مهين» تهويل وتخويف ووعيد شديد بهم لما اتصفوا به من إهانتهم الحق بالاستهزاءِ ، وترغيب الناس عن الحق ، و ترغيبهم فى

الاوهام والاباطيل . . .

في **تلخيص البيان** للسيد الرضى رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى : «ومن الناس من يشترى لهو الحديث . . .» الاية قال : وهذه إستعارة و المراد بالاشتراء ههنا الاستبدال بالشيء من غيره وكذلك البيع للشيء يكون بمعنى إستبدال غيره منه ، فكان المذموم بهذا الكلام إستبدال لهو الحديث من سماع القرآن والتأدب بآدابه والاعتلاق بأسبابه، ويدخل تحت لهو الحديث سماع الغناء والحداء والافاضة في الهزل والفحشاء ومايجرى هذا المجرى. إنتهى كلامه ورفع مقامه الشريف .

٧- (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كان لم يسمعها كأن في اذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم)

تقرير لبعض أحوال المشترى للهو الحديث ، وموقف هذا المضل في تلاوة الايات القرآنية عليه ، بانه كان يستنكف أن يتلقى ما يلقى إليه من النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ويستكبر أن يتنصح بنصائحه ويسترشد بارشاداته .

وإفراد الضمير باعتبار المشترى المستفاد من «من يشترى» فالضمير راجع إلى المشترى ، وكذلك الضمائر الآتية . . .

وفي الآية مبالغة في ذم هذا المستكبر المضل لتركه إستماع القرآن إذ قال: «كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقراً» فان عدم السماع أعم من أن يكون بوقر الاذن أو بنحو الغفلة .

وقد جاءت الاية في سورة الجاثية :٨) من غير ذكر الجملة الثانية إذ لم يبن الكلام هنا لك على المبالغة لقوله تعالى : «وإذا علم من آياتنا» والعلم لا يحصل إلّا بالسماع أو مايقوم مقامه من كتابة وغيرها .

ففي قوله تعالى : «كأن لم يسمعها» إشارة إلى أن هذا المستكبر يمضى في طريقه حين تتلى عليه آيات الله كأن شيئاً لم يطرق سمعه . فلا يتلفت إلى

مصدرهذا الذى يلقى إليه ، ولايتوقف ليسأل : ماذا هناك ؟ ومـاذا يراد منـه ؟ هكذا شأن المستبد المضل المستكبرالراكب الغرور . . .

وفي قوله تعالى : « كأنفي اذنيهوقراً »تأكيد لما قررمن حال المستكبر المضل المستبد المعرض عنآياتالله ، ولم يأبه لما يسمع منها حتى لكـأن فى اذنيه صمماً إذهووالاصم على شرع سواء فى هذاالموقف . وهذا تشبيه وتمثيل و إخبارعن واقعية سوداءمظلمة إكتسبها بما اقترفه من خطايا وآثام . . .إكتسبها بمروده على الطغيان والاستكبارعن قبول الحق ، فجعلتهصخرة صماء فـى غايـة قسوة فجاء التعبيرإستعارة ومجازاً عن تلك الحالة القاسية التى إنطـوى عليهـا قلبه الجاف .

وقوله تعالى : «فبشره بعذابأليم» أمرللنبى الكريمﷺ بانذارالمستبد المستكبر، المضل ، وتبشيره بعذاب أليم ، ووعيد وتهديد شديد لهذاالمعرضعن الايات القرآنية ، فانه لايلقى إلّا العذابالموجع ، ولايسمع بعد هذا الاعراض إلّا ما يخرق اذنيه من نذرالعذاب والبلاء ، وانه إذاكان قدأصمّ اذنيه عـن سماع الهدى فانه لن يستطيع أن يصمهما عن هذه البشرى التى تزف إليه . . فان أحداً لايصم اذنيه عن حديث يحمل إليه بشرى مسعدة ويالها من بشرى إنها العـذاب الموجع ! فالبشارة هناللتهكم على الكافر.

في تلخيص البيانفي قولهتعالى: «فبشره بعذاب أليم» قال : وهذه إستعارة لانالبشارة فيالعرف إنما تكون بالخيروالسعادةوالمسرّة لابالشروالمضرّة لكن إبلاغهم الوعيد بالعقاب لماكان كابلاغهم الوعد بالثواب فى تقدم الخبر به جازأن يسمى لهذه العلة باسمه .

وكانأبوالعباس المبرّد يذهببذلك مذهباً حسناً فيقول : إن لفظالبشارة مأخوذ من البشرة ، فكان المخبرلغيره بخبرالنفع والخيرأوخبرالشر والضريلقى فى قلبه من كلاالامرين مايظهرتأثيره فى بشرة وجهه ، فان كان خيـراً ظهـرت

تباشير المسرّة وإن كان شراً ظهرت فيه علامات المساءة ، فحسن على هذا المعنى أن تستعمل البشارة فى الشر والضرّ كما تستعمل فى النفع والخير .

٨- (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم)

بيان لحال المؤمنين بالله تعالى وبرسوله وآياته إثر بيان حال الكافرين، وتقرير لفلاح الصالحين الذى أجمله فى أول السورة إثر تقرير فساد المستكبرين، وإشارة إلى جزاء المؤمنين فى الاخرة كما كشف عن جزاء المستكبرين المستهزئين فهنا مقابلة بين أعداء الله و أولياء الله جل وعلا .

فى قوله تعالى : «جنات النعيم» عكس للمبالغة لانه إذا كانت الجنات لهم كانت نعيمها لهم أيضاً لان ملك الجنة مستلزم ملك نعيمها بخلاف العكس ،ففيه إشارة إلى أن الجنة ونعيمها معاً لهم .

٩- (خالدين فيها وعدالله حقاً وهو العزيز الحكيم)

وعدو تأكيد على تحقيق الوعد ، فانه الغالب الذى لايغلب ،وله العزة المطلقة فلا يطرء عليه ذلة ولاهوان ، وانه الحكيم الذى لايفعل إلا بحكمة و إتقان فلا تفريط ولا إفراط فى أفعاله ، لايداخل كلامه باطل ولاهزل وخرافة .

١٠- (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماءاً فانبتنا فيها من كل زوج كريم)

مستأنف بيانى سيق للاستشهاد بما فصّل فيه من عزته تعالى التى هى كمال قدرته وغاية حكمته فى تدبير الكون التى هى كمال العلم ، وتمهيد لبيان قاعدة التوحيد وتقريره ، وإبطال أمر الاشراك وتبكيت أهله .

فمن آياته الباهرة ودلائل عزته وحكمته خلق السموات وإمساكها بلاسند يراه الناس ، وفيه إشارة إلى أن السموات محمولة على أعمدة لاتراها الابصار ،و و إنما تعرفها البصائر . . .

قيل : إن قوله تعالى : «ترونها» يحتمل أن يكون قيداً توضيحياً ، والمعنى: انكم ترونها ولا أعمدة لها ، وأن يكون قيداً إحترازياً والمعنى : خلقها بغير أعمدة مرئية إشعاراً بأن هناك أعمدة غير مرئية .

وقوله تعالى : «والقى فى الارض رواسى . . .» بيان لصنعه البديع فى قرار الارض إثر بيان صنعه الحكيم فى قرار السموات ، فمن آياته الظاهرة إرساء الجبال فوق الارض لئلا تتحرك من تحتهم و تكبهم، وبثه فيهما من كل نوع من أنواع الدواب... ففيه إشارة بأن بين الجبال والزلازل رابطة مستقيمة .

وقوله تعالى : «وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها» فى الالتفات من الغيبة إلى نون العظمة فى الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بأمرهما ، مع أن إنزال الماء من السماء وإنبات النبات من الارض شاهد قريب حاضر على الوجود المطلق و عزته وحكمته ، فناسب أن يكون ضمير الحضور معهما ، وأما خلق السموات و الارض فيستدل على شاهد بعيد أشبه بالغائب ، فناسب ذلك أن يكون ضمير الغيبة معهما .

فمن آياته الواضحة إنزاله الماء من السماء وإنباته النبات من الارض من كل صنف كريم من صنوف النبات . . . وفيه دعوة الكافرين إلى أن يشهدوا جلال الله تعالى وعظمته ، وأن يروا آياته الظاهرة التى تطلع عليهم فى كل حين .

وقوله تعالى : «من كل زوج كريم» فى التعبير عما تخرج الارض من ثمرات بالزوج الكريم إشارة إلى أن كل ما يجيىء من ثمرات طيبة كريمة هو نتيجة لمزاوجة بين ذكور النبات و إناثه كما يتزاوج الناس والحيوان ، وان أى ثمر لا يتولد عن لقاح بين الذكر والانثى هو ثمر خسيس ردىء كما تتوالد بين الحيوانات الدنيا بانقسام الخلية .

فتحتوى الاية تنويهاً بالآيات التكوينية التى تتصل بما هو مستقر فى أفهام

الناس و مائل لابصارهم بصورة عامة دون قصد إلى تقريرات فنية لان ذلك خارج عن الهدف القرآني ،فهي على هذا الاعتبار قوية رائعة في تنويهها وفي تحديها ، وفيها تقرير لبعض آثار العزة المطلقة ونفوذ سلطانه ، و بيان لبعض دلائل الحكمة الالهية في هذا الوجود العلوي والسفلي .

١١- (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين) .

إشارة إلى ما عرضته الايات السابقة من آيات صنع الله تعالى وقدرته وحكمته في خلق السموات والارض... ودعوة لهم إلى النظر والتفكر في هذا الوجود الذي قام بقدرته ثم لينظروا فيما لمعبوداتهم من خلق ،فاذاً يسقط في أيديهم حيث لا يجدون لمعبوداتهم أثراً ، بل انهم ليجدون معبوداتهم بعضاً من خلق الله تعالى ولكنهم مع ذلك كانوا متعلقين بمعبوداتهم تلك مقيمين وجوههم إليها ، و ذلك هو الضلال المبين الذي لا يرجى لصاحبه أن يجد الهدى أبداً ، وان الذي يقف هذا الموقف ، و يركب هذا الطريق المهلك لهو ظالم لنفسه ، جائر على فطرته .

هتاف بالسامعين وتحديهم بان هذا ماخلق الله تعالى ، وأبدعه فما الذي خلقه غيره من الآلهة التي يشركها الناس معه بالعبادة والاتجاه وان هذا الامر امر تعجيز وتبكيت ، ولهذا سجل عليهم بالضلال المبين .

قوله تعالى : «بل الظالمون في ضلال مبين» إضراب عن تعجيزهم إلى التصريح بضلالهم، إضراب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال لا يخفى على ناظر خبير . وفي الجملة إلتفات من الخطاب إلى الغيبة ، و وضع الظاهر موضع الاضمار توصيفاً لهم بالظلم في إشراكهم ، وبيان لعلة الحكم وتقرير لحقيقة أمر الظالمين الذين يدعون غير الله تعالى بانهم في ضلال ليس بعده ضلال .

١٢ـ (ولقدآتينا لقمـان الحكمة أن اشكرلله و من يشكر فانمـا يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد)

مستأنف سيق لبيان بطلان الشرك بالنقل بعد الاشارة إلى بطلانه بالعقل، و تقرير لشأن الحكمة.

قوله تعالى: «أن اشكر لله» تفسير للحكمة، فالشكر لله تعالى هو مظهرها الفريد وهي تتخلص في الاتجاه لله جل وعلا بالشكر ، فهذه هي طبيعة الحكمة . و فيه تنبيه على أن شكر المعبود الحق رأس كل العبادة وسنام الحكمة ، وفائدته ترجع إلى العبد لا إلى المبعود ، فانه غني عن شكر عباده ، وهو يليق للحمدو إن لم يكن على وجه الارض حامد له على ما يدل عليه الكلام التالي .

و إن الحكمة التي اوتيها لقمان حكمة ربانية، وليست من الحكم المكتسبة التي يحصلها الحكماء والفلاسفة بالبحث والنظر ، و إنما هـي فضل من فضل الله تعالى كالرسالة والنبوة اللذين لاتكتسبان بتحصيل وإجتهاد .

و في الجملة إلتفات من التكلم مع الغير إلى الغيبة ، وذلك ان التكلم مع الغير من المتكلم الواحد إظهار للعظمة بالتكلم عن قبل نفسه وخدمه ، وقول ان اشكر لنا على هذا لايناسب التوحيد في الشكر ، وهذا ظاهر لايخفى على متأمل.

وقوله تعالى : «ومن يشكر فانما يشكر لنفسه . . . . الخ» مستأنف سيق لتقرير مضمون ما قبله ، يوجب الامتثال بالامر ، وفي ايثار المضارع الدال على الاستمرار في جانب الشكر ، وايثار الماضي الدال على المرة في جانب الكفر إشعار بأن الشكر إنما ينفع مع الاستمرار ، وأما الكفر فيضرّ بالمرّة منه .

و فيه إستغناء من الله تعالى ان نفع الشكر إنما يرجع إلى نفس الشاكر، والكفر لايتضرّر به إلاّ نفسه دون الله سبحانه .

١٣ـ (واذقـال لقمـان لابنه وهـو يعظه يـا بني لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم)

تقرير لمواعظ لقمان لابنه ، وانه وقف من إبنه موقف الواعظ الناصح له، فنهاه أولاً عن الشرك بالله سبحانه واصفاً له بالظلم العظيم . وفي تصغير الابن إشفاق وترقيق ، وليس بتحقير .

قوله تعالى : «ان الشرك لظلم عظيم» تعليل للنهي أو للانتهاء عن الشرك ،و تحذير عن مغبة الشرك و ما يقع على المشرك من الله تعالى إذ يصيبه في مقاتله و يورده موارد الهالكين .

ولعل وجه كون الشرك ظلماً عظيماً انه وضع فيه أخسّ الأشياء وهو الفقير المطلق موضع أشرف الاشياء و هو الغني المطلق ، مع أن عظمة كل عمل بعظمة أثره في النفس وفي المجتمع البشرى ، وان عظمة المعصية بعظمة المعصىّ ، فان مؤاخذة العظيم عظيمة ، فأعظم المعاصي معصية الله جل وعلا لعظمته و كبريائه فوق كل عظمة و كبرياء بانه الله تعالى لاشريك له وأعظم معاصيه معصيته في أن لله شريكاً و لا شريك له.

وقوله تعالى : «ان الشرك لظلم عظيم» حيث اطلق عظمته من غير تقييد بقياسه إلى سائر المعاصي يدل على أن له من العظمة مالايقدّر بقدر .

وقيل : إن الشرك ظلم لما فيه من وضع الشيء في غير موضعه ، وانه عظيم فيما فيه من التسوية بين من لانعمة إلاّ منه وهو الله تعالى ، ومن لا نعمة لها وهي الاصنام والاوثان . . .

١٤ـ (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير) .

مستأنف معترض على نهج الاستطراد في أثناء وصية لقمان تأكيداً لمافيها من النهي عن الشرك أو عطف على «ولقد آتينا لقمان الحكمة» وفيه تنبيه إلى بعض مظاهر عظمة الله تعالى وقدرته وإحاطته بسبيل التدليل على حقه وحده بالخضوع والعبادة.

وقد جيئت الجملة المعترضة لغرضين : أحدهما ـ ان طاعة الابوين تالية لعبادةالله تعالى . ثانيهما ـ تأكيدلكون الشرك أمراً فظيعاً منكراً حتى انه يلزم فيه مخالفة من يجب طاعته .

فيجب على الانسان الشكر لوالديه كما يجب عليه لله تعالى ، بل هو من شكره جل وعلا لانتهائه إلى وصيته وأمره جل وعلا فشكرهما عبادة له سبحانه و عبادته شكره .

قوله تعالى : «حملته امه وهناً على وهن وفصاله في عامين» إعتراض في إعتراض تحريضاً على رعاية حق الوالدة خصوصاً ، و فيه منّة الوالد. خاصة لما فيهامن المتاعب والمشاق الكبيرة ، وتأكيد للوصية، وتذكير تعظيم حقها بافرادها الذكر والحق ان ذكرها لمحدودية مشاقها ومتاعبها بعامين بخلاف متاعب الاب فانها إلى البلوغ بل أكثر .

و قيل : «حملته امه» تعليل للتوصية . وقيل : للاحسان . وقيل : للشكر الذي يأتي ذكره .

وقوله تعالى: «و فصاله في عامين» توقيت للفطام ، وفيه تنبيه آخر على ماكابدته الام من المشاق والمتاعب ، وفيه منة اخرى وهي الشفقة عليه وحسن كفالته حين لايملك لنفسه شيئاً . وقد وصّى بالوالدين ولكنه ذكر السبب في جانب الام فحسب لان المشقة التي تلحقها أعظم ، فانها حملته في بطنها ثقيلاً ثم وضعته وربّته ليلاً ونهاراً ، وذكر بعض ما تحملته امه من المتاعب و المشاق في حمله وتربيته ليكون داعياً له إلى شكرهما وخاصة الام .

وقوله تعالى : «أن اشكر لي ولوالديك» تفسير لقوله تعالى: «ووصينا الانسان» وقيل : علة له . وقيل : بدل من «بوالديه» بدل الاشتمال .

ولم يقل : والشكر لوالديك ، لكمال الاهتمام بالوالدين ، والعناية بهما

وعظم شأنهما لكونهما سببين في وجوده ، حيث ذكر شكر الوالدين قريناً لشكره تارة و من غير تكرار الامر لئلا يتوهم ان شكر الوالدين أمر مغاير لشكرالله تعالى بل شكرالله ليس إلاّ شكر الوالدين .

وان الكلام في الالتفات الواقع في قوله تعالى : «أن اشكر لي ولوالديك» هو الكلام في قوله تعالى : «ان اشكر لله» : ١٢) فراجع .

وقوله تعالى : «إليّ المصير» تعليل للامر بالشكر مع التحذير والتهديد عند المخالفة ، فيجب الامتثال . والمعنى : إليّ الرجوع لا إلى غيري فاجازيك على ما صدر عنك من الشكر أو الكفر ، من الايمان أو الشرك أو من الطاعة و الطغيان . . .

١٥ـ (وان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون) .

إشارة إلى موقف غير الموقف السابق الذى كان فيه الابن مؤدياً حق والديه، شاكراً لهما ، وقائماً ببرهما والاحسان إليهما وهما مؤمنان .

وهما في هذا الموقف على غير طريق مستقيم ، وإبنهما على طريق الهدى والايمان ، وهما يريان ان ايمان إبنهما بالله تعالى خرجه على طاعتهما ، وإستلزم الاستخفاف بدينهما الذى كانا يدينان به ، وخرجهما عن تقاليدهما الموروثة عن الآباء والاجداد . . . فعندئذ يقع الصدام والصكاك والجذب والدفع . . . فالابوان يؤرّقهما هذا الذى إستحدثه إبنهما من ايمان وهو على يقين من أمره ، و على بصيرة من دينه ، وانه لاسبيل إلى أن يجمعه وإياهما طريق إلاّ أن يؤمنا بالله تعالى كابنهما .

فالابن مؤمن وقع بين حقين يتنازعانه : حق الله تعالى وهو الايمان ، وحق الوالدين وهو طاعتهما والامتثال لما يدعوانه إليه من شرك وضلال . . .

فـاذاً لاخيار للابن بين الحقين ، فان حق الله جل وعلا مقدم فانه أولى و ألزم ، وانه يجب كل حق ويعلو على كـل واجب . . ولكن مع هذا يبقى ـ مع الاحتفاظ بحق الله والوفاءبه ـ اللطف والرفق والصحبة . . . فان ذلك لايجور على حق الله ولايؤثر في الايمان الذى عمر به القلب .

قوله تعالى : «فلا تطعهما» وفيه دليل متقن على غلط قريش وخطأهم فى تقليدهم عن آبائهم فى العقيدة .

وقوله تعالى: «وصاحبهما في الدنيا معروفاً» إشارة إلى أعدل موقف يأخذه الانسان إذ يحتفظ فيه حق الله تعالى ، ولايجحد بعض مالابوين من حقوق . وفيه ايماء إلى تهوين أمر الصحبة لأنها فى أيام قلائل وشيكة الانقضاء ، فلا يصعب تحمل مشقتها . وقوله : «في الدنيا» يفيد قصر المصاحبة بالمعروف فى الامور الدنيوية دون الدينية .

وفيه دلالـة على أن الانسان إذا بقى على فطرته لايؤثر فيه دعوة الصورة و تبليغ الباطل .

وقوله تعالى: «واتبع سبيل من أناب» فيه ايجاز لطيف يفيد ان الابويـن لو كانا من المنيبين إلى الله تعالى فلتتبع سبيلهما وإلا فلايطاعا ولتتبع سبيل غيرهما ممن أناب إلى الله جل وعلا ، وفيه تأكيد لقوله : «فلا تطعهما» .

وقوله تعالى : «ثم إلىّ مرجعكم . . الخ» قطع لهذا الجدل وذلك الخلاف حول الايمان والشرك فيما يدور بين الابن وأبويه ، وإحالة لهذا الخلاف إلى الله تعالى ليحكم فيه ويجزى كلاً بما عمل .

١٦ـ (يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فـى السموات او فى الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير) .

شروع لبيان بقية حكاية وصايا لقمان إثر تقرير ما فى مطلعها من النهى عن الشرك وتأكيده بالاعتراض أو بالعطف ،وفى الاية تقرير لما كشف لقمان لابنه

عن علم الله تعالى وبسطة سلطانه، حتى يعبده عن علم به ومعرفة بما ينبغي له من كمال وجلال .

قوله تعالى: «مثقال حبة من خردل» كناية عن الفعلة الصغيرة .

وقوله تعالى: «فتكن في صخرة او في السموات والارض» كناية عن السر والخفاء ، كناية عن أخفى مكان وأحرزه ، وفي ذكر السموات والارض بعد الصخرة مبالغة .

وقيل : ان الاية بتمامها كناية عن تربية التوكل فـي قلب إبنه لئلا يميل إلى الشرك بدعوة الابوين بطمع الرزق .

وفيها إنذار الضالين المضلين الذين يعيشون مع الناس بألسنتهم ، ومع أعداء الله بقلوبهم فليعلموا أن مصيرهم إلى الخزي والوبال .

وقوله تعالى : «يأت بها الله» أبلغ من قول القائل : يعلمها الله أو يعلم بها الله إذ فيه مع العلم بمكان إظهار القدرة على الاتيان به .

وقال المحققون : ان خفاء الشيء يكون إما لغاية صغره ، وإما لاحتجابه، وإما لكونه بعيداً، وإما لكونه في ظلمة ، فأشار تعالى إلى الاول بقوله : «مثقال حبة من خردل» و إلى الثاني بقوله : «فتكن في صخرة» وإلى الثالث بقوله: «أو في السموات» و إلى الرابع بقوله : «أوفي الارض» .

١٧- (يا بني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر و اصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور) .

تقرير لما كان لقمان يدعو إليه إبنه على طريق الاشفاق والترقيق من إقامة الصلاة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر في الخطوب والملمات من غير جزع ، وبيّن له ان في ذلك من الدلالة على قوة النفس والخلق والعزيمة .

دعا لقمان إبنه إلى أهم الطاعات والفضائل ومكارم الاخلاق . . . أوّلها الصلاة وفيها تعظيم المعبود الحق ، ثم الامـر بالمعروف و النهي عن المنكر ،و

بهما تتم الشفقة على خلق الله تعالى .

دعاه إلى عبادة الله تعالى بعد ما كشف له عن قدرة الله جل و علا وعلمه و حكمته ،حتى كانت عبادته عن علم ومعرفة بمعبوده ، وذلك مما يعطى العبادة مفهوماً صحيحاً ، فيخشع لها القلب ،وتسكن بها الجوارح ، وتنتعش بها المشاعر ، وأما العبادة التى لاتقوم على علم ومعرفة بالمعبود فهى كالشجرة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار ، أوكالزرع الذى لايقوم على سوق أو جذور .

وان الصلاة هى رأس العبادات فى كل شريعة ، وهى عمود الدين فى كل دين . .

ولهذا كان مقامها هنا هو المقام الاول ، ثم جاء بعد ذلك ما تعطيه الصلاة من ثمر وهو إصلاح كيان المجتمع البشرى ، وتنقيته من المفاسد . . .

وقوله تعالى : «واصبر على ما أصابك» إلفات إلى ما يستعين به الانسان على ما امر به من الطاعة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولهذا كانت دعوة الاسلام إلى الصبر دعوة مؤكدة حيث يستدعى الصبر عند كل عظيمة ، ويهتف به عند كل أمر ذى شأن . . ففى ميدان القتال . . لاعدة للمؤمن أعظم ولاأقوى من الصبر . وفيه حض على تغيير المنكر ، وإن نالك ضرر ، ففيه إشعار بأن المغير يؤذى أحياناً .

وقوله تعالى : «ان ذلك» معنى البعد فى الاشارة مع قرب العهد بالمشار إليه فى الذكر إشعار ببعد منزلته فى الفضل والكمال .

وقوله تعالى : «من عزم الامور» تأكيد أو تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الاوامر الاربعة ، وايذان بأن ما بعد ليس بمثابة .

١٨ـ (ولاتصعر خدك للناس ولاتمش فى الارض مرحاً ان الله لايحب كل مختال فخور) .

نهى عن التكبر ، وتحذير عن التبختر صراحاً ، ودعوة إلى الخضوع و

الخشوع تلويحاً .

وقوله تعالى : «ان الله لايحب كل مختال فخور» تعليل للنهى ، و تأخير الفخور وهومقابل للمصعّرخدّه ، والمختال للماشي مرحاً لتوافق رؤس الآى .

وقيل : تعليل لموجب النهى ، وفيه إشارة إلى أن صاحب الكبر والتيه كما يلقى الكراهية والنفورمن الناس ، فانه يلقى البغض من الله تعالى والبعد عن مواقع رضاه لان الكبرمفتاح كل رذيلة ، وباب كل شرّ وضلال . . .

وما اوتى المشركون الذين تحدّوارسالة الاسلام ، وعموا عن مواقع الهدى منها ـ إلّا من كبرهم وعجبهم بأنفسهم ، وبما زينت لهم أهواءهم . . .

وفى تلخيص البيان : فى قوله تعالى : «ولاتصعرخدّك للناس» قال:وهذه إستعارة ، وأصل الصعرداء يأخذ الابل فى رؤوسها حتى تقلب أعناقها فكأنه أمره أن لايشمخ بأنفه و يعرض بوجهه من الكبر تشبيهاً بالبعير إذا أصابه ذلك الداء، ومن صفات الكبر رفع الطرف حتى كأنه معقود السماء وعلى ذلك قول كثير فى صفة قوم بالكبر:

تراهم إذا ما جئتهم فكأنما ـ يشيمون أعلى عارض متراكب .

أى يرفعون رؤسهم كبراً ويطمحون بأبصارهم عجباً .

١٩ـ (واقصدفى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير)

دعوة له إلى أدب حسن ، وخلق كريم ينبغى أن يكون عليهما المؤمن فى فعله وقوله ، وتنفيرعن رفع الصوت ، ومماثلة الحمير فى ذلك .

وقوله تعالى : «إن أنكر الاصوات لصوت الحمير» تعليل للامرعلى أبلغ وجه وآكده مبنى على تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق وإفراطفى التحذيرعن رفع الصوت والتنفيرعنه .

ان الله تعالى شبّه أصواتهم بصوت الحمار كما شبّه أنفسهم بالانعام فى قوله: «اولئك كالانعام» وهى من صفات الجهال وآداب المشركين . وفى الجملة نهى

تلويحي عن الاخلاق الجاهلية إذكانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير، و من كان منهم أشد صوتاً كان أعز، ومن كان أخفض كان أذل .

و المراد بأنكرالاصوات هنا : أقبح الاصوات و أشدها بعثاً على الانكارو الاشمئزار. ولعل المناسبة هي علوّ صوت الحمير حيث جاء التشبيه مقابل الامر بالغض من الصوت وعدم رفعه . فليس في رفع الصوت وترعيده أيّ مزية ومحل زهو فأعلى الاصوات إرتفاعاً هـو صوت الحمير وهوأنكرها وأبشعها .

وقال أهل البيان : ان في تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير التي هي مثل في البلادة حتى إستهجن اللفظ باسمها غالباً ، وفي تمثيل أصواتهم بالنهاق ثم إخلاء الكلام عن أداة التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة تنبيهاً على أن الافراط في رفع الصوت من غير ضرورة ولا فائدة مبغوض ومذموم عندالله تعالى جداً .

وفي تلخيص البيان : في قوله تعالى : «واغضض من صوتك . . .الخ» قال: وهذه إستعارة لان أصل الغض الحطّ من منزلة علية إلى منزلة دنيّة ، يقال: غضّ فلان من فلان إذا فعل به ذلك قولاً وفعلاً وغضّ طرفه إذا كسره وضعّفه أي فكأنه قال : وحطّ صوتك من حال الارتفاع إلى حال الانخفاض إخباتاً وتطامناً لاولياءالله . إنتهى كلامه ورفع مقامه الشريف .

وقيل : قوله تعالى : «واغضض من صوتك» إشارة إلى كسر حدّة الصوت حياء من الناس أن يأتي هذاالمنكر- وهو رفع الصوت - أمامهم تماماً كما يغض الانسان بصره عن الامور المنكرة حياء من الله ، وحياء من الناس .

ان تسئل: كيف قال الله تعالى : «ان أنكرالاصوات» بصيغة الجمع ، ثم أفرد وقال : «لصوت الحمير» ؟

تجيب : ان كل جنس من الحيوان الناطق و غير الناطق له صوت ، و ان أنكر أصوات هذه الاجناس صوت أفراد هذاالجنس ، فوجب إفراده لئلا يتوهم ان الاجتماع شرط في ذلك ، فليس المراد صوت كل واحد من آحاد هـذا الجنس

حتى يجمع .

إن تسئل: ان الله تعالى ذكر العلة في الامر بغض الصوت ، والنهى عن رفع الصوت ، ولم يذكرها في الامر بقصد المشي ، والنهى عن سرعته ؟

تجيب : ان ضر رسرعة المشي يرجع إلى نفس الماشي غالباً ، ولو تضر لكان ضررها إلى من في طريقه، وأما رفع الصوت فيضر بغير الرافع غالباً ، وان رفع الصوت يؤذى السامع ،ويقرع الصماخ بقوة ويبلغ كل جهة .

٢٠- (ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة و من الناس من يجادل في الله بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير)

رجوع إلى سنن ماسلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين ، وتوبيخ لهم على ماهم عليه مع مشاهدتهم دلائل التوحيد والقدرة المطلقة وآثار الحكمة الالهية في هذا الوجود من الايات الآفاقية والانفسية . . . فالكلام موجه إلى السامعين على طريق الالتفات ، فنبهوا إلى ما سخره الله جل وعلا لهم من وسائل وقوى في السموات والارض ، وما أفاضه عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة ممايقع تحت مشاهدتهم الحسية ، ويرون آثاره في أنفسهم ، وما يحيط بهم ومما يكفل لهم السلام والقوة والرخاء . فعلى هذا ان الاية تتصل بقوله تعالى : «بل الظالمون في ضلال مبين»

ولعل وجه الالتفات في مثل هذه الموارد يكون لاشتداد وجد المتكلم و تأكّد غيظه من جهل السامعين وتماديهم في غيّهم وعنادهم ولجاجهم بحيث لاينفعهم دلالة ،ولاينجح فيهم إشارة ، فيواجهون بذكر ما هو بمرئى منهم ومسمع لعلهم يتنبّهوا عن نومتهم وينتزعوا عن غفلتهم .

قوله تعالى: «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولاهدى» إشارة تنديدية إلى الذين يجادلون رغم ذلك في الله تعالى ، ووحدته وعظمته وقدرته وحكمته،

وحقه وحده بالخضوع والاخلاص جدالاً لايستند إلى علم ولاهدى ولا كتاب ، و إشارة إلى ما هم فيه من لجاج وعناد مع ما يتلى عليهم من آيات الله تعالى .

وقوله تعالى : «ولا كتاب منير» إشارة إلى مابين يدى أهل الكتاب من كتب سماوية ، كان من شأنها أن تكون كتباً منيرة لهم تكشف ظلمات الجهل، و تبدو غياهب الضلال ، ولكن أهلها غيّروا معالمها ، وأخفوا الحق الذى فيها وأوقعوا الناس منها في حيرة وعمى .

٢١- (و اذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) .

تقرير لموقف المشركين في مواجهة الحق ، وفى لقاء من يدعوهم إلى ما أنزل الله تعالى عليه من الوحى ، وتقريع وذم بهم على تقاليدهم العمياء من آباء هم الضالين ، وهم الذين بلغوا في الغباوة بحيث لامطمع في ايمانهم وهدايتهم ، إذ كانوا حريصين على الاحتفاظ بتراث آباءهم ، من غير حجة ولامستند على ذلك إلا أنهم أوفياء لآباءهم فليس شأنهم شأن من يتنكر لقومه ، ويخرج على تقاليد الآباء والاجداد فلا منطق ولاعقل ولادليل ولابرهان لهم على ذلك ، وانما هي عصبية عمياء . . . تجمع أبناء القبيلة تحت راية واحدة سواء أكانت راية حق أو باطل .

لايسئلون أخاهم حين يندهم فى النائبات على ماقال برهاناً

وفى التعبير بما أنزل الله من غير أن يقال : اتبعوا الكتاب أو القرآن إشارة إلى كون الدعوة دعوة ذات حجة لاتحكّم فيها لان نزول الكتاب مؤيد بحجة النبوة فكأنه قيل : وإذا دعوا إلى دين الحق الذى يدل عليه الكتاب المقطوع بنزوله من عند الله جل وعلا ، وبعبارة اخرى : إذا لقى إليهم القول مع الحجة قابلوه بالتحكم من غير حجة ، فقالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا .

قوله تعالى : «قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا» حكاية عنهم ، و تنديد

بهم بسبب مقالتهم هذه حينما دعوا إلى إتباع الحق ، فكانوا يجيبون انهم يفضلون إتباع ماوجدوا عليه آباءهم .

وقد تكرّر فحوى تلك المقالة مراراً في القرآن الكريم المكى والمدنى يدل على شدة تمسك كفار العرب بتقاليد آبائهم وإعتبارهم إياها مقدسة ، و إعتبار الدعوة إلى تركها بدعة وعدواناً .

و من المرجح ان الموقف الشديد الذى وقفوه من الدعوة النبوية التى فيها تهديم لكثير من تلك التقاليد متأت من ذلك ، أو ان ذلك من أهم أسبابه .

فليس هذا خاصاً بالمشركين زمن الخطاب ، وإنما هو قدر مشترك بين الناس فى كل وقت ومكان ، فالتنديد القرآنى بالتمسك بتقاليد الآباء التى لاتستند إلى علم ودليل وحق ومنطق يحتوى تلقيناً عاماً مستمر المدى فى صدد تقبيح التمسك بالتقاليد الموروثة تمسكاً أعمى والاعتذار بها عن إتباع ما هو الافضل ، وفى هذا ما فيه من روعة وجلال .

وقوله تعالى : «أولو كان الشيطان . . . الخ» سئوال إستنكارى لاذع عما إذا كان هؤلاء يقفون هذا الموقف العنيد ، ولو كان الشيطان هو الذى يمليه عليهم و يدفعهم به إلى عذاب السعير فى الحقيقة و واقع الامر ، وهم كانوا يتلقون معتقدهم عن آباءهم دون أن يكون لهم نظر أو رأى فيما تلقوه ، ودون أن يتعرفوا إلى حقيقة هذا المعتقد ، وما فيه من حق أو باطل ، ومن خير أو شر ، وإنما كانوا يأخذونه كما هو عادة من العادات ، وتقليداً من التقاليد . . .

فلو ان آباءهم جاؤا بهم على صورة شياطين يدعونهم إلى جهنم ، ويفتحون لهم أبوابها لاستجابوا لهم ولاقتفوا آثارهم دون وعى ، أو إلتفات إلى النار التى هم مدفوعون إليها انه التقليد الاعمى والمتابعة الحمقاء ، وانه من حبائل الشيطان ووساوسه التى يسلّم فيها المرء وجوده كله لغيره ، دون أن يجعل لعقله حق النظر والاختيار وفى ذلك تسفيه لعقولهم وتسخيف لآرائهم .

٢٢ـ (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور) .

حث وتحريض على إسلام النفس لله تعالى والاتجاه إليه ، وتنويه بمن فعل ذلك فانه يتمسك بعروة وثقى لاتنفصم ـ وفي تعدية «يسلم» بـ«الى» بدلاً من اللام كما في قوله تعالى : «فقل أسلمت وجهي لله» البقرة : ١١٢) إشارة إلى أن في هذا الاسلام معاناة وصراحاً داخلياً في كيان الانسان حتى ان المرء ليقود نفسه ويدفعها دفعاً إلى الله جل وعلا ، وذلك ما كان في أول الاسلام حيث كان المسلمون تحت ظروف قاسية قاهرة .

وقيل : ان المعنى مع اللام : انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه خالصاً لله تعالى ومع «الى» انه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفعه إليه ، والمراد التوكل عليه والتفويض إليه .

قوله تعالى : «وإلى الله عاقبة الامور» تعليل للاستمساك بالعروة الوثقى بما أنه إستعارة تمثيلية عن النجاح والفلاح .

وهذا مثل ضربه الله تعالى للمحسن المفوض المنقاد المطيع المخلص ، فجعل حاله كحال الشخص الذي أراد أن ينزل من شاهق الجبل فتمسك بأقوى أطراف جبل النجاة ، فهو بمأمن من السقوط وانقطاع الحبل إلى أن يصل إلى الارض سليماً ، وهذا هو الذي أسلم وجهه إلى الله تعالى وهو محسن حقيقة سينال في الاخرة جزاءاً على ما تقدم من خير ، فان مردّ الامور جميعها إلى الله تعالى و هو يجازي على الذرة من الخير كما يجازي على الذرة من الشر .

وقيل: تعليل للقاء الجزاء الاوفى بان الله تعالى يجازي المتوكل عليه أحسن الجزاء و يعاقب المسيء أنكل العذاب .

ففيه تسلية للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على عناد المشركين ولجاجهم وأقوالهم وتمسكهم بتقاليد الآباء الباطلة وإنذار لهم .

٢٣- (ومن كفر فلا يحزنك كفره الينامرجعهم فننبئهم بما عملوا انالله عليم بذات الصدور) .

تسلية للنبي الكريم ﷺ على ما يلقاه من عناد المشركين وأذاهم ،وتطييب لنفسه بأنه تعالى لايهملهم على اعمالهم بل هو يجازيهم عليها ، فلا ينبغي له ﷺ أن يحزن من كفرهم وطغيانهم وهم الذين أبوا أن يستجيبوا له ﷺ وأن يتمسكوا بحبل النجاة الممدود لهم . وفي الاية إنذار لهم وتهديد بهم بأنهم يرجعون إلى الله تعالى وهو يجزيهم لما استحقوا إذ في :

قوله تعالى : «إلينا مرجعهم فننبئهم بماعملوا» تهديد لهؤلاء المشركين المعاندين ووعيد لهم بالعذاب الاليم الذي هو الجزاء لاهل الشرك والكفر ، لاهل الباطل والضلال، لاهل المعصية والطغيان ، ولاهل العناد والاستكبار .

وقوله تعالى : « انالله عليم بذات الصدور» تعليل للتنبئة التي عبرت بهاعن التعذيب ، وإشارة إلى عدله تعالى في الجزاء حيث لايخفى عليه شيء لسعة علمه وعظيم إحاطته بكل شيء ، فلا يجازي أحداً إلاّ بما إستحقه بعمله .

وفي الالتفات من التكلم إلى الغيبة إشارة إلى أن الله تعالى وإن كان عند المشركين غائباً عنهم لايشهدون جلاله ، ولايستحضرون علمه وعظمته وقدرته ولكنه جل وعلا بما توسوس به النفوس وما تكنّه الصدور . . .

قيل: ان في قوله تعالى : «ومن كفر» إشارة إلى أن هؤلاء المشركين الذين ظلوا على شركهم بعد أن جاءتهم دعوة الحق قد كانوا أهل فترة قبل الدعوة أي غير واقعين تحت دينونة الحساب والجزاء ، فلما بلغتهم الدعوة ولم يستجيبوا لها لزمهم هذا الوصف وهو الكفر ، ووقعوا تحت دينونة الحساب والجزاء . . فكأن هذا الكفر الذي وصفوا به طارىء عليهم ، مستحدث فيهم ، ولهذا جاء الخطاب على اسلوب الشرط الدال على الاستقبال والتجدد معاً .

٢٤- (نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) .

تقرير لغاية أمرهم في الحياة الدنيا بمتعة قصيرة الامد ، وفي الاخرة بالعذاب الشديد الخالد الذى إستحقوه على طريق الالتفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير للتعظيم والتهويل .

وفيها وعيد بعد وعيد لهؤلاء المشركين ، وانهم إذا تركوا وماهم فيه من أمن وسلامة وعافية في أموالهم وأنفسهم ، فذلك ظل زائل ، لايلبث أن يزول ثم انهم بعد هذا ليساقون سوقاً ، ويؤخذون قهراً إلى المصير المشئوم الذى هم صائرون إليه ، وهو العذاب الغليظ يوم القيامة ، ووصف العذاب بالغلظ كناية عن شدته وقسوته .

وفي الايات الثلاث من ايجاد الرقابة بين الناس مالايخفى على المتأمل الخبير .

ومن البديهى ان الرقابة بين المجتمع البشرى وأفراده حسنة سواء كانت في الامور الدنيوية الموجبة لعمران البلاد والعيش الهنيىء . . . مالم تخرج عن حدود الشريعة الالهية بان لاتجعل الثروة والاموال . . . وسيلة لاستثمار الاخرين وإستعبادهم ، أم كانت في الامور الاخروية الموجبة لارتقاء الدرجة فان أكرم الناس عند الله أتقاهم . . .

فعلى الامراء والحكام العدول بايجاد الرقابة بين الرعية من غير تحديد الا بحدود الشريعة الاسلامية ، ولعمرى ان الغاء المالكية الفردية ، وتحديد الثروة و تقطيع أموال الاغنياء تضر بالمجتمع البشرى والعمران ، ومن يفعل ذلك من الامراء والحكام ، فاما هو مستبد طاغ على الناس، وإما بليد ليس له لب سياسى وإجتماعى حيث إن الاسلام لا ينظر في كمية الثروة ما ينظر في كيفيتها

٢٥- (ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل لله بل أكثرهم لايعلمون) .

تقرير مؤكد لعقيدة مشركى العرب بكون الله تعالى هو الخالق الرازق

المتصرف في الكون ، وإعترافهم بالمعبود الحق إلاّ أنهم يشركون به ، وتنديد بهم بسبب ما يبدو منهم من تناقض على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لهم ، فانهم لو سئلوا عمن خلق السموات والارض لأجابوا انه الله تعالى ثم يقفون من الدعوة إليه وحده و من رسوله ﷺ موقفهم العنيد العجيب ، ويشركون به سبحانه .

و في ذلك ايماء إلى أنه قد بلغ من الوضوح مبلغاً لايستطيعون معه الانكار والجحود فاستبان بذلك صدقه ﷺ و كذبهم، وإلى انهم مفطورون على التوحيد، معترفون به من حيث لايشعرون .

قوله تعالى : «قل الحمدلله» أمر ودعوة للنبي ﷺ و دعوة لكل مؤمن إلى تعقيب هذا الجواب : الحمدلله على ما هداهم .

وقوله تعالى: «بل أكثرهم لايعلمون» إضراب عن كلام سابق محذوف دلّ عليه المقام ، وهو إن المشركين لم يحمدوا لله تعالى مع إقرارهم بانه هو خالق السموات والارض ،فكأن الجواب : لانهم مستكبرون ، ثم أضرب عن هذا الجواب بقوله : «بل أكثرهم لايعلمون » وذلك ليدل على أن إستكبارهم هذا كان عن جهل مطبق إذلو كان معهم شيء من العلم لأسلمهم هذا الاعتراف إلى الايمان بالله والانخلاع عن عبادة غير الله ثم لحمدوا الله تعالى مع الحامدين وشكروا له مع الشاكرين .

و في الجملة تقرير لحقيقة أمر الكفار ،وهي ان أكثرهم جاهلون فيقعون في التناقض جهلاً وحمقاً ، وانهم بلغوا الغاية في الجهل إذهم يعترفون بالشيء ويعتقدون نقيضه . وأقبح ذلك ان بعضهم كانوا يعلمون كما يدل عليه «أكثرهم» وهم يعتقدون أو يقولون الخلاف .

وقيل : إن في إطلاق نفي العلم إشارة إلى أنهم لايعلمون شيئا أيّ شيء من أيّ شيء . . علماً نافعاً كاشفاً .

٣٦ـ (لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد) .

تقرير لمالكية مطلقة لله تعالى بعد تقرير الخالقية له جل وعلا ، فله كل مافى السموات والارض ، وانه هو الغنى عما سواه المستوجب للوجود والحمد ، سواء آمن به الناس أم جحدوه ،فالملك كله له وهوغنى على الاطلاق ، وحميد بالذات وذلك لانه تعالى مبدء كل خلق ، ومعطى كل كمال فهو واجد لكل مايحتاج إليه خلقه ، فهو غنى على الاطلاق إذ لو لم يكن غنياً من جهة من الجهات لم يكن مبدءله معطياً لكماله هذا خلف ، وإذا كان غنياً على الاطلاق كان له مافى السموات والارض ، فهو المالك لكل شيء على الاطلاق ، فله أن يتصرف فيها كيف شاء ، فكل تدبير وتصرّف يقع فى العالم فهو له إذ لو كان شيء من التدبير لغيره لاله كان مالكه ذلك الغير دونه ، وإذا كان التدبير والتصرف له جل وعلا فهو رب العالمين والاله الذى يعبد ويشكر إنعامه وإحسانه .

وفى الاية إبعاد للمشركين عن الله جل وعلا ، وقطع للظنون التى تدور فى رؤسهم ، حين يدعون إلى الايمان بالله تعالى ، و إلى إفراده تعالى بالعبادة ، و إختصاصه بالحمد، فيخيل إليهم من ظنونهم الفاسدة تلك ، أن ذلك الالحاح عليهم بالدعوة إلى الله تعالى هو لحاجة الله إليهم ، وإفتقاره إلى عبادتهم . . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . .

فالله تعالى له مافى السموات والارض ، وانه ليملك من هؤلاء المشركين مالا يملكون هم من أنفسهم . . ان كل شيء فيهم ولهم ومعهم هو من عند الله ، و إلى الله مصيره . . فكيف يكون الخالق فى حاجة إلى المخلوق ؟ و كيف يكون المعطى فى حاجة إلى من أعطاه ؟

قوله تعالى : «ان الله هو الغنى» تعليل لمالكية مطلقة لله تعالى ، وتوكيد لاستغنائه عما سواه وان ايمانهم أو شركهم ، طاعتهم أو معصيتهم ، وحمدهم أو

كفرهم لاينفعه و لايضرّه فانه جل وعلا غنى على الاطلاق له ملك السموات و الارض ...

٢٧- (ولوأن مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله انالله عزيزحكيم)

تقرير بأن الله تعالى لو قطعت كل شجرة فيالارض ، وجعلت قطعهاأقلاماً وصار البحر ، ومعه سبعة أبحر مداداً لتدوين آيات الله جل وعلا وآلائه و مشاهد ربوبيته، ونواميسه ومخلوقاته لنفدت الاقلاموالمداد ولم تنفدهذهالايات والآلاء والمشاهدوالنواميس والمخلوقات ، فهو العزيز الغائب ، الحكيم في كل ما يقضي ويخلق ويشاء .

قوله تعالى : «منشجرة» إشارة إلى إستغراق كل مافيالارض شجرة شجرة من كل جنس ،وكل صنف من أصناف الشجر . . . ولو قيل : «منشجرة» بالجمع بدلاً من «شجرة» بالافراد لما دلّ على هذا الاستغراق الذى يشمل كلشجرةفي الارض ولكان فيه متأول يتناول بعض الشجر دون بعض أوالشجر الذىتستعمل منه الاقلام دون غيره مثلاً .

وقوله تعالى: «سبعة أبحر» ذكر سبعة أبحر ليس للحصر بل للمبالغة ،و إنما خصت بالذكر لكثرة ما يعدّبها كالكواكب السيارة والسموات السبع و الارضين السبع ، وغيرها فانها عدد تنحصر فيه المعدودات الكثيرة أولانسبعة أبحر هي أعظم من غيرها .

وقوله تعالى : «ان الله عزيز حكيم» تعليل لما قبله بانه عزيز لايغلبهولا يقهره شيء ، فلو تمت الكلمات بذلك للزم مغلوبيته ، فلا تنفد كلماته جل وعلا «حكيم» لايفوّض تدبير العالم إلى غيره . وفي الجملة توكيد لكمال قدرةالله تعالى وسلطانه مالايغلب ، و لسعة علمه لايفوّض التدبير إلى غيره .

٢٨- (ماخلقكم ولابعثكم الاكنفس واحدة انالله سميع بصير)

تحقيق للمراد وتقرير آخر بان خلق الناس جميعاً و بعثهم كلاً بالنسبة إليه تعالى ليس الّا كخلق نفس واحدة و بعثها وتأكيد للسهولة ، وفي الجمع بين الخلق والبعث في الذكر دلالة على عدم الفرق عنده جل وعلا بين البدء والعود من حيث الصعوبة والسهولة بل لايتصف فعله بالصعوبة والسهولة ، فلايتفاوت بالنسبة إليه الواحد والجمع والخلق والبعث والبدء والعود .

قوله تعالى: «ان الله سميع بصير» إشارة إلى شمول سمع الله تعالى لكل شيء وإحاطة بصره بكل شيء يستوى في هذا خفيض الصوت وجهيرها و قريب الاشياء وبعيدها .

٢٩- (ألم تر ان الله يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير)

سؤال في معنى التقرير بأن الله تعالى هو الذى يعاقب بين الليل و النهار، فيدخل الليل على النهار والعكس ، وانه جل وعلا هو الذى سخر الشمس و القمر ليجريا وفقاً للنظام الذى رتبه لهما إلى الاجل المعين في حكمته و علمه ، وانه هو الخبير بكل ما يفعله الناس ، وان في تلك المشاهد التي يراها الناس بأعينهم، ويتمتعون بفوائدها أقوى الادلة على كمال قدرته ، وعظمته وأفضاله . . .

قوله تعالى:«يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل» في ايثار المضارع دلالة على الاستمرار والتجدد، فان ايلاج أحد الملوين في الآخر متجدد في كل حين بخلاف تسخير الشمس حيث آثر بالماضي، فان تسخير النيرين أمر لاتعدد فيه ولاتجدد، و إنما التعدد والتجدد في آثارهما . . . أشار إلى ذلك بقوله تعالى : «كل يجرى» بحسب حركته الخاصة ، وحركته القسرية على المداراة اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الايام جرياً مستمراً «إلى أجل مسمى» قدرة الله تعالى لجريهما وهو يوم القيامة ، فينقطع جريهما : «إذا الشمس كورت وإذا النجوم إنكدرت» .

٣٠- (ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو

العلى الكبير)

إشارة إلى ماعرضته الايات من مظاهر قدرة الله تعالى وسعة علمه وحكمته . . .
أى الذى يراه الراؤن فى هذا الوجود من آيات القدرة المطلقة بالوهيته ومظاهر العلم الالهى يقضى و يقطع بأن الله تعالى هو الاله الحق الذى لا شريك له كما يقضى بأن تلك الآلهة التى يعبدها المشركون من دون الله هى الباطل كله لاشيء من حق فيه أبداً ، وذلك من شأنه أن يقضى ويقطع بأن الله تعالى هو المتفرد بالعلو والسلطان وهو الذى له الكبرياء وحده فما سواه ضئيل لاوزن ولاقدر له .

قيل: وفى الآية بيان لمعيار الحق والباطل ، وان الله تعالى وحده هو الحق المستحق للعبادة والدعاء والخضوع ، وان ما عداه مما يدعوه المشركون باطل، وانه هو العلى الكبير الذى لايدانيه شيء فى علوه وعظمته ، فى قدرته وسعة علمه وحكمته ، وفى وجوده وصفاته . . .

وان الحق هو الثابت من جهة ثبوته ، والباطل يقابل الحق فهو اللاثابت من جهة عدم ثبوته وقوله تعالى : «ان الله هو الحق» بما فيه من ضمير الفصل وتعريف الخبر باللام يفيد القصر أعنى حصر المبتدإ فى الخبر، فقوله : «بان الله هو الحق» قصر له تعالى فى الثبوت أى هو ثابت لايشوب ثبوته بطلان وبعبارة اخرى هو ثابت من جميع الجهات ، وبعبارة ثالثة هو موجود على كل تقدير، فوجوده مطلق غير مقيّد بقيد ولا مشروط بشرط ،فوجوده ضرورى وعدمه ممتنع وغيره من الموجودات الممكنة موجود على تقدير، وهو تقدير وجود سببه وهو الوجود المقيد الذى يوجد بغيره من غير ضرورة فى ذاته .

وإذا كان حقيّة الشيء هو ثبوته فهو تعالى حق بذاته وغيره إنما يحق و يتحقق به ، وإذا تأمّلت هذا المعنى حق تأمّله وجدت - أولا- أن الاشياء بأجمعها تستند فى وجودها إليه تعالى ، وأيضاً تستند فى النظام الجارى فيها عامة، و فى النظامات الجزئية الجارية فى كل نوع من أنواعها و كل فرد من أفرادها

إليه تعالى .

وثانياً : أن الكمالات الوجودية التي هي صفات الوجود كالعلم و القدرة والحياة و السمع والبصروالوحدة والخلق والملك والغنى والحمدوالخبرة ـ مما عدّفي الايات السابقة أولم يعدّ ـ صفات قائمة به تعالى على حسب مايليق بساحة كبريائه وعزّقدسه لانها صفات وجودية ، والوجود قائم به تعالى فهي إما عين ذاته كالعلم والقدرة ، وإما صفات خارجة عن ذاته منتزعة عن فعله كالخلق والرزق والرحمة .

وثالثاً ـ أن قبول الشريك في ذاته أوفي تدبيره ، وكل ما يحمل معنى الفقد والنقص مسلوب عنه تعالى ، وهذه هي الصفات السلبية كنفي الشريك و نفي التعدّد ونفي الجسم والمكان والزمان و الجهل والعجز و البطلان و الزوال إلى غيرها . . .

فان إطلاق وجوده وعدم تقيّده بقيد ينفي عنه كل معنى عدمي أي إثبات الوجود مطلقاً ، فان مرجع نفي النفي إلى الاثبات. ولعلّ قوله : «وان الله هو العلي الكبير» يفيد ثبوت الصفات له بكلتي مرحلتيها بناء على أن إسم «العلي» يفيد معنى تنزهه عن مالايليق بساحته ، فهومجمع الصفات السلبية والكبير يفيدسعته لكل كمال وجوديّ ، فهومجمع الصفات الثبوتية . . .

وأن صدرالآية برهان على ذيلها ، وذيلها برهان على إستجماعه تعالى الصفات الثبوتية والسلبية جميعاً على ما تقدّم تقريره ، فهو الذات المستجمع لجميع صفات الكمال فهوالله عزإسمه ، وقوله: «وان ما يدعون من دونه الباطل» يجري فيه ما يقابل ماجرى في قوله : «ذلك بان الله هو الحق» فالذي يدعونه من الآلهة ليس لهم من الحقيقة شيء ولاإليهم من الخلق والتدبير شيء لان الشريك في الالوهية والربوبية باطل لاحق فيه ، وإذكان باطلاً على كل تقدير، فلايستندإليه خلق ولاتدبيرمطلقاً .

والحق والعلى والكبير ثلاثة من الاسماء الحسنى ، وقد تحقق مما تقدم أن الحق فى معنى الواجب الوجود ، وأن العلى من الصفات السلبية والكبير من الصفات الثبوتية قريب المعنى من قولنا : المستجمع لصفات الكمال .

٣١- (ألم تران الفلك تجرى فى البحر بنعمت الله ليريكم من آياته ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور)

سئوال تقريرى بقصد لفت النظر إلى أحد النواميس الكونية والآيات الارضية - إثر الايات السماوية الدالة على وحدانية الله جل وعلا وكمال قدرته وسعة علمه وحكمته فى خلقه ونعمه على بريته - من سير المراكب فوق البحار لما فى ذلك من نفع للناس ، وفرص لمشاهدتهم من عظمة الله تعالى وقدرته و علمه وحكمته فى كونه ، وفى ذلك نعم من الله تعالى ودلائل راهنة على آثار القدرة المطلقة والايات الالهية يدركها الصابرون ، الثابتون عند حدود الله تعالى الشاكرون لنعمه وأفضاله . . .

وفى ذلك تلويح إلى وجوب شكر المنعم على نعمه لان شكر المنعم واجب على من أنعم عليه ، و«صبار شكور» كناية عن المؤمن على طريق المبالغة ، فانه بما هو مؤمن كثير الصبر عند الضراء ، وكثير الشكر لدى السّراء . . .

٣٢- (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الاكل ختار كفور)

حكاية تنطوى على التعجب والتقريع لحال بعض الناس الذين يركبون السفن ، فاذا تعاظمت أمواج البحر حتى أصبحت كالسحاب المتراكم من فوقهم ، وأحدق بهم الخطر ذكروا الله تعالى وحده ودعوه وحده مخلصين له الدين ، فاذا مانجاهم إلى البر، فمنهم من يكف عن غلوائه ، ويبقى على فطرته التى فطر الناس عليها ، ويبقى على إخلاصه الذى عاهد الله تعالى عليه،ومنهم من يخالف عن فطرته ، وينقض عهد الله سبحانه ، ويغدر، وهذا هو دأب الختار الجحود .

قوله تعالى: «كالظلل» كناية عن عظمة الموج وإرتفاعه حتى كأنه يظلل الركاب والسفن ،وشبّه الموج وهو واحد بالظلل وهو جمع لكبر الموج وإرتفاعه، ولان الموج يأتي شيئاً بعد شيء ، ويركب بعضه بعضاً كالسحاب المتراكمة ، و لما يرى للموج من صعود ونزول .

وقوله تعالى : «دعوا الله مخلصين له الدين» في ذلك دليل على أن الناس مفطورون على التوحيد ، وتظهر هذه الفطرة من المشركين عند البلايا والشدائد، وهم ينقضون عهد الله تعالى ويخالفون عن فطرتهم عند السّرّاء .

وقوله تعالى «فمنهم مقتصد» في التعبير بمن التبعيضية دلالة على استقلالهم في الايمان و الكفر، وفي الهداية والضلالة ، وعلى إستقلال عدتهم والمعنى :فلما نجاهم الله تعالى هؤلاء الداعين بالاخلاص إلى البر، فقليل منهم المقتصدون باختيارهم من دون إجبار ولا إكراه .

وقوله تعالى : «ختار» مبالغة في الختر وهو شدة الغدر، مقابلة «صبار» و «كفور» مبالغة في الكفر تجاه «شكور» .

٣٣ـ (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور)

هتاف بالناس كافة ، ودعوة لهم إلى تقوى الله تعالى والخوف من يوم القيامة حيث لا يسدّ فيه والد ولا العكس ، وحيث يكون كل امرىء مسئولاً عن عمله ، ومشغولاً بنفسه عن غيره ، وإن كان أقرب الناس إليه والصقهم به ، وتوكيد لهم بأن وعد الله هذا حق ، وتحذير لهم من الاغترار بالحياة الدنيا ، و الاستماع إلى وساوس الشيطان وإغراءاته . . .

قوله تعالى: «ولا مولود هو جازعن والده شيئاً» قيل : جاء بالجملة الاسمية المعطوفة على الجملة الفعلية لأجل التوكيد ، وذلك ان الخطاب للمؤمنين ،

فأرادحسم أطماعهم أن يشفعوا لآبائهم الكفرة ، وفى توسيط ضمير«هو» مـزيد تأكيد ، وفى لفظ «مولود» دون أن يقول : «لاولد» تأكيدآخرلان الولد يقع على ولدالولد أيضاً بخلاف المولود فانه لمن ولد منك ، فكأنه قيل : إن الواحد منهم لوشفع للاب الأدنى الذىولدمنه لم تقبل شفاعته فضلاً أن يشفع لمن فوقه. وفيه دلالة على أن أحداً لايستحق عندالله تعالى فضيلـة بشرف أبيه ولابنسبـه لانه لم يخصص أحداً بذلك دون أحد . قال رسول الله ﷺ : من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه وقال : يا بنى عبدالمطلب لايأتينى النـاس بأعمالهم وتـأتونى بأنسابكم فأقول انى لااغنى عنكم من الله شيئاً .

وقيل : جاء بالاسمية لان الابن من شأنه أن يكون جازياً عن والده لما عليه من الحقوق ، والوالد يجزى شفقة لاوجوباً .

وقوله تعالى : «ان وعدالله حق» تأكيد لما سبق .

وقوله تعالى : «فلاتغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور» تحذير من الغفلة عن يوم الجزاء ، وعما يشغل الانسان عن التقوى ، والخشية، وعن الايمان وصالح الاعمال . . .

٣٤- (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير)

تقرير بأن علم موعد يوم القيامة هوعندالله الذى ينزل الغيث ، ويعلم مـا تحمل الارحام ، وبانه ليس من أحد يستطيع أن يعرف ماذا يفعل غداً ؟ ومـاذا يكسب ؟ وفى أى أرض يموت ؟فالله تعالى هووحده هوالعليم بكل شىء ،الخبير بحقائق الامور وسيرها ونتائجها .

ان تسئل: كيف أضاف الله تعالى فى الاية العلم إلى نفسه فى الامور الثلاثـة من المغيبات الخمس : «عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام»ونفى العلم عن عباده فى الامرين الاخرين : «وما تدرىنفس ماذا تكسب غداً وماتدرى

نفس بأى أرض تموت» مع أن الامور الخمسة سواء فى إختصاص الله جل وعلا بعلمها، وإنتفاد علم العباد بها؟

تجيب: ان الله تعالى خص الامور الثلاثة الاول بالاضافة إليه تعظيماً لها وتفخيماً لانها أجل وأعظم، وإنما خص الامرين الاخرين بنفى علمهما عن العباد لانهما من صفاتهم وأقوالهم... فاذا إنتفى عنهم علمهما كان انتفاء علم ما عداهما من الامور الخمسة أولى.

قوله تعالى: «ان الله عنده علم الساعة» يدل على القصر، والامران الاخران يختصّان بالله تعالى إلّا أن يعلّمهما غيره.

قيل: ان الله تعالى جعل العلم لنفسه، والدراية لعباده لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة كأنه قال: إنها لاتعرف وان أعملت حيلها.

ان تسئل: كيف قال الله تعالى: «وماتدرى نفس بأى أرض تموت» ولم يقل بأى وقت تموت و كلاهما غير معلوم بل نفى العلم بالزمان أولى لان من الناس من يدعى علمه، وهم المنجمون بخلاف المكان، فان أحداً لايدعى علمه!

تجيب: إنما خص المكان بنفى علمه لوجهين: أحدهما أن الكون فى مكان دون مكان فى وسع الانسان، وإختياره، فيكون إعتقاده علم مكان الموت أقرب بخلاف الزمان. ثانيهما - ان للمكان تأثيراً فى جلب الصحة والسقم بخلاف الزمان أو تأثير المكان فى ذلك أكثر. فتأمل جيداً.

﴿الاعجاز﴾

ومن وجوه إعجاز هذه السورة اسلوباً قوله تعالى : «فبشره بعذاب أليم» لقمان : ٧) .

إذ في اقامة البشرى مقام النذير الذي يقتضيه المقام إعجاز حيث يستدعي بهذه البشرى ذلك الذي أصم اذنيه عن سماع آيات الله تعالى ، ومضى إلى حيث يأخذ مكانه في مجلس اللهو والضلال . . .

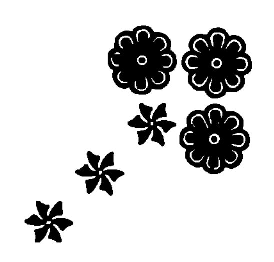
ثم ما إن يتوقف عند سماع كلمة البشرى ، ويفتح اذنيه لها حتى تحمل إليه معهاما يسوؤه فيسمعه مكرهاً ، فقوله تعالى : «فبشره» هي اليد القوية التي أمسكت به ، وهي المعجزة القاهرة التي فتحت اذنيه وألقت فيها بهذا النذير : «بعذاب أليم». وهذا اسلوب من الأساليب البلاغية التي تكشف عن جسامة الامر وقداحة الخطب ، وذلك بوصفه بغير صفته .

ومن وجوه إعجاز السورة مفهوماً قوله تعالى : «الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها» لقمان : ١٠) إذ فيه إشارة إلى قوة جاذبة لايعرفها أحد عند نزول القرآن الكريم ، ولم يكن للناس يومئذ عقول تعقل هـذه الحقيقة التي حملها إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الكتاب المبين إلى أن فهمها غير المسلمين بعد قرون، وسمّوها قوة جاذبة من غير إسنادها إلى القرآن الكريم ، بل تشبثوا انهم كشفوا قوة جاذبة للارض بسقوط تفاح من شجرة من غير أصل بهذا التشبث، كما أن هذا هو دأبهم في كشف كثير من الحقائق والعلوم من هذا الوحي السماوي.

والمسلمون فى نوم عميق وغفلة وكسالة . . ـ بدون استنادها إليه .

ومنهاكذلك: قوله تعالى: «وألقى فىالارض رواسى أن تميدبكم»لقمان: ١٠) فانه معجزة ظهرت فى العصر الحاضر بان وجود تلك الجبال يحفظ توازن الارض ،فلا تميدولا تتأرجحولاتهتزّ حيث يقول علماء الارض : ان بروزالجبال على هذاالنحوحافظاًلتوازنالارض عند إنكماش الغازات وتقبض القشرةالارضية هنا وهناك ، فيكون نتوء الجبال هنا موازناً لانخفاض فى قشرة الارض هناك.

وغيرذلك من وجوه الاعجاز، فعلى القارىء الخبير، التدبروالبيان . . .



﴿التكرار﴾

وقد افتتحت ست سور من السور القرآنية بكلمة«الم»على الترتيب التالي مصحفاً :

١ـ البقرة . ٢ـ آل عمران . ٣ـ العنكبوت . ٤ـ الروم . ٥ـ لقمان . ٦ـ السجدة . فعلى المحقق الخبير ، التدبر فيها لتكشف له الحقائق والنكات ، فليجد فيها الاسرار التي لم يجدها غيره بعد ، ولم أشر إليها لئلا يكتفي من يأتي بعدي بما ذكرناه .

وقد اتفق المفسرون على ان قوله تعالى : «وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم» لقمان : ٧) وقوله تعالى: «يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم» الجاثية : ٨)نزلتا في النضر بن الحارث لتركه إستماع القرآن الكريم ،ولكن زاد في سورة لقمان : «كأن في اذنيه وقراً» مبالغة في ذمه ، ولم يبالغ في سورة الجاثية هذه المبالغة لما ذكر بعده : «وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً»٩) لان العلم لايحصل إلا بالسماع أو ما يقوم مقامه من كتابة أو غيرها .

وأما فائدة التكرار فلان البلاغة تقتضي القدرة على ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة كالاطناب تارة ، والايجاز تارة اخرى ، والمساواة ثالثة، وان الاطناب للفهم،والايجاز للاعتبار والتذكرة ، والمساواة لايقاع المعاني في النفس . فالأساليب القرآنية لايدركها إلاّ من درس وتعلّم علوم البلغاء بأن

الكلام قد يختصر ليحفظ ، وقد يطنب ليفهم ، وقد يساوى ليقع فى نفس السامع، وذلك لتصل مقاصد الدين من طرق مختلفة لترسخ في الاذهان ، وكلما كانت الطرق أكثر عدداً كان ثبات المعنى في النفس أطول وأقوى وأرسخ وأوقع . . .

كما ان الله تعالى أشار إلى خلق السموات والارض مثلاً فى مواضع عديدة من القرآن الكريم ، ولكل فى موضعه مقام ، غيره في الاخر ، ويفهم منها الانسان في موضع غير ما فهم من قبل، وهكذا سائر القصص والاحكام والايات المكررة...

قال الله تعالى: «ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم» لقمان : ٢٧) .

وقال: «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً» الكهف : ١٠٩) .

وقد زعم أكثر المفسرين ان إحداهما تكرار للاخرى كما انه هو الظاهر بدواً، ولكن التدبر فيهما يلهمنا بأن إحداهما تكميل للاخرى ، وذلك لان الاقلام التى تستملى من هذا البحر لم تذكر في سورة الكهف إكتفاءاً بما ذكر فى سورة لقمان ، ويلاحظ في سورة لقمان ان «البحر يمده سبعة أبحر» على حين انه في سورة الكهف يمده بحر مثله : «ولو جئنا بمثله مدداً» و قد يبدو ان في هذا تناقضاً عند من يأخذ بظاهر الامور ولا يتعمق النظر فيها . .

ان الامر قائم على الفرض ، و كثير من مادة الفرض وقليلها سواء في تحقيق المطلوب منه وهو الدلالة على سعة علم الله تعالى وبسطة سلطانه وإمتداد ملكه الذى لا ينفد ، وان بحراً واحداً أوجزءاً من هذا البحر ليكفى عند التجربة في الكشف عن سعة هذا العلم ، وبسطة ذلك السلطان ، و إمتداد هذا الملك ، وظهور تلك العظمة و القدرة والجلال . . .

فالبحر الذى يمده من بعده سبعة أبحر يواجهه الحكم بقوله تعالى :« ما نفدت كلمات الله» مع السكوت عن نفاد ماء البحر ، والبحر الذى يمده بحر مثله

يواجهه‌الحكم بقوله تعالى : «لنفد البحر قبل أن‌تنفد كلمات ربى ولوجئنابمثله مدداً» ففى كل صورة من الصورتين إحتمال ترفعه‌الصورة الاخرى .

والاحتمال‌فى‌قوله تعالى : «لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى و لوجئنا بمثله مدداً» هو انه يمكن أن تنفد كلمات الله سبحانه لوجيىء بمثلى هذاالبحر مدداً أو بثلاثة أمثاله . . . وقد رفع هذا الاحتمال بقوله تعالى : «والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات‌الله» .

والاحتمال فى قوله تعالى : «والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات‌الله» هوان الابحر لم تنفد وان كلمات‌الله لم تنفد ، وانه لو نفدت‌الابحر لنفدت كلمات‌الله ، وقدرفع‌هذا الاحتمال بقوله : «لنفد البحر» .

وإذا جعلت الآيتين‌آية واحدة تجد الابحر قد نفدت، ولم تنفد كلمات‌الله تعالى وتجد كلمات‌الله جل وعلا لانفادلها ولو مدّ البحر لابحر واحد مثله بل بسبعة أبحر ! هذا كلام‌الله تعالى الذى لايأتيه الباطل‌من بين يديه ولا من‌خلفه «ولوكان من عند غيرالله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً» النساء : ٨٢) .

و قد **تكرر الفعل فى قوله تعالى:** «ان‌الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى‌الليل» لقمان : ٢٩) ولعل النكتة وفائدة التكرار هى التنبيه على أمر مستغرب ، وهو حصول الزيادة والنقصان معاً فى كل من الليل والنهار فى‌آن واحد حسب اختلاف البقاع من الشمالية والجنوبية عن خط الاستواء ، ومافى القطبين من‌الاختلاف‌سواءكانت مسكونة أم‌لا ،قيل:ان‌صيف‌الشمال شتاء الجنوب و بالعكس ، فزيادة النهار ونقصانه حاصلتان فى وقت واحد ، ولكن فى‌بقعتين وكذلك زيادةالليل ونقصانه . و لما فى‌ذلك من الاعجاز مالايخفى على‌المتأمل الخبير فتدبر جيداً .

قال‌الله تعالى: «وسخر الشمس والقمر كل‌يجرى إلى أجل مسمى» لقمان :

٢٩) بحرف «إلى» وفي غيرها بحرف اللام : «لاجل مسمى» كسورة فاطر :١٣) و الزمر :٥) والرعد : ٢) وذلك لوجوه : أحدها ـ انك تقول فـي الزمان : جرى ليوم كذا و إلى يوم كذا والاكثر اللام لانه بمنزلة التاريخ تقول : لبثت لثلاث بقين من شهر كذا . وآتيك لخمس تبقى من شهر كذا .

و ما في سورة لقمان فيوافق ما قبلها وهو قوله تعالى : «ومن يسلم وجهه إلى الله»٢ ٢) والقياس «لله» كمافي قوله تعالى : «أسلمت وجهي لله» آل عمران :٢٠) لكنه حمل على المعنى : أي يقصد بطاعته إلى الله تعالى و كذلك «يجرى إلى أجل مسمى» أي يجرى إلى وقته المسمى له .

ثـانيهـا ـ إن «إلى» متصلة بآخر الكلام ، ودالة على الانتهاء ، وأما اللام فمتصلة بأول الكلام ، ودالة على الصلة والسلام .

ثـالثها ـ ان المعنى واحد وإن كان الطريق مغايراً لان «إلـى» تدل على إنتهاء الشمس والقمر إلى وقت معلوم وهو يوم القيامة ، فلا ينقطع جريهما إلاّ وقتئذ، وان «اللام» تدل على إختصاص الجرى بادراك أجل معلوم . ووجه اختصاص هذا المقام بالى و غيره باللام ان هذه الاية صدّرت بالتعجيب فناسب التطويل و الله تعالى هو أعلم .

ونشير في المقام إلى تسع لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة ـ جائت في هذه السورة وغيرها من السور القرآنية :

١ـ جائت كلمة (اللقم ولقمان) على صيغها في القرآن الكريم نحو :ثلاث مرات :

١ـ الصافات :١٤٢) ٢ـ٣ـ لقمان: ١٢ و١٣) .

٢ـ » (الشكر) » » » : ٧٥ مرة :

٣ـ » (الوعظ) » » » : ٢٥ » :

٤ـ » (الصعر) » » » : مـرة واحدة وهي في سورة

لقمان : ١٨) .

٥- » (الخد) » » » : مرتين : أحدهما - في سورة لقمان :١٨) ثانيهما-في سورة البروج : ٤) .

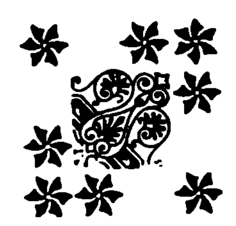
٦- » (السبغ) » » » : مرتين : أحدهما - في سورة لقمان :٢٠)ثانيهما - في سورة سبأ : ١١) .

٧- » (العروة) » » » : ثلاث مرات :

١- البقرة : ٢٥٦) ٢- لقمان : ٢٢) ٣- هود : ٥٤) .

٨- » (الوثق) » » » : ثلاثين مرة :

٩- » (الختر) » » » : مرةواحدة : و هي في سورة لقمان : ٣٢) .



﴿ التناسب ﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آى هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة «الصافات» فلماجاءت سورة «الصافات» بذكر توحيد الربوبية ووحدة الخالق ،وذكر بعض مواقف المشركين وعقائدهم ، وفصول من المناظرات والمشاهدوالجدول بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمشركين حول التوحيد والبعث بعدالموت ، وبالاشارة إلى مصير المخلصين و الجاحدين ، وإلى قصص بعض الانبياء الموحدين ، وأقوامهم المشركين ومصائر الكافرين،وفي ختامها بوعدالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر في النهاية ، و أمره صلى الله عليه وآله وسلم بالاعراض عن المشركين مرة بعد مرة ، وتنزيه الله تعالى عما يصفه المشركون و تحية ربانية للمرسلين والحمدلله رب العالمين ، جائت سورة لقمان بذكر حكمة الخالق في الخلق والتدبير، وفي كتابه وبعبارة واضحة بذكر حكمة الله تعالى في التكوين والتدوين ، وحكمة عبد من صالح عباده وآثارها في هذاالوجود و بذكر موقف المحسنين والجاحدين في الحكمة إطلاقاً ، وبذكر التنويه بالاولين ، والتقريع والتنديد بالآخرين .

وأماالثانية: فالتناسب بين سورة «الروم» وسورة «لقمان» فبامور:

منها : ان الله تعالى لما ذكر في السورة السابقة ، الأدلة الآفاقية و الانفسية التي تدل على وحدانيته في الخلق والتدبير، وعلى عظمته وقدرته التي لانهاية لها في التكوين ، أشار في هذه السورة إلى مايدل على حكمته التي لانهاية لها في التدوين ، فلانفاد للكلماته كمالاغاية لوجوده .

ومنها : ان الله تعالى لما أشار في السورة السابقة إلى الأدلة الدالة على صحة البعث بعدالموت ، ذكر في هذه السورة ان الخلق والبعث عنده سواء لايتطرق فيه تعالى الصعب والسهولة وقال : «ماخلقكم ولابعثكم إلّا كنفس واحدة» : ٢٨)

ومنها : انه لما ذكر في السورة السابقة ان الناس خلقوا على فطرة التوحيد لاتبديل لها ، وان الشرك عرض يعرض عليها من سوء اختيارهم ، إستشهد على صحة ذلك بظهور هذه الحقيقة في عرضة الخطر بقوله : «وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين» : ٣٢)

ومنها : لما أمر الله تعالى نبيه ﷺ في السورة السابقة بالصبر على المكاره وإحتمال الشدائد في طريق الدعوة ، أمر امته ﷺ به تلويحاً على إقامة الصلاة وفي طريق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يلقوا ماوعدهم الله تعالى به من النصر والغلبة والعزة في الدنيا ومن الجنة ونعيمها في الاخرة .

ومنها : انه لما ذكر السابقة محاربة ملكين عظيمين لاجل متاع الدنيا و زخارفها وأعراضها ، ذكر في هذه السورة قصة عبد مملوك وزهده فيها، وحكمته ووصايته لابنه بالعبادة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر في طريق الدعوة والمسالمة وترك المحاربة ، فان الحكيم لايحارب على دنيا دنية لا تعدل عندالله تعالى جناح بعوضة وان الحكيم لايكترث بها ولايلتفت إليها ، وبين الامرين بون بعيد وتقابل .

ومنها : انه لما ختمت السورة السابقة بذكر الايات الدالة على صحة نبوة النبي الكريم ﷺ افتتحت سورة لقمان بذكر الايات الدالة على ذلك .

وغيرذلك من المناسبات فعلى القارىء التدبر جداً .

وأما الثالثة: فلما وصف الله تعالى القرآن الكريم بالحكمة أشار إلى أهم آثارها من الهداية والرحمة فيمن ينتفع بها من المحسنين ، ثم ميّزهم من غيرهم بصفات ثلاث : من إقامة الصلاة وايتاء الزكوة وايقانهم بالاخرة ، ثم أشار إلى غاية تلك الصفات على طريق الوصف بالفلاح .

ان الله تعالى لما بيّن أحوال المفلحين والسعداء الذين يهتدون بكتاب الله تعالى،وينتفعون بسماعه ، وما يلازمهم من الصفات الكمالية القلبية و البدنية والمالية أخذ بذكر أحوال أضدادهم في الصفات من الاشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله تعالى وأقبلوا على إستماع المزامير و الغناء بالألحان و آلات الطرب ، وإضلالهم واتخاذهم آيات الله سخرية وإستكبارهم مع الاشارة إلى عاقبة أمرهم بقوله تعالى : «ومن الناس من يشترى ـ فبشره بعذاب أليم» : ٦ـ٧)

ثم أعاد الكلام على بيان سعادة السعداء ومآل أمرهم يوم القيامة على ما تقتضيه الحكمة الالهية وهو الغالب في الانتقام من الكافرين والحكيم في ثواب المحسنين بقوله تعالى : «ان الذين آمنوا ـ وهو العزيز الحكيم» : ٨ـ٩)فكما ان أعمال المحسنين خلاف أعمال الكافرين وصفاتهم أضداد صفات الكافرين فكذلك أحوالهم يوم القيامة خلاف أحوال الكافرين .

لما وصف الله تعالى نفسه بالعزة والحكمة أخذ بذكر دلائلهما في هذا الوجود، إذ في خلق السموات وإلقاء الرواسى في الارض وبثّ الدابة فيها وإنزال الماء و إنبات الارض أبلغ دلالة على القوة المطلقة والعزة والسلطان والحكمة،مع تقرير وحدانيته وإبطال أمر الشرك وضلال أهله بقوله تعالى : «خلق السموات بغير عمد ترونها ـ في ضلال مبين» ١٠ـ١١)

ان الله تعالى لما وصف كتابه و نفسه بالحكمة ، وبيّن آثارها في هذا الوجود وفي النفوس المنتفعة بها، أخذ بذكر إتصاف عبد من عباده بها ، وآثارها

فى نفس الحكيم أولاً وفى غيره ثانياً لتقديم كمال النفس على تكميل الغير، مع الاشارة إلى أن الشرك والعصيان خلاف الحكمة بقوله تعالى : «ولقدآتينالقمان الحكمة ـ ان الشرك لظلم عظيم» :١٢-١٣)

ان الله تعالى لما بيّن ان الشرك لظلم عظيم أكّد النهى عن الشرك فى ضمن بيان حق الوالدين على الولد ووجوب البر عليهما وشكرهما و رعاية حقوقهما ، ومع ذلك لايجوز إطاعة أمرهما بالشرك وإن أصرّا فضلاً عن غيرهما ، مع الامر باتباع من إهتدى وأناب إلى الله تعالى سواء كان أبويه أم غيرهما بقوله تعالى : «ووصينا الانسان ـ فانبئكم بما كنتم تعملون» : ١٤ ١٥)

ثم أعاد الكلام إلى ذكر بقية وصايا لقمان لابنه بتقرير قدرة الله تعالى و علمه و حكمته ـ بعد أن نهى فى مطلعها عن الشرك على طريق التأكيد بالاعتراض الذى ذكره ـ ثم دعاه إلى إقامة الصلاة وقدّمها لانها عمود الدين وبها تكمل النفس وتزكى ثم دعاه إلى إصلاح المجتمع البشرى بالامر بالمعروف و النهى عن المنكر مع الامر بالصبر فى سبيل الدعوة لما فيه من المشاق والأذى والمتاعب، فلا بد للآمر من إحتمالها . فلا بد للآمر والناهى من إصلاح النفس أولاً وتنقيتها من شوائب الشرك والعصيان ، من الاستقامة فى سبيل الدعوة ، فيصبح داعياً بالمعروف وناهياً عن المنكر بلسانه وعمله ، وبما يجد الناس فيه من الاسوة الطيبة والقدوة الصالحة فمن إئتمر بالمعروف وانتهى عن المنكر كان أشبه بالمرآة الصقيلة يرى الناس عليها وجه الخير والاحسان فيتمثلونه ويتخذونه قدوة لهم بقوله : «يا بنى انها إن تك ـ إلى ـ ان ذلك من عزم الامور» : ١٦-١٧) .

ثم نهى عن أهم رذائل الاخلاق من الخيلاء والكبرياء والاعجاز مع الاشارة إلى علة النهى ، فلاينبغى أن يكون عليها الناس عامة ، ولادعاتهم خاصة ، ثم أمر بالاقتصاد فى المشى ، وبخفض الصوت مع بيان علة الاخير تلويحاً بقوله تعالى : «ولاتصعر خدّك للناس ـ إلى ـ لصوت الحمير» : ١٨-١٩)

ان الله تعالى لما فسّر الحكمة بالشكر من باب تفسير الشيء بلازمه ، حيث إن الحكمة هي المعرفة بالله جل وعلا ومن لوازمها الشكر له تعالى ، لان الشكر بعد معرفة المنعم ، أشار إلى ما يوجب الشكر، على طريق توجيه الكلام إلى السامعين تنبيهاً لهم على ما سخّره الله تعالى لهم من وسائل وقوى في السموات والارض وما أنعمه عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة مما يقع تحت مشاهدتهم الحسية ، وما يرون آثاره في أنفسهم و ما يحيط بهم ، و مما يكفل لهم السلامة و القوة و الرخاء ، مع الاشارة التنديدية إلى الذين كفروا بنعمه و لم يشكروا له تعالى .

بل جادلوا رغم ذلك في الله تعالى و وحدته وعظمته وحقه وحده بالخضوع والاخلاص جدالاً لايستند إلى علم وهدى ولا كتاب ، والتقريع بهم ، وحكاية مقالتهم واعتذارهم عن ترك الشكر حين دعوا إلى إتباع الوحي المنزل ، وترجيحهم إتباع ما وجدوا عليه آباءهم على إتباع الوحي السماوي ، والتوبيخ بهم على ذلك، مع الاشارة إلى تبعة هذا الاتباع الغلط بقوله تعالى : «ألم تروا ان الله ـ إلى عذاب السعير» : ٢٠-٢١)

ثم أشار إلى موقف الناس في النعم الالهية ، فمنهم من عرف المنعم وأسلم وجهه لله تعالى على ما تقتضيه الفطرة التي فطر الناس عليها ، و منهم من خالف فطرته و كفر بمنعه ، مع الاشارة إلى مآل الموقفين في الدنيا والآخرة ، وإلى تسلية النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على عناد الكفار وأقوالهم وتمسكهم بتقاليد الآباء الباطلة وإنحرافهم عن الفطرة الانسانية وإنذارهم بعذاب غليظ بقوله تعالى : «ومن يسلم وجهه إلى الله ـ عذاب غليظ» : ٢٢-٢٤)

ثم أقام الدليل من نفس المشرك على أن التوحيد هو ما تقتضيه الفطرة ، فاذاً هو وحده يليق للحمد والشكر، وإن كان أكثر المشركين جاهلين ،فيقعون في التناقض حمقاً وجهلاً حيث يعترفون بالمقدمات وينكرون النتيجة تستتبعها،

فيعبدون من لايستحق للعبادة ولايملك لنفسه نفعاً ولاضـراً من الاصنام والاوثان، وتقرير ان الملك الحقيقى لله وحده لانه الغنى المطلق ، والحميد بالذات بقوله تعالى : «ولئن سئلتهم - إلى - هو الغنى الحميد» : ٢٥-٢٦)

ثم أشار إلى سعة علمه وحكمته ، وقدرته و عظمته بـان لانهايـة لعلمـه إذ لانهاية لكلماتـه ولاغاية لقدرته كمالانهاية لوجوده ، ولاحدّ لحكمتـه كمـا لاحدّ لعظمته وجلاله و كبريائه ، فالخلق والبعث عنده سواء ، وما عداه محدود ضئيل زائل فان باطلاً لايليق أن يقع شريكاً له سبحانه فانه وحده ولى النعم و خالق الوجود ، وفى ذلك كله دلائل قاطعة وبراهين واضحة لمن صبر وتفكر و عرف وشكر بقوله تعالى : «ولو ان ما فى الارض - إلى - لكل صبار شكـور» : ٢٧-٣١)

لما ذكر ان التوحيد هو الذى تعترف به الفطرة البشرية ، جاء بحكايـة تنطوى على التعجب والتقريع لحال بعض الناس الذين يركبون البحـر، فاذا تعاظمت أمواجه ووقعوا فى عرضة الغرق والهلاك رجعوا إلى فطرتهم، فيدعون الله تعالى وحده مخلصين له الدين ، فاذا مانجاهم إلى البر فطائفة منهم يبقـون على الاخلاص والتوحيد ويوفون بعهدهم ،وطائفة آخرون ينكثون عهدالله تعالى وينحرفون عن الفطرة ويغدرون أسوأ الغدر وهذا هو دأب كل ختار كفور، فانهم الذين ينسون خالقهم وربهم فى السراء ويلجئون إليه فى الضراء .

ثم ختم السورة بدعوة الناس كافة إلى التوحيد والتقوى وخشية يوم لايغنى والد عن والده ولاالعكس مع الاشارة إلى ما يوجب إنحراف الناس عن فطرتهم وتحذيرهم عنه ، ثم أشار إلى سعة علمه تعالى وانه هو يعلم الغيب مـع تأكيدمـا وعده من البعث والحساب والجزاء بقوله تعالى : «وإذا غشيهـم مـوج - إلى - ان الله عليم خبير» : ٣٢-٣٤) والله تعالى هو أعلم .

﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

قال إبن حزم : قوله تعالى : «و من كفر فلا يحزنك كفره» لقمان : ٢٣) منسوخ بـآية السيف وهي قوله تعالى : «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم و خذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد» التوبة : ٥) .

أقول: ولايخفى على المتأمل الخبير ان قوله تعالى : «ومن كفر فلايحزنك كفره» بصدد التسلية للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كقوله تعالى : «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» فاطر:٨) ووعيد شديد للكافرين نظراً لما يعقبها «نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ» .

و أما التشابه فلم نجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة آية متشابهة والله تعالى هو أعلم .

(تحقيق في الاقوال)

٢- (تلك آيات الكتاب الحكيم)

في وصف الكتاب بالحكمة أقوال :١- قيل : ان الحكيم وصف للقرآن الكريم لاشتماله على الحكمة ، وهي إصابة الحق ، فهو حكم إلهي و حاكم بين عباده فيجب ردّ كل شيء إليه ، وهو حكيم لما فيه من الحكمة ، فكأنه المظهر للحكمة الناطق بها .

٢- عن مقاتل : الحكيم أي المحكم الذي لافساد فيه ولاخلل ولاإختلاف ولاتناقض . فهو محكم في بيانه وتفصيله ، وفي اسلوبه وأهدافه وعظاته ومحكم عن التحريف والتبديل والباطل .

٣- قيل : أي ذوالحكمة لانه دليل قاطع بالحكمة كالحي لما فيه من الايات الدالة على العلوم السماوية ، و هو مشتمل للحكمة و نطقه بها و إشتماله على كلمات حكيمة . . .

٤- قيل : الحكيم : الحاكم أي حاكم بالحرام و الحلال ، و حاكم بين الناس بالحق ، فعيل بمعنى فاعل . ٥- قيل : الحكيم : اللوح المحفوظ، و سماه محكماً لانه ناطق بالحكمة . وقيل : لانه جمع الحكمة والعلوم والمعارف . . . وقيل : لانه دليل على الحق كالناطق بالحكمة ، ولانه يؤدي إلى المعرفة التي تميز بها طريق الهلاك من طريق النجاة .

٦- عن أبي عبيدة : الحكيم : المحكم بالحلال و الحرام و بالحدود

والاحكام . . . ٧- عن الحسن : الحكيم بمعنى المحكوم فيه أي حكم الله تعالى فيه بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وحكم فيه بالنهي عن الفحشاء و المنكر ، والجنة لمن أطاعه، والنار لمن عصاه ، فهو فعيل بمعنى المفعول . قيل : أى المحكوم بالارزاق والآجال . . .

٨- قيل : أى انه الكلام حكيم ، فوصف بصفة المتكلم به أو وصف بصفة محدثه . ٩- قيل : اريد بالحكيم عقل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذى فيه صور معلومات الاشياء وحقائقها كما فى اللوح المحفوظ ، وهو الذكر الحكيم حيث ان القرآن كان بحسب الذات والماهية خلق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

١٠- قيل : الاعم من أن الايات التى تتألف منها سور القرآن فيها الحكمة، وفيها الخير والسعادة ، وفيها العلم والرشاد ، وفيها الدلالة إلى طريق الحق فهى صلاح العباد فى الدنيا و الاخرة لان أجزاء القرآن الحكيم نزلت من رب العباد لصلاح حالهم وسعادتهم . . .

أقول: والتعميم هو الانسب بموضوع السورة وما يدور عليه فتدبر جيداً .

٣- (هدى ورحمة للمحسنين) .

فى المحسنين أقوال : ١- قيل : المحسنون هم الذين يعبدون الله تعالى كأنهم يراه فان لم يكونوا يرونه فانه يراهم فالاحسان مرتبة فوق التقوى لقوله تعالى : «ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون للذين أحسنوا الحسنى وزيادة»

٢- قيل : هم المحسنون فى الدين وهو الاسلام لقوله تعالى : «من أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله» . ٣- قيل : هم الذين أحسنوا فى العمل بما أنزل الله تعالى فى هذا القرآن من الاوامر والنواهى . . . ٤- قيل : المحسنون هم المطيعون . ٥- قيل : المحسنون هم الموحدون . ٦- قيل : المحسنون هم الذين يحسنون العمل ، ويتبعون الشريعة .

أقول: ولكل وجه والمآل واحد .

٦- (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم و يتخذها هزواً اولئك لهم عذاب مهين)

في معنى الاشتراء أقوال :١- عن إبن عباس : انه شراء بالمال ، و هو شراء القينات أى المغنيات . ٢- قيل : انه إختيار وهذا يوجب نفاد المال وذهاب البركة كما يوجب فساد القلب وسخط الرب . ٣- عن إبن عطية : إنّ ترك ما يجب فعله وإرتكاب تلك المناهى والمنكرات شراء على حدّ قوله تعالى : «اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى» فانهم إشتروا الكفر بالايمان أى إستبدلوه منه،واختاروه عليه.وقال مطرف:شراء لهو الحديث : إستحبابه وإستحبابه بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ومايضرّ على ما ينفع ، وما فيه خير على ما فيه شر.وقال قتادة : ولعله لاينفق فيه مالاً ، ولكن سماعه شراؤه .

أقول: وما يستفاد من الروايات الآتية هو التعميم ، و هو المؤيد بالايات الكريمة فانتظر.

وفى «لهو الحديث» أقوال : ١- عن إبن عباس وإبن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وعكرمة وجابر: لهو الحديث : هو الغناء والاستماع له و إشتراء المغنى والمغنية بالمال الكثير. ٢- عن مجاهد أيضاً والحسن وعطاء وأبي مسلم: لهو الحديث :كل لهو ولعب وباطل يلهى الانسان عن الخير وعما يعنى من الغناء والتحدث بالخرافات والمضاحيك و فضول الكلام كالحكايات الخرافية و القصص الداعية إلى الفساد والفجور، و كل مالاينبغى أن يلهى به الانسان ، و يشغله عن سبيل الله وطاعته من الاباطيل و المزامير و الملاهى و المعازف ، و من السخرية بالقرآن الكريم واللغو فيه .

٣- عن الحسن أيضاً وإبن زيد والضحاك : لهو الحديث :هو الكفر والشرك

٤- قيل : لهو الحديث : الجوارى المغنيات ، و كتب الاعاجم . فالاشتراء حقيقة.

٥ـ قيل : لهو الحديث كالغناء الخليع بالوضع المغرى المثير للشباب و المحرك للشيطان ، فليس هو من باب اللهو فقط ، بل الواقع ان الغناء سمّ زعاف يسقى للناس من حيث لا يشعرون ، وانهم يشترون الجوارى المغنيات ، و كتب الاعاجم حقيقة ، ويأتون الخرافات والأساطير والمضاحك والاشعار اللاهية وفضول الكلام، ويعرضون عن سماع كلام الله تعالى .

٦ـ قيل : لهو الحديث ما كان النضر بن الحارث بن كلدة بن عبدالدار بن قصى يبتاع من الكتب ، وفيها أحاديث الأكاسرة وأبناء الامم الخالية ، و يقرأها على قريش إلهاءاً لهم عن سماع القرآن وتدبره بزعمه وحيداً لهم عن تأمل قوارعه وزواجره . . . فنزلت الاية فيه .

٧ـ عن مجاهد : لهو الحديث : هو الطبل . والمعنى : من يشترى ذا لهو أو ذات لهو كقوله تعالى : «واسئل القرية» أى أهل القرية . و قيل : على تقدير: لما كان يشتريها ويبالغ فى ثمنها فكأنه إشتراها اللهو. ٨ـ عن الكلبى : لهو الحديث هو الطعن بالقرآن والاستهزاء به ، وذلك لان أباجهل وأصحابه كانوا يجيئون به وبالأحاديث الكاذبة والاساطير الملهية عن القرآن .

أقول: والثانى هو المؤيد بالروايات الآتية . . .

وفى قوله تعالى:«ليضل عن سبيل الله» أقوال : ١ـ قيل : أى ليصد الناس عن الدخول فى الاسلام وعن إستماع القرآن الكريم ، فيثبتوا على ضلالتهم التى كانوا عليها بسبب إشتغالهم بلهو الحديث كما نرى الحكام الجور و المستبدين والمستعمرين والمستثمرين الذين يحدثون أماكن الفحشاء ويشغلون المجتمع البشرى وخاصة الشباب والفتيات بآلات الطرب وما إليها ويصدونهم عن دين الحق والمعارف الاسلامية . . .

٢ـ عن إبن عباس : أى ليصد المسلمين عن قراءة القرآن وعن ذكر الله إذا كانوا يذكرون الله تعالى . فكان يشترى المغنيات لذلك . ٣ـ قيل : أى

ليصير أمره إلى الضلال ، وهو إن لم يكن يشترى الضلال ولكنه يصير أمره إلى ذلك .

٤ـ قيل: أى ليضل من أسلم بمااشتراه من الفتيات ، إذكان يأمرهن بمعاشرتهم ليحملنهم على ترك الاسلام ، فماكان قصده من ذلك إلاالضلال والاضلال والصدّ عن دين الله ،وعن قراءة كتابه ، وإتخاذه هزواً ولعباً .

أقول: والتعميم غير بعيد .

وفي قوله تعالى : «بغير علم» أقوال : ١ـ قيل : أى بغير علم بعاقبة لهو الحديث من وزر ذلك وإثمه .

٢ـ قيل : أى بغير علم بعاقبة إضلال الناس وصدّهم عن سبيل الله .

٣ـ قيل :أى بغير علم بحال ما يشتريه ، والفساد الذى يترتب عليه ، وما يضرّ على نفسه ، وعلى المجتمع البشرى .

٤ـ قيل:أى بغير علم بالتجارة حيث إستبدل اللهو بقراءة القرآن فهو جاهل محجوب لايتصرف عن علم ، ولايرمى عن حكمة ، وهو سيّىء النية وشر الغاية حيث يريد أن يضلّ نفسه وغيره بهذا اللهو أنفق فيه المال وذهبت فيه العمر و الحياة ، فلم يكن هذا الاضلال عن نظر وتدبر وتقدير ، وإنماكان عن جهل وغباء وتسلط أهواء .

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها فتدبر جيداً .

و في قوله تعالى : «يتخذها هزواً» أقوال ١ـقيل:أى ويتخذ السبيل سخرية ويستهزأ بها ، على أن سبيل الله تعالى هى التى أقامتها آيات الله و كشفت للناس معالم الطريق إليها . ٢ـ قيل : أى يتخذ آيات الكتاب الحكيم سخرية .

٣ـ قيل : أى كان يتخذ لهو الحديث من الغناء وما إليها وسيلة للسخرية و الاستهزاء والطعن على القرآن الكريم .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين ولكن الثانى هو الانسب بظاهر السياق .

١٠- (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم و بث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم).

في قوله تعالى : «بغير عمد ترونها» قولان : أحدهما - عن إبن عباس و مجاهد وعكرمة وقتادة : أي هناك عمد لاترونها . ٢- عن قتادة أيضاً : أي ليس لها عمد .

أقول: و الاول هو المروي عن أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي «من كل زوج كريم» أقوال : ١- عن إبن عباس : أي من كل لون حسن .

٢- قيل : أي ان الناس مخلوقون من الارض فمنهم ذكور و منهم اناث .

٣- قيل : الزوج من الحيوان عبارة عن الذكر والانثى ، ومن النبات عبارة عن لونين .

٤- عن الشعبي: أي ان الناس مخلوقون من الارض فمنهم من يصير إلى الجنة فهو الكريم، ومنهم من كان يصير إلى النار فهو اللئيم ، فالمراد من الزوج :الكريم واللئيم ، ولم يذكر اللئيم لدلالة الكريم عليه .

٥- قيل : هذا باعتبار الذكورة والانوثة في النبات . ٦- قيل : أي من كل صنف من أصناف النبات .

أقول: وعلى الاخير أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين الخامس .

١٢- (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد) .

في «لقمان» أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد وقتادة : ان لقمان لم يكن نبياً ولم يوح إليه شيء، وإنما كان ولياً من أولياء الله تعالى وحكيماً من الحكماء الذين تحلّوا بحكمة الله تعالى لا كسائر الحكماء بالاكتساب والاجتهاد .

٢- عن عكرمة والسدي والشعبي : انه كان نبياً . ٣- عن الواقدي : انه كان

قاضياً في بنى إسرائيل .

أقول: وعلى الاول جمهور المحققين ، وسياتي الكلام الاكثر في ترجمة لقمان إن شاء الله تعالى فانتظر .

و في «الحكمة» أقوال : ١ـ عن قتادة : الحكمة هي الفقه في الاسلام ، والعلم والعمل به والفهم في درك الأشياء .

٢ـ قيل : الحكمة هي الفطنة والذكاء و العقل الكامل .

٣ـ عن مجاهد : الحكمة هي الديانة والاصابة في القول من غير نبوة .

٤ـ عن مجاهد أيضاً : الحكمة هي القرآن الكريم . ٥ـ عن مجاهد أيضاً : الحكمة هي الأمانة .

٦ـ قيل : الحكمة هي العلم والاصابة في الرأى وتحرّى الحق ، وهي التي ترشد الانسان إلى خالقه ، ووحدانيته .

٧ـ عن عكرمة والسدى والشعبى : الحكمة هي النبوة . ٨ـ قيل : الحكمة هي حسن التدبر والادراك و بعد النظر وسعة العقل .

٩ـ قيل : الحكمة هي المعرفة العلمية النافعة ، وهي وسط الاعتدال بين الجهل والجربزة ، وفسّر الحكمة بالشكر لان حقيقة الشكر : هي وضع النعم في موضعها الذى ينبغي له بحيث يشير إلى إنعام المنعم و ايقاعه كما هو حقه يتوقف على معرفة المنعم ، ومعرفة نعمه بما هي نعمه، و كيفية وضعها موضعه بحيث يحكى عن إنعامه فايتاؤه الحكمة بعث له إلى الشكر ، فايتاء الحكمة أمر بالشكر بالملازمة .

١٠ـ قيل : الحكمة هي المعرفة بالله تعالى ، وان الشكر من آثارها ، فمن عرف ربه حق معرفته فيشكره لامحالة، فالتعبير بالشكر عن المعرفة من قبيل تعبير الشيء بأفضل آثاره فمن حرم الشكر فقد خلى قلبه من الحكمة ، ولذلك قرن الشكر بالعبادة ، وجعلهما على كفتي الميزان سواء بسواء لقوله تعالى : «واشكروا

لله إن كنتم إياه تعبدون» البقرة : ١٧٢) .

أقول: والاخير هو الأنسب بحقيقة الحكمة والشكر ، وقريب منه التاسع .

١٣- (واذقال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) .

في قوله تعالى : «ان الشرك لظلم عظيم» أقوال : ١- قيل : إن الشرك لظلم على الله سبحانه ، وذلك لان الظلم هو النقصان ومنع الواجب ، فمن أشرك بالله سبحانه فقد منع ما وجب لله تعالى عليه من معرفة التوحيد ، فكان المشرك ظالماً على الله تعالى وانه عظيم لما فيه من التسوية بين من لانعمة الا منه وهو الله تعالى، ومن لانعمة لها وهي الاصنام والاوثان . . .

٢- قيل : ان الشرك ظلم على نفس المشرك إذ هو أوبق نفسه وأوقعها في الهلاك والهوان في الحياة الدنيا ، وفي النار والعذاب في الآخرة بسبب الشرك .

٣- قيل : ان الشرك ظلم عن الناس ، فان المشرك ليضل الناس عن السعادة و الخير والنجاة ، ويوقعهم على الشقاء والشر والهلاكة بغير علم .

أقول: والتعميم هو المستفاد من ظاهر الاطلاق ، ولكن الانسب بظاهر السياق هو الاول .

١٤- (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهناً على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك إليّ المصير) .

في قوله تعالى : «ووصينا الانسان بوالديه . . . »أقوال : ١- قيل: ان هذا مما وصى به لقمان إبنه ، فأخبر الله تعالى به عنه . أي قال لقمان لابنه : لاتشرك بالله ولاتطع في الشرك والديك، فان الله تعالى وصّى بهما في طاعتهما مما لايكون فيه شركاً ولامعصية لله تعالى .

٢- قيل : إن هذه الاية وتاليها معترضتان بين أثناء موعظة لقمان ، فليستا من كلام لقمان. و اعترضتا ههنا للدلالة على وجوب شكر الوالدين كوجوب الشكر

لله جل وعلا بل هو من شكره تعالى لانتهائه إلى وصيته وأمره جل وعلا ،فشكر هما عبادة له سبحانه وعبادته شكره .

٣- قيل : أي وإذقال لقمان لابنه ، فقلنا للقمان فيما آتيناه من الحكمة و وصينا الانسان بوالديه أي قلنا له: الشكر له ، وقلنا له: ووصينا الانسان.

٤-قيل : أي وإذقال لقمان لابنه لاتشرك ونحن وصينا الانسان بوالديه حسناً، وأمرنا الناس بهذا ، وأمر لقمان به إبنه . ٥- قيل : ان هذه الاية نزلت في شأن سعد بن أبي وقاص .

أقول: و على الثاني أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر فتدبر جيداً .

وفي قوله تعالى: «وهناً على وهن» أقوال:١- عن الضحاك والحسن: أي حملته امه في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفاً على ضعف ، وذلك لان الحمل كلما زاد وعظم إزدادت حملاً وضعفاً عليها . ٢-قيل:إن المرأة ضعيفة الخلقة ثم يضعفها الحمل. ٣-عن إبن عباس: أي خلقاً بعد خلق . ٤- عن قتادة: أي جهداً على جهد وشدة بعد شدة .٥- عن مجاهد: أي وهن الولد على وهن الوالدة وضعفها . ٦ -عن أبي مسلم : أي ضعف نطفة الوالد على ضعف نطفة الام . ٧- قيل : ضعفاً للحمل على ضعف للطلق ، وعلى ضعف للولادة .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين ، وقريب منه الاخير.

١٦- (يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أوفي الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير)

في قوله تعالى حكاية عن لقمان: «انها إن تك مثقال حبة» أقوال :١-قيل: أي لو كان للانسان رزق مثقال حبة خردل في تلك المواضع جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هي رزقه . ٢- عن قتادة : أي لو كانت أعمال الانسان من الطاعات أو المعاصي مثقال حبة من خردل يأت بها الله فلا تفوت الانسان المقدر وقوعها منه.

٣- قيل : أى لو كانت مسئلتك عن الله تعالى . ٤- قيل : أى لو كانت المعصية و الخطيئة جاء بها .

أقول: وعلى الثانى أكثر المفسرين .

وفى قوله : «فى صخرة» أقوال : ١- عن إبن عباس : هى الصخرة التى عليها الارض ، من صخرة خضراء على ظهر الحوت ، وهى لافى الارض ولافى السماء ، و هو النون الذى ذكر الله تعالى فى القرآن : «ن والقلم» . ٢- قيل : هى الصخرة التى على الصحراء . ٣- عن قتادة : الصخرة هنا الجبال . فى صخرة أى فى وسط جبال . ٤- عن إبن عباس أيضاً : هى صخرة تحت الارضين السبع وعليها الارض. ٥- عن السدى : هى صخرة ليست فى السموات والارض بل هى وراء سبع أرضين عليها ملك قائم لانه قال : «أو فى السموات أو فى الارض» . ٦- قيل : أى أىّ صخرة من الصخور.

أقول: والاخير هو الانسب بظاهر الاطلاق .

١٧- (يا بنى اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور)

فى «واصبر على ما أصابك» أقوال: ١- قيل : أى واصبر على ما أصابك من الأذى والضرر فى الامر بالمعروف والنهىّ عن المنكر. ٢- عن الجبائى : أى واصبر على ما أصابك من شدائد الدنيا ومكارهها ، ومن المصائب والامراض والفقر، فلا تجزع بها من الطاعة إلى المعصية . قيل: اريد بالصبر، التعميم فيشمل الاول والثانى.

أقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق وهو المروى .

وفى «ان ذلك من عزم الامور» أقوال : ١- عن إبن عباس : أى ان من حقيقة الايمان الصبر على المكاره . ٢- قيل : أى ان ذلك من الامور التى يجب الثبات و الدوام عليها . ٣- قيل : أى ان ذلك من مكارم الاخلاق و عزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة .

٤- عن إبن جريج :أى ان إقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر من أهم الامور الدينية التى عزمها الله تعالى وأمر المؤمنين بها ، فلايصدنك مانا لك فى طريقها من المشقة والأذى عما وجب عليك . ٥- قيل : أى ان ذلك من العقد الصحيح على فعل الحسن بدلاً من القبيح ، على الايمان وصالح الاعمال بدلاً من الكفر وفساد الاعمال ، على البر والتقوى بدلاً من الجور والطغيان ، من غير تلون فى العقد ، فان العزم : هى الارادة المتقدمة للفعل بأكثر من وقت ، وهو العقد على الامر لتوطين النفس على فعله ، والتلون فى الرأى يناقض العزم .

أقول: ولكل وجه ولكن الاوجه هو الرابع .

١٨- (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور)

فى «ولاتصعّر خدّك للناس» أقوال : ١- عن إبن عباس و مجاهدو عكرمة والضحاك : لاتتكبر، فتحقر عباد الله تعالى ، بأن تعرض عنهم بوجهك إذا كلموك محقرة لهم ، بل اقبلهم بوجهك بحسن خلقك. ٢- قيل : أى لاتذلّ خدك للناس طمعاً فيما عندهم من غير حاجة . لما ورد عن النبى ﷺ انه قال : «ليس للانسان أن يذلّ نفسه» .

٣- عن مجاهد أيضاً : التصعير أن يكون بين الرجل و أخيه حنة و شىء ، فيراه فيعرض عنه كأنه لم يره . ٤- قيل : أى تقبل على الناس متواضعاً مؤنساً مستأنساً ، فيذلونك من غير حاجة لك منهم . ٥- عن إبن عباس أيضاً وإبن زيد : أى لاتمل خدّك عن الناس ولاتولّ عنهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون كبراً متعالياً عليهم ، وإعجاباً وإحتقاراً لهم . ٦- عن عكرمة أيضاً : التصعير أن يسلّم عليك أخوك ، فتلوى عنقك تكبراً .

أقول: والخامس هو الانسب بمعناه اللغوى وقريب منه الاول .

وفى «مرحاً» أقوال :١- قيل : أى فرحاً من غير شغل ولاسبب ، وهذا هو

النشاط الذى يلازمه الفخر بلاسبب دينى ولادنيوى. ٢ـ قيل: أى بالعظمة والتجبّر. ٣ـ عن مجاهد وقتادة والضحاك : أى متبختراً ومتكبراً . ٤ـ قيل : أى بطراً و خيلاء . ٥ـ قيل : المرح : الخفة عن تيه وعجب .

أقول: والثانى هو المروى من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر.

٢٠ـ (ألم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة و من الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)

فى معنى التسخير أقوال : ١ـ قيل : أى سخّر الله تعالى هذه الامور للانسان بحيث ينتفع من المسخرات سواء كانت منقادة له ، فيتصرف فيها كيف يشاء و يستعملها حسبما يريد كعامة ما فى الارض من الاشياء المسخرة للانسان المستعملة له من الجماد والحيوان أم لم تكن منقادة له فينتفع بها كالشمس والقمر والكواكب والسحاب والمطر. . . ولكن كلها منقادة لله تعالى وتحت أمره . ٢ـ قيل : ان المراد من التسخير ان الله تعالى جعل هذه الامور لحصول مراد الانسان من غير أن يكون للانسان دخل فى إستعماله كجميع ما فى السموات من الاشياء التى نيطت بها مصالح العباد معاشاً أو معاداً .

٣ـ قيل : اريد بالتسخير إرتباط أجزاء الكون بعضها ببعض فى نظام عام يدبّر أمر العالم عامة ، والانسان خاصة لكونه أشرف أجزاء هذا العالم المحسوس بما فيه من الشعور والادراك والعقل والارادة والاختيار، فسخّر الله تعالى هذا العالم وما فيه لاجل هذا الانسان ، وان التسخير قهر الفاعل فى فعله بحيث يفعله على ما يستدعيه القاهر، ويريده كتسخير الكاتب القلم للكتابة ، والسكين للقطع . . . و كما يسخّر المولى عبده والمخدوم خادمه فى أن يفعل باختياره وإرادته ما يختاره ويأمره المولى والمخدوم، وان الاسباب الكونية كائنة ما كانت تفعل بسببيتها الخاصة ما يريده الله تعالى من نظام يدبّر به العالم الانسانى .

فاللام في «لكم» للتعليل الغائي و المعنى لأجلكم ، والمسخّر ـ بكسر الخاء ـ **هوالله** تعالى دون الانسان .

٤ـ قيل : انالله تعالى جعل تلكالامور منقادة لامره ، مذللة للانسان أي لاجله حيث ان جميع ما فيالسموات والارض من الكائنات مسخرة لامرالله تعالى، مستتبعة لمنافع الخلق ، وما يستعمله الانسان حسبما يشاء . وإن كان مسخراً للانسان بحسب الظاهر ولكنه مسخرلله تعالى في الحقيقة . وقيل : اللام في «لكم» للملك والمسخر ـ بالكسر ـ هو الانسان بمشية الله تعالى كما يشاهد من تقدّم الانسان بمرور الزمان في تسخيرأجزاء الكون وإستخدامه لها في سبيل مقاصده .

أقول: وعلى الثالث جمهور المحققين .

و في قوله تعالى: «نعمه ظاهرة و باطنة» **أقوال** : ١ـ عن مجاهد : الظاهرة هي أن تقول : «لاإله إلاّ الله» والباطنة بأن يعتقد بها الانسان ويعمل بمقتضاها .

٢ـ قيل :الظاهرة هيالعمل بالابدان والجوارح من الصلاة والصوم والحج و الجهاد ومايليها . .. والباطنة هي العمل بالقلب والاعتقاد والاخلاص . وعن بحر العلوم انه قال : ان النعمة على ثلاث مأة أوجه .

٣ـ عن مجاهد أيضاً : الظاهره هي ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء و الباطنة هي إمدادالله تعالى المؤمنين بالملائكة .

٤ـعن إبن عباس : الظاهرة هيالاسلام والقرآن ، والباطنة هي ستر الذنوب، وعدم التعجيل بالعقوبة .

٥ـ قيل : الظاهرة : إتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والباطنة: محبته وأهل بيته عليهم السلام.

٦ـ قيل : الظاهرة : نعمة الدنيا و لذائذها ومتاعها ، والباطنة نعيم الاخرة.

٧ـ عن الضحاك : الظاهرة هي حسن الصورة وإمتداد القامة وتسوية الاعضاء . . . والباطنة : هي المعرفة بالله تعالى والعلم بصفاته . وقيل : الباطنة : هي النفس .

٨ـ عن الربيع : الظاهرة : هي نعم الجوارح ، والباطنة هي نعم القلب .

٩ـ قيل : الظاهرة : هى القوى الظاهرة للانسان من السمع والبصر واليد والرجل والشم والذوق والبطش ،والباطنة : هي القوى الباطنة من الادراك والعقل والفهم والشعور وما إليها كما قال موسى عليه السلام في مناجاته : «إلهي دلّني على أخفى نعمتك على عبادك» فقال الله تعالى : «أخفى نعمتي عليهم النفس» .

١٠ـ قيل : الظاهرة : هى التى يراها النـاس من الجاه والمال والخدم و الاولاد والازواج الصالحـات وتـوفيق الطاعات والدار الواسعة ، و الباطنة : هى الخلق الحسن والعلم واليقين والمعرفة والايمان وما يدفعه الله تعالى عن العبد من الآفات وسائر ما يعلمه العبد من نفسه من النعم الالهية ومالايعلم. . .

١١ـ قيل : الظاهرة ما يعلمه العبد من نفسه ، والباطنة ما يعلمه الله تعالى ولايعلم العبد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «الباطنة مالورآك الناس عليها لمقتوك».

١٢ـ عن عطاء : الظاهرة تخفيف الشرايع ، والباطنة الشفاعة .

١٣ـ قيل:الظاهرة : القرآن الكريم ،والباطنة تأويله ومعانيه . ١٤ـقيل : الظاهرة ما يعلمه الانسان من أسرار هذاالوجود ويدركها بعقله ويلمسها بحواسه والباطنة مالا يعلمه الانسان منها ولايشعر بها .

١٥ـ قيل : الظاهرة هى قوله تعـالى : «ويبين آياته للنـاس» والباطنة هى قوله تعالى : «وزينه في قلوبهم» .

١٦ـقيل : الظاهرة : الشهادة الناطقه،والباطنة السعادة السابقة . ١٧ـقيل: الظاهرة هى وضع الوزرورفع الذكر ، والباطنة شرح الصدر .

١٨ـ قيل : الظاهرة هى قوله تعالى :«وأنتم الاعلون» والباطنة هى قوله تعالى: «اولئك المقربون» .

١٩ـ عن إبن عباس أيضاً : الظاهرة مافيه مصالح الدين والدنيا مما يعلمه الانسان ، والباطنة ما فيه مصالح الدارين مما غاب عنه علمه ، ويعلمه الله تعالى.

٢٠ـ قيل : الظاهرة هى الأمن و السلامة والصحة والمـال ، والبـاطنة هـى

الايات الافاقية والانفسية الدالة على وحدانية الله تعالى .

۲۱- قيل : الظاهرة مما يتنعم به الانسان بظواهره ، والباطنة هي العلوم و الحكم والمعارف . . . فانها نعم خفيّة .

۲۲- قيل : الظاهرة هي كل مايلائم لك ، وله تعلق بظاهرك المحسوس من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن والمركوب والمنكوح و العزّ و العرض والحشمة والصيت والمدارك الظاهرة و الاعضاء و غير ذلك والشرف و كل ماله تعلق بظاهرك مع كونها جالبة للنعم الباطنة الاخرة من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و قبول رسالته والعمل بأحكام دينك، و كل ماله تعلق بباطنك من المدارك الباطنة والادراك الدقيقة من النفس والقلب والعقل والاستعداد لوصولك إلى الكمال .

۲۳- قيل: الظاهرة هي تمام الرزق والباطنة هي تمام حسن الخلق. ۲۴- قيل: الظاهرة هي إمداد الملائكة المؤمنين ، والباطنة هي إلقاء الرعب في قلوب الكافرين .

۲۵- قيل : الظاهرة هي الاقرار باللسان والباطنة هي الاقرار بالجنان.

۲۶- قيل : الظاهرة هي بعثة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، والباطنة هي ولاية أئمة أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين لقوله تعالى : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» المائدة :۳).

۲۷- قيل: الظاهرة هي محسوسة تعرفونها ،والباطنة هي معقولة لاتعرفونها.

۲۸- قيل : الظاهرة هي التي يتمتع بها الانسان في حياته ، والباطنة هي إمداده تعالى بالتوفيق وشموله باللطف .

۲۹- قيل - الظاهرة هي الاسلام وما حسن من خلقك ، والباطنة ماستر عليك من سيىء عملك .

۳۰- قيل : الظاهرة هي الصحة و كمال الخلق ، و الباطنة المعرفة والعقل.

٣١ـ عن المحاسبى : الظاهرة نعم الدنيا،والباطلة نعم العقبى. ٣٢ـ قيل: الظاهرة مالايمكن لاحدإنكاره من الخلق و الحياةوالقدرة و الشهوة فى الانسان وغيرها من النعم ، والباطنة مالايعلم ولايعرفه الانسان إلّامن آمن وأمعن النظر فيها .

أقول: إن بعض الاقوال مروى، وبعضها الاخر من بيان المصاديق بلاتناف بينها.

وفى قوله تعالى: «و من الناس من يجادل فى الله بغير علم» أقوال : ١ـ عن مجاهد : هذه نزلت فى يهودى جاء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال:يا محمدأخبرنى عن ربك من أىّ شىء هو؟ فجائت صاعقة فأخذته . ٢ـ عن إبن عباس : هذه نزلت فى النضربن الحارث إذكان يقول : ان الملائكة بنات الله تعالى . ٣ـ قيل: هذا هوابى بن خلف إذكان يجادل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك بلاعلم من عقل ولا مستند من حجة ولا كتاب مأثور. ٤ـ **أقول:** و المورد غيرمخصص ما لم يكن خاصاً ، و التعميم هوالانسب بظاهر السياق .

٢٥ـ (ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمدلله بل اكثرهم لايعلمون) .

فى «ليقولن الله» أقوال : ١ـ قيل : أى ليقولن الله لوضوح الادلة القاطعة والحجج الواضحةالمانعة من إسناد الخلق إلى غيرالله بحيث إضطروا إلى إذعان التوحيد ، فهم لايستطيعون أن يضيفوا خلقهما إلى غيرالله فان حقيقة ذلك أكبر وأوضح من أن يتسع لها مراء الممترين ، وريب الشكاكين ، وإفتراءالمفترين. ٢ـ قيل : أى ليقولن الله لكونهم مجبولين مفطورين على الاذعان بذلك إذا رجعوا إلى أنفسهم ، ولم يتبعوا أسلافهم .

وذلك انهم إذاسئلوا عمن خلق السموات والارض إعترفوا بانه هوالله تعالى وحده من حيث لايشعرون ، فانه إذاكان الخالق هوهو،فالمدبر لهذاالوجود هو هو لانّ التدبير لاينفكّ عن الخلق ، وإذاكان مدبرالامر والمنعم الذى يبسط ويقبض ويرجى ويخاف هوفالمعبود هوهووحده لاشريك له فقدإعترفوا بالوحدة من

حيث لايعلمون .

۳ـ قيل : إن الخطاب مع كفار قريش ، وهم كانوا معترفين بأن الخالق هو الله تعالى وليس له شريك في الخلق ولكنهم كانوا يجعلون الاصنام شريكاً له سبحانه في العبادة .

اقول: والثانى هو الانسب بسياق الجدال والاحتجاج، وإن كان الاول غير بعيد.

وفى قوله : «قل الحمدلله» أقوال : ۱ـ قيل : أى قل يا محمد : الحمد لله الذى على ماهدانا له من دينه ،وليس الحمد لغيره لقوله تعالى حكاية عن أصحاب الجنة : «الحمدلله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله» الاعراف:۴۳)

۲ـ قيل : أى قل لهم : الحمدلله الذى خلق ذلك لا لمن لايخلق شيئاً وهم يخلقون . ۳ـ قيل : أى قل : الحمدلله على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد. ۴ـ قيل : أى قل : الحمدلله على إلجائهم إلى الاعتراف بمايوجب بطلان ما هم عليه من الشرك ، وهذا يستدعى أن يكون الحمد كله له وحده .

۵ـ عن الجبائى: أى قل : أشكر لله تعالى على دين يقر لك خصمك بصحته لوضوح دلالته . ۶ـ قيل : أى قل : الحمدلله لهذا الخلق ، ومنه خلق الانسان نعمة تستوجب الحمد والشكر للخالق ، ولايليق للحمد غير الخالق .

أقول: والثالث هو الانسب بظاهر السياق .

وفى قوله تعالى : «بل أكثرهم لايعلمون» أقوال : ۱ـ قيل : أى بل اكثرهم لايعلمون بالزامهم وإلجائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم ، حيث ان الاعتراف بوحدانية الخالق يوجب بطلان الشرك . ۲ـ قيل : أى بل أكثرهم لاينظرون ولايتدبرون . ۳ـ قيل : أى بل أكثر هؤلاء المشركين لايعلمون من الذى له الحمد وأين موضع الشكر؟ ۴ـ قيل: أى بل أكثرهم لايعلمون ماعليهم من الحجة فهم لايشعرون على انهم مفطورون على التوحيد ومجبولون على الاذعان به ، وقليل منهم يعلمون ذلك ولكنهم لايطاون الحق بل يجحدونه وقد أيقنوا به

لقوله تعالى : «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم» النحل : ١٤)

أقول: والاخير هو الانسب ولكن الاستشهاد بالاية غير وجيه لانها فى إنكار الآيات النازلة على رسول الله ﷺ وإستيقانها وليست بصدد أمر التوحيد فتأمل جيداً.

٢٧ـ (ولوأن مافى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم)

فى «سبعة أبحر» قولان : أحدهما ـ قيل : اريد بسبعة أبحر أعاظم البحار، فاذا نفدت مياه أعاظم البحار قبل أن تنفد كلمات الله تعالى فكيف غيرها من صغائرها . . . ثانيهما ـ قيل : ان المراد بسبعة أبحر الكثرة دون العدد المخصوص كما ورد فى الخبر: «المؤمن يأكل فى معاً واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاءٍ» ومن الواضح انه ليس للكافر سبعة أمعاء . بل المراد ان المؤمن لايأكل إلّا من طريق الحلال ، وهو واحد ، والكافر يأكل من كل سبيل يأخذ المال بالسرقة و الخيانة والربا والظلم والغصب . . .

وهكذا فى سبع سموات وسبع أرضين اريد بالسبع الكثرة لاالعدد المخصوص كما أن السبعين يذكر فى الكثرة كقوله تعالى : «إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم» ومن المعلوم ان الله تعالى لايغفر لهم فى السبعين و لا فى سبعة آلاف وهكذا قوله تعالى : «فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه» يراد فى سلسلة طويلة هائلة ولايراد التقدير بهذا العدد .

أقول: والاول هو المؤيد بالروايات، والاستشهاد فى الثانى بسبع سموات وتاليها غير وجيه جداً .

و فى قوله تعالى: «كلمات الله» أقوال : ١ـ قيل : اريد بالكلمات نعم الله تعالى كما قال : «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» وان النعم الالهية لاتحصى لقوله تعالى : «وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها» . ٢ـ قيل : إن الدنيا كاللوح وصور الموجودات فيها حروف وكلمات . . . ٣ـ قيل : اريد بالكلمات أسرار الكون

ومافيه من دقة الوضع وحسن التأليف والنظم ، ومن الاسرار الباهرة في كل جزء مما حوته السموات والارض ، و في كل نوع من الحيوان و النبات و الجماد والانسان . وقيل : اريد بالكلمات العجائب من صنع الله تعالى وقدرته مجازاً من إطلاق إسم السبب على المسبب كقوله تعالى : «كن» و هي كلمة سبب في ايجاد الاشياء وفي بروز عجائب الصنع إلى الوجود كقولك لمن يبارز الشجاع :«هذا» مشيراً إلى الشجاع «موتك» خطاباً لمن يبارزه ، والشجاع ليس هو الموت بل سببه و كقولك للمريض : «هذا» مشيراً إلى الدواء «شفاؤك» والدواء ليس هو الشفاء بل سببه .

٤- قيل :اريد بالكلمات الالفاظ التي يعبّر بها عما في علمه تعالى وقدرته.
٥- عن القفال : الكلمات هي عجائب صنع الله تعالى الدالة على قدرته و علمه و حكمته ووحدانيته فلم تنفد تلك العجائب. .. ٦-قيل : كلمات الله هي مقدوراته، وليس المراد بها مخلوقاته فان لها نهاية، ولكن المقدورات ليس لها نهاية، فاذا نفيت النهاية عن مقدوراته فهو نفي النهاية عما يقدّر في المستقبل على ايجاده، وأما ما حصره الوجود وعدّه فلابد من تناهيه. وقال أبو علي: اريد بالكلمات ما في المقدور دون ما خرج منه إلى الوجود . ٧- قيل : اريد بالكلمات العبارات والدلالات التي تدل على مفهومات معاني كلامه تعالى . والغرض هو الاعلام بكثرة معاني كلمات الله تعالى وهي في نفسها غير متناهية ، وإنما قرّب الامر على أفهام البشر بما يتناهى لانه غاية ما يعهده البشر من الكثرة لانها تنفد بأكثر من هذه الاقلام والبحور. . . ٨- عن إبن عباس: كلمات الله هي مواعظه . . .

٩- قيل : كلمات الله هي آياته ومخلوقاته ومشاهد ربوبيته و نواميسه في الكون . فالمعنى : لو قطعت كل شجرة في الارض و جعلت قطعها أقلاماً و صار البحر ومعه سبعة أبحر مداداً لتدوين آيات الله وآلائه ومشاهد ربوبيته و نواميسه ومخلوقاته لنفدت الاقلام و المداد و لم تنفد هذه الايات و الآلاء و المشاهد و

النواميس والمخلوقات . ١٠- قيل : اريد بالكلمات الكلام القديم الذى لاغاية له ولامنتهى وهو وإن كان واحداً ، ولكن يعبّر عنه بلفظ الجمع لما فيه من فرائد الكلمات ولانه ينوب منابها ، فجازت العبارة عنها بصيغة الجمع تفخيماً . ١١- عن السدى : الكلمات هى صفات الجنة التى هى دار الثواب . ١٢- قيل :الكلمات ما يقدر الله تعالى عليه من الكلام والحكم . ١٣- قيل : اريد بالكلمات مايقدر الله تعالى أن يخلقه من الاشياء ويأمر به كما قال فى عيسى عليه السلام : «و كلمته ألقاها إلى مريم» . ١٤- عن عكرمة : الكلمات هى ثواب لاإله إلّا الله .

١٥- قيل : اريد بالكلمات معانيها وفوائدها ، وهى القرآن الكريم و سائر الكتب السماوية ، ولم يرد بذلك أعيان الكلمات لانه قد فرغ من كتابتها، فيكون التقدير بمعانى كلمات الله تعالى . ١٦- عن أبى مسلم : اريد بالكلمات ما وعدالله تعالى لاهل الجنة من الثواب إذلانفادله ، وما أوعده لاهل النار من العقاب إذلانهاية له .

١٧- عن الحسن وأبى جعفر النحاس :اريد بالكلمات العلم وحقائق الاشياء فانها لاتدرك ولايحصى نظيرها . وذلك لان الله تعالى كان يعلم قبل أن يخلق الخلق ويعلم ما فيه من الاجناس والانواع و الاجزاء و الصفات و الالوان و الاعراض و الاحوال . . . ١٨- قيل : اريد بالكلمات مقدورات الله تعالى ومعلوماته لانها إذا كانت لاتتناهى فكذلك الكلمات التى تقع عبارة عنها لاتتناهى .

١٩- قيل : اريد بالكلمات مقدرات الله تعالى التى يقوم بها الوجود، وينشأ عنها كل موجود ، فبالكلمة خلق الله كل شيء .

أقول: ومن البديهى ان الكلام ينتهى بانتهاء حياة المتكلم إلى الموت، فلا كلام له بعده وان الله تعالى هو حيّ مطلق لانهاية لحياته ، وكل شيء هالك إلّا وجهه ، فينفد كل شيء من غير أن تنفد كلماته جل وعلا .

٢٩- (ألم تر ان الله يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل وسخر الشمس

والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأنالله بما تعملون خبير)

فى قوله تعالى: «يولج الليل فى النهارويولج النهارفى الليل» أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدى والكلبى وإبن مسعود : أى يدخل مانقص من أحدهما فى الاخر حتى يصير النهار خمس عشرة ساعة ، و هو أطول ما يكون ، والليل تسع ساعات وهوأقصرما يكون والعكس بالعكس . فالمعنى : ينقص من الليل فيجعل ذلك النقصان زيادة فى النهار، وينقص من النهار فيجعل ذلك النقصان زيادة فى الليل على قدرطول النهار وقصره .

٢- قيل : أى ما ينقص من آناءِ الليل يدخله فى النهار فى كل آن، وما ينقص من آناءِ النهار يدخله فى الليل فى كل آن ، فالليل والنهار فى كل آن من آناءهما فى زيادة ونقصان بالنسبة إلى قطبى الشمال والجنوب، من جهة ، وإلى طرفى الشرق والغرب من جهة اخرى .

٣- عن الجبائى : اريد بالولوج تعاقب الليل والنهار كأن زوال أحدهما ولوج فى الاخر، فيدخل أحدهما فى الاخر باتيانه بدلاً منه فى مكانه .

أقول: والثانى هو الانسب بما فى القطبين من الاختلاف ، وعلى الاول جمهور المفسرين ولكن تحديد الليل والنهار غير وجيه لمخالفته ما فى القطبين من الاوقات ...

وفى قوله تعالى : «إلى أجل مسمى» أقوال : ١- عن الحسن : أى كل منهما يجرى إلى يوم القيامة لان جريهما لا ينقطع إلا وقتئذ . ٢- عن قتادة: أى إلى وقتهما فى طلوعهما وغروبهما ، فلا يعدوانه ولا يقصرانه ، فيجريان على وتيرة واحدة بلا تخلف . ٣- قيل : أى إلى وقت معلوم للشمس و هو آخر السنة ، وإلى وقت معلوم للقمر وهو آخر الشهر.

أقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق .

٣٠- (ذلك بانالله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير)

فى «الباطل» أقوال : ١- عن مجاهد : اريدبه الشيطان لقوله تعالى:«انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون» الاعراف : ٣٠)

٢-قيل:اريدبه الاصنام والاوثان التى كان المشركون يعبدونها لقوله تعالى: «إنما تعبدون من دون الله أوثاناً» العنكبوت:١٧)

وقوله تعالى : «قل يا أيها الكافرون لاأعبدما تعبدون» الكافرون:١-٢)

٣- قيل : اريد به الجن إذكان من المشركين من يتخذونها آلهة لهم لقوله تعالى : «وجعلوا لله شركاء الجن» الانعام : ١٠٠) وقوله : «بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون» سباء : ٤١)

٤- قيل : اريد بالباطل الرهبان و الاحبار و ماكانت اليهود و النصارى يشركون به ويجعلونه شريكاً لله سبحانه لقوله تعالى : «وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح إبن الله - اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا إلّا ليعبدوا إلهاً واحداً لاإله إلّا هو سبحانه عما يشركون» التوبة : ٣٠-٣٢)

٥- قيل : اريد به الشمس التى كانوا يعبدونها لقوله تعالى : «يسجدون للشمس من دون الله وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل» النمل:٢٤)

٦- قيل : اريد بالباطل الملائكة لقوله تعالى : «و يوم يحشرهم جميعاً يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون» سباء : ٤٠) وقوله : «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً - وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم» الزخرف:١٩-٢٠)

٧- قيل : اريدبه الاهواء التى كان المشركون يتخذونها آلهة لانفسهم لقوله تعالى : «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه» الجاثية : ٢٣)

٨- قيل : اريد به الطاغوت من السلاطين والامراء والحكام والمستبدين و من إليهم من فراعنة الازمنة . . . لقوله تعالى فى اليهود والنصارى الذين آمنوا بالجبت والطاغوت : «ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت

والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً» النساء:٥١)

أقول: والتعميم هو المستفاد من ظاهر الاطلاق .

٣٢ـ (وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الاكل ختار كفور)

في قوله تعالى : «كالظلل» قولان : أحدهما ـ عن مقاتل: أي كالجبال، شبه الموج بها لكبرها وإرتفاعها . ثانيهما ـ عن الكلبي وقتادة : أي كالسحاب في إرتفاعها وتغطيتها ما تحتها، شبّه الموج بالسحاب الذي يركب بعضه على بعض. وإنما شبه الموج وهو واحد بالظلل وهو جمع الظلة لان الموج يأتي شيئاً بعد شيء ويركب بعضه بعضاً كالظلل، وأصله من الحركة والازدحام، ومنه: ماج البحر والناس يموجون .

أقول: وعلى الثاني جمهور المفسرين . ولكن صرّح في قصة نوح عليه السلام تشبيه الموج بالجبال في سورة هود : ٤٢)

وفي قوله تعالى : «مقتصد» أقوال : ١ـ عن إبن عباس : أي موفّ بما عاهد عليه الله تعالى في البحر ، ومتوسط في أقواله وأفعاله بين الخوف و الرجاء .

٢ـ قيل : أي غير مسرف على نفسه في الكفر بنعمة الله تعالى والجحود لفضله .

٣ـ عن الحسن : أي مؤمن متمسك بالتوحيد ، ثابت على الايمان والطاعة.

٤ـ قيل: أي معتدل في جحوده وغلوائه ، متوسط بين الكفر والايمان .

٥ـ عن إبن زيد : أي على طريقة مستقيمة ، وعلى صلاح من الامر.

٦ـ عن مجاهد : أي مقتصد في القول ، مضمر للكفر.

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر.

وفي قوله تعالى: «ختار» أقوال : ١ـ عن مجاهد والحسن وقتادة وإبن زيد والضحاك : الختار الغدّار، والختر أسوأ الغدر. ٢ـ قيل : الختار: المخادع الذي يمكر بآيات الله تعالى ، فلا يعرف الله إلّا وقت المحنة والضيق . ٣ـ عن عطية : الختار الجاحد .

اقول: والاول هوالانسب بمعناه اللغوى .

٣٣ـ (ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لايجزى والد عن ولده ولا مولود هوجاز عن والده شيئاً ان وعدالله حق فلاتغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور)

فى «الغرور» أقوال : ١ـ عن مجاهدوقتادة والضحاك : الغرورهو الشيطان فانه يزين للناس بوساوسه المعاصى والآثام ، ويمنيهم الدنيا ويلهيهم عن الاخرة.

٢ـ قيل : الغرور: مايغرّ به الانسان من المال والملك والولد والعلم والمقام والجاه والشهوة والشباب ونفس الامارة وكل شيء يقتدر به الانسان على أدناه ولو بالبطش والبسط فى الجسم .

٣ـ قيل : الغرور: إرتكاب المعاصى ثم يسوّف التوبة . ٤ـ عن سعيد بن جبير: الغرورأن تحمل بالمعصية ثم تتمنى المغفرة . فالغرورهى الأمانى الباطلة بأن يتمادى فى المعصية، ويتمنى على الله تعالى المغفرة. ٥ـ قيل: الغرور: مايغر الانسان، ويدفع به إلى مواطن البلاء والشرمن شيطان أومال أوولد أو صديق أو زوج أو سلطان أوحكومة باطلة باسم الدين . . . ٦ـ عن أبى عبيدة : أى كل شيء غرّك حتى تعصى الله وتترك ماأمرك الله تعالى به فهوغرور شيطاناً كان أوغيره .

أقول: ولكل وجه بلاتناف بينها .

﴿التفسير والتاويل﴾

١-(آلم)

ان لكل كتاب سراً ، وسر الله جل وعلا في القرآن الكريم حروف التهجي وإلى ذلك أشار الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام : «ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي» .

وقال بعض المحققين من الحكماء : إن أكثر ألفاظ القرآن الكريم كسائر الالفاظ الموضوعة لبيان الحقائق الكلية مجملة ، فتطلق تارة و يراد بها الظاهر المحسوس ، واخرى يراد بها سر الكتاب وحقيقته وباطنه ، و ثالثة يراد بها سر سر الكتاب و باطن باطنه وحقيقة حقيقته وذلك لان اصول العوالم والنشآت ثلاثة : أحدها ـ الدنيا . ثانيها ـ الآخرة ، ثالثها ـ عالم الالهية لاتصل يدما سواه إليه لافي الدنيا ولافي الاخرة كالروح تطلق على روح زيد الشخصي تارة و تطلق على روح الانسانية التي يشترك فيها جميع أفراد الناس تارة اخرى ، وتطلق على الروح الالهي ثالثة .

قال الله تعالى : «ونفخت فيه من روحي»

٢- (تلك آيات الكتاب الحكيم) .

تلك آيات القرآن الحكيم : حكيم يخاطب المجتمع البشري وأفراده بما يناسب طبائعه .. حكيم ينبه الغافلين إلى تدبر آيات الله تعالى في صفحة الوجود، وتضاعيفه في السماء والارض ، في الشمس والقمر، في الليل والنهار، في الحياة

والممات ، فى الابداع والاعادة ، فى الابداء والانتهاء ، فى الرزق والسعة ، والضيق، وفى الحواس الظاهرة والباطنة ، فى البر والبحر، وفى عجز الانسان و ضعفه و فى قدرته تعالى وعلمه وحكمته فى الخلق والتدبير، وفى غناه جل وعلا عما سواه، و فى عجز ما سواه وإفتقار جميع ما عداه إلى الله تعالى .

حكيم لايتكلم بمالايعنى ولابلغو ولاباطل ، ولايطرأ عليه فساد ولاخلل و لاتناقض ولاإختلاف ، ولاتحريف ولاتبديل ، حكيم فى بيانه واسلوبه وعظاته و حدوده وأحكامه وفى معارفه وحكمه ، وفى إرشاده الانسان و المجتمع إلى طريق الحق والسعادة والخير، وإلى سبيل النجاة وصراط السوى وطريق الجنة . . .

حكيم فى وعده ووعيده ، وتبشيره وإنذاره ، وفى تنويهه وتوبيخه وتنديده . . . حكيم يبين مصارع القرون الاولى وقصص الرسل والحكماء والصالحين فيهم، وقصص الفجار والفراعنة والمستكبرين وهلاكهم منهم . . .

حكيم يبين دلائل القدرة الكاملة والعظمة الالهية فى هذا الوجود ليتذكر الانسان بما نسوه بما غفلوا عنه ، حكيم يبطل الاوهام والاباطيل و الشبهات ، و يزيلها من أذهان الضعفاء ، ويزيح شكوك المنكرين ويتمّ الحجة عليهم ، حكيم يحق الحق ويبطل الباطل ، حكيم يوضح الرسالة الحقة الالهية ، ويرفع شبهات المكذبين .

حكيم ينحصر الالوهية لله جل وعلا ، ويهدم أساس الشرك والكفر، حكيم، يتحدى من كذّبه ويعجز الجن والانس عن إيتان آية مثله ، حكيم يثبت حقيقة نفسه بنفسه ، يصدق نفسه بحيث لايمكن الانكار، حكيم يبين عاقبة الايمان وصالح الاعمال ، وتبعات الكفر وفساد الاعمال . . .

كل ذلك بأمثلة واضحة ، وإقامة براهين قاطعة حسب آحاد الناس ومجتمعهم فى طوال الاعصار، وهذا مما لابد للحكيم منه فى شئونه .

وهذا مما يمكن أن يستفاد من الايات التالية فى وصف القرآن بالحكمة:

قال الله تعالى: «ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم» آل عمران : ٥٨)
وقال : «أفغير الله أبتغى حكماً و هو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً» الانعام : ١١٤)
وقال : «كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» هود : ١)
وقال : «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً» النساء : ٨٢)
وقال : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» الحجر: ٩)
وقال : «ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة» الاسراء : ٣٩)
وقال : «وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» فصلت : ٤١-٤٢)
وقال : «فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا» الدخان :٤-٥)
وقال : «ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون» الزمر:٢٧)

٣- (هدى ورحمة للمحسنين)

ان الهداية تطلق على الدلالة على طريق الحق و الصواب ، و على طريق النجاة والسعادة سواء أوجد معها الوصول إلى البغية أم لم يوجد لقوله تعالى : «وأما ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى» فصلت : ١٧)
وقال : «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» الانسان : ٣)
وتستعمل بمعنى أخص وهو الدلالة على طريق الحق مع الوصول إليه للسعى فيه ،وان القرآن الكريم يهدى المحسنين فى عقائدهم وأقوالهم وأعمالهم، وانه يأخذ بيدهم إلى طريق الحق ، ويشرح صدورهم ويعينهم معونة خاصة تسهل عليهم الطاعات وترك المعاصى،ويبلغهم أعلى الدرجات الانسانية فى الدنيا والآخرة، و يفتح لهم أبواب المعرفة والعلم لجهادهم فيها .

قال الله تعالى: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» العنكبوت: ٦٩).

وان القرآن الكريم سبب للارتقاء بالمراتب العالية من الكمالات الانسانية والدرجات الرفيعة والنيل بالنعم الدنيوية والاخروية للذين أحسنوا لانفسهم بالعقيدة الحقة وصالح الاعمال...

قال الله تعالى: «ومن عمل صالحاً فلانفسهم يمهدون» الروم: ٤٤)

فالقرآن الكريم هو مصدر خير و بركة، مصدر هداية ورحمة للناس جميعاً لقوله تعالى: «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس» البقرة: ١٨٥) وقوله: «وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين» الانبياء: ١٠٧)

فكون القرآن هدى ورحمة للناس عامة يشهد عليه الواقع الذى ينطق بأن الرسالة المحمدية كانت فاتحة خير لاهل العالم ومبدأ عصر للعلم و النور في مشارق الارض ومغاربها...

وأما تخصيص الهداية والرحمة بالمحسنين تارة وبالمتقين تارة اخرى، و بالمؤمنين ثالثة، وبالموقنين رابعة، وبالمسلمين خامسة، و هكذا باعتبار إنتفاعهم بهذا القرآن وأعمارهم برحمته، وهم الذين أحسنوا القصد والعمل، و أخلصوا لله تعالى النية، وراقبوه مراقبة من يرى الظاهر والباطن ويسمع الخفى من الصوت والرفيع منه، فالقرآن الكريم من حيث هو هو هدى و رحمة للناس عامة، ومن حيث الاهتداء والانتفاع به هدى ورحمة للمحسنين خاصّة.

وهم الذين لايكتفون بعمل الواجب من أوامر و نواه فى حدود ضيقة بل هم الذين يبذلون كل جهدهم فى القيام بأعمال حسنة فى أوسع الحدود وأشملها، و لو تجشموا المصاعب وتحملوا الشدائد ابتغاء لوجد الله ورضائه من غير فرق فى ذلك بين الاعمال التعبدية أم الشئون الاجتماعية والانسانية.

قال الله تعالى: «انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً من الليل مايهجعون

وبالاسحارهم يستغفرون وفى أموالهم حق للسائل والمحروم» الذاريات:۱۶ـ۱۹)
وقال : «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى» لقمان : ۲۲)
وقال : «ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن» النساء: ۱۲۵)

۴ـ (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون)

ان المحسنين هم الذين يقيمون الصلاة ، دائمون عليها ، و يحافظون أوقاتها وحدودها . . . وذلك لان إقامة الصلاة هى توفية حدودها و إدامتها ، و تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ فى فرائضها وسننها وآدابها من أقام العود إذا قوّمه والدوام والمحافظة عليها كما قال الله تعالى :«الذين هم فى صلاتهم خاشعون ـ والذين هم على صلواتهم يحافظون» المؤمنون:۲ـ۹) يحافظون أوقاتها وحدودها . . .
وفى تخصيص الاقامة تنبيه على أنه تعالى لم يرد ايقاعها فقط ، و لهذا لم يأمر بالصلاة ولم يمدح بها إلّا بلفظ الاقامة نحو«أقم الصلاة» لقمان : ۱۷) و «والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكوة» النساء : ۱۶۲) و«والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة» المائدة : ۵۵)

وقال فى المنافقين المصلين فى قوله : «ولا يأتون الصلاة إلّا وهم كسالى» التوبة : ۵۴) وفى قوله : «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون» الماعون: ۴ـ۵) تنبيهاً إلى أن المصلين كثير ولكن المقيمين لها قليل .

وما اطلقت كلمة المصلي على المؤمن إلّا انها قيدت بما يفيد الاقامة كما فى سورة المؤمنون . فالمحسنون هم الذين يقيمون الصلوة وهى صلة بينهم و بين ربهم ، وهى كالسياج الذى يوجد الاتصال بالمبدإ الاعلى : إتصال العبد بمعبوده، إتصال المخلوق بخالقه ،إتصال المربوب بربه ، إتصال العاجز الفقير بالقادر المطلق والغنى المطلق ، إتصال السائل بمعطيه ، إتصال الضعيف بالقوى ، إتصال الذليل بالعزيز، إتصال المسيىء بالغافر، إتصال الجاهل بالعالم ، إتصال العجول بالحليم،

إتصال المرحوم بالرحمن ، إتصال المبتلى بالمعافى ، وإتصال المضطر بالمجيب .

وهم الذين يؤتون الزكاة التى هى علاج للمؤمنين كجماعة من الجماعات فوق انها علاج للفرد كذلك ، وهى صلة بينهم وبين الخلق .

وهم بالاخرة وما فيها من حساب وجزاء ، من جنة ونار ، ومن نعيم وحميم هم يؤقنون فان اليقين بها هو الموجب للتقوى وترك المعاصى . . . هو الموجب للصدق و أداء الامانة ، و ترك الكذب و الخيانة ، هو الموجب للعدل والاحسان ، وترك الظلم والطغيان ، وهو الموجب لطاعة الرحمن ، وترك الطاعة للشيطان .

ومن البديهى ان اليقين بالاخرة يستلزم الاعمال القلبية التى هى التزكية، وهى تطهير القلب عن الميل إلى السعادات البدنية الخارجة الشاغلة عن إحراز السعادة الباقية ، فان السعادات ثلاث : قلبية ، وبدنية ، وما حول البدن، فالقلبية هى المعارف والحكم والكمالات العلمية والعملية ، والخلقية ، و البدنية هى الصحة والقوة واللذائذ الجسمانية والشهوات الطبيعية ، وماحول البدن هى الاموال والاسباب . . . كماقال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام : «ألا ومن النعم سعة الاموال، وأفضل من صحة الاموال صحة الجسد تقوى القلب» فاليقين بالاخرة وهو تفرس القلب بالحكم والمعارف المنزلة فى الكتب السماوية والعلوم المتعلقة بالامور الدنيوية وبأحوال المعاد وامور الاخرة وحقائق علم القدس .

ولذلك قال : «وهم بالاخرة هم يوقنون» يقيناً صادراً عن علم وبحث ، و إقتناع هؤلاء الموصوفين بتلك الصفات التى تعتبر اموراً لجميع أحكام الدين ..

وليس أعمالهم أعمالاً تلقائية ، وإنما هى أعمال مرتكزة إلى عقيدة ويقين باليوم الاخر بعد الايمان بالله تعالى و برسوله و بكتابه ايماناً محققاً مستيقناً لا يتلبس به شك ولا إرتياب ، و بهذا الايمان الوثيق الذى يقوم فى ظله العمل على صفة كاملة حيث يعطيه المرء كل مشاعره ، فلا يلحقه ضعف ولا فتور ، لا تساهل ولا مسامحة . . .

فالمحسنون خاصة هم الذين ينتفعون إنتفاعاً حقيقياً بالقرآن الكريم و نوره و هداه و رحمته وخيره وبركته ، ويستمسكون بالعروة الوثقى ، وإن كان القرآن نوراً وهدى ورحمة لعامة الناس ولكنهم لاينتفعون إنتفاعاً حقيقياً به ولا يستمسكون بالعروة الوثقى .

وإلى الفريقين أشار تعالى بقوله : «هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون» الجاثية : ٢٠) وقوله : «ان الناس كانوا بآياتنا لايوقنون» النمل :٨٢) .

٥ـ (اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون)

هؤلاء الذين وصفهم الله تعالى بصفات أربع : من الاحسان والعبادة وايتاء الزكاة واليقين بالاخرة ،هم بها على هدى من ربهم ، وهم تميّزوا بتلك الصفات عن غيرهم، واولئك هم الذين ظفروا بالخير والرحمة والبركة والعزة والسعادة في الحياة الدنيا ، وبالجنة ونعيمها في الآخرة ورضوان الله تعالى أكبر من ذلك .

ان المفلحين في القرآن الكريم هم الذين جمعوا العقيدة الحقة والعمل العبادي البدني والمالي، الذين زكّوا أنفسهم ، واتبعوا نور الحق وقواشح أنفسهم وحازوا قطرى العلم والعمل ، وهم الذين الفائزون المنجحون المدركون ما رجوا وأملوا من ثواب ربهم ولهم العزة والسعادة والنجاة في الحياة الدنيا والآخرة وهم الذين ثقلت موازينهم يوم القيامة .

قال الله تعالى فيهم : «قد أفلح المؤمنون ـ اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون» المؤمنون : ١ـ١١) .

وقال : «قد أفلح من تزكى» الاعلى : ١۴) .

وقال : «قد أفلح من زكاها» الشمس : ٩) .

وقال : «واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون» الحج : ٧٧) .

وقال: «فات ذاالقربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون

وجه الله واولئك هم المفلحون» الروم : ٣٨).

وقال : «ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون» الحشر : ٩) .

وقال : «رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون» المجادلة : ٢٢) .

وقال :«فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ـ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون» الاعراف :٨ـ١٥٧).

٦ـ (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم و يتخذها هزواً اولئك لهم عذاب مهين)

وفريق من الناس من يشترى لهو الحديث ومنه الغناء ليضل المسلم عن القرآن الكريم والتدبر فيه ، وعن المعرفة بما فيه من المعارف والحكم ،و عن العمل بأوامره ونواهيه ، والاتعاظ بمواعظه ، وعن التنبه بقصص الانبياء والامم السالفة ،وليصد غير المسلم عن قبول الدعوة الحقة بغير علم ، ويتخذ آيات القرآن الكريم سخرية اولئك لهم عذاب مهين يهينهم لاهانتهم الحق جزاء وفاقاً بالاستهزاء عذاب باشتغالهم بلهو الحديث وإضلالهم الناس .

ولايخفى ان الاشتراء يستعمل فى المعاوضة المطلقة سواء كان العوضان من الاعيان أم غيرها ، وسواء كان قريناً بصيغة خاصة أم لا ، فيصدق على بذل الاموال على القصّاص والنقال للاسمار ، وعلى بذل القوى والاستعدادات والاعمار فى الاستماع إلى ما فيه من حظّ النفس والخيال دون العقل ، وعلى بذل الهداية و الايمان والمغفرة والاخرة . . . إزاء الضلالة والكفر والعذاب والدنيا . . .

قال الله تعالى : «اولئك الذين إشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة» البقرة : ١٧٥) .

وقال : «ان الذين اشتروا الكفر بالايمان» آل عمران : ١٧٧) .

وقال : «الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة» النساء : ٧٤) .

وكذلك لافرق في المسموع : الأباطيل والخرافات والقصص والاسمار و الحكايات اللاهية ، وان كل ما يشغل الانسان عن ذكر الله تعالى ، وعن الآخرة من الاقوال والافعال والاحاديث النفسية . . . فهو لهو الحديث .

فكل كلام يلهي القلب ، وكل عمل يأكل الوقت ، وكل فعل لايثمر خيراً ولايؤتي حصيلة تليق بوظيفة الانسان المتخلف في هذه الارض لعمارتها بالخير و الصلاح في كل زمان ومكان يشتريه بماله ووقته ، وبحياته فيبذل تلك الأثمان الغالية في لهو رخيص يفني فيه عمره المحدود الذى لايعاد ولايعود يشترى هذا اللهو .

ليصد الناس عن الدخول في الاسلام ، و إستماع القرآن الكريم فيثبتوا على ضلالتهم التى كانوا عليها،وانه أيضاً كان على ضلاله ويزيد فيه ، وليضل المسلمين عن دين الاسلام والقرآن ، وعن قراءة القرآن وإستماعه ، وعن التفكر والتدبر فيه وعن العمل به كما يفعلون اليوم بما يصدون الناس عن الحقائق والمعارف الحقة . . .

جهلاً من هذا المشترى السفيه بما عليه من الوزر، وبغير بصيرة حيث يشترى الباطل بالحق ، والشقاء بالسعادة ، والذلة بالعزة ، والفساد بالصلاح والشر بالخير . . . فلوكان له بصيرة لما فعل ذلك حتى يلوّث أذيال الناس بلوث المعاصي ، ويفسدهم ، فالغناء وما إليها ليس ضررها على مشتريها ولاهيها فقط، وإنما لها فساد إجتماعي يفسد بها المجتمع البشرى .

ويتخذ آيات الله هزواً وسخرية .

قال الله تعالى : «وإذا علم من آياتنا شيئاً إتخذها هزواً» الجاثية : ٩)

٧- (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم)

وإذا تتلى على ذاك المشترى للهو الحديث الايات القرآنية أعرض عن

الايمان بها وإستماعها وعن التدبر فيها ، مستكبراً رافعاً نفسه عن الاصغاء إليها، ولحب الجاه والاخلاق الرذيلة من الحسد والعناد ، والجهل واللجاج ، و الغفلة والفساد ، مبالغاً في التكبر، حالكونه كأن لم يسمع تلك الايات النازلة المتلوة أصلاً ، كأنه أحدث في اذنيه ـ بسبب التكبر والاصرار في الكفر والطغيان ـ ثقلاً ثقيلاوصمماً مانعاً من سماع الايات الكريمة ، من سماع الدعوة الحقة ومن إجابتها بحيث لو تليت عليه ألف مرة ، فازداد إشتياقه إلى الكفروالفساد، و إلى الضلالة والطغيان . . .قال الله تعالى: «يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها» الجاثية : ٨) فبشّر أيها الرسول ﷺ هـذاالمستكبر العنيـد بعذاب مولم موجع يبتلى بهلامحالة . وهذا هودأب المستكبرين المستبدين في كل وقت ومكان . . .لكفرهم باليوم الاخر، والغفلة عنه ولاستبدادهم واستكبارهم.

قال الله تعالى فيهم :«والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك أصحاب النارهم فيها خالدون ـ ان الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتّح لهم أبواب السماءولايدخلون الجنةحتى يلج الجمل في سمّ الخياط»الاعراف:٣٦ـ٤٠)

وقال : «فالذين لايؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون» النحل : ٢٢)

وقال : «وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر» الحج : ٧٢)

وقال : «وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة أونرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً» الفرقان : ٢١)

وقال : «وإذا ذكرالله وحده إشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالاخرة وإذا ذكرالذين من دونه إذا يستبشرون» الزمر: ٤٥)

وقال: «والذين لايؤمنون في آذانهم وقروهوعليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد» فصلت : ٤٤)

٨ـ (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) .

ان الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله ، وبكتابه وباليوم الاخر ، وعملوا أعمالاً صالحة، وأتمروا بما امروا به ، وانتهوا عما نهوا عنه وأصلحوا واعتصموا بالله تعالى وأخلصوا دينهم لله جل وعلا ، لهم جنات النعيم ، يتنعمون فيها بأنواع اللذات والمسار من الازواج والمآكل والمشارب والملابس و ما إليها مما لم يخطر ببال أحد ، ولا رأته عين .

قال الله تعالى: «اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لافيها غول ولاهم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون» الصافات : ٤١ـ٤٩).

٩ـ (خالدين فيها وعدالله حقاً وهو العزيز الحكيم) .

خالدون هؤلاء المؤمنين ماكثين في جنات النعيم دائمين فيها ، وعدهم الله تعالى هذا وعداً حقاً لاخلف فيه ، والله تعالى هو العزيز الذي لايغلب فيما أراد من ثواب المؤمنين بالجنة ونعيمها ، وعقاب الكافرين بالنار وعذابها ، و شديد في إنتقامه من أهل الكفر و العصيان ، ورحيم في جزاء أهل الطاعة و الايمان ، فلا يغلبه شيء ، ولايمنعه من إنجاز وعده ووعيده ، وهو الحكيم الذي لايفعل إلاّ بحكمة مطلقة و إتقان ، فلا يجازي أحداً إلاّ ما اقتضته حكمته و عدله ، كما أنه حكيم في خلقه وتدبيره .

قال الله تعالى : «ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً» الكهف : ٢ـ٣) .

وقال : «والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً وعدالله حقاً و من أصدق من الله قيلاً» النساء: ١٢٢) .

وقال حكاية عن نوح عليه‌السلام : «وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين» هود : ٤٥) .

وقال : «لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار وعدالله لايخلف الله الميعاد» الزمر : ٢٠)

وقال : «سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم» الانعام : ١٣٩) .

وقال : «والمؤمنون والمؤمنات ـ اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم» التوبة :٧١) .

١٠ـ (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم و بث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم).

ومن آثار الحكمة المطلقة الالهية انه جل وعلا خلق السموات بغير عمد ترونها ، فلها عمد غير مرئية ، وهي إمساكها بـأمره تعالى وأنتم عـاجزون عن إدراكها ولاتقدرون على رؤيتها ، بل ولكل عماد غير مرئي .

قال الله تعالى : «الله الذى خلق سبع سموات» الطلاق : ١٢) .

وقال : «ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً» نوح : ١٥) .

وقال : «الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش» الرعد : ٢) .

وقال «ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا باذنه» الحج : ٦٥) .

وقال : «ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره» الروم : ٢٥) .

وقال : «ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا و لئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليماً غفوراً» فاطر : ٤١) .

وقوله تعالى: «وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم» وجعل الله جل وعلا فوق الارض جبالاً شامخات ، أوتاداً لها ، ولئلا تميد بكم الارض ، فلا تتحرك يمنة ويسرة ، ولا تضطرب بكم ولكن تستقر بكم ، وإن كان لها حركة بحركتها .

قال الله تعالى : «وجعل فيها رواسي من فوقها» فصلت : ١٠) .

وقل : «ألم نجعل الارض كفاتاً ـ وجعلنا فيها رواسي شامخات» المرسلات:

٢٥ ـ ٢٧) .

وقال : «ألم نجعل الارض مهاداً والجبال أوتاداً» النباء : ٦ـ٧) .

وقال : «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذى أتقن كل شيء» النمل : ٨٨) .

وقوله تعالى : «وبثّ فيها من كل دابة» ومن الايات الدالة على وحدانية الله تعالى وحكمته في خلقه وتدبيره انه نشر وفرّق في الارض من كل دابة من أنواع الدواب . . . فمنها تدبّ على وجه الارض، ومنها تدبّ في بطنها .

قال الله تعالى : «ومن آياته خلق السموات والارض وما بثّ فيهما من دابة و هو على جمعهم إذا يشاء قدير» الشورى : ٢٩) .

وقال : «وفي خلقكم وما يبثّ من دابة آيات لقوم يوقنون» الجاثية:٤) .

وقوله تعالى: « وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم» و أنزلنا من السماء مطراً ، فانبتنا بذلك المطر في الارض من كل نوع من أنواع النبات لها منافع وفوائد كثيرة للناس وللدواب . . .

قال الله تعالى : «وينزّل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء» النور : ٤٣) .

وقال: «وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً» الانعام : ٩٩) .

وقال : «وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا و ارعوا أنعامكم ان في ذلك لايات لاولى النهى» طه : ٥٣ـ٥٤) .

١١ـ (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين)

هذا الذى ذكرناه مما تعاينون من السموات والارض والجبال والدواب و إنزال الماء و إنبات النبات المتزوجة . . . خلق الله تعالى من غير شريك له في

خلقها، فأروني أيها المشركون، وأخبروني ماذا خلق آلهتكم غير الله من الاصنام والاوثان التي تعبدونها وتجعلونها شركاء لله سبحانه في العبادة والعبودية والتدبير، وغير الله لا يقدر على خلق ذباب وإن كان بعضهم بعضاً ظهيراً فكيف تلك الهيا كل المنحوتة الجامدة، والهيئات المزخرفة، بل الذين ظلموا بما أشركوا بالله شيئاً في خسران ظاهر، وجدير أن يكونوا في حيرة وتيه لا يقلعون عنه أبداً.

قال الله تعالى: «قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات» فاطر: ٤٠).

وقال: «واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئاً وهم يخلقون و لايملكون لانفسهم ضراً ولانفعاً ولايملكون موتاً ولاحياة ولانشوراً» الفرقان: ٣).

وقال: «ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا وإن يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب» الحج: ٧٣).

وقال: «أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم» الرعد: ١٦)

وقال: «اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً» الكهف: ١٥).

وقال: «فمن أظلم ممن إفترى على الله كذباً ليضلّ الناس بغير علم ان الله لايهدى القوم الظالمين» الانعام: ١٤٤).

١٢- (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد).

ولقد آتينا لقمان الحكمة وهي نعمة إلهية، وخير كثير، قد تحلى بها أنبياء الله ورسله وأولياءه، وقد قال الله جل وعلا في شأنها وجلال قدرها:

«فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً» النساء: ٥٤).

وقال: «واذكروا نعمت الله عليكم وماانزل عليكم من الكتاب و الحكمة

يعظكم به ـ يؤتى الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً و ما يذ ّكّر إلاّ اولوا الالباب» البقرة : ٢٣١ـ ٢٦٩) .

قلناله : أن اشكر لله تعالى على ما أعطاك من الحكمة ، ومن يشكر الله جل وعلا على ما أنعمه ، فانما يشكر لنفسه لان منافع الشكر كلها يعود إلى الشاكر ، فان الشكر يوجب مزيد النعمة ودوامها للشاكر ، وهو عبادة لها ثواب يعود إليه ، وغيرها من المنافع والآثار . . . ورضوان الله أكبر من ذلك .

قال الله تعالى : «لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد» ابراهيم : ٧) .

وقال : «وان تشكروا يرضاه لكم» الزمر : ٧) .

وقال : «فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون» النحل: ١١٤) .

وقال: «نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر» القمر : ٣٥) .

ومن كفر نعمة الله تعالى وخالف أحكامه وأوامره ، وأنكر التوحيد وحق نعمه ، فان الله تعالى غنى عنكم وعن العالمين ، فلا حاجة له جل وعلا إلى شكر شاكر ، ولا إلى حمد حامد ، ولا إلى عبادة عبد ، فانه الغنى المطلق و حميد فى ذاته وصفاته ، حميد فى صنعه وفعاله ، ومحمود فى أرضه وسمائه ، وله الحمد فى الاولى والاخرة سواء حمدنا له أم نكفره ، وما سواه فقراء إليه جلا وعلا .

قال الله تعالى : «ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر» الزمر : ٧) .

و قال : «إن تكفروا أنتم و من فى الارض جميعاً فان الله لغنى حميد» ابراهيم : ٨) .

وقال : «وربك الغنى ذو الرحمة» الانعام ١٣٣) و قال : «ومن كفر فان الله

غنى عن العالمين» آل عمران : ٩٨) .

و قـال : « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلـى الله والله هـو الغنى الحميد » فاطر : ١٥) .

وقال : «وإن من شيء إلاّ يسبح بحمده» الاسراء : ٤٤) .

وقال :«وهو الله لاإله إلاّ هو له الحمد فى الاولى والاخرة وله الحكم وإليه ترجعون» القصص : ٧٠) .

١٣ـ (واذقال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) .

و اذكر يا محمد قصّة لقمان إذكان يعظ إبنه ويذكّره و يقول لهمشفقاً : يابنى لا تشرك بالله شيئاً ، إن الشرك بالله سبحانه لظلم عظيم على الله جل وعلا، وانه خلاف العدل .

أوليست التسوية بين الكفر والايمان ، بين النور والظلمة ، بين الضلالة والهدى بين العالم والجاهل ، بين المحسن والمسيىء ، بين الاعمى والبصير ،بين المطيع والطاغى ، بين الظالم والعادل ، بين الفاضل والمفضول ، وبين المصلحو والمصلح والمفسد ظلماً وجوراً ؟!

فكيف التسوية بين الخـالق والمخلوق ، بين الغنى المطلق،والفقير المطلق، بين العبد ومولاه ، بين الـرازق و المرزوق ، بين القـادر المطلق ، و العـاجز المطلق ؟؟؟

قال الله تعالى: «ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصّل الايات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءكم بغير علم » الروم :٢٨ـ٢٩)

وقال : «قل أفاتخذتم من دونه أولياء لايملكون لانفسهم نفعاً ولاضراًقل هل هـل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء

خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم» الرعد : ١٦) .

وقال: «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يتذكراولوا الالباب» الزمر : ٩) .

١٤- (ووصيناالانسان بوالديه حملته امه وهناً على وهن وفصاله في عامين ان اشكرلي ولوالديك الى المصير) .

ووصينا الانسان توصية مؤكدة أن يحسن بوالديه إذحملته امه فى بطنها وأحبلت به ، فتجد فى نفسها بسبب الحمل ضعفا فوق ضعف ، وشدة بعد شدة يوماً فيومــاً حتى تضع حملها ، ثم ترضعه إلى حين فصاله من الرضاع فى عامين من ولادته إلى الانقطاع .

أن اشكر أيها الانسان لي على نعمي عليك مالايحصى بالايمان وصالح الاعمال ، واشكر لوالديك بمعرفة حقهما والاحسان بهما ، لانهما سببا وجودك وإحســان تربيتك ، ومالاقاه من المشقة والأذى حتى إستحكمت قواك . . .

إليّ مصيرك أيها الانسان ، وعليّ حسابك وجزاؤك ، فاحاسب كلاً بما عملوا من شكر أو كفران ، من طاعة أو معصية ، ومن إحسان أو إساءة . . .

قال الله تعالى : «ووصينا الانسان بوالديه إحساناً حملته امه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده و بلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت إليك وانى من المسلمين» الاحقاف:١٥) .

وقال: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما افّ ولاتنهرهما وقل لهما قولاً كريماً و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهمــا كما ربيانى صغيراً ربكم أعلم بمــا فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فــانه كان لــلاوابين غفوراً» الاسراء : ٢٣ ـ ٢٥) .

١٥ـ (و ان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما و صاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون) .

وإن جاهدأبواك أيها الانسان ونازعاك وأصرا وبذلا جهدهما على أن تشرك بى في الوجود أوفي الخلق والتدبير أو في العبادة ، ماليس لك به علم ، ولم يقم على الشرك دليل وبرهان ولاحجة توافق الواقع ، وأما دليل التوحيد فهو الفطرة التى فطر الناس عليها ، فلا تطعهما تقليداً لهما في الاشراك إذ لاطاعة للمخلوق في معصية الخالق .

قال الله تعالى : «قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغنى له ما في السموات وما في الارض إن عندكم من سلطان بهذا» يونس : ٦٨)

وقال : «ماتعبدون من دونه إلّا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان» يوسف: ٤٠) وقال :«ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطاناً وماليس لهم به علم» الحج : ٧١)

وقال : «انكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطاناً» الانعام : ٨١)

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم لقومه : «ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين» الانبياء : ٥٢ـ٥٣)

وقال : «فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم» الروم :٣٠)

فاذا لايجوز أن يطيع الانسان أبويك في الاشراك والعصيان مع أنهما تلو البارى تعالى في إستحقاق التعظيم والشكر، فما ظنك بغيرهما في إطاعتك إياه في الشرك ؟!

وقوله تعالى : «وصاحبهما في الدنيا معروفاً» ولكن مع ذلك كله صاحب أبويك وعاشر معهما في الامور الدنيوية صحبة يرتضيها الدين ، صحبة محمودة من

الابناء للآباء من البر والصلة، والاحسان وعدم الجفاء وما إليهما مما يقتضيه العقل والمرؤة.

وقوله تعالى: «واتبع سبيل من أناب إليّ» واتبع أيها الانسان في الدين والعقيدة سبيل من أناب إليّ بالتوحيد والايمان، والاخلاص في الطاعة، وسلك سبيلي، واتجه إليّ بقلبه، وأقبل إليّ بعبادته وصالح عمله، وهذا سبيل الانبياء والمرسلين، وسبيل الصلحاء والمؤمنين.

قال الله تعالى: «اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ـ وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون» الانعام: ٩٠ـ١٥٣)

وقال: «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» يوسف:١٠٨)

وقال: «قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي فما لكم إلّا أن يهدي كيف تحكمون» يونس:٣٥)

وقوله تعالى: «ثم إليّ مرجعكم ..الخ» ثم إلى حكمي مرجعكم في الاخرة: مرجعك أيها الانسان، ومرجع والديك، فاخبركم بما كنتم تعملونه في الحياة الدنيا من الايمان والطاعة، أو الشرك والمعصية، من الخير والصلاح، أو الشر والفساد، ومن العدل والاحسان، أو الجور والطغيان...

قال الله تعالى: «إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون» المائدة: ٤٨)

وقال: «يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد» المجادلة: ٦)

١٦ ـ(يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير)

قال لقمان لابنه مشفقاً عليه: يا بني إن أفعال الانسان خيرها وشرها، صالحها وطالحها، إن تك تلك الافعال مثقال حبة من خردل، فتكن في جوف أيّ صخرة

من الصخور أو تكن تلك الافعال في السموات أو في الارض يأت بها الله تعالى، و يحاسب عليها ، إذ لا يخفى على الله جل وعلا خافية ، ولا يتعذر عليه الاتيان بها في أي موضع كانت ، فانه تعالى يعلم مقاصد الانسان وأفعاله وأقواله ، ويحضرها يوم القيامة حين يضع الموازين القسط ويجازي عليها ، إن خيراً فخيراً وان شراً فشراً.

قال الله تعالى : «ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً» الكهف : ٤٩)

وقال : «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها و كفى بنا حاسبين» الانبياء : ٤٧)

وقال : «يومئذ تحدث أخبارها بان ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» الزلزال : ٥-٨)

قوله تعالى: «ان الله لطيف خبير» : نافذ علمه جل وعلا في أعماق الاشياء كلها ، ويصل إلى كل خفي ، عالم بكنه الموجودات كلها . . .

حيث ان الحبة من الخردل وأقل منها آلاف وآلاف في الصغر قد وضعت في موضع بحساب ونظام ، فان للذرات أوزاناً في العناصر لا تدع صغيراً ولا كبيراً إلا أحاطت به ، والصغر الذي لا يراه الناس وجيء به يضعونه في موضعه من الجدول لدقة الحساب ، فاذا كان هذا فعل اليوم من أهل الارض ، وقد هداهم النظام الالهي في الذرات فما بالك بمن حسب ذلك ونظمه قبل خلقهم ، ولذلك قال : «ان الله لطيف خبير» لانه عالم بكنه كل شيء ومحيط به .

قال الله تعالى : «ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء - قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض» آل عمران : ٥-٢٩)

وقال : «ألا انه بكل شيء محيط» فصلت : ٥٤)

وقال : «وان الله قد أحاط بكل شيء علماً» الطلاق : ١٢)

وقال : «والله من ورائهم محيط» البروج : ٢٠)

١٧- (يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور)

قال لقمان لابنه مشفقاً عليه : يابني أقم الصلاة بحدودها وشرائطها لما فيها من كمال نفسك و صفائها ، و من صلاحها وفلاحها ، وانها عمود الدين، وهي التي تنهاك عن الفحشاء و المنكر، و تأمرك بالعدل و الاحسان ، فاذا كملت نفسك وائتمرت بما امرت به ، وإنتهيت عما نهيت عنه فجاهد في كمال المجتمع البشري ، وأمره بالمعروف من طاعة الله تعالى،وإتباع أوامره والعدل والاحسان، وانهه عن المنكر من معاصي الله جل وعلا ونواهيه ، وعن كل ما هو متعارف على أنه شر وضار وخبيث عقلاً وشرعاً ، إذ فيهما كمال المجتمع ، فلابد من تقديم كمال النفس الآمرة الناهية على تكميل الغير،فعلى دعاة الدين الائتمار بأ وامر الله تعالى، والا نتهاء عن نواهيه قبل الدعوة ولابد للمرجع الديني أن يكون مرجعاً عملياً قبل أن يكون مرجعاً دينياً كما يشير إلى ذلك آيات كثيرة وروايات صحيحة وخاصة التوقيع الشريف.

قال الله تعالى: «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ـ والذين هم على صلواتهم يحافظون» المؤمنون :١-٩)

وقال : «التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين» التوبة : ١١٢)

وقال : «ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ـ يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين» آل عمران: ١٠٤-١١٤)

وقال : «وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» العنكبوت.٤٥)

وقال : «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون» البقرة : ٤٣ـ٤٤) .

واصبر يا بني على ما أصابك من الأذى والمشاق في طريق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ان ذلك الامور الاربعة: من إقامة الصلاة و الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصبر على الاذى والمشاق من مهام الامور الواجبة التي تدور عليها سائر الامور الدينية. . . لما في تلك الامور من الدلالة على قدرة النفس والخلق والعزيمة ماليس في غيرها ، وكانت عليها الانبياء والمرسلون ودعاة الدين الحق .

قال الله تعالى: «واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين» البقرة : ٤٥) .

وقال : «وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور» آل عمران :١٨٦).

وقال: «ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون» إبراهيم : ١٢) .

١٨ـ (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور) .

ولا تمل يا بني صفحة وجهك من الناس تعالياً تكبراً عليهم ، ولا تعرض عمن يكلمك إستخفافاً بهم وتحقيراً لهم كما يفعله المتكبرون ، ولا تمش يا بني فوق الارض بالعظمة والتجبر معجباً لنفسك وعوارضها . . .

لان الله تعالى لا يحب كل من يمشي متمايلاً منتفخاً بالكبر والزهو ،فخور على الناس بنفسه وقوته وماله وعدده من الاعراض الزائلة الدنيوية ... و هذا دأب المتجبرين المستكبرين في كل وقت ومكان . . .

قال الله تعالى : «ولا تمش في الارض مرحاً انك لن تخرق الارض ولن تبلغ

تبلغ الجبال طولاً كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً» الاسراء : ٣٧- ٣٨).

وقال : «ولاتفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور» الحديد :٢٣).

وقال : «ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق و بما كنتم تمرحون» غافر : ٧٥) .

وقال : «ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما انمفاتحه لتنوا بالعصبة اولى القوة إذقال له قومه لاتفرح ان الله لايحب الفرحين» القصص : ٧٦) .

١٩- (واقصدفي مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير)

واجعل يا بني مشيك في الناس معتدلاً بين الدبيب والاسراع ، وتواضع فيه على وجه السكينة والوقار بلاتصنع ولامراءاة للخلق باظهار التواضع أوالتكبر بل امش هوناً ، وهذا مما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون في مشيهم .

قال الله تعالى: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً وإذاخاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً» الفرقان : ٦٣).

واخفض يابني صوتك ولاتجهره في كل حال إلاّ لضرورة ، فان الجهر بأكثر من حاجة تكلف يؤذي الناس ، مع أن خفض الصوت من غير حاجة إلى رفعه أوقر للمتكلم وابسط لنفس السامع وفهمه ان الصياح في وجوه الناس منهي عنه، سواءكان تهاوناً بهم كماان هذاهو دأب المستبدين المستكبرين، أم كان تفاخراً بجهارة الاصوات الجهيرة ، وهذا هو دأب العرب الجاهلية وقد أشار تعالى إليه بقوله:«ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون» الحجرات : ٤) .

ان أقبح الاصوات وأوحشها وأبشعها لصوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق، جعل الله تعالى الجاهرين بالاصوات والحمار في المثل سواء .

٢٠- (ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة و من الناس من يجادل في الله بغير علم و لاهدى و لا

كتاب منير)

ألم تروا أيها الناس ان الله جل وعلا سخّر لكم ما في السموات من الشمس والقمر والكواكب والنجوم و السحاب والرياح ـ . . ان في ذلك لايات لمن يعقل .

قال الله تعالى : «والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق و الامر تبارك الله رب العالمين» الاعراف : ٥٤) .

وقال : «وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبّر الامر يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون» الرعد : ٢)

وقال : «وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ـ ألم يروا إلى الطير مسخرات في جوّ السماء ما يمسكهن إلّا الله إن في ذلك لايات لقوم يؤمنون» النحل : ١٢ـ٧٩)

وقوله تعالى : «وما في الارض» وألم تروا أيها الناس ان الله تعالى سخر لكم ما في الارض من الدواب والاشجار والانهار والجبال والبحار والفلك وما اليها كلها تجري لمنافعكم ومصالحكم لتمتعوا وتنتفعوا بها في حياتكم وأنتم تتصرفون حسب ما تريدون لعلكم تشكرون ، وفي ذلك لايات لقوم يتفكرن .

قال الله تعالى : «وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار» ابراهيم : ٣٢)

وقال : «وهو الذي سخّر البحر لتاكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حليةً تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» النحل : ١٤)

وقال : «ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بأمره» الحج : ٦٥)

وقال : «الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره و لتبتغوا من

فضله ولعلكم تشكرون وسخّر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه إن في ذلك لايات لقوم يتفكرون» الجاثية : ١٢ـ١٣)

وقوله تعالى : «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» وأفاض الله تعالى عليكم أيها الناس نعمه التي لاتحصى ، وأوسع لكم وأتمها عليكم ظاهرة منها و باطنة مما فيه سعادتكم وخيركم وصلاحكم في الدارين سواء تدرك تلك النعم الالهية المحيطة بكم بالحواس الظاهرة أم بالقوى الباطنة ، وسواء كانت متصلة بكم من الهداية والايمان، والولاية لأهل بيت النبوة، والمعرفة بأهل الحق والعلم والعمل، والاخوة الدينية والنصرة على الاعداء وفعل الخيرات وتوفيق العبادات والطاعات . . . و الامن والصحة والقوة . . . . أم كانت منفصلة عنكم من الازواج والاولاد والاموال والاصدقاء . . . وما إليها مما يقع تحت مشاهدتكم الحسية و ترون آثارها في أنفسكم وما يحيط بهم ومما يكفل بكم السلام والرخاء . . . وغيرها مالايتمكن أحد أن يحصاه أنعمه الله جل وعلا الانسان لينتفع بها ويسعى بها في خيره وصلاحه، وفي سعادته ونجاته في الدارين .

قال الله تعالى : «ألم نجعل له عنيين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين» البلد : ٨ـ١٠)

وقال : «ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً» الفتح : ٢)

وقال : «ولكن الله حبب إليكم الايمان و زينه في قلوبكم و كرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ـ قل لاتمنوا عليّ اسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان» الحجرات : ٨ـ١٧)

وقال :«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ـ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذهمّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفّ أيديهم عنكم» المائدة : ٣ـ١١)

وقال : «واذكروا نعمةالله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به» البقرة : ٢٣١)

وقال : «واذكروا نعمةالله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها» آل عمران :١٠٣)

وقال : «والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون» النحل :٨١)

وقال : «ياأيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لاإله إلّا هو فأنى تؤفكون» فاطر: ٣)

وقال : «قال رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين» القصص:١٧)

وقال : «وآتاكم من كل ما سئلتموه وان تعدو انعمت الله لاتحصوها» إبراهيم : ٣٤)

وقال : «والانعام خلقها لكم ـ وإن تعدوا نعمةالله لاتحصوها ان الله لغفور رحيم» النحل: ٥ـ١٨)

ولايخفى ان النعمة : كل ما ينتفع به الانسان وتحمد عاقبته ، ويقصد به الاحسان عرفها الانسان أم لم يعرفها بعد إذ كم لله تعالى من نعمة لم يعرفها الانسان بعد ، والعلم دائماً يكشف عن نعم كانت مجهولة من قبل ، ولا نعمة أنعمها الله على الانسان إلّا ، وقد قصد بها الاحسان عليه لانه جل وعلا لن يفعل شيئاً إلّا لحكمة وغاية ، ولاشيء مما يفعله يعود نفعه إليه سبحانه ، فانه الغنى المطلق، الحميد بالذات ، فاذا كان كذلك ، فليست هناك حكمة في ايصال النعمة و خلقها إلّا منفعة الانسان فضلاً منه تعالى عليه .

فان الله تعالى لايذر شيئاً في هذا الوجود بلامنفعة حيث ان تلك القاذورات والمنيات التي يأنف منها الناس هي التي مدار حياتنا وثروتنا فان الزرع لايجود

ولايحسن أحسن ثمر إلّا إذا أسمد ، وخير السماد ماكان فى جوف الحيوان مما يخرج من الانسان والحيوان ، وهذه النطفة النجسة المهينة التى تمنى فى الارحام هى التى تبدأبها حياتنا . . .

وقوله تعالى : «ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولاهدى و لا كتاب منير» وفريق من الناس فى كل وقت ومكان من يجادل فى توحيد الله تعالى و صفاته ، وفى أحكامه وأنبياءه ، وفى قضاءه وقدره . . . بغير علم يستند إلى دليل عقلى صحيح ، ولاهدى راجع إلى رسول صادق ، ولا كتاب منير أنزله الله تعالى، بل كل ذلك بتقليد منهم عن آباءهم الضالين و إتباع عن أهوائهم وعن الشياطين . . . من غير نظر فيه وتدبر ليعلموا الحق والباطل ، الصحة والفساد ، و الحسن و القبيح ... الهداية والضلالة ، والخير والشر ، والسعادة والشقاء وليميّزوا موارد الهلاك من موارد النجاة .

قال الله تعالى : «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ـ وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلّا يخرصون أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به متمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على آثارهم مهتدون» الزخرف : ١٩ـ٢٢)

وقال : «قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه» فاطر:٤٠)

وقال : «وقالوا ماهى إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلّا يظنون وإذاتتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلّا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين» الجاثية ٢٤ـ٢٥)

وقال : «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك إذاً قسمة ضيزى إن هى إلّا أسماء سميتموها أنتم وآباءكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلّا الظن وما تهوى الانفس» النجم:١٩ـ٢٣)

وقال : «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ـ ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ـ ويعبدون من دون الله مالم ينزّل به سلطاناً وماليس لهم به علم» الحج : ٣ و ٨ و ٧١)

وقال : «قالوا اتخذ الله ولداً مالهم به من علم ولالآبائهم ـ ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما انذروا هزواً» الكهف: ٥ـ٥٦)

وقال : « أتجادلونني في أسماءٍ سميتموها أنتم وآباءكم مانزّل الله بها من سلطان» الاعراف : ٧١)

وقال : «وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين و بنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ـ وإن كثيراً ليضلّون بأهوائهم بغير علم ـ وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم انكم لمشركون» الانعام : ١٠٠ـ١٢١)

٢١ـ (و اذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) .

وإذا قيل لهؤلاءِ المجادلين في الله جل وعلا ـ بعد ظهور الادلة القاطعة على وحدانية الله تعالى وعظمته وحكمته في خلقه وتدبيره فـي أمره ـ عن جهل ، و إتباع الاهواءِ والشياطين: إتبعوا ما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ من القرآن الكريم ، وما فيه من المعارف والحكم والحقائق والاحكام والحدود كلها طريق كمال للانسان والمجتمع البشرى، طريق نجاة من ذلة الدنيا ، ومن عذاب الاخرة، طريق السعادة والعزة ، وطريق صلاح وخير وسيادة . . .

قال هؤلاءِ الجهال ، ومردة الشياطين : لانتبع مـا أنزل على محمد ﷺ بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا من العقائد . . . أيتبع هؤلاءِ المردة آباءهم في العقائد ولو كان الشيطان يدعوهم بهذا التقليد الاعمى والمتابعة الحمقاء ، وترك البراهين الواضحة إلى النار التي تتسعر وتلتهب وهم فيها معذبون .

وهذا دأب الضالين فى طول الاعصار ، وهم لايريدون الاهتداء ، فاذادعاهم شياطين الجن والانس إلى الأباطيل والاوهام والجدال فى‌الله سبحانه وفى‌الوحى السماوى ، فهم يفتحون باب الاستجابة على مصراعيه ، ويستجيبون لهم‌ويقتفون آثارهم من غير تدبر ونظر فيما استجابوا ، وهذا هوالتقليد الاعمى والمتابعة الحمقاء التى يسلّم فيها المرء وجوده كله لغيره دون أن يجعل لعقله‌حق‌النظر والاختيار ، وحق التدبر والسئوال عن صحة تلك العقائد و التقولات. . .

قال الله تعالى : «وإذا قيل لهم إتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه‌آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون» البقرة : ١٧٠) .

وقال : «وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعدالحق ووعدتكم فاخلفتكم‌وماكان‌لى عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لى فلاتلومونى ولوموا أنفسكم» ابراهيم : ٢٢) .

وقال : «فان لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم» القصص:٥٠).

وقال : «ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً وإنما يدعوا حزبه‌ليكونوا من أصحاب السعير» فاطر : ٦) .

وقال:«وقالوا لو كنانسمع‌أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير» الملك:١٠).

٢٢- (ومن يسلم وجهه الى‌الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى‌الله عاقبة الامور) .

و من ينقاد نفسه‌وذاته لله فى أوامره ونواهيه ، ويخلص دينه لله جل وعلا ويقبل على طاعته ، ويقصدفى أفعاله التقرب إليه ، ويفوّض أمره كله إليه ،ويقبل بكليته عليه سبحانه ، حال‌كونه محسناً فى أفعاله ، فيأتى على‌وجهها اللائق ، و يفعلها على‌موجب العلم والمعرفة ، ومقتضى الشرع ، ويحذر منهاته ، ويسير فى الاسباب التى‌سنها الله تعالى فى الكون ،وربط بها مسبباتها مراقباً فى ذلك كله وجه‌الله تعالى ، وهذا هو المحسن فى‌الحقيقة ، فقد تعلق بالعروة الوثيقة التى لا

يخشى إنفصامها ، تعلق بأقوى طرف من أطراف حبل النجاة ، فلاينقطع به الحبل ولايتردى بالهاوية .

و إلى الله جل وعلا ترجع أواخر اموره على وجه لايكون لاحد التصرف فيها بالامر و النهي ، وله عندالله تعالى ثواب الاعمال وجزائها .

قال الله تعـالى : «بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم و لاهم يحزنون ـ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة لاانفصام لها والله سميع عليم » البقرة :١١٢ ـ ٢٥٦) .

وقال : «ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً ـ واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً» النساء : ١٢٥ـ١٤٦) .

٢٣ـ (ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور) .

ومن كفر من الناس فعليه كفره ، فلا يحزنك أيها الـرسول ﷺ كفر الكافرين ، ولاتدهب نفسك عليهم حسرة ، إلينا مرجعهم ، فنخبرهم بماعملوا في الحياة الدنيا من العقائد الباطلة والاعمال الفاسدة ، ان الله جل وعـلا عليم بذات الصدور ، وبما تنطوى عليه قلوبهم من عقيدة باطلة و سوء نية ، فيجازيهم عليها فضلاً عمـا في الظاهر ، ويردهم مقهورين إلـى العذاب الغليظ فـي أمد طويل لانهاية له .

قال الله تعالى: «فمن كفر فعليه كفره» فاطر : ٣٩) .

وقال :«واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لايستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرّون وما يعلنون» يس :٧٤ـ٧٦)

و قال :«قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لايكذّبونك» الانعام:٣٣).

وقال : «ولايحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئاً» آل

عمران : ١٧٦) .

وقال : «وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون» القصص :٦٩) .

وقال : «فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ» فصلت : ٥٠)

٢٤- (نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) .

نمتع هؤلاء الكافرين في الحياة الدنيا متاعاً قليلاً ونبقيهم فيها مدة قليلة يتمتعون بها ، فيأكلون كالانعام ، ثم نلجئهم ونسوقهم في الاخرة إلى عذاب النار، يغلظ عليهم ويصعب لايجدون عنه محيصاً ، وليس لهم في العذاب إختيار، ولا لهم منه فرار.

قال الله تعالى : «ومن كفر فامتعه قليلاً ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير» البقرة : ١٢٦)

وقال : «لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد» آل عمران : ١٩٦-١٩٧)

وقال : «والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام و النار مثوى لهم» محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ١٢)

وقال : «ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً» مريم : ٨٦)

وقال : «وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً» الزمر:٧١)

وقال : «اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً» النساء : ١٢١)

٢٥- (ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون) .

واقسم بالله جل وعلا أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إن سئلت هؤلاء المشركين من خلق السموات والارض ؟ ليقولن الله تعالى وحده خلقهما وخلق ما فيهما وبينهما للايات الآفاقية والانفسية الدالة على وحدانية خالقها ، وهم لايستطيعون إنكارها

قل يا محمد : الحمدلله على ظهور الحجة الداخلة من فطرة التوحيد ، والحجة الخارجة من الآيات الكونية عليهم بالتوحيد .

نعم ان المشركين يعترفون بوحدانية خالق السموات والارض ، ولكن أكثرهم لايعلمون فيما يقعون فيه من التناقض ،حيث انهم يعترفون بها ثم يشركون به سبحانه جهلاً وحمقاً إتباعاً وتقليداً من آباءهم ، وقليل منهم يعترفون بها ثم يقفون من الدعوة إليه وحده ومن رسوله ﷺ موقفهم العنيد العجيب إتباعاً لأهوائهم . . .

قال الله تعالى : «ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض وسخّر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ـ ولئن سئلتهم من نزّل من السماء ماء فأحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمدلله بل أكثرهم لايعقلون ـ فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجّاهم إلى البر إذاهم يشركون» العنكبوت : ٦١ـ٦٥)

وقال : «ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ـ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ـ وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلّا يخرصون ـ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على آثارهم مهتدون» الزخرف : ٩ـ٢٢)

وقال : «أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها ءإله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً ءإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون أمن يجيب المضطر إذا دعاه و يكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ءإله مع الله قليلاً ما تذكرون ، أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته ءإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض ءإله

مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» النمل : ٦٠-٦٤)

وقال : «قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولـون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمـون سيقولون لله قل فاني تسحرون ـ ومن يدع مـع الله الهـاً آخر لا بـرهان له به» المؤمنون : ٨٤-١١٧)

٣٦- (لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد) .

لله تعالى ملك السموات والارض و ما فيهن وما بينهما ، ان الله جل و علا هو الغني عن العالمين ، الحميد بذاته ، وإن لم يحمده أحد من خلقه .

قال الله تعالى : «ولله ملك السموات والارض ومابينهما يخلق مايشاء ـ لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير» المائدة : ١٧-١٢٠)

وقال : «ومن كفر فان الله غني عن العالمين» آل عمران : ٩٧)

وقال : «وإن تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنياً حميداً» النساء : ١٣١)

وقال: «إن تكفروا أنتم ومن في الارض جميعاً فان الله لغني حميد» ابراهيم: ٨)

وقال : «وهو الله لا إله إلّا هو له الحمد في الاولى و الاخرة» القصص : ٧٠)

٢٧- (ولو أن مافي الارض من شجـرة أقلام والبحر يمـده من بعـده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم)

ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام ، بأن تحوّل جميع ما في الارض من أشجار أقلاماً، وتحوّل جميع ما في الارض من البحار مداداً ـ دواة ـ بل تعين هذه البحار سبعة أبحر عظيمة اخرى ، وجلس الكتّاب يسجّلون كلمات الله جل و علا المتجددة الدالة على كمال علمه وحكمته وقدرته وجلاله وعظمته و وحدانيته ، لقد نفدت الاقلام ، نفدت المداد المعان عليها ، نفدت الاشجار ، ونفدت الابحـر

المعينة بأسرها لانها كلها متناهية: بل مجموع مايدخل في الوجود متناه لتناه الابعاد، وكلمات الله تعالى غير متناهية لعدم تناه المتكلم بها، فلا تنفد ولم تأت لها نهاية ...

فالبحار والاقلام والكتاب . . . محدودة تواجه غير المحدود، ومهما يبلغ المحدود فسينتهي ويبقى غير المحدود لم ينقص منه شيئاً على الاطلاق، فكلمات الله لاتنفد لان وجوده وعلمه وقدرته وحكمته وكلامه لاتحد، ولان إرادته لا تكف، ولان مشيته ماضية ليس لها حدود ولاقيود، فتتوارى الاشجار والبحار، وتنزوى الاحياء والاشياء، و تتوارى الاشكال و الاحوال، و يقف القلب البشرى خاشعاً أمام جلال الخالق البارىء الذى لايتحول ولايتبدل ولايغيب .

قال الله تعالى : «ولاتدع مع الله إلهاً آخر لاإله إلّا هو كل شيء هالك إلا وجهه» القصص : ٨٨)

وقال: «كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام» الرحمن: ٢٦ـ٢٧)

وقال : «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً» الكهف» : ١٠٩) وما ورد في المقام فمن باب التأويل فتدبر جيداً .

قوله تعالى: «ان الله عزيز حكيم» لانهاية لمقدوراته، فلا يعجزه شيء، و لانهاية لحكمته ولاغاية لعلمه، غالب على ما أراد، عزيز في إقتداره، حكيم في أفعاله، يفعل مايليق بحكمته، ولايخرج شيء عن علمه وحكمته .

قال الله تعالى : «ان ربك فعال لما يريد» هود : ١٠٧)

وقال : «صنع الله الذى أتقن كل شيء» النمل : ٨٨)

٢٨ـ (ماخلقكم ولابعثكم الاكنفس واحدة ان الله سميع بصير)

وما خلقكم جميعاً أيها الناس على كثرتكم في الحياة الدنيا، ولابعثكم جميعاً يوم القيامة على الله تعالى إلّا كخلق نفس واحدة في الدنيا وبعثها في الاخرة،

فانهما فى قدرته جل وعلا سواء، فلايشق عليه إبتداء جميع الخلق، ولا إعادتهم بعد إفنائهم، ولا إحياءهم بعد إماتتهم، ولايتعذر عليه شيء، ولايمتنع منه شيء حيث شاء قليلاً أو كثيراً، فاذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فلا فرق فى قدرته بين البدء والعود، ولا الجماعة والفرد، ولا الدنيا والاخرة فلو أشكل عليه بعث الجميع للكثرة لأشكل عليه جزاء الاعمال لاختلافها، وليس بمشكل عليه لان الله تعالى سميع يسمع كل مسموع وما يقول الذين ينكرون البعث والاعادة، بصير يبصر كل مبصر، وما فى صدورهم من إستبعاد البعث والاعادة.

قال الله تعالى: «وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه» الروم :٢٧).

وقال: «كما بدأنا أول خلق نعيده» الانبياء: ١٠٤).

وقال: «يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ـ وانه يحيى الموتى وانه على كل شيء قدير» الحج: ٥ـ٦).

وقال: «قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ـ أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى و هو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون» يس : ٧٩ ـ ٨٣).

فمن المناقضة أن يعترفوا بقدرة الله تعالى بدءاً وينكروها إعادة، و من الغباء أن يظنوا ان هناك تحديداً لقدرة الله تعالى وفرقاً بالنسبة إليها بين خلق فرد وبين خلق جميع الناس وبعثهم.

٢٩- (ألم تر ان الله يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير)

ألم تر أيها السامع ان الله تعالى هو الذى يدخل الليل فى النهار، ويدخل النهار فى الليل، بانه جل وعلا ما ينقص من الليل فى كل آن، يدخل فى النهار

كذلك، وما ينقص من النهار في كل آن ، يدخل في النهار ، فيزيد كل منهما بما ينقص من الاخر فهما في كل آن في تزايد و نقصان ،بالنسبة إلى الآفاق والقطبين، وانه هو الذى سخّر الشمس و القمر ليجريا في فلكهما وفقاً للنظام الذى رتبه لهما إلى الأجل المعين في تقديره وتدبيره ، وفي علمه وحكمته .

وهذا مشهد عجيب ولكن طول الالفة والتكرار يفقد أكثر الناس الحساسية تجاهه ، فلا يلحظون هذه العجيبة التى تتكرر بانتظام دقيق لايتخلف مرة ،و لا يضطرب ولاتنحرف تلك الدورة الدائبة التى لاتكلّ ولاتحيد ، والله تعالى وحده هو القادر على إنشاء هذا النظام وحفظه وتدبيره ، ولايحتاج إلى إدراك الانسان هذه الحقيقة .

وان في هذا المشاهد التى يراها الناس بأعينهم ويتمتعون بفوائدها أقوى الادلة على قدرة خالقها وعظمة بارئها ، وعلى علمه وحكمته جل وعلا .

قال الله تعالى : «يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك» فاطر : ١٣) .

وقال :«خلق السموات والارض بالحق يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى» الزمر : ٥) .

وقال : «لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولاالليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون» يس : ٤٠) .

و قال : « يقلّب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار » النور: ٤٤) .

و قال : « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار » إبراهيم : ٣٣) .

وقال : «إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب» آل عمران : ١٩٠) .

وقوله تعالى: «وان الله بما تعملون خبير» وان الله تعالى خبير بكل ماتفعلونه أيها الناس خيره وشره، كما انه يعلم بخبرته لحقائق كل موجود ومصالح كل مصنوع، ويعلم بواطن الاشياء، كما يعلم ظواهرها، فيجازيكم على أعمالكم إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

قال الله تعالى: «وان كلاً لماليوفينهم ربك أعمالهم انه بما يعملون خبير» هود: ١١١).

وقال: «ولتنظر نفس ما قدّمت لغد وا تقوا الله ان الله خبير بما تعملون» الحشر: ١٨).

وقال: «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» الملك: ١٤).

٣٠- (ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير)

هذا الذى أخبرتك به أيها الرسول ﷺ من خلق السموات والارض، ومن نفاد كلماته، ومن كون الخلق والبعث عنده سواء، ومن ايلاج الليل في النهار والعكس ومن تسخير الشمس والقمر وما يرى الناظر المتأمل فى هذا الوجود من آيات القدرة ومظاهر الحكم والحكمة، ومن مشاهد التدبير والعظمة كل ذلك دليل قاطع، وبرهان واضح بأن الله تعالى وحده هو الحق الثابت الذى ينفرد بالالوهية من غير شريك له فى الخلق والملك والتدبير، فهو جل وعلا وحده يليق للعبادة والدعاء والخضوع.

وبأن ما يدعو المشركون فى طوال الاعصار من الآلهة المختلفة غير الله تعالى هو الباطل الزائل الفانى الذى لاثبات له، وبان الله تعالى هو العلى الذى لايدانيه شيء فى علوه، العلى الذى لايقدره قدره، الكبير الذى لايماثله شيء فى عظمته وجلاله، الكبير الذى ينفرد فى كبريائه.

قال الله تعالى: «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه

الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد» فصلت : ٥٣) .

وقال : «ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق» يونس : ٣١-٣٢) .

وقال : «وماقدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون» الزمر :٦٧) .

وقال : «ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له و إن يسلبهم الذباب لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز» الحج : ٧٣-٧٤)

وقال : «فتعالى الله الملك الحق لاإله إلّا هو رب العرش الكريم» المؤمنون : ١١٦)

وقال : «ءإله مع الله تعالى الله عما يشركون» النمل : ٦٣)

وقال : «ان الله كان علياً كبيراً» النساء : ٣٤)

وقال : «وله الكبرياء في السموات والارض» الجاثية : ٣٧)

٣١- (ألم تر ان الفلك تجرى في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور)

ألم تر أيها السامع ان السفن تجرى في البحار إذ سخّرها لكم بأمره بتهيئة أسباب الجرى من تصريف الرياح وما إليها رحمة لكم ليريكم من عجائب آياته في البحار الدالة على علمه وحكمته ، على جلاله وعظمته ، على تقديره و تدبيره وعلى كمال قدرته وعزّته ، ان في جرى السفن في البحار، وما فيها من العجائب لدلائل قاطعة و براهين واضحة على وحدانية الله تعالى، وبطلان مايدعوا المشركون من دونه لكل صبار: كثير الصبر الذى يصبر على الضراء ، على محارم الله تعالى ، على طاعة الله جل وعلا، على الفقر والفاقة وعلى المتاعب والمصائب . . . شكور: كثير الشكر الذى يشكر لله تعالى في السراء، على نعم الله تعالى ، وفي جميع

أحواله. . . لانهم الذين يتفكرون فى آيات الله جل وعلا، وفى الآفاق والانفس...

قال الله تعالى : «ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» الروم : ٤٦)

وقال : «وهو الذى سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» النحل : ١٤)

وقال : «ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيماً» الاسراء : ٦٦)

وقال : «الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره» الجاثية : ١٢)

وقال : «ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار و الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ـ لآيات لقوم يعقلون» البقرة : ١٦٤)

٣٢ـ (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور)

وإذا أحاط بهؤلاءِ المشركين الذين يدعون من دون الله آلهة وهم الراكبى البحر وعلا عليهم هيجان البحار كالجبال فى الكبر والارتفاع أو كقطع السحاب التى تظلّ من تحتها ، فخافوا الغرق فزعوا حينئذ إلى الله تعالى بالدعاءِ حال كونهم مخلصين له الدين موحدين له ، لايشركون به هنالك شيئاً ، ولا يدعون معه أحداً لنجاتهم ، ولا يستغيثون بغيره لخلاصهم .

فلما نجاهم الله جل وعلا من خطر البحار، وخلّصهم من هولها إلى البر، فطائفة من يعدل فى الوفاءِ فى البر بما عاهد عليه الله تعالى فى البحر من التوحيد له ، فيكفّ عن غلوائه ويبقى على إخلاصه ، وطائفة منهم ينكث عهده . و يغدر أسوأ غدر، وعاد إلى موقفه الجحود والعناد، ومايجحد بآياتنا إلّا كل غادر شديد الغدر، كفور لله جل وعلا فى نعمه . . .

قال الله تعالى : «هو الذى يسيّركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم ريح طيبة وفرحوا بها جائتها بريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذاهم يبغون فى الارض بغير الحق» يونس: ٢٢-٢٣)

وقال : «فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون» العنكبوت: ٦٥-٦٦) وقال: «وإذا مسّكم الضرّ فى البحر ضلّ من تدعون إلّا إياه فلما نجاكم إلى البرّ أعرضتم وكان الانسان كفوراً أفامنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً لا تجدوا لكم وكيلاً أأمنتم أن يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً» الاسراء :٦٧-٦٩)

وقال : «قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرّعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم» الانعام: ٦٣-٦٥)

وقال : «وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون - وما يجحد بآياتنا إلّا الظالمون» العنكبوت : ٤٧-٤٩)

٣٣- (ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لايجزى والد عن ولده ولا مولود هوجاز عن والده شيئاً ان وعدالله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور)

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم وخافوه أن يحل بكم سخطه فى يوم لايغنى والد عن ولده ، ولامولود هو مغن عن والده شيئاً ولاينوب عنه ، فان كل امرىء مسئول عن عمله ، و مشغول بنفسه عن غيره ، وإن كان أقرب الناس إليه وألصقهم به ، فلا يحمل والد ذنب ولده ، ولايتحمل ولد جزاء والده ، ولايؤاخذ

أحدهما عن الاخر . فاذاكان هذا بينهما فكيف غيرهما ؟
قال الله تعالى : «واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئاً» البقرة : ٤٨).
وقال : «ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً» آل عمران :١٠) .
وقال : «يوم لايغنى مولى عن مولى شيئاً ولاهم ينصرون» الدخان :٤١).
وقال : «لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم» الممتحنة : ٣) .
و قال : «فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ و لا يتساءلون» المؤمنون : ١٠١) .
وقال : «يوم يفرّ المرء من أخيه وامه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» عبس : ٣٤ـ٣٧) .
وقال : «ولاتزر وازرة وزر اخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى» فاطر : ١٨) .
و قال : « يوم لاينفع مال ولابنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم » الشعراء : ٨٨ـ٨٩) .
وقال : «ولاتكسب كل نفس إلاّ عليها ولاتزر وازرة وزر اخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون» الانعام : ١٦٤) .

وقوله تعالى: «ان وعد الله حق» وأعلموا أيها الناس ان وعد الله بالبعث والحساب والجزاء حق صادق لا كذب فيه ، واقع لاخلف فيه ، فما توعدون لآت ، فان الله تعالى لايخلف الميعاد .

قال الله تعالى : «إنما توعدون لصادق وان الدين لواقع» الذاريات:٥ـ٦) .
وقال : «إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب

أليم بماكانوا يكفرون» يونس : ۴) .

وقال : «ان ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين» الانعام : ١٣٤) .

وقال : «ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه ان الله لايخلف الميعاد» آل عمران : ٩) .

وقوله تعالى : «فلاتغرنكم الحياة الدنيا» من متاع يلهي أو شغل ينسي أو شيطان يوسوس في الصدور، فلا تغرنكم أيها الناس زينة الحياة الدنيا الغارة من الاموال والاولاد، من طول العمر والسلامة ، من كثرة العلم ونزوة الشهوة ، من قوة الشباب ووعد الاصدقاء ، من حرص المقام والجاه والسلطان والأماني، ومن كثرة العدد والعدد كل ذلك من أسباب الغرور يغترّ بها الناس و ينسون البعث والحساب والجزاء إلاّ من رحم به .

ولايغرنكم أيها الناس بالله الغرور في إمهاله وحلمه و تأخير الانتقام من المغترين ، فلا تكونوا على الغفلة والنسيان عن البعث والحساب والجزاء حتى يجيئكم أمر الله جل وعلا و أنتم عليها ، و على إتخاذكم دينكم لهواً ولعباً ، وعلى موقفكم العناد واللجاج في الدعوة الحقة .

قال الله تعالى : «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون» الروم : ٧) .

وقال : «و أنذرهم يوم الحسرة إذقضي الامر وهم في غفلة وهم لايؤمنون» مريم :٣٩) .

وقال : «إقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون» الانبياء :١) .

وقال : «وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور لتبلون في أموالكم و أنفسكم» آل عمران : ١٨٥ـ١٨٦) .

وقال : «ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً» النساء : ١١٩ـ١٢٠) .

وقال : «بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلاّ غروراً» فاطر : ٤٠) .

وقال : «ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وغرتكم الامانى حتى جاءأمرالله وغرّكم بالله الغرور» الحديد : ١٤) .

و قـال : « ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً وغرتكم الحياة الدنيـا » الجاثية : ٣٥) .

وقال : «الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وماكانوا بآياتنا يجحدون» الاعراف :٥١) .

٣٤- (ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير)

قوله تعالى : «ان الله عنده علم الساعة» فلا يدرى أحد من النـاس متى تقوم الساعة فى أىّ سنة أو شهر ، فى أى ليل أو نهار وفى أىّ ساعة وأيان مرساها ،فلم يطلع عليه أحد من خلقه ، ولايعلم وقت قيام الساعة سواه .

قال الله تعالى : «يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لايجلّيها لوقتها إلاّ هو ثقلت فى السموات والارض لاتأتيكم إلاّ بغتة يسئلونك كـأنك حفىّ عنها قـل إنمـا علمهـا عندالله ولكن أكثر النـاس لايعلمون » الاعراف : ١٨٧) .

وقال : «ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة إلاّ كلمح البصر أوهو أقرب ان الله على كل شىء قدير» النحل : ٧٧) .

وقال : «إليه يردّ علم الساعة» فصلت : ٤٧) .

وقوله تعالى : « و ينزّل الغيث» فيما يشاء من زمان ومكان ، ينزّل الغيث فى إبانه من غير تقديم ولاتأخير ، فى بلد أوصحراء ، فى برّ أوبحر ، وفى سهل أو جبل . . . لايتجاوزه به ، فلا يعلم أحد متى ينزّل الغيث ليلاً أم نهاراً ؟ولاأين ينزل فى بر أو بحر ؟ ؟

قال الله تعالى : «ولئن سئلتهم من نزّل من السماء ماءاً فأحيابه الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمدلله بل أكثرهم لايعقلون» العنكبوت :٦٣).

وقال : «وهو الذي ينزّل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد» الشورى : ٢٨) .

وقال : «ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزّل من السماء ماءً فيحيي به الارض بعد موتها إن في ذلك لايات لقوم يعقلون» الروم : ٢٤) .

وقوله تعالى: «يعلم ما في الارحام» يعلم ما تحمل كل انثى ، ولاتضع إلاّ بعلمه جل وعلا وهو الذي يصور ما في الارحام ويقرّ فيها كيف يشاء إلى أجل مسمى فان كل شيء عنده بمقدار . فلا يعلم أحد ما في الارحام أذكر أو انثى ؟ أواحداًو أكثر؟ أحمرأو أسود أوما هو ؟ تام أم ناقص ؟ ؟ ؟ و غير ذلك من الحالات الاخرى ولايعرف أحد عن ذلك شيئاً في اللحظة الاولى لاتحاد الخلية والبويضةو ملامح الجنين وخواصه وحالتهوإستعداداته ،فكل ذلك مما يختص بهعلم الله تعالى.

قال الله تعالى : «الله يعلم ما تحمل كل انثى وماتغيض الارحام وماتزداد وكل شيء عنده بمقدار» الرعد : ٨)

وقال : «وما تحمل من انثى ولاتضع إلّا بعلمه وما يعمر من معمّر ولاينقص من عمره إلّا في كتاب ان ذلك على الله يسير» فاطر: ١١)

وقال : « ونقر في الارحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً» الحج : ٥)

وقال : «هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لاإله إلاهو العزيز الحكيم» آل عمران : ٦)

وقال:«الذي خلقك فسوّاك فعدلك في أيّ صورة ماشاء ركبك» الانفطار:٧-٨)

وقال : «هو الله الخالق البارىء المصور» الحشر: ٤٤)

وقوله تعالى : «وما تدري نفس ماذا تكسب غداً» من خيراً وشر؟ من نفع

أم ضرّ؟ وما هي غداً؟ في يسر أو عسر؟ في صحة أومرض؟ في طاعة أم في معصية؟ وما تعلم نفس غداً ما تكون أهي برّة أم فاجرة؟ إذ ربما كانت عازمة على الخير فعملت شراً والعكس. فالكسب أعم من الربح المالي وما في معناه، وهو كل ما تصيبه النفس غداً وهوغيب مغلق عليه الأستار، ولاتملك النفس الانسانية أن ترى شيئاً مما وراء الستار، فلاتعلم ماذا تعمل في المستقبل، ولاتعلم بقاءه غداً، فكيف تعلم تصرفها؟

قال الله تعالى: «وماكان لنفس أن تؤمن إلّا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لايعقلون» يونس: ١٠٠)

وقال: «وما أدرى ما يفعل بي ولابكم» الاحقاف: ٩)

وقوله تعالى: «وما تدرى نفس بأيّ أرض تموت» فلايعلم أحد أين مضجعه من الارض في برّ أوفي بحر، وفي سهل أوجبل، إذربما تقوم بأرض، و ضربت أوتادها وقالت لاأبرحها وأقبرفيها، فترمي بها مرامي القدر، فتموت في مكان لم يخطر ببالها، ولاحدّثتها به ظنونها.

قال الله تعالى: «وماكان لنفس أن تموت إلّا باذن الله كتاباً مؤجلاً» آل عمران: ١٤٥)

وقال: «هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده» الانعام: ٢)

وقال: «ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها» المنافقون: ١١)

وقال: «الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت في منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى إلى أجل مسمى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون» الزمر: ٤٢)

وقوله تعالى: «ان الله عليم خبير» فالله تعالى وحده هو العليم بكل شيء يعلم السرّ والنجوى، يعلم خائنة الاعين وماتخفي الصدور، يعلم مافي البر والبحر،

ويعلم ما في السماء والارض فانه علام الغيوب وهو الخلاق العليم الذى أحاط بكل شيء علماً أفلا تتذكرون .

قال الله تعالى : «ألم يعلموا ان الله يعلم سرّهم ونجواهم وان الله علام الغيوب» التوبة : ۷۸)

وقال : «يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور» غافر: ۱۹)

وقال : «وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلّا هو ويعلم ما في البر والبحر و ما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ولاحبة في ظلمات الارض ولارطب ولايابس إلّا في كتاب مبين» الانعام : ۵۹)

وقال حكاية عن ابراهيم عليه السلام : «ربنا انك تعلم ما نخفى ومانعلن ومايخفى على الله من شيء في الارض ولافى السماء» ابراهيم : ۳۸)

وقال : «ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض» الحج : ۷۰)

وقال : «وان الله قد أحاط بكل شيء علماً» الطلاق : ۱۲)

وقال : «بلى وهو الخلاق العليم» يس : ۸۱) وقال : «وخلق كل شيء و هو بكل شيء عليم» الانعام : ۱۰۱)

وقال حكاية عن ابراهيم عليه السلام : «وسع ربى كل شيء علماً أفلا تتذكرون» الانعام : ۸۰)

خبير بعباده : مومنهم وكافرهم ، مخلصهم ومنافقهم ،مصلحهم و مفسدهم ، محسنهم ومسيئهم ، متقيهم وطاغيهم ، سعيدهم وشقيهم ، مطيعهم وعاصيهم،صادقهم وكاذبهم ، خاضعهم ومستكبرهم ، بارهم وفاجرهم ، وعادلهم وظالمهم . . . خبير بأعمالهم : خيرها وشرها ، صلاحها وفسادها ، حسنها وسيئها . . . خبير بحقائق الامور وسيرها ونتائجها ، وخبير ببواطن الاشياء كما انه خبير بظواهرها . . .

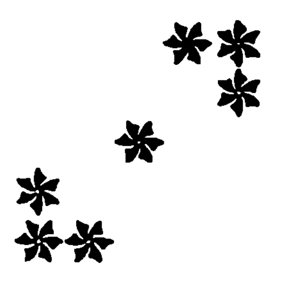
قال الله تعالى : «انه كان بعباده خبيراً بصيراً» الاسراء : ۳۰)

و قال : «وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيراً»

النساء : ١٢٨)

وقال : «وكفى به بذنوب عباده خبيراً» الفرقان : ٥٨)

وقال : «وله الحمد في الاخرة وهو الحكيم الخبير» سباء : ١)



﴿ جملة المعاني ﴾

٣٤٧٠- (الم)

سرّ من أسرار إلهية بين الله تعالى و نبيه ﷺ .

٣٤٧١- (تلك آيات الكتاب الحكيم)

ما نتلوه عليك أيها الرسول ﷺ آيات من آيات القرآن الحكيم الذى يخاطب الانسان بما تقتضيه فطرته .

٣٤٧٢- (هدى ورحمة للمحسنين) .

يهدى لمن اهتدى به ، وهو رحمة لمن أقبل إليه ، و من كان كذلك فهو محسن لنفسه .

٣٤٧٣- (الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون)

ان المحسنين هم الذين يقيمون الصلاة بحدودها ، ويوتون الزكاة الواجبة عليهم ، وهم بالاخرة وحسابها وجزائها هم يوقنون لايعتريهم ريب فيها .

٣٤٧٤- (اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون)

هؤلاءِ الذين وصفناهم يا محمد ﷺ على هدى من ربهم لاهتدائهم بهداه ، وهؤلاءِ أيها الرسول ﷺ هم الفائزون المنجحون .

٣٤٧٥- (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم و يتخذها هزواً اولئك لهم عذاب مهين)

وفريق من الناس من يشترى لهو الحديث ومنه الغناء ليضل الناس : المسلم

عن التدبر في القرآن، والكافر عن الايمان به غير علم ، ويتخذ آيات القرآن الكريم سخرية ، هؤلاء يا أيها الرسول ﷺ لهم عذاب مهين يهينهم لاهانتهم الكتاب العزيز جزاء وفاقاً .

٣٤٧٦-(واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كان لم يسمعها كأن في اذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم)

وإذا تتلى على ذاك المشترى آياتنا أعرض عنها مستكبراً كأن لم يسمع الآيات القرآنية كأن في اذنيه صمماً مانعاً من سماعها ، فبشر أيها الرسول ﷺ هذا المستكبر بعذاب مولم في الاخرة .

٣٤٧٧- (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) .

ان الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله ﷺ وبما جاءهم وعملوا أعمالاً صالحة ، لهم جنات يتنعمون بنعيمها يوم القيامة .

٣٤٧٨- (خالدين فيها وعدالله حقاً وهو العزيز الحكيم) .

خالدون هؤلاء المؤمنين ماكثين في جنات النعيم وعدهم الله تعالى بها وعداً حقاً ، والله تعالى هو الغالب فيما أراد ، الحكيم فيما يفعل .

٣٤٧٩-(خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم و بث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم).

خلق الله تعالى السموات السبع بغير عمد ترونها ، وهناك عمد ولكن لا ترونها، وطرح الله تعالى في الارض جبالاً شامخات لئلا تميد بكم الارض ، وفرّق في الارض من كل دابة من أنواع الدواب ، وأنزلنا من السماء مطراً ، فانبتنا بذلك المطر في الارض من كل نوع من أنواع النبات . . .

٣٤٨٠- (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين)

هذا الذي تقدم ذكره خلق الله تعالى خلقه من غير شريك له في خلقه ،

فأروني أيها المشركون ماذا خلق آلهتكم غير الله التي تعبدونها وتجعلونها شركاء لله سبحانه ، بل الذين ظلموا بالشرك في حيرة ظاهرة واضحة .

٣٤٨١- (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد) .

واقسم بالله جل وعلا انا آتينا لقمان الحكمة ، قلنا له : اشكر لله تعالى على ما أنعم عليك من نعمة الحكمة ، ومن يشكر لله تعالى فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر بالله تعالى وبنعمه فان الله جل و علا غني مطلق ، حميد بالذات .

٣٤٨٢- (واذقال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) .

واذكر أيها الرسول صلى الله عليه وآله قصة لقمان إذ كان يعظ إبنه ويقول له مشفقاً عليه يا بني لا تشرك بالله شيئاً ، لان الشرك بالله سبحانه لظلم عظيم على الله جل وعلا.

٣٤٨٣- (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهناً على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الى المصير) .

ووصينا الانسان توصية مؤكدة أن يحسن بوالديه حين حملته امه في بطنها و أحبلت به ، فتجد في نفسها بسبب الحمل ضعفاً فوق ضعف حتى تضع حملها ،ثم ترضعه إلى حين فصاله من الرضاع في عامين من ولادته إلى الانقطاع ، أن اشكر لي أيها الانسان على نعمي عليك ، ولوالديك على ما ربياك صغيراً ، إليّ مصيرك.

٣٤٨٤- (و ان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما و صاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون) .

وإن جاهد أبواك أيها الانسان على أن تشرك بي ماليس لك به علم ولا دليل عليه فلا تطعهما إتباعاً لهما في الشرك ، وعاشرهما في الامور الدنيوية صحبة يرتضيها الدين واتبع في الامور الدينية سبيل من أناب إلى بالتوحيد ، ثم إليّ

مرجعكم ، فاخبركم في الاخرة بما كنتم تعملون به في الدنيا .

٣٤٨٥ -(يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أوفي الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير)

قال لقمان لابنه مشفقاً عليه : يا بني ان أفعال الانسان إن تك مثقال حبة من خردل ، فتكن في جوف أية صخرة من الصخور أوتكن في السموات أوفي الارض يأت بها الله تعالى ويحاسب عليها ، لان الله جل وعلا نافذ علمه في أعماق الاشياء ، عالم بكنهها كلها . . .

٣٤٨٦- (يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف و انه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور)

قال لقمان لابنه على طريق الاشفاق : يا بني أقم الصلاة بحدودها ، وأمر الناس بالمعروف وانههم عن المنكر ، واصبر على ما أصابك في طريق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ان ذلك الامور من مهام الامور الواجبة التي لابد من العزم الراسخ فيها .

٣٤٨٧- (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحاً ان الله لايحب كل مختال فخور) .

ولا تمل يابني صفحة وجهك من الناس تكبراً عليهم ، ولا تمش بينهم معجباً لنفسك لان الله تعالى لايحب كل منتفخ بالكبر ، فخور بنفسه و عوارضها على الناس .

٣٤٨٨- (واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير)

واجعل يابني مشيك في الناس معتدلاً ، واخفض صوتك ولا تجهره لان أنكر الاصوات وأوحشها لصوت الحمير .

٣٤٨٩- (ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة و من الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)

ألم تروا أيها الناس ان الله تعالى سخّر لكم ما في السموات ، وسخر لكم ما في الارض و أفاض عليكم نعمه التي لاتحصى ، ظاهرة منها و باطنة ، و فريق من الناس في طوال الاعصار من يجادل في الله بغير علم يستند إلى دليل ولاهدى راجع إلى رسول ، ولا كتاب منير أنزله الله تعالى على رسول من رسله .

٣٤٩٠- (و اذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لوكان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) .

وإذا قيل لهؤلاء المجادلين في الله تعالى: اتبعوا ما أنزله الله تعالى على محمد ﷺ قالوا : لانتبعه ، بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا من العقائد . . . أيتبعون آباءهم و لو كان الشيطان يدعوهم بهذا الاتباع إلى عذاب النار التي تتسعر .

٣٤٩١- (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور) .

و من يخلص دينه لله تعالى ويقبل على طاعته وهو محسن لنفسه ، فقد تعلّق بالعروة الوثيقة التي لايخشى إنفصامها ، وإلى الله تعالى ترجع عواقب الامور .

٣٤٩٢- (ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور) .

ومن كفر من النـاس فعليه كفره ، فـلا يحزنك أيها الرسول ﷺ كفر الكافرين إلينا مرجعهم ، فنخبرهم في الاخرة بما عملوا في الحياة الدنيا ، لان الله تعالى عليم بما في الصدور .

٣٤٩٣- (نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) .

نمتع هؤلاء الكافرين في الدنيا متاعاً قليلاً بمدة قليلة ، ثم نلجئهم في الاخرة عذاب يغلظ عليهم .

٣٤٩٤- (ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمدلله بل أكثرهم لايعلمون) .

واقسم بالله تعالى إن سئلت أيها الرسول ﷺ هؤلاء المشركين من خلق السموات والارض؟ ليقولن الله تعالى وحده خلقهما ، قل يا محمد لهم :الحمدلله على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد وإبطال الشرك، ولكن أكثرهم لايعلمون فيما يقعون فيه من التناقض .

٣٤٩٥- (لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد) .

لله تعالى وحده ملك السموات والارض لان الله تعالى هو الغنى المطلق ، الحميد بذاته .

٣٤٩٦- (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم)

ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام ، بأن تحول جميع ما فى الارض من شجر أقلاماً وتحول جميع ما فى الارض من البحار دواة ، بل تعين هذه البحار سبعة أبحر عظيمة اخرى ، وجلس الكتّاب يسجّلون كلمات الله تعالى لنفدت الاقلام الدواة ولم تنفد كلماته جل وعلا لان الله تعالى غالب لايعجزه شيء ،حكيم لانهاية لحكمته .

٣٤٩٧- (ماخلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير)

ما خلقكم أيها الناس فى الحياة الدنيا ولا بعثكم فى الاخرة على الله تعالى إلا كخلق نفس واحدة فى الدنيا وبعثها فى الاخرة فكذلك جزاء الجميع وجزاء الفرد عنده سواء لان الله تعالى سميع لاقوالكم ، بصير بأعمالكم .

٣٤٩٨- (ألم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير)

ألم تر أيها السامع ان الله تعالى هو الذى يدخل الليل فى النهار ، ويدخل النهار فى الليل فى آن واحد ، وسخّر لكم الشمس والقمر ، كل يجرى فى فلكه إلى أجل معين عنده تعالى و اعلموا أيها السامعون ان الله تعالى بما تعملون فى

الدنيا خبير به لايخفى عليه خافية .

٣٤٩٩ - (ذلك بان الله هو الحق وأن مايدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير)

هذا الذى ذكرناه لك يا محمد ﷺ كله دليل قاطع على أن الله تعالى هو الحق الثابت الذى ينفرد بالالوهية لاشريك له فى الملك ، و على أن ما يدعوه المشركون فى طوال الاعصار من دون الله هو الباطل، وعلى ان الله تعالى هو الفريد فى علوه و كبريائه .

٣٥٠٠ - (ألم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمت الله ليريكم من آياته ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور)

ألم تر أيها السامع ان السفن تجرى فى البحار بنعمت الله تعالى إذ سخرها لكم بأمره ليريكم من عجائب آياته، ان فى جرى السفن فى البحار يامحمد ﷺ لدلائل قاطعة على وحدانية الله تعالى وبطلان الشرك لمن كثر صبره ، و كثر شكره .

٣٥٠١ - (واذاغشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الاكل ختار كفور)

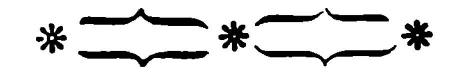
وإذا أحاط هؤلاءِ المشركين هيجان البحار وإضطرابها كقطع السحاب دعوا الله وحده حالكونهم مخلصين له الدين لايشركون به شيئاً ، فلما نجاهم الله تعالى من خطر البحار والهلاك إلى البر ، فطائفة من الراكبى البحار يوفون بماعاهدوا عليه الله تعالى من التوحيد، وترك الشرك ، وما يجحد بآياتنا إلا كل غادر شديد الغدر ، كفور بنعم الله تعالى .

٣٥٠٢ - (ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ان وعدالله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور)

يا أيها الناس إتقوا ربكم الذى خلقكم ، وخافوا يوماً لا يغنى والد عن ولده، ولا مولود هو مغن عن والده شيئاً ، ولا ينوب أحدهما عن الآخر فى الجزاء واعلموا أن وعد الله بالبعث والحساب حق ثابت آت لامحالة ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا و متاعها ، ولا يغرنكم بالله الغرور فى إمهاله وحلمه وتأخيره الانتقام من المغترين بزينة الدنيا .

٣٥٠٣ـ (ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير)

ان الله تعالى عنده وحده علم الساعة ، فلا يدرى أحد غيره متى تقوم الساعة، و هو الذى ينزل الغيث فيما يشاء وما أراد ، وهو يعلم ما فى أرحام الاناث ،ولا تدرى نفس ماذا تكسب غداً من خير أو شر أهى فى صحة أو مرض ، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت فى بحر أو فى بر ،وفى سهل أم فى جبل ؟ ان الله تعالى عليم بكل شىء، خبير بواقعه وحقيقته .



﴿ بحث روائي ﴾

في الكافي : باسناده عن أبي بصير قال: سئلت أبا جعفر عليه السلام عن كسب المغنيات فقال: التي يدخل عليها الرجال حرام، والتي تدعى إلى الأعراس ليس به بأس وهو قول الله عزوجل : «ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله».

وفيه: باسناده عن أبي بصير أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: المغنية التي تزف العرائس لا بأس بكسبها .

وفيه : باسناده عن أبي بصير أيضاً قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : أجر المغنية التي تزف العرائس ليس به بأس ، ليست بالتي يدخل عليها الرجال .

وفي قرب الاسناد: باسناده عن علي بن جعفر عن أخيه - موسى بن جعفر عليه السلام - قال : سئلته عن الغناء هل يصلح في الفطر والاضحى والفرح قال: لا بأس به ما لم يعص به .

أقول: وهذا على ما يظهر من الروايات السابقة مخصوص بزف العرائس ، بالفطر والاضحى إذا اتفق معهما العرس ، من غير دخول الرجال عليها و لا المعصية فيها .

وفي وسائل الشيعة : بالاسناد عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول :الغناء مما وعدالله عليه النار وتلا هذه الاية : «ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً اولئك لهم عذاب مهين » .

وفيه: بالاسناد عن مهران بن محمد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول: الغناء مما قال الله عزوجل:«ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله» .

وفي معاني الاخبار : باسناده عن يحيى ابن عبادة عن أبي عبدالله عليه السلام قلت: قوله عزوجل:«ومن الناس من يشترى لهو الحديث» قال : منه الغناء .

وفي الكافي: باسناده عن الحسن بن هارون قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: الغناء مجلس لا ينظر الله إلى أهله ، وهو مما قال الله عزوجل:«ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله».

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «لهو الحديث» قال :الغناء وشرب الخمر و جميع الملاهي «ليضل عن سبيل الله بغير علم» قال : أي يحيد بهم عن طريق الله.

وفيه: عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : «ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم» فهو النضر بن الحارث (الحرث خ) بن علقمة بن كلدة من بني عبدالدار بن قصي ،وكان النظر راوياً (ذاروايه» لاحاديث الناس وأشعارهم يقول الله عزوجل : «وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً ...»الاية .

وفي المجمع : وروى أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال : هو الطعن بالحق و الاستهزاء به وما كان أبو جهل وأصحابه يجيئون به إذقال :يامعشر قريش ألا اطعمكم من الزقوم الذي يخوّفكم به صاحبكم ثم أرسل إليّ زبدو تمر فقال : هذا هو الزقوم الذي يخوّفكم به قال : ومنه الغناء .

وفيه: عن إبن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الاية، «ومن الناس من يشترى لهو الحديث» قال : باللعب والباطل كثير النفقة سمح فيه ولا تطيب نفسه بدرهم بتصدق به .

وفي الدر المنثور: عن علي بن الحسين عليه السلام قال : ماقدّست امة فيها البربط .

وفي نهج البلاغة: قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام : «فمن شواهد خلقه السموات موطدات بلاعمد، قائمات بلاسند».

وفيه: قال عليه السلام -في خلق السموات- : «جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً، و علياهن سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً بغير عمد ترونها، ولادسار ينتظمها».

قوله عليه السلام : «دسار» المسمار.

وفي نور الثقلين: قال الصادق عليه السلام : فنظرت العين إلى خلق مختلف متصل بعضه ببعض، ودلها القلب على أن لذلك خالقاً، و ذلك انه فكر حيث دلته العين على ما عاينت من عظم السماء وإرتفاعها في الهواء بغير عمد ولادعامة تمسكها، وانها لاتتأخر فتنكشط، ولايتقدم فتزول، ولاتهبط مرة فتدنو ولاترتفع فلاترى.

وفي تفسير القمي: باسناده عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت له : أخبرني عن قوله تعالى : «والسماء ذات الحبك» فقال : هي محبوكة إلى الارض وشبك بين أصابعه، فقلت : كيف تكون محبوكة إلى الارض والله يقول : «رفع السماء بغير عمد ترونها» فقال : سبحان الله أليس يقول بغير عمد ترونها؟ فقلت : بلى، فقال : فثم عمد ولكن لاترونها.

وفيه: في قوله تعالى : «وبثّ فيها من كل دابة» قال : جعل فيها من كل دابة وقوله : «وأنبتنا فيها من كل زوج كريم» قال: من كل لون حسن، والزوج: اللون الاصفر والاخضر والاحمر، والكريم : الحسن، وقوله : «هذا خلق الله» قال: أي مخلوق الله لان الخلق هو الفعل، والفعل لايرى، وإنما أشار إلى المخلوق، و إلى السماء والارض والجبال وجميع الحيوان، فأقام الفعل مقام المفعول.

وفيه: باسناده عن علي بن القصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت : جعلت فداك قوله : «ولقد آتينا لقمان الحكمة» قال : اوتي معرفة إمام زمانه.

أقول: إنما المراد بامام زمانه أي الامام المعصوم من أئمتنا الاثنى عشر صلوات الله عليهم أجمعين وإنما الامام في زماننا -زمن غيبة الامام-: هو الحجة بن الحسن العسكري

ثانى عشر من أئمتنا المعصومين عليهم السلام .

وفى محاسن البرقى: باسناده عن أبى بصير قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى : «ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً» فقال : هى طاعة الله ومعرفة الامام .

و فى تفسير العياشى: باسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : «ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً» قال : معرفة الامام وإجتناب الكبائر التى أوجب الله عليها النار.

وفيه: باسناده عن سليمان بن خالد عن أبى عبدالله عليه السلام : قال : الحكمة المعرفة والتفقه فى الدين ، فمن فقه منكم فهو حكيم، وما أحد يموت من المؤمنين أحب إلى إبليس من فقيه .

وفى الكافى: باسناده عن الحارث بن المغيرة (عن أبيه خ) عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قلت له : ماكان فى وصية لقمان ؟ قال :كان فيها الاعاجيب وكان أعجب ماكان فيها ان قال لابنه خف الله خيفة لوجئته ببر الثقلين لعذبك ، وارج رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك ثم قال أبو عبدالله عليه السلام :كان أبى عليه السلام يقول : انه ليس من عبد مؤمن إلّا وفى قلبه نوران: نور خيفة، ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا .

وفيه: باسناده عن عبدالله بن سنان قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إن من الكبائر عقوق الوالدين واليأس من روح الله والأمن من مكر الله . وقد روى: أكبر الكبائر: الشرك بالله .

وفيه: باسناده عن الاصبغ بن نباته قال :سئل أمير المؤمنين عليه السلام «أن اشكر لى ولوالديك إلىّ المصير» قال : الوالدان اللذان أوجب الله لهما الشكر، هما اللذان ولدا العلم، وورثا الحكم ، وامر الناس بطاعتهما، ثم قال الله : «إلىّ المصير» فمصير العباد إلى الله والدليل على ذلك الوالدان ثم عطف القول على ابن حنتمة وصاحبه ، فقال فى الخاص والعام : «وإن جاهداك على أن تشرك بى» يقول فى

الوصية وتعدل عمن امرت بطاعته ، فلاتطعهما ولاتسمع قولهما ثم عطف القول على الوالدين ، فقال : «وصاحبهما في الدنيا معروفاً» يقول : عرّف الناس فضلهما ، وادع إلى سبيلهما وذلك قوله: «واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم» فقال : إلى الله ثم إلينا ،فاتقوا الله ولا تعصوا الوالدين ، وان (فان خ) رضاهما رضاالله وسخطهما سخط الله .

قوله ﷺ : «حنتمة» بنت ذى الحرمين ام عمر بن الخطاب .

وفي البحار: عن تفسير النعماني باسناده عن اسمعيل بن جابر قال : سمعت أباعبدالله جعفر بن محمد الصادق ﷺ يقول ـ في حديث ـ والمنقطع المعطوف في التنزيل هوان الاية من كتاب الله عزوجل كانت تجيىءبشيء ماثم تجيىء منقطعة المعنى بعد ذلك وتجيىء بمعنى غيره، ثم تعطف بالخطاب على الاول مثل قوله تعالى : «واذقال لقمان لابنه وهويعظه يا بني لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم» ثم انقطعت وصية لقمان لابنه فقال : «ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهناً على وهن ـ إلى قوله ـ إليّ مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون» ثم عطف بالخطاب على وصية لقمان لابنه فقال : «يا بني انها إن تك حبة من خردل فتكن في صخرة أوفي السموات أوفي الارض يأت بهاالله ان الله لطيف خبير»

وفي الفقيه: ـ في الحقوق المروية عن الامام سيد الساجدين ،زين العابدين علي بن الحسين ﷺ قال ـ : حق الله الاكبر عليك أن تعبده ولاتشرك به شيئاً، فاذا فعلت ذلك باخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والاخرة .

قال : وأما حق امك أن تعلم انها حملتك حيث لايحتمل أحد أحداً ، و أعطتك من ثمرة قلبها مالايعطي أحد أحداً ، ووقتك بجميع جوارحها ،ولم تبال أن تجوع وتطعمك وتعطش وتسقيك ،وتعرى وتكسوك ، وتضحى وتظلك،وتهجر النوم لأجلك،ووقتك الحر والبرد لتكون لها فانك لاتطيق شكرها إلّا بعون الله وتوفيقه.

وأما حق أبيك فأن تعلم أنه أصلك ، فانك لولاه لم تكن ، فمهما رأيت من

نفسك مايعجبك ، فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه ، فاحمدالله واشكره على قدر ذلك ولا قوة إلّا بالله .

وفي الكافي: باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله من أبرّ؟ قال: امك ، قال : ثم من ؟ قال: امك، قال : ثم من ؟ قال : امك ، قال : ثم من ؟ قال : أباك .

وفي نزهة المجالس للصفوري الشافعي البغدادي مالفظه : «كان الحسن رضي الله عنه لا يأكل مع فاطمة رضي الله عنها ، فسئلته عن ذلك ، فقال : أخاف أن آكل شيئاً سبق إليه نظرك ، فأكون عاقاً لك ، فقالت : كل وأنت في حل».

وفي الكافي: باسناده عن سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام قال: الظلم ثلاثة : ظلم يغفره الله وظلم لايغفره ، وظلم لايدعه الله ، فأما الظلم الذي لايغفره الله فالشرك وأما الظلم الذي يغفره فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله ،فاما الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد .

وفيه : باسناده عن معمر بن خلاد قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : ادعو لوالديّ إن كانا لايعرفان الحق ؟ قال : ادع لهما وتصدّق عنهما ، و إن كانا حيين لايعرفان الحق فدارهما ، فان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ان الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق .

وفي نور الثقلين: عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه فقد أدّى شكرها .

وفيه: عن أبي عبدالله عليه السلام أيضاً قال : أوحى الله عزوجل إلى موسى عليه السلام : يا موسى اشكرني حق شكري فقال : يا رب و كيف أشكرك حق شكرك، وليس من شكر أشكرك به إلّا وأنت أنعمت به عليّ؟ قال : يا موسى الآن شكرتني حين علمت ان ذلك مني .

وفي عيون الاخبار: باسناده عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام -في حديث-

قال : وامر بالشكر له وللوالدين ، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله تعالى .

وفيه : باسناده عن محمود بن أبي البلاد قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزوجل .

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام : برّ الوالدين من حسن معرفة العبد بالله ، إذلاعبادة أسرع بلوغاً بصاحبها إلى رضا الله تعالى من حرمة الوالدين المسلمين لوجه الله ، لان حق الوالدين مشتق من حق الله تعالى إذاكانا على منهاج الدين والسنة ، ولايكونان يمنعان الولد من طاعة الله تعالى إلى معصيته ، ومن اليقين إلى الشك ، ومن الزهد إلى الدنيا ، ولايدعوانه إلى خلاف ذلك ، فاذاكانا كذلك فمعصيتهما طاعة و طاعتهما معصية قال الله تعالى : «**وإن جاهداك** على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلاتطعهما»

وأما في باب العشرة فدارهما واحتمل أذاهما نحوما احتملا عليك في حال صغرك ، ولاتضيق عليهما مما قد وسع الله عليك من المال والملبوس ، ولاتحول بوجهك عنهما ، ولاترفع صوتك فوق أصواتهما ، فان تعظيمها من الله تعالى، وقل لهما بأحسن القول ، والطفه فان الله لايضيع أجر المحسنين .

وفي المناقب لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه : مرّ الحسين بن علي عليه السلام على عبدالرحمن بن عمرو بن العاص ، فقال عبدالله: من أحبّ أن ينظر إلى أحب أهل الارض إلى أهل السماء فلينظر إلى هذا المجتاز وما كلّمته منذ ليالي صفين، فأتى به أبوسعيد الخدري إلى الحسين عليه السلام فقال له الحسين عليه السلام : أتعلم أني أحبّ أهل الارض إلى أهل السماء وتقاتلني وأبي يوم صفين ؟ والله ان أبي لخير مني فاستعذر و قال : ان النبي صلى الله عليه وآله قال لي : أطع أباك ، فقال له الحسين عليه السلام : أما سمعت قول الله تعالى : «وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما» وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنما الطاعة بالمعروف ، وقوله : لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وفي العيون ـ فيما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون من محض الاسلام وشرائع الدين

- : وبر الوالدين واجب ، وإن كانا مشركين ، ولاطاعة لهما فى معصية الخالق ولا لغيرهما ، فانه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وفى كتاب سليم بن قيس الهلالى: قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام قال- فى كلام - : لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، ولاينبغى للمخلوق أن يكون جنة لمعصية الله ، فلاطاعة فى معصية ولاطاعة لمن عصى الله .

وفى محاسن البرقى : باسناده عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم - فى حديث - قال : أطيعوا آباءكم فيما أمروكم ، ولاتطيعوهم فى معاصى الله .

وفى تفسير القمى: وفى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله : «واتبع سبيل من أناب إلىّ» يقول : اتبع سبيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وفى الكافى : باسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : اتقوا المحقرات من الذنوب ، فان لها طالباً يقول أحدكم : أذنب وأستغفر ان الله عزوجل يقول : «سنكتب ما قدّموا وآثارهم وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين» وقال عزوجل : «انها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أوفى السموات أوفى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير»

وفيه: باسناده عن معاوية بن وهب قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن أفضل مايتقرب به العباد إلى ربهم ، وأحب ذلك إلى الله عزوجل ماهو؟ فقال : ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة ألاترى ان العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام قال : «وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً» .

أقول: ولذلك ذكر الامر بالصلاة بعد النهى عن الشرك بالله سبحانه .

وفى المجمع : «واصبر على ما أصابك» : من المشقة و الأذى فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر. عن على عليه السلام .

وفيه: فى قوله تعالى : «ولاتصعّر خدّك للناس» أى و لاتمل وجهك من الناس بكلّ ، ولاتعرض عمن يكلّمك إستخفافاً به . وهذاالمعنى قول إبن عباس

وأبی عبدالله عليه السلام .

وفی الدرالمنثور : عن أبی أیوب الانصاری ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن قول الله : «ولاتصعر خدّك للناس» قال : لیّ الشدق .

وفی تفسیر القمی: وفی روایة أبی الجارود عن أبی جعفر عليه السلام فی قوله عزوجل: «و لاتمش فی الارض مرحاً» یقول : بالعظمة.

وفی ثواب الاعمال: عن أبی عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :من مشی علی الارض إختیالاً لعنه الارض ومن تحتها ومن فوقها .

وفیه: عن أبی جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ویل لمن یختال فی الارض معارض جبار السموات والارض .

وفی أمالی الصدوق: رضوان اللّه تعالی علیه ـ فی مناهی النبی صلى الله عليه وآله وسلم وقد نهی أن یختال الرجل فی مشیته وقال ـ:من لبس ثوباً فاغتال فیه خسف اللّه به من شفیر جهنم، وکان قرین قارون لانه أول من اختال ، فخسف اللّه به وبداره الارض ، ومن اختال فقد نازع اللّه فی جبروته .

وفی روایة : فی قوله تعالی : «اقصد فی مشیك» أی فلا تستعجل قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم : سرعة المشی یذهب بهاء المؤمن .

وفی الخصال : عن أبی الحسن عليه السلام قال : سرعة المشی تذهب ببهاء المؤمن.

وفی روایة: قال الامام علی عليه السلام : لاتبدأ لان تشتهر ، ولاترفع شخصك لتذكر وتعلم ، واكتم واصمت تسلم ، تسرّ الابرار وتغیظ الفجار.

وفی تفسیر القمی : فی قوله تعالی : «واقصد فی مشیك» قال : لاتعجل «واغضض من صوتك» قال : لاترفعه .

وفی الکافی : باسناده عن أبی بکر الحضرمی قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام

عن قول الله عزوجل : «إن أنكر الاصوات لصوت الحمير» قال : العطسة القبيحة.

وفي المجمع: في قوله تعالى : «إن أنكر الاصوات لصوت الحمير» وروى عن أبي عبدالله عليه السلام قال: هي العطسة المرتفعة القبيحة والرجل يرفع صوته بالحديث رفعاً قبيحاً إلاّ أن يكون داعياً أو يقرأ القرآن.

وفي البحار: عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام في قوله تعالى : «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» قال : النعمة الظاهرة :الامام الظاهر ، والباطنة الامام الغائب يغيب عن أبصار الناس شخصه ، ويظهر له كنوز الارض ويقرب عليه كل بعيد.

وفي تفسير القمي : باسناده عن جابر قال : قال رجل عند أبي جعفر عليه السلام : «واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» قال : أما النعمة الظاهرة فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم و ما جاء به من معرفة الله عزوجل وتوحيده ، و أما النعمة الباطنة فولايتنا أهل البيت، وعقد مودتنا فاعتقد ، والله قوم هذه النعمة الظاهرة والباطنة : واعتقدها قوم ظاهرة ولم يعتقدوها باطنة فأنزل الله: «ياأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» ففرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند نزولها انه لم يقبل الله تبارك وتعالى ايمانهم إلاّ بعقد ولايتنا ومحبتنا.

وفي كمال الدين: باسناده عن حماد بن أبي زياد الازدي قال : سئلت سيدي موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل : «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة». فقال عليه السلام : النعمة الظاهرة الامام الظاهر ، والباطنة الامام الغائب ، فقلت له :و يكون في الائمة من يغيب ؟ فقال : نعم يغيب عن أبصار الناس شخصه ، ولايغيب عن قلوب المؤمنين ذكره وهو الثاني عشر منا ، يسهل الله له كل عسر ويذل الله له كل صعب.

ويظهر لـه كـل كنوز الارض ، ويقرب له كـل بعيد ، ويبتر به كل جبار عنيد و يهلك على يده كل شيطان مريد ، ذلك ابن سيدة الاماء الذي يخفى على الناس ولادته ، ولايحلّ لهم تسميته حتى يظهره الله عزوجل فيملأ الارض قسطاً و

عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

وفي المجمع: في قوله تعالى : «وأسبغ عليكم» الآية وفي رواية الضحاك عن إبن عباس قال : سئلت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنه فقال : يابن عباس أما ما ظهر فالاسلام وماسوّى الله من خلقك ، وما أفاض عليك من الرزق ، وأما ما بطن فستر مساوى عملك ولم يفضحك به يابن عباس إن الله تعالى يقول : ثلاثة جعلتهن للمؤمن ولم يكن له : صلاة المؤمنين عليه من إنقطاع عمله ، وجعلت له ثلث ماله أكفّر به عنه خطاياه ، والثالث سترت مساوى عمله ، ولم أفضحه بشيء منه ولو أبديتها عليه لنبذه أهله فمن سواهم .

وفي أمالي الطوسي: قدس سره باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : حدثني عبدالله بن عباس وجابر بن عبدالله الانصاري قالوا (قالا ظ): أتينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسجده في رهط من أصحابه فيهم أبو بكر وأبو عبيدة وعمرو عثمان وعبدالرحمن ورجلان من قرّاء الصحابة إلى قوله حاكياً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وقد أوحى إليّ ربي جل وتعالى أن أذكركم بالنعمة و أنذركم بما اقتصّ عليكم من كتابه واملى « وأسبغ عليكم نعمه» الاية .

ثم قال لهم :قولوا الآن قولكم ما أوّل نعمة رغبكم الله وبلاكم بها ؟ فخاض القوم جميعاً فذكروا نعم الله التي أنعم عليهم وأحسن إليهم بها من المعاش والرياش والذرية والازواج إلى سائر ما بلاهم الله عزوجل من أنعمه الظاهرة ، فلما أمسك القوم أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على علي عليه السلام فقال : يا أباالحسن قل ، فقد قال أصحابك، فقال : و كيف بالقول فداك أبي وامي، وإنما هدانا الله بك ؟ قال : ومع ذلك فهات قل : ما أوّل نعمة أبلاك الله عزوجل ، وأنعم عليك بها ؟ قال :أن خلقني جل ثناءه ولم أك شيئاً مذكوراً قال : صدقت .

فما الثانية ؟ قال : أن أحسن بي إذ خلقني ، فجعلني حياً لامواتاً ، قال : صدقت .

فما الثالثة ؟ قال : أن أنشأني فله الحمد في أحسن صورة وأعدل تركيب قال:

صدقت . فما الرابعة ؟ قال : أن جعلني متفكراً راعياً لابلهاً ساهياً ، قال :صدقت، فما الخامسة ؟ قال : أن جعل لي سراً عن إدراك ما ابتغيت (أن جعل لي شواعر ادرك ما ابتغيت خ) بها وجعل لي سراجاً منيراً قال : صدقت .

فماالسادسة ؟قال :أن هداني الله لدينه ولم يضلني عن سبيله . قال :صدقت.

فماالسابعة ؟ قال : أن جعل لي مرداً في حياة لاانقطاع لها ، قال : صدقت .

فما الثامنة ؟ قال : أن جعلني ملكاً مالكاً لامملوكاً قال : صدقت . فما التاسعة ؟

قال: ان سخر لي سماء وأرضه ومافيهما و ما بينهما من خلقه ، قال :صدقت فما العاشرة ؟ قال : أن جعلنا سبحانه ذكراناً قوّاماً على حلائلنا لاإناثاً قال : صدقت .

فما بعدها ؟ قال : كثرت نعم الله يا نبي الله ، فطابت و إن تعدوا نعمة الله لاتحصوها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال ليهنئك الحكمة ليهنئك العلم يا أباالحسن فأنت وارث علمي والمبين لامتي ما اختلفت فيه من بعدي من أحبك لدينك، و أخذ بسبيلك فهو ممن هدى إلى صراط مستقيم ، ومن رغب عن هواك وأبغضك و تخلاك لقي الله يوم القيامة لاخلاق له .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : «فقد استمسك بالعروة الوثقى» قال: بالولاية .

وفي البرهان: بالاسناد عن أبي الحسن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام «فقد استمسك بالعروة» قال : مودتنا أهل البيت .

وفيه: بالاسناد عن زيد بن علي عليه السلام قال : العروة الوثقى : المودة لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وفيه: بالاسناد عن عبدالله بن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من

أحب أن يستمسك بالعروة الوثقى التى لاانفصام لها فليستمسك بولاية أخى ووصيى على بن أبيطالب صلوات الله عليه ، فانه لايهلك من أحبه وتولاه ولاينجو من أبغضه وعاداه .

وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الائمة من ولد الحسين عليهم السلام من أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله هم العروة الوثقى وهم الوسيلة إلى الله تعالى.

وفى الفقيه: باسناده عن إبن شاذان عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سيكون بعدى فتنة مظلمة الناجى منها من تمسك بالعروة الوثقى ، فقيل : يا رسول الله وما العروة الوثقى ؟ قال : ولاية سيد الوصيين ،قيل: يا رسول الله ومن سيد الوصيين ؟ قال : أمير المؤمنين ، قيل : يا رسول الله ومن أمير المؤمنين ؟ قال : مولى المسلمين وأمامهم بعدى ، قيل : يا رسول الله ، ومن مولى المسلمين وأمامهم بعدك ؟ قال : أخى على ابن أبى طالب عليه السلام .

وفى التوحيد: باسناده عن عمر بن اذينة عن أبى جعفر عليه السلام ـ فى حديث ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كل مولود يولد على الفطرة يعنى على الفطرة بأن الله عزوجل خالقه فذلك قوله عزوجل : «ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله» .

وفيه: باسناده عن أبى هاشم الجعفرى قال : سئلت أباجعفر الثانى عليه السلام ما معنى الواحد ؟ قال : الذى اجتماع الالسن عليه بالتوحيد كما قال عزوجل : «ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله» .

وفى تحف العقول: ـ فيما أجاب الامام الهادى النقى عليه السلام عن مسائل يحيى بن أكثم ـ منها : عن قوله تعالى : «ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام و البحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله» ماهذه الابحر وأين هى؟ قال الامام عليه السلام و أما قوله تعالى : «ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله» فهو كذلك لو أن أشجار الدنيا أقلام والبحر يمده

سبعةأبحر وانفجرت الارض عيوناً لنفدت قبل أن تنفد كلمات الله وهي عين الكبريت وعين اليمن وعين البرهوت وعين طبرية وحمة ما سبندان وحمة إفريقية يدعى لسان وعين بحرون ، ونحن كلمات الله التى لاتنفد ولاتدرك فضائلنا ولاتستقصى رواه الطبرسي في الاحتجاج وإبن شهرب آشوب في المناقب ، والمجلسي في البحار والحويزى في نور الثقلين والشيخ المفيد في الاختصاص والبحراني في البرهان باختلاف يسير . فلا تنفدفضائلهم ومناقبهم وعلومهم فانهم كانوا مهبط كلمات الله تعالى وعلومه . . . ولانهاية لها .

قوله عليه السلام : «حمة» الحمة ـ بفتح الحاء وتشديد الميم ـ : كل عين فيهاماء حار ينبع يستشفى بها الأعلاء .

وفي تفسير القمي: عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي» الاية قال : قد أخبرك ان كلام الله ليس له آخر ولاغاية و لاينقطع أبداً .

وفي الكافي: باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : انه لينزل في ليلة القدر إلى ولي الامر تفسير الامور سنة سنة يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا و كذا ، وفي أمر الناس بكذاو كذا،وانه ليحدث لولي الامر سوى ذلك كل يوم علم الله عزوجل الخاص والمكنون العجيب المخزون مثل ماينزل في تلك الليلة من الامر ثم قرأ: «ولوأن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم» الحديث .

وفي تفسير القمي: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : «ما خلقكم ولابعثكم إلاّ كنفس واحدة» بلغنا والله أعلم انهم قالوا : يا محمد خلقنا أطواراً : نطفاً ثم علقاً ثم أنشأنا خلقاً آخر كما تزعم و تزعم (نزعم خ) انا نبعث في ساعة واحدة فقال الله : «ما خلقكم ولابعثكم إلاّ كنفس واحدة» إنما

يقول له كن فيكون.

وفيه: في قوله تعالى :«ألم‌تر ان‌الله يولج الليل في‌النهار ويولج النهار في الليل».

يقول : ما ينقص من الليل يدخل في‌النهار ، وما ينقص من‌النهار يدخل في‌الليل .

وفيه: في قوله عزوجل : «والشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى» يقول : كل واحد منهما يجرى إلى منتهاه ، لايقصرعنه ولايجاوزه . وقوله‌تعالى: «ألم تران الفلك تجرى في‌البحر بنعمةالله» قال : السفن تجرى في البحر بقدرة الله . و في قوله عزوجل : «ان في ذلك لايات لكل صبار شكور» قال: الذى يصبر على‌الفقروالفاقة ، ويشكرالله عزوجل على‌جميع أحواله . وفي قوله‌سبحانه: «وإذا غشيهم موج كالظلل» قال : يعنى في البحر ، و «فمنهم مقتصد» قال : أى صالح و «ختار» قال : الختار:الخداع . و «ان وعدالله حق» قال : ذلك القيامة .

وفي‌الفقيه: عن الامام أميرالمؤمنين على عليه السلام في حديث ـ قال‌السائل : فأىّ الناس أثبت رأياً ؟ قال : من لم يغرّه الناس من نفسه ، ولم تغرّه الدنيا بتشويقها .

و في الارشاد للشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه : من كلام الامام أميرالمؤمنين على عليه السلام لرجل سمعه‌يذمّ الدنيا من‌غير معرفة بمايجب أن يقول في معناها : الدنيادار صدق لمن صدقها ، و دار عافية لمن فهم عنها ، و دارغنى من‌تزوّدمنها ، مسجد انبياءالله و مهبط وحيه ، و مصلّى ملائكة و متجر أولياء إكتسبوا فيها الرحمة ، و ربحوا فيها الجنة فمن ذايذمّها ؟ وقد آذنت ببينها ونادت‌بفراقها ، و نعت نفسها ، فشوّقت بسرورها إلى السرور و حذّرت ببلائها البلاء تخويفاً وتحذيراً وترغيباً وترهيباً .

فيا أيها الذام للدنيا والمغترّ بتغريرها متى غرّتك؛ أبمصارع آبائك في البلى أم بمضاجع امهاتك تحت الثرى؟ كم علّلت بكفيك ومرّضت بيديك تبتغي لهم الشفاء واستوصفت لهم الاطباء، وتلتمس لهم الدواء لم تنفعهم بطلبك ولم تشفعهم بشفاعتك مثّلت بهم الدنيا مصرعك ومضجعك حيث لاينفعك بكاؤك ولاتغني عنك أحباءك.

وفي دعوات الراوندي: عن أبي بكر بن عياش قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فجاءه رجل، فقال: رأيتك في النوم كأني أقول لك: كم بقي من أجلي؟ فقلت: لي بيديك هكذا، و أومأت إلى خمس، و قد شغل ذلك قلبي، فقال عليه السلام انك سئلتني عن شئي لايعلمه إلاّ الله عزوجل وهي خمس تفرّد الله بها «ان الله عنده علم الساعة ...» الاية.

وفي بصائر الدرجات: باسناده عن حنان بن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان لله علماً عاماً و علماً خاصاً، فأما الخاص فالذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولانبي مرسل، و أما علمه العام فالذي اطلعت عليه الملائكة المقربون والانبياء المرسلون، وقد وقع ذلك كله إلينا ثم قال: أوماتقرأ: «وعنده علم الساعة وينزل الغيث و يعلم مافي الارحام و ماتدري نفس ماذا تكسب غداً و ماتدري نفس بأي أرض تموت».

وفي الفقيه: مرسلاً عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «و ماتدري نفس ماذا تكسب غداً و ماتدري نفس بأيّ أرض تموت» من قدم إلى قدم.

وفي رواية: عن إياس بن سلمة عن أبيه انه قال: انه كان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاء رجل بفرس له يقودها عقوق و معها مهرة له يبيعها، فقال له: من أنت؟ قال: أنا نبي الله، قال: و من نبيّ الله؟ قال رسول الله، قال: متى تقوم الساعة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: غيب و لايعلم الغيب إلاّ الله، قال: متى

تمطر السماء ؟ قال : غيب و لايعلم الغيب إلاّ الله ، قال : مافي بطن فرسي هذه ؟ قال غيب و لايعلم الغيب إلاّ الله ، قال : أرني سيفك ؟ فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيفه فهزّه الرجل ثم ردّه إليه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أماانك لم تكن تستطيع الذي أردت قال : و قدكان الرجل ، قال : أذهب إليه فأسأله عن هذه الخصال ثم أضرب عنقه .

وفي رواية : عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مفاتيح الغيب خمسة لايعلمهم إلّاالله تعالى ، لايعلم متى تقوم الساعة الّا الله ، ولايعلم ماتغيض الارحام إلّاالله ، و لايعلم مافي غد إلّاالله ، ولا يعلم بأيّ أرض تموت إلّاالله ، ولا يعلم متى ينزل الغيث إلّاالله .

وفي الخصال : عن ابي اسامة عن ابي عبدالله عليه السلام قال : قال : ألا اخبركم بخمسة لم يطلع الله عليها أحداً من خلقه ؟ قال : قلت : بلى ، قال : « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرض تموت ان الله عليم خبير » .

وفي نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام ـ فيما يؤمي به إلى وصف الأتراك ـ : « كأني أراهم قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة ، يلبسون السرق والديباج ويعتقبون الخيل العتاق ، ويكون هناك إستحرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول ، ويكون المفلت أقل من المأسور ، فقال له بعض أصحابه : لقد أعطيت ياأمير المؤمنين علم الغيب فضحك ، وقال للرجل وكان كلبياً : يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب ، وإنما هو تعلم من ذي علم ، وإنما علم الغيب علم الساعة وماعدده الله سبحانه بقوله : «ان الله عنده علم الساعة » الاية فيعلم سبحانه مافي الارحام من ذكر أو انثى ، وقبيح أوجميل ، وسخي أو بخيل ، وشقي أوسعيد ومن يكون للنار حطباً ، و في الجنان للنبيين مرافقاً ، فهذا علم الغيب الذي لايعلمه إلّاالله ، وماسوى ذلك فعلم علمه الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فعلمنيه ، ودعالي أن يعيه صدري وتضطم عليه جوارحي »

قوله عليه السلام : « المجان » - بالفتح - جمع مجن - بكسر الميم - : الترس . و « المطرقة » - بفتح الراء والتخفيف - التى تطبق و تخصف كطبقات النعل وريش طباق : إذا كان بعضه فوق بعض . و « السرق » : شقق الحرير واحدها سرقة ، و « يعتقبون الخيل العتاق » : يجنبونها لينتقلوا من غيرها إليها ، و «استحرارقتل »:شدته و « المفلت » : الهارب .

وفى شرح ابن أبى الحديد : انه قال : و اعلم أن هذا الغيب الذى أخبر عليه السلام عنه قدر أيناه نحن عياناً ، و وقع فى زماننا ، وكان الناس ينتظرونه من أول الاسلام حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا ، وهم التتار الذين خرجوا من أقاصى المشرق حتى وردت خيلهم العراق والشام وفعلوا بملوك الخطا وقفجاق ، وببلاد ماوراء النهر وبخراسان وماوالاها من بلاد العجم مالم تحتو التواريخ منذ خلق الله تعالى آدم إلى عصرنا هذا على مثله . الكلام

وفى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الامام على عليه السلام - انه لما أراد المسير إلى النهروان أتاه منجم فقال له : يا أمير المؤمنين لاتسر فى هذه الساعة و سر فى ثلاث ساعات يمضين من النهار ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ولم ذاك ؟ قال : لانك إن سرت فى هذه الساعة أصابك و أصاب أصحابك أذى وضر شديد ، وإن سرت فى الساعة التى أمرتك ظفرت و ظهرت و أصبت كلماطلبت فقال له امير المؤمنين عليه السلام : تدرى مافى بطن هذه الدابة أذكر أم انثى ؟ قال : إن حسبت علمت ، قال له امير المؤمنين عليه السلام : من صدقك على هذا القول كذب بالقران : « ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وماتدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير » ماكان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يدعى ما ادعيت .

وفى شرح ابن أبى الحديد : روى ديزيل قال : لماخرج على عليه السلام فى الكوفة إلى الحرورية قال له رجل : يا امير المؤمنين سر على ثلاث ساعة مضين من النهار

فانك إن سرت الساعة أصابك اذى فقال عليه السلام : افى بطن فرسى ذكر أم انثى ؟ قال : إن حسبت علمت فقال عليه السلام : من صدقك كذب القرآن ، قال الله تعالى : « ان الله عنده علم الساعة وينزل مافى الارحام » الاية ثم قال : ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع علم ما ادعيت تزعم أن تهدى إلى الساعة التى تصيب النفع وتنهى عن الساعة التى تحيق السوء فمن صدقك ، فقد إستغنى عن الاستعانة بالله عزوجل ثم قال : اللهم لاطير إلّا طيرك ، ولاضير إلّا ضيرك ، و لاإله غيرك .

أقول : وقدوردت **روايات كثيرة** عن النبى الكريم وأئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين تخبر عن مستقبل حالهم وعن زمان موتهم ومكانه فهى تقيد الروايات المطلقة إلّا ما يأبى التقييد لايعبأ بأمره .

فى الكافى : باسناده عن الحسن بن الجهم قال : قلت للرضا عليه السلام : أمير المؤمنين قدعرف قاتله فى الليلة التى يقتل فيها ، والموضع الذى يقتل فيه، وقوله لما سمع صياح الاوزّ فى الدار: صوائح تتبعها نوائح ، وقول ام كلثوم : لوصليت الليلة داخل الدار، وأمرت غيرك يصلى بالناس، فأبى عليها وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلاسلاح ، وقدعرف عليه السلام ان إبن ملجم لعنه الله قاتله بالسيف كان هذا ممالايحسن تعرضه ؟ فقال : ذلك كان ولكنه خيّر فى تلك الليلة لتمضى مقادير الله عزوجل .

وفى مقتل الحسين عليه السلام لأبى مخنف :وان الحسين عليه السلام لما نزل كربلاء وأخبر باسمها بكى بكاءاً شديداً وقال : أرض كرب و بلاء قفوا ولاتبرحوا و حطوا ولا ترحلوا،فهيهنا والله محط رحالنا ، وهيهنا والله سفك دمائنا وهيهنا والله تسبى حريمنا وهيهنا والله محلّ قبورنا ، وهيهنا والله محشرنا ومنشرنا وبهذاوعدنى جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولاخلاف لوعده .

﴿ بحث فقهي ﴾

وقد استدل جمهور المحققين من الفقهاء بقوله تعالى : «ومن الناس من يشترى لهوالحديث ليضل عن سبيل الله بغيرعلم ويتخذها هزواً اولئك لهم عذاب مهين» لقمان : ٦) على حرمة الغناءلما ورد صحيحاً عن أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين : ان من لهو الحديث الغناء ثم ذموها بحيث لايشك في حرمة الغناءإلا من لم يكن أقل شأناًمن المغنية ؛ فتذبذب بعض المتجددين وتلجلجهم كريه منكر فذرهم والمطربات . . .

ويستدل بقوله تعالى : «وفصاله في عامين» لقمان : ١٤) على أن أقصى مدة الرضاع عامان بالمفهوم، وعلى أن أقل مدة الحمل ستة أشهر بالتلازم ، إذيحصل بمجموع الجملة وقوله تعالى : «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً» الاحقاف : ١٥)ان أقل مدة الحمل ستة أشهر .

ويستدل بقوله تعالى : «أن اشكر لي ولوالديك» لقمان : ١٤) على وجوب الشكر للوالدين كوجوبه لله تعالى ، بل هو من شكره تعالى لانتهائه إلى وصيته و أمره فشكرهما عبادة له جل وعلا ، وعبادته شكره .

وقداستدل بعض الفقهاء بقوله تعالى: «وصاحبهما في الدنيا معروفاً» لقمان: ١٥)على أن الولدلايستحق القود على أبيه ، وانه لايحد له إذا قذفه ، ولايحبس الاب بدين إبنه ، وان عليه نفقتهما إذا احتاجا إليه إذا كان جميع ذلك من الصحبة بالمعروف و فعل ضده ينافي مصاحبتهما بالمعروف ، وعلى وجوب الامر

صلتهما وإن كانا كافرين .

ويستدل بقوله تعالى حكاية عن لقمان : «وامر بالمعروف و انه عن المنكر واصبر على ما أصابك» لقمان : ١٧) على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى وجوب الصبر فى طريق ذلك ، وإن خاف على النفس إلا ان الله تعالى قد أباح اعطاء التقية فى حال الخوف فى قوله تعالى : «إلا أن تتقوا منهم تقاة» آل عمران : ٢٨) .

ويستدل بقوله تعالى : «و إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير» لقمان : ٢١) على حرمة التقليد فى الاصول الاعتقادية إذ ذمّهم الله تعالى على تقليدهم فيها ، وعلى وجوب إتباع ما جاءت به الرسل عليهم السلام .

واستدل بعضهم بقوله تعالى :«ويعلم ما فى الأرحام» لقمان : ٣٤) على أن فى حمل إمرأته من نفسه غير قاذف لها ، و ذلك لان فى الجملة دلالة على أن حقيقة وجود الحمل غير معلومة عندنا ، وإن كانت قد يغلب على الظن وجوده ، وهذا يوجب أن يكون نافى حمل إمرأته من نفسه غير قاذف لها .

﴿ بحث مذهبى ﴾

وقد استدل بعض المحققين بقوله تعالى حكاية عن لقمان : «ان الشرك لظلم عظيم» لقمان : ١٣) على بطلان مذهب السنة فى تقديم المفضول على الفاضل وذلك لان الله تعالى ذم فى الجملة التسوية بين الفاضل والمفضول، وانها لظلم عظيم فكيف التقديم!!

أقول: إذا تدبرنا فى المجتمع البشرى نجدهم على طوائف ثلاث :

طائفة يتبعون الله تعالى فى أمر دينهم ودنياهم ، وطائفة يتبعون الشيطان ، و طائفة لايتبعون الله تعالى ولا الشيطان لشدة حميتهم وعصبيتهم الجهلاء و حماقتهم بحيث قد يبرىء الشيطان من أعمالهم وعقائدهم ، ومن الأخير تقديم المفضول على الفاضل وهذا قبيح عند كل من له أدنى مسكة فضلاً عن فاضل متشرع منصف فتأمل جيداً واغتنم جداً فشتان بينهما

قال الله تعالى: «إذ قال ربك للملائكة انى خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس إستكبر و كان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين» ص:٧٠-٧٦) واستدل الشيطان بضرورة تقديم الفاضل على المفضول على تقديم نفسه على آدم عليه السلام إذ كان يرى نفسه أفضل من آدم عليه السلام ولكنه خطأ فى فضل نفسه لا فى تقديم الفاضل على المفضول ومن هنا ردّه الله تعالى فى غلطه ، ولم يردّه فى منع جواز تقديم المفضول على الفاضل .

ولكن طائفة من الناس قدّموا المفضول على الفاضل من غير إستناد إلى شيء إلاّ العصبية والحماقة وحبّ الدنيا والمقام والرئاسة.

وقد طرء الشك على الشيطان في عدل الله تعالى بتوهم تقديم المفضول على الفاضل فصار رجيماً ولم يشرك بهشيئاً ولم ينكر البعث ولا الحساب والجزاء.

قال الله تعالى حكاية عن إبليس: «قال أأسجد لمن خلقت طيناً قال أرايتك هذا الذى كرّمت علىّ» الاسراء: ٦١-٦٢).

وقال: «انى كفرت بما أشركتمون من قبل» ابراهيم: ٢٢).

و قال: « قال أنظرنى إلى يوم يبعثون» الاعراف :١٤).

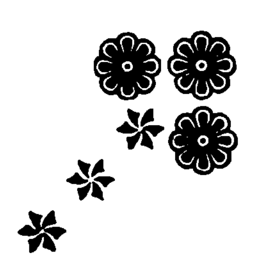
فاذا صار الشيطان بطروّ الشك عليه في عدل الله تعالى رجيماً فكيف المشركون الذين أشركوا بالله سبحانه وانكروا البعث؟ وكيف الماديون الجهلاء السفلة و الدهريون البغاة الفجرة؟ وقد جاء جماعة من الماديين، فقال لهم بعض الموحدين: ما تقولون: في خشب قطع من الاشجار بلا نجّار، ونجمّع، فكوّن سفينة جرت في البحر مشحونة بالأحمال، وقد احتوشتها في لجّة البحر أمواج متلاطمة، و رياح مختلفة، وهي من بين ذلك كله تجرى على إستواءٍ من غير ملاح يجريها، ولا متعهد يدفعها أيجوز ذلك عندكم؟

قالوا: لا هذا شيء لا يقبله أحد، فقال الموحد: سبحان الله تبارك وتعالى، فاذا لم يجز عند أحد أن تجرى سفينة في البحر مستوية من غير ملاح، فكيف يجوز عند أحد قيام تلك السموات بلا عمد ترونها، وهذه الارض بلا سند تحسّونها، وما فيهما على إختلاف أحوالها وسعة أطرافها من غير حافظ ولا صانع ولا خالق و لا مدبر حكيم؟؟؟ فقالوا: صدقت.

نعم: اذا تفكرنا في هذا الوجود، وتدبرنا في نظامه، وتعقلنا في عجائبه نناديى بفطرتنا: ان الله تعالى هو خالقه ومنظمه ونجد هذا العالم جميعه مرتبطاً

بناموس لايتعداه ،وان نظامه البديع يدل على قوة وإرادة وحكمة أبدعته وسوّنه، ولايتمكن أحد بانكارها .

قال الله تعالى : «خلق السموات والارض بغير عمد ترونها ـ هذا خلق الله ـ ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله» لقمان : ١٠ـ ٢٥) .



﴿لقمان وترجمته﴾

قال الله تعالى : «ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله» لقمان :١٢) .

وقد اختلفت الاقوال في شخصية لقمان وزمانه ، وفي حياته وشغله وصفاته إختلافاً كثيراً :

فقيل : هو لقمان إبن باعوراء إبن اخت أيوب النبي عليه السلام . وقيل : هو إبن خالة أيوب . وقيل : هو لقمان إبن عنقاء بن سرون وكان نوبياً من أهل أيلة . و قيل : هو لقمان إبن باعوراء إبن ناحور بن تارخ وهو آذر أبو ابراهيم عليه السلام وقيل: لقمان صاحب النسور ، وتنسبه الشعراء إلى عاد .

قيل : هو كان قاضياً من بني إسرائيل . وقيل :كان من غير بني إسرائيل .
قيل: إنه عاش إلى مبعث داود عليه السلام وكان يفتي بين الناس قبل داود عليه السلام فلما بعث داود عليه السلام قطع لقمان فتواه ، فسئل عن سبب ذلك ، فقال: ألا اكتفي إذا كفيت؟ فادرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم .

وقيل : هو لقمان أسود من سودان مصر ذا مشافر مشقق القدمين أعطاه الله تعالى الحكمة ومنعة النبوة، وانه كان ولياً ورجلاً صالحاً ، ولم يكن نبياً ولم يوح إليه شيء، وكان راعياً أسود ، فرزقه الله تعالى العتق ورضي قوله ووصيته.

وقيل : ان الله تعالى خيّره بين النبوة والحكمة ،فاختار الحكمة : وقيل: انه كان خياطاً ، وقيل:كان نجاراً .

ولم يرد إسم لقمان في القرآن الكريم إلاّ في هذه السورة وقد وردت روايات

كثيرة نشير إلى نبذة منها :

في المجمع : روى نافع عن إبن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : حقاً أقول لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكر ، حسن اليقين أحب الله فأحبه ، ومنّ عليه بالحكمة كان نائماً نصف النهار إذجاءه نداء : يالقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق ؟ فأجاب الصوت إن خيّرني ربي قبلت العافية ، ولم أقبل البلاء وان عزم عليّ فسمعاً وطاعة فاني أعلم أنه إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني .

فقالت الملائكة بصوت لايراهم : لم يالقمان ؟ قال :لان الحكم أشد المنازل وآكدها ، يغشاه الظلم من كل مكان إن وقى (وفي خ) و(يعن خ) فبالحرى أن ينجو ، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلاً وفي الاخرة شريفاً خير من أن يكون في الدنيا شريفاً وفي الاخرة ذليلاً ، ومن يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولايصيب الاخرة ، فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة ،فاعطى الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم كان يوآزر داود بحكمته ، فقال له داود : طوبى لك يالقمان اعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى .

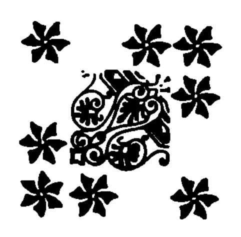
وفي الدر المنثور: عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتدرون ما كان لقمان ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال :كان حبشياً .

وفي مروج الذهب : كان لقمان نوبياً مولى للقين بن حسر ، ولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام وكان عبداً صالحاً ، ومنّ الله عليه بالحكمة ، ولم يزل في فيافي الارض مظهراً للحكمة والزهد في هذا العالم إلى أيام يونس بن متى ، حتى بعث إلى أهل نينوى من بلاد الموصل .

وفي تفسير الجواهر : ان لقمان كان يسمى (ايثوب) من قرية تسمى (امرتوم) وكانت ولادته بعد تأسيس (مدينة روما) بمأتي سنة ويقولون : انه كان من سقط المتاع في الجسم ، مشوه الخلقة والوجه ، معقود اللسان . ولما اشتراه أحد

الفلاحين،أرسله إلى الحقل ليريح الناس من قبح وجهه ، ولكن الله لما خلط القبح في وجهه عوّضه حكمة في عقله، كما عوض العمى عن البصر ذكاء في الافئدة ، ولقد بقي هذا العبد معقود اللسان أمداً طويلاً ولا يتكلم إلاّ بالاشارة .

وبينما هو نائم ذات ليلة إذ رأى ملكاً جاءه في صورة الانسان ، وحل العقدة من لسانه ، ووهبه علم الحكمة فلما استيقظ أحسّ بانطلاق لسانه وصار من فرحه يحدث نفسه ، فسمعه رئيس الخدم يتكلم مع نفسه بفصاحة ، فذهب إلى سيده، وقال هذا العبد خبيث لانه يدعى إنعقاد لسانه ، وهو فصيح ، فأمره ببيعه فلما عرضه على تاجر ليشتريه أعرض عنه إحتقاراً لشأنه فقال له (اينوب) اشترني وأنا انفعك ولا اضرك بشيء ، فان كان لك أولاد ، فخوفهم بي كأني عفريت من العفاريت ، فاشتراه بثمن بخس .



﴿ لقمان و حكمته ﴾

ومن المعلوم ان الحكمة التى اوتيها لقمان حكمة ربانية ، وليست من الحكم المكتسبة التى يحصلها الحكماء و الفلاسفة بالبحث والنظر ، وإنما هى فضل من فضل الله كالرسالة والنبوة والامامة لائمة أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، التى لاتكتسب بتحصيل و إجتهاد ولابآراء الناس . . .

وقد صرّح القرآن الكريم بحكمة لقمان ، وورد فيها روايات كثيرة نشير إلى ما يسعه المقام :

١ـ فى تفسير القمى باسناده عن حمّاد قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام عن لقمان وحكمته التى ذكرها الله عزوجل، فقال : أما والله ما اوتى لقمان الحكمة بحسب ولامال ولا أهل ولابسط فى جسم ولاجمال ، ولكنه كان رجلاً قوياً فى أمر الله ، متورّعاً فى الله ، ساكتاً سكيناً ، عميق النظر طويل الفكر ، حديد النظر مستغن بالعبر ، لم ينم نهاراً قطّ ولم يره أحد من الناس على بول ولاغائط ، ولاإغتسال لشدة تستّره ، وعموق نظره وتحفّظه فى أمره ، ولم يضحك من شىء قطّ مخافة الاثم ، و لم يغضب قطّ ولم يمازح إنساناً قطّ .

ولم يفرح لشىء أتاه من أمر الدنيا ، ولاحزن منها على شىء قط ، وقد نكح من النساء وولد له الاولاد الكثيرة وقدّم أكثرهم إفراطاً ، فما بكى على موت أحد منهم ، ولم يمرّ برجلين يختصمان أو يقتتلان إلاّ أصلح بينهما ، ولم يمض عنهما حتى تحاجزا ، ولم يسمع قولاً قطّ من أحد إستحسنة إلاّ سئل عن تفسيره

وعمن أخذه وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء وكان يغشى القضاة والملوك و السلاطين فيرثى للقضاة بما ابتلوا به .

ويرحم الملوك والسلاطين لعزّتهم بالله و طمأنينتهم في ذلك ، ويعتبر و يتعلم ما يغلب به نفسه ، ويجاهد به هواه ، ويحترز به من الشيطان ،وكان يداوى قلبه بالتفكر ، ويدارى نفسه بالعبر ، و كان لايظعن إلا فيما يعنيه ، فبذلك اوتى الحكمة ومنح العصمة ، وان الله تبارك وتعالى أمر طوائف من الملائكة حين إنتصف النهار وهدأت العيون بالقائلة فنادوا لقمان حيث يسمع ولايراهم فقالوا: يالقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الارض ، تحكم بين الناس ؟ فقال لقمان: إن أمرني ربي بذلك فالسمع والطاعة لانه إن فعل بي ذلك أعانني عليه وعلّمني وعصمني ، وإن هو خيّرني قبلت العافية .

فقالت الملائكة : يالقمان لم ؟ قال : لان الحكم بين الناس بأشد المنازل من الدين وأكثر فتناً و بلاءاً ما يخذل ولايعان ، ويغشاه الظلم من كل مكان، و صاحبه منه بين أمرين : إن أصاب فيه الحق ، فبالحرى أن يسلم ، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلاً وضعيفاً كان أهون عليه في المعاد من أن يكون فيه حكماً سريّاً شريفاً .

ومن اختار الدنيا على الاخرة يخسرهما كلتيهما تزول هذه ، ولاتدرك تلك قال : فتعجّبت الملائكة من حكمته، واستحسن الرحمن منطقه ، فلما أمسى وأخذ مضجعه من الليل أنزل الله عليه الحكمة فغشّاه بها من قرنه إلى قدمه وهو نائم ، و غطّاه بالحكمة غطاءاً ، فاستيقظ و هو أحكم الناس في زمانه ، و خرج على الناس ينطق بالحكمة و يبثها فيها ، قال : فلما اوتي الحكم و لم يقبلها أمر الله الملائكة ، فنادت داود بالخلافة فقبلها و لم يشترط فيها بشرط لقمان ، فأعطاه الله الخلافة في الارض و ابتلى فيها غير مرة .

وكل ذلك يهوى في الخطاء يقيله الله ويغفر له ، و كان لقمان يكثر زيارة

داود عليه السلام و يعظه بمواعظه وحكمته و فضل علمه ، وكان يقول داود له : طوبى لك يا لقمان اوتيت الحكمة ، و صرفت عنك البلية ، و اعطى داود الخلافة ، و ابتلى بالخطأ والفتنة .

ثم قال أبوعبدالله عليه السلام فيقول الله : « و إذ قال لقمان لابنه وهويعظه يابني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » قال : فوعظ لقمان إبنه بآثار حتى تفطّر و انشقّ وكان فيما وعظه به يا حمّاد أن قال : يا بني انك منذ سقطت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة ، فدار أنت إليها تسير أقرب إليك من دار أنت عنها متباعد ، يا بنيّ جالس العلماء و ازحمهم بركبتيك و لا تجادلهم فيمنعوك وخذ من الدنيا بلاغاً ، و لا ترفضها فتكون عيالاً على الناس ، و لا تدخل فيها دخولاً يضرّ بآخرتك وصم صوماً يقطع شهوتك ، ولاتصم صياماً يمنعك من الصلاة ، فان الصلاة أحب إلى الله من الصيام .

يابني ان الدنيا بحر عميق قد هلك فيها عالم كثير ، فاجعل سفينتك فيها الايمان ، و اجعل شراعها التوكل ، و اجعل زادك فيها تقوى الله ، فان نجوت فبرحمة الله و إن هلكت فبذنوبك . يا بني إن تأدّبت صغيراً انتفعت به كبيراً ، ومن عنى بالادب اهتمّ به ، ومن اهتمّ به تكلّف علمه ، ومن تكلّف علمه إشتدّ له طلبه و من اشتدّ له طلبه أدرك منفعته فاتخذه عادة ، فانك تخلف في سلفك ، و ينفع به من خلفك ، و يرتجيك فيه راغب ، و يخشى صولتك راهب ، و إياك والكسل عنه بالطلب لغيره ، فان غلبت على الدنيا فلا تغلبنّ على الاخرة ، فاذا فاتك طلب العلم في مظانه فقد غلبت على الاخرة ، و اجعل في أيامك و لياليك وساعاتك لنفسك نصيبا في طلب العلم فان فاتك لن تجد له تضييعاً أشد من تركه و لا تمادين فيه لجوجاً ، و لا تجادلنّ فقيهاً و لا تعادينّ سلطاناً ، ولاتماشينّ ظلوماً و لا تصادقنّه و لا تؤاخينّ فاسقاً ، و لا تصاحبنّ متّهماً و اخزن علمك كما تخزن ورقك .

يا بنيّ خف الله خوفاً لو أتيت يوم القيامة ببرّ الثقلين خفت أن يعذّبك و ارج الله رجاءاً لو وافيت القيامة باثم الثقلين رجوت أن يغفر الله لك .

فقال له إبنه : يا أبه و كيف اطيق هذا ، و إنما لي قلب واحد ؟ فقال له لقمان : يا بنيّ لو استخرج قلب المؤمن فشقّ لوجد فيه نوران : نور للخوف و نور للرجاء لو وزنا لما رجح أحدهما على الآخر بمثقال ذرة ، فمن يؤمن بالله يصدّق ما قال الله ، و من يصدّق ما قال الله يفعل ما أمر الله ، و من لم يفعل ما أمر الله لم يصدّق ما قال الله ، فان هذه الاخلاق يشهد بعضها لبعض ، فمن يؤمن بالله ايماناً صادقاً يعمل لله خالصاً ناصحاً ، و من يعمل لله خالصاً ناصحاً فقد آمن بالله صادقاً ، و من أطاع الله خافه ، ومن خافه فقد أحبه ، ومن أحبّه إتبع أمره ، و من اتبع أمره استوجب جنته و مرضاته و من لم يتبع رضوان الله فقد هان عليه سخطه نعوذ بالله من سخط الله .

يابني لاتركن إلى الدنيا ولاتشغل قلبك بها ، فما خلق الله خلقاً هوأهون عليه منها ، ألا يرى انه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ، و لم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين .

قوله عليه السلام : «أكثرهم إفراطاً» من أفرط فلان ولداً أي مات له ولد صغير قبل أن يبلغ . و «هدأت العيون» أي حين نام الناس « بالقائلة » : منتصف النهار و « تحاجزا » : تصالحا و تمانعا ، « لا يظعن » : لايسافر « ما يخذل » أي هو أكثر فتناً مادام يخذل صاحبه و لا يعينه الله تعالى ، و « حتى تفطّر و انشقّ » كناية عن غاية تأثير الحكمة فيه و « أزحمهم » : أدخل بينهم و لو بمشقة و « من عنى بالأدب » أي إعتنى به وعرف فضله و « فانك تخلف » أي تكون من حيث الاتصاف بتلك العادات الحسنة خليفة من مضى من المتخلقين بها و « من تركه » أي ترك طلب العلم يفضي إلى ضياع ما حصّلته ، و « باثار » : إسم ابن لقمان .

و في قرب الاسناد : باسناده عن إبن صدقة عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال :

قيل: للقمان : ما الذى أجمعت عليه من حكمتك ؟ قال : لا أتكلّف ماقد كفيته و لا اضيّع ما ولّيته .

و فى البحار : عن قصص الانبياء بالاسناد عن حماد بن عيسى عن الصادق عليه السلام ـ فى حديث ـ قال عليه السلام : قال لقمان لابنه : يا بنى سيّد أخلاق الحكمة دين الله تعالى و مثل الدين كمثل شجرة نابتة ، فالايمان بالله ماؤها و الصلاة عروقها والزكاة جذعها، والتأخى فى الله شعبها والاخلاق الحسنة ورقها والخروج عن معاصى الله ثمرها ، ولاتكمل الشجرة إلاّ بثمرة طيبة ، كذلك الدين لايكمل إلاّ بالخروج عن المحارم ، يابنى لكل شيء علامة يعرف بها و إن للدين ثلاث علامات : العفة والعلم والحلم .

و فى كنز الفوائد للكراجكى رضوان الله تعالى عليه عن أبى ذر الغفارى: من حكم لقمان عليه السلام : يابنى أقم الصلاة ، فان مثل الصلاة فى دين الله كمثل عمود الفسطاط، فان العمود إذا استقام نفعت الاطناب والاوتاد والظلال، و إن لم يستقم لم ينفع وتد و لا طنب و لا ظلال ، أى بنىّ ! صاحب العلماء وجالسهم ، و زرهم فى بيوتهم لعلك أن تشبّههم فتكون منهم ، إعلم أى بنىّ ! انى قد ذقت الصبر و أنواع المر فلم أر أمرّ من الفقر، فان افتقرت يوماً ، فاجعل فقرك بينك وبين الله ، و لا تحدّث الناس بفقرك فتهون عليهم ، يا بنى ادع الله ثم سل فى الناس هل من أحد دعا الله فلم يجبه ؟ أو سئله فلم يعطه !

يا بنىّ ثق بالله العظيم عزوجل ، ثم سل فى الناس هل من أحد وثق بالله فلم ينجه ؟ يا بنى توكّل على الله ، ثم سل فى الناس من ذا الذى توكل على الله فلم يكف ؟ يا بنى أحسن الظن بالله ثم سل فى الناس ، من ذا الذى أحسن الظن بالله فلم يكن عند حسن ظنه به ؟ يابنى من يرد رضوان الله يسخط نفسه كثيراً، و من لا يسخط نفسه لا يرضى ربه ، و من لا يكظم غيظه يشمت عدوه ، يا بنى تعلّم الحكمة تشرف ، فان الحكمة تدل على الدين و تشرّف العبد على الحر،

و ترفع المسكين على الغنيّ ، و تقدّم الصغير على الكبير ، و تجلس المسكين مجالس الملوك ، و تزيد الشرف شرفاً ، والسيد سودداً والغنيّ مجداً .

و كيف يظنّ إبن آدم أن يتهيّأ له أمر دينه ومعيشته بغير حكمة ؟ ولن يهيّىء الله عز وجل أمر الدنيا والاخرة إلاّ بالحكمة ، و مثل الحكمة بغير طاعة مثل الجسد بلا نفس أو مثل الصعيد بلا ماء ولاصلاح للجسد بلانفس، ولا للصعيد بغير ماء و لا للحكمة بغير طاعة .

و قال بعض : قرأت من حكمة لقمان أرجح من عشرة آلاف باب .

و في بيان التنزيل لابن شهرآشوب قدس سره : قال : أوّل ما ظهر من حكم لقمان أن تاجراً سكر وخاطر نديمه أن يشرب ماء البحر كله و إلاّ سلّم إليه ما له وأهله ، فلما أصبح و ضحى ـ أي ذهب سكره ـ ندم و جعل صاحبه يطالبه بذلك ، فقال لقمان : أنا اخلّصك بشرط أن لا تعود إلى مثله ، قل : أشرب الماء الذي كان فيه و قتئذ فأتني به ، أو أشرب ماءه الآن فسدّ أفواهه لأشربه ، أو أشرب الماء الذي يأتي به ، فاصبر حتى يأتي ، فامسك صاحبه عنه .

و في بعض التفاسير : وقد ورد من لقمان عشرة آلاف كلمة كلها للوعظ والنصيحة .

و في رواية : قال لقمان يوماً لداود عليه السلام : و احفظ مني خمس كلمات فيها علم الاولين والاخرين :

أولها ـ ليكن عملك للدنيا بقدر لبثك فيها . ثانيها ـ ليكن عملك للاخرة بقدر لبثك فيها . ثالثها ـ ليكن همك ان يعتقك مولاك من النار . رابعها ـ ليكن جزاءك على المعصية بقدر صبرك على النار . خامسها ـ إذا أردت العصيان ، فاطلب مكاناً لا يريك فيه ربك .

﴿لقمان و قصصه﴾

في المجمع : ان لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع ، وقد لين الله له الحديد كالحديد فأراد أن يسئله فأدركته الحكمة ، فسكت فلما أتمها لبسها ، و قال : نعم لبوس الحرب أنت فقال لقمان : الصمت حكم و قليل فاعله ، فقال له داود : بحق ما سميت حكيما . و قيل : كان لقمان مع داود عليه السلام ثلاثين سنة و كان يجيئه يوماً فرآه يوماً الحديث .

وفيه: قال له بعض الناس: ألست كنت ترعى الغنم معنا ؟ فقال: نعم فقال : من أين اوتيت ما أرى ؟ قال : قدر الله و أداء الامانة و صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني .

و في تفسير الثعلبي : ذكران مولى لقمان دعاه ، فقال: اذبح شاة فأتني بأطيب مضغتين منها ، فذبح شاة و أتاه بالقلب واللسان ، ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام و أن يخرط (يأتي خ) منها بأخبث مضغتين، فأخرج القلب واللسان فسئله عن ذلك فقال : انهما أطيب شيء إذا طابا و أخبث شيء إذا خبثا .

و في رواية : وقف رجل على لقمان ، فقال : أنت لقمان ؟ أنت عبد بني الحسحاس ؟ قال : نعم ، قال : أنت راعي الغنم ؟ قال : نعم ، قال : أنت الاسود ، قال: أما سوادي فظاهر فما الذي يعجبك من أمري ؟ قال: وطيء الناس بساطك، و غشيهم بابك و رضاهم بقولك قال: يابن أخي ان صغيت إلى ما أقول لك كنت كذلك قال لقمان : غضّي بصري و كفي لساني ، و عفة طعمتي ، وحفظي فرجي،

و قولى بصدق و وفائى بعهدى ، و تكرمتى ضيفى و حفظى جارى ، و تركى ما لا يعنينى فذاك الذى صيّرنى إلى ما ترى .

و فى المجمع : وقيل: ان مولاه دخل المخرج فأطال فيه الجلوس، فناداه لقمان ان طول الجلوس على الحاجة يفجع - يوجع - منه الكبد ، ويورث منه الباسور ، و يصعد الحرارة إلى الرأس ، فاجلس هوناً و قم هوناً ، قال : فكتب حكمته على باب الحشّ . أى المخرج .

وفيه: قال عبدالله بن دينار قدم لقمان من سفر، فلقى غلامه فى الطريق، فقال : ما فعل أبى ؟ قال مات ، قال ملكت أمرى ، قال : ما فعلت إمرأتى؟ قال: ماتت ، قال : جدّد فراشى ، قال : ما فعلت اختى ؟ ، قال : ماتت ، قال : سترت عورتى ، قال : ما فعل أخى ؟ قال : مات ، قال : إنقطع ظهرى .

وفيه: وقيل له : ما أقبح وجهك! قال تعيب على النقش أو على فاعل النقش.

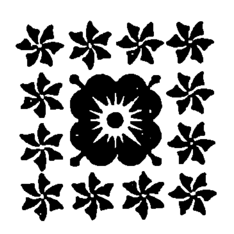
و فى تنبيه الخواطر : و كان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمرّ به مولاه ، فيقول : يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك ، فيقول لقمان : إن طول الوحدة أفهم للفكرة ، و طول الفكرة دليل على طريق الجنة .

وفيه: قال لقمان: لان يضربك الحكيم فيؤذيك خير من أن يدهنك الجاهل بدهن طيب .

و فى رواية : كان لقمان إذا مرّ بالاغنياء يقول: يا أهل النعيم لاتنسوا النعيم الاكبر (أى نعيم الاخرة) و إذا مرّ بالفقراء يقول : إياكم ان تغبنوا مرتين : بانكم غبنتم فى الدنيا ، فلا تفعلوا ما يوجب أن تغبنوا فى الآخرة أيضاً.

و فى بعض التفاسير : قال لقمان : خدمت أربعة آلاف نبى ، و اخترت من كلامهم ثمان كلمات : ١ - إن كنت فى الصلاة فاحفظ قلبك . ٢ - إن كنت

فى الطعام فاحفظ حلقك . ٣ ـ إن كنت فى بيت الغير فاحفظ عينيك . ٤ ـ إن كنت بين الناس فاحفظ لسانك . ٥ و ٦ ـ إنس اثنين . ٧ و ٨ ـ اذكر اثنين . أما اللذان تنساهما : فاحسانك فى حق الغير ، و إساءة الغير فى حقك . و أما اللذان تذكرهما : فالله تعالى والموت .



﴿ لقمان و مواعظه ﴾

قال الله تعالى : « و إذ قال لقمان لابنه و هو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » لقمان : ١٣) .

في البحار : عن الاوزاعي: ان لقمان الحكيم لماخرج من بلاده نزل بقرية بالموصل، يقال لها : كوماس ، قال: فلما ضاق بها ذرعه ـ أى ضعفت طاقتهوقلّ صبره ـ و اشتدّ بها غمه ، ولم يكن أحد يتبعه على أثره ، أغلق الأبواب ، وأدخل إبنه يعظه ، فقال : يا بنيّ ان الدنيا بحر عميق هلك فيها ناس كثير ، تزوّد من عملها ، و اتخذ سفينة حشوها تقوى الله ، ثم اركب الفلك تنجو ، و انى لخائف أن لا تنجو .

يا بنيّ السفينة ايمان ، وشراعها التوكل، و سكّانها الصبر، ومجاذيفها ـ أى جناح السفينة ـ الصوم والصلاة والزكاة ، يا بنيّ من ركب البحر من غير سفينة غرق يا بني أقلّ الكلام ، واذكرالله عزوجل في كل مكان ، فانه قدأنذرك و حذّرك و بصّرك و علّمك ، يا بني إتّعظ بالناس قبل أن يتّعظ الناس بك ، يابني اتعظ بالصغير ـ أى بالشيء الصغير الذى نزل بك من المصيبة والبلاء ـ قبل أن ينزل بك الكبير ، يا بني أملك نفسك عند الغضب حتى لاتكون لجهنم حطباً ، يابني الفقر خير من أن تظلم و تطغى ، يابني إياك وأن تستدين فتخون في الدين.

يا بني إن تخرج من الدنيا فقيراً ـ خير من أن تدع ـ أمرك و أموالك عند غيرك قيّماً فتصيّره أميراً ، يا بني ان الله رهن الناس بأعمالهم ، فويل لهم

مما كسبت أيديهم و أفئدتهم ، يابنى لا تأمن من الدنيا والذنوب والشيطان فيها، يا بنى انه قد افتتن الصالحون من الاولين ، فكيف تنجو منه الاخرون ! يابنى إجعل الدنيا سجنك ، فتكون الاخرة جنتك ، يا بنى إنك لم تكلّف أن تشيل ـ ترفع ـ الجبال ، و لم تكلّف مالا تطيقه ، فلا تحمل البلاء على كتفك ، ولاتذبح نفسك بيدك ، يا بنى لا تجارونّ الملوك فيقتلوك و لا تطعهم فتكفر .

يا بنى جاور المساكين ، و اخصص الفقراء والمساكين من المسلمين ، يابنى كن لليتيم كالأب الرحيم و للأرملة ـ من مات زوجه ـ كالزوج العطوف، يابنى انه ليس كل من قال : اغفرلى غفرله ، انهلايغفر إلاّ لمن عمل بطاعة ربه ، يابنى الجار ثم الدار ، يابنى الرفيق ثم الطريق ، يابنى لوكانتالبيوت علىالعمل (على العمد خ) ما جاور رجل جار سوء أبداً ، يابنى الوحدة خير من صاحب السوء ، يا بنى الصاحب الصالح خير من الوحدة ، يا بنى نقل الحجارة والحديد خير من قرين السوء ، يابنى انى نقلت الحجارة والحديد فلم أجد شيئاً أثقل من قرين السوء .

يا بنى انه من يصحب قرين السوء لا يسلم ، و من يدخل مداخل السوء يتهم ، يا بنى من لا يكفّ لسانه يندم ، يا بنى المحسن تكافأ باحسانه ، والمسيء يكفيك مساويه لوجهدت أن تفعل به أكثر مما يفعله بنفسه ما قدرت عليه ، يا بنى من ذا الذى عبدالله فخذله ؟ و من ذا الذى إبتغاه فلم يجده ؟ يا بنى و من ذا الذى ذكره فلم يذكره ؟ و من ذا الذى توكل على الله فوكله إلى غيره ؟ ومن ذا الذى تضرّع إليه جلّ ذكره فلم يرحمه ؟ يا بنى شاور الكبير و لا تستحى من مشاورة الصغير ، يا بنى إياك و مصاحبة الفساق فانماهم كالكلاب إن وجدوا عندك شيئاً أكلوه ، و إلاّ ذمّوك و فضحوك ، و انما حبهم بينهم ساعة .

يابنى معاداة المؤمن خير من مصادقة الفاسق ، يا بنى المؤمن تظلمه ولا يظلمك ، و تطلب عليه و يرضى عنك ، والفاسق لا يراقب الله فكيف يراقبك ؟ !

يا بني استكثر من الاصدقاء و لا تـأمن من الاعداء فان الغلّ في صدورهم مثل الماء تحت الرماد ، يا بني إبدأ الناس بالسلام والمصافحة قبل الكلام ، يابني لا تكالب الناس فيمقتوك ، و لا تكن مهيناً فيضلوك ، و لا تكن حلواً فيأكلوك ، و لا تكن مرّاً فيلفظوك ، و يروى : و لا تكن حلواً فتبلع ، و لا مرّاً فترمى .

يا بني لا تخاصم في علم الله ، فان علم الله لا يدرك و لا يحصى ، يا بني خف الله مخافة لاتيأس من رحمته ، و ارجه رجاء لا تأمن من مكره ، يابني انه النفس عن هواها، فانك إن لم تنه النفس عن هواها لن تدخل الجنة ولن تراها۔ و يروى انه نفسك عن هواها ، فانّ في هواها رداها، يابني انك منذ يوم هبطت من بطن امك استقبلت الآخرة و استدبرت الدنيا ، فانك إن نلت مستقبلها أولى بك من مستدبرها، يابني إياك والتجبر والتكبر والفخر فتجاور إبليس في داره ، يا بني دع عنك التجبر والكبر و دع عنك الفخر ، و اعلم أنك ساكن القبور .

يا بني إعلم أنه من جاور إبليس وقع في دار الهوان ، لا يموت فيها ولا يحيى ، يا بني ويل لمن تجبّر و تكبّر ، كيف يتعظّم من خلق من طين و إلى طين يعود ثم لايدرى إلى مايصير إلى الجنة فقد فاز أو إلى النار فقد خسر خسراناً مبيناً و خاب ؟ و يروى : كيف يتجبّر من قد جرى في مجرى البول مرتين۔ يابني كيف ينام ابن آدم والموت يطلبه ؟ و كيف يغفل عنه ؟ يابني انه قد مات أصفياء الله جل و عز و أحباءه و أنبياءه صلوات الله عليهم ، فمن ذا بعدهم يخلد فيترك ؟ يا بني لا تطأ أمتك و لو أعجبتك ، و انه نفسك عنها و زوّجها ، يابني لا تفشينّ سرّك إلى إمرأتك ولا تجعل مجلسك على باب دارك ، يا بني ان المرأة خلقت من ضلع أعوج إن أقمتها كسرتها ، وان تركتها تعوّجت، ألزمهنّ البيوت، فان أحسنّ فاقبل إحسانهنّ ، و إن أسأن فاصبر ان ذلك من عزم الامور .

يا بني النساء أربع : ثنتان صالحتان ، و ثنتان ملعونتان ، فأما إحدى الصالحتين: فهي الشريفة في قومها ، الذليلة في نفسها ، التي إن اعطيت شكرت،

و إن إبتليت صبرت ، القليل في يديها كثير ، والثاني : الولود الودود ، تعود بخير على زوجها هي كالام الرحيم ، تعطف على كبيرهم ، و ترحم صغيرهم ، و تحبّ ولد زوجها و إن كانوا من غيرها ، جامعة الشمل ، مرضية العمل ، مصلحة في النفس والاهل والمال والولد فهي كالذهب الاحمر .

طوبى لمن رزقها ، إن شهد زوجها أعانته ، و إن غاب عنها حفظته ، و أما إحدى الملعونتين : فهي العظيمة في نفسها ، الذليلة في قومها التي إن اعطيت سخطت ، و إن منعت عتبت ، و غضبت فزوجها منها في بلاء و جيرانها منها في عناء ، فهي كالأسد إن جاورته أكلك ، و إن هربت منه قتلك ، والملعونة الثانية فهي قلى عن زوجها ، وملّها جيرانها ، إنما هي سريعة السخطة ، سريعة الدمعة ، إن شهد زوجها لم تنفعه ، و إن غاب عنها فضحته ، فهي بمنزلة الارض النشاشة- وهي أرض لايجفّ نراها وتنبت- إن اسقيت أفاضته الماء وغرقت ، و إن تركتها عطشت ، و إن رزقت منها ولداً لم تنتفع به .

يابني لاتتزوّج بأمة فيباع ولدك بين يديك ، و هو فعلك بنفسك ، يابني لو كانت النساء تذاق كما تذاق الخمر ماتزوّج رجل إمرأة سوء أبداً ، يابني أحسن إلى من أساء إليك ، و لا تكثر من الدنيا ، فانك على غفلة منها ، و انظر إلى ما تصير منها ، يا بني لا تأكل مال اليتيم فتفضح يوم القيامة ، و تكلّف أن تردّه إليه ، يا بني لو أنه أغنى أحد عن أحد لأغنى الولد عن والده ، يا بني ان النار يحيط بالعالمين كلهم ، فلا ينجو منها أحد إلاّ من رحمه الله و قرّبه منه ، يا بني لايغرّنّك خبيث اللسان فانه يختم على قلبه ، وتتكلّم جوارحه وتشهد عليه .

يا بني لا تشتم الناس فتكون أنت الذى شتمت أبويك ، يا بني لا يعجبك إحسانك ولاتتعظّمنّ بعملك الصالح فتهلك ، يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف و انه عن المنكر و اصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ، يابني لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ، يابني ولاتمش في الارض مرحاً انك لن تخرق الارض

و لن تبلغ الجبال طولاً ، يا بنى ان كل يوم يأتيك يوم جديد يشهد عليك عند رب كريم .

يا بنى انك مدرج فى أكفانك و محل قبرك ، ومعاين عملك كله ، يابنى كيف تسكن دار من أسخطته ؟ أم كيف من قد عصيته ؟ يا بنى عليك بما يعنيك، و دع عنك مالا يعنيك، فان القليل منها يكفيك ، والكثير منها لايعنيك، يابنى لا تؤثرنّ على نفسك سواها ، و لا تورث مالك أعداءك ، يا بنى انه قد احصى الحلال الصغير، فكيف بالحرام الكثير؟ يا بنى انق النظر إلى مالا تملكه وأطل التفكر فى ملكوت السموات والارض والجبال وما خلق الله ، فكفى بهذا واعظاً لقلبك ، يا بنى اقبل وصية الوالد الشفيق .

يا بنى بادر بعملك قبل أن يحضر أجلك و قبل أن تسير الجبال سيراً ، و تجمع الشمس والقمر، و تغيّر السماء و تطوى ، و تنزل الملائكة صفوفاً خائفين حافين مشفقين وتكلّف أن تجاوز الصراط، وتعاين حينئذ عملك وتوضع الموازين و تنشر الدواوين ، يا بنى تعلّمت سبعة آلاف من الحكمة فاحفظ منها أربعاً ، و مرمعى إلى الجنة : احكم سفينك فان بحرك عميق ، وخفّف حملك فان العقبة كؤود ، و أكثر الزاد فان السفر بعيد ، و أخلص العمل فان الناقد بصير .

و فى الكافى : باسناده عن يحيى بن عقبة الأزدى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: كان فيما وعظ به لقمان إبنه : يابنى ان الناس قدجمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا و لم يبق من جمعوا له ، و إنما أنت عبد مستأجر قد امرت بعمل و وعدت عليه أجراً ، فأوف عملك و استوف أجرك ، ولاتكن فى هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت فى زرع أخضر فأكلت حتى سمنت ، فكان حتفها عند سمنها ، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها و تركتها و لم ترجع إليها آخر الدهر ، أخر بها و لا تعمّرها فانك لم تؤمر بعمارتها .

و اعلم انك ستسئل غداً إذا وقفت بين يدى الله عزوجل عن أربع : شبابك

فيما أبليته وعمرك فيما أفنيته ، ومالك مما اكتسبته وفيما أنفقته فتأهب لذلك، و أعدّ له جواباً ، و لا تأس على ما فاتك من الدنيا ، فان قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه و كثيرها لا يؤمن بلاؤه ، فخذ حذرك ، و جدّ في أمرك ، و اكشف الغطاء عن وجهك و تعرّض لمعروف ربك ، وجدّد التوبة في قلبك ، و اكمش في فراقك قبل أن يقصد قصدك ، و يقضى قضاؤك و يحال بينك و بين ما تريد .

و في رواية : قال لقمان لابنه : يابني احفظ عني أربعاً ومرمعي إلى الجنة: الاولى : أن يكون حرصك على الدنيا بقدر مقامك فيها . والثانية : أن يكون عملك للآخرة بقدر لبثك فيها . والثالثة : أن تكون خدمتك لمولاك بقدر حاجتك إليه . والرابعة أن تكون جرأتك على المعاصي بقدر صبرك على النار .

و في البحار : عن قصص الانبياء بالاسناد عن حماد بن عيسى عن الصادق عليه السلام انه قال: لما وعظ لقمان ابنه فقال: أنا منذ سقطت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة ، فدار أنت إليها تسير أقرب من دار أنت منها متباعد ، يا بني لا تطلب من الامر مدبراً ، و لا ترفض منه مقبلاً ، فان ذلك يضل الرأى و يزرى بالعقل يا بني ليكن مما تستظهر به على عدوّك الورع عن المحارم والفضل في دينك والصيانة لمرّتك والاكرام لنفسك أن تدنسها بمعاصي الرحمن ومساوى الاخلاق و قبيح الافعال .

و اكتم سرّك و أحسن سريرتك فانك اذا فعلت ذلك أمنت بستر الله أن يصيب عدوّك منك عورة أو يقدر منك على زلّة ، و لا تأمننّ مكره فيصيب منك غرّة في بعض حالاتك ، و إذا استمكن منك وثب عليك ولم يقلك عثرة وليكن مما تتسلّح به على عدوّك إعلان الرضى عنه ، واستصغر الكثير في طلب المنفعة ، و استعظم الصغير في ركوب المضرّة .

يا بني لا تجالس الناس بغير طريقتهم ، ولا تحملنّ عليهم فوق طاقتهم فلا يزال جليسك عنك نافراً، والمحمول عليه فوق طاقته مجانباً لك ، فاذا أنت فرد

أنت فرد لا صاحب لك يؤنسك ، و لا أخ لك يعضدك ، فاذا بقيت وحيداً كنت مخذولاً و صرت ذليلاً ، و لا تعتذر إلى من لايحب أن يقبل لك عذراً ، ولايرى لك حقاً ، ولا تستعن في امورك إلا بمن يحب أن يتخذ في قضاء حاجتك أجراً، فانه إذا كان كذلك طلب قضاء حاجتك لك كطلبه لنفسه لانه بعد نجاحها لك كان ربحاً في الدنيا الفانية ، و حظاً و ذخراً له في الدار الباقية ، فيجتهد في قضائها لك .

وليكن إخوانك وأصحابك الذين تستخلصهم وتستعين بهم على امورك أهل المروة والكفاف والثروة والعقل والعفاف الذين إن نفعتهم شكروك و إن غبت عن جيرتهم ذكروك .

وقال : من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ ، و من أنصف الناس من نفسه زاده الله بذلك عزاً ، والذل في طاعة الله أقرب من التعزز بالمعصية .



«لقمان و وصاياه»

في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن حماد بن عيسى عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: كان فيما أوصى به لقمان إبنه ناتان أن قال له: يا بني ليكن مما تتسلّح به على عدوّك، فتصرعه المماسحة، وإعلان الرضى عنه، ولا تزاوله بالمجانبة، فيبدوله مافي نفسك فيتأهّب لك، يا بنيّ خف الله خوفاً لو وافيته ببرّ الثقلين خفت أن يعذّبك الله، وارج الله رجاءاً لو وافيته بذنوب الثقلين رجوت أن يغفر لك، يا بني اني حملت الجندل والحديد و كل حمل ثقيل فلم أحمل شيئاً أثقل من جار السوء، وذقت المرارات كلها فلم أذق شيئاً أمرّ من الفقر.

قوله عليه السلام: «ولا تزاوله بالمجانبة» أي لا تعالجه بالمباعدة عنه. و«الجندل»: الصخر العظيم و «المماسحة»: الملاينة في القول غشاً وخديعة.

وفي فتح الابواب للسيد ابن طاوس قال: روى ان لقمان الحكيم قال لولده في وصيته: لاتعلّق قلبك برضى الناس ومدحهم وذمّهم، فان ذلك لا يحصل ولو بالغ الانسان في تحصيله بغاية قدرته. فقال ولده: ما معناه؟ احبّ أن أرى لذلك مثالاً أوفعالاً أومقالاً، فقال له: أخرج أنا وأنت، فخرجا ومعهما بهيمة فركبه لقمان، وترك ولده يمشي وراءه، فاجتازوا على قوم، فقالوا: هذا شيخ قاسي القلب، قليل الرحمة، يركب هو الدابة، وهو أقوى من هذا الصبي ويترك هذا الصبي يمشي وراءه، وان هذا بئس التدبير! فقال لولده: سمعت قولهم وإنكارهم لركوبي و

مشيك ؟

فقال : نعم : فقال : اركب أنت يا ولدى حتى أمشى أنـا ، فركب ولده و مشى لقمان ، فاجتازوا على جماعة اخرى ، فقالوا : هذا بئس الوالد وهذا بئس الولد أما أبـوه فانـه ما أدّب هذا الصبىّ حتى يركب الدابـة و يتـرك والده يمشى وراءه والوالد أحق بالاحترام والركوب ، وأما الولد فانه عقّ والده بهذه الحال ، فكلاهما أساءافى الفعال ! فقال لقمان لولده : سمعت ؟ فقال: نركب معاً الدابة ،فركبا معاً فاجتازا على جماعة ، فقالوا :

مـا فى قلب هذين الراكبين رحمة ، ولاعندهم من الله خير ، يركبان معاً الدابة يقطعان ظهرها ويحملانها مالاتطيق ، لوكان قدركب واحد ومشى واحـد كان أصلح وأجود فقال : سمعت ؟ فقال : نعم ، هات حتى نترك الدابة تمشى خالية من ركوبنا ، فساقا الدابة بين أيديهما وهما يمشيان فاجتازا على جماعة فقالوا: هذا عجيب من هذين الشخصين ، يتركان دابة فارغة تمشى بغير راكب ويمشيان! وذمّوهما على ذلك كما ذمّوهما على كل ما كان فقال لولده :

ترى فى تحصيل رضاهم حيلة لمحتال ؟ فلا تلتفت إليهم ، واشتغل برضى الله جل جلاله ، ففيه شغل شاغل ، وسعادة و إقبال فى الدنيا ويوم الحساب والسؤال.

ومن وصاياه : يابنى أكثر من قول : « رب اغفر لى » فان لله ساعة لايردفيها سائل . يابنى ان العمل لايستطاع إلاّ باليقين ، ومن يضعف يقينه يضعف عمله .

يا بنى إذا جاءك الشيطان من قبل الشك والريبة فاغلبه باليقين و النصيحة وإذا جاءك من قبل الكسل والسآمة فاغلبه بذكر القبر والقيامة ، وإذا جاءك مـن قبل الرغبة والرهبة فاخبره ان الدنيا مفارقة متروكة .

يا بنى ! إتخذ تقوى تجارة يأتك الربح من غير بضاعة .

يا بنى ليس غنى كصحة ولانعيم كطيب نفس .

يا بنى من كذب ذهب ماء وجهه وما (من ظ) ساء خلقه كثر غمّه ، ونقل الصخور من مواضعها أيسر من إفهام من لايفهم .

يابنى لاتكونن أعجز من هذاالديك الذى يصوّت بالأسحار وأنت نائم على فراشك . يا بنى لاتؤخر التوبة فان الموت ياتى بغتة .

يا بنى لاترغب فى ودّ الجاهل ، فيرى انك ترضى عمله . و لاتهاون بمقت الحكيم ، فيزهدفيك .

يا بنى اتق الله ولاتر الناس انك تخشى الله ليكرموك بذلك وقلبك فاجر .

يا بنى إختر المجالس على عينك ، فاذا رأيت المجلس يذكر الله تعالى فيه فاجلس معهم فانك إن تك عالماً ينفعك علمك ، و إن تك غبيـاً يعلموك و ان يطلع الله تعالى اليهم برحمة نصبك معهم .

يابنى لاتجلس فى المجلس الذى لايذكر فيه الله فانك إن تك عالماً لاينفعك علمك و إن تك عيياً يزيدوك عياً ، و ان يطلع الله إليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم .

يا بنى لايأكل طعامك إلاّ الاتقياء وشاور فى أمرك العلماء .

يا بنى إمتنع مما يخرج من فيك فانك ماسكت سالـم ، و إنما ينبغى لك من القول ما ينفعك .

يا بنى لاتتعلم مالاتعلم حتى تعمل بما تعلم .

وقال : ثلاثةلايعرفون إلاّ فى ثلاثة مواطن: الحليم عند الغضب ، والشجاع عند الحرب ، وأخوك عند حاجتك إليه .

يابنى إذا أردت أن تؤاخى رجلاً فاغضبه قبل ذلك ، فان أنصفك عند غضبه وإلاّ فاحذره .

و كان يقول : اللهم لا تجعل أصحابى الغافلين إذا ذكرتك لم يعينونى و إذا نسيتك لم يذكرونى و إذا أمرت لم يطيعونى وإن صمت احزنونى .

﴿ لقمان و ابنه ﴾

قال الله تعالى حكاية عن لقمان : « يابنى أقم الصلاة و امر بالمعروف وانه عن المنكر ـ إلى ـ إن أنكر الاصوات لصوت الحمير » لقمان : ١٧ ـ ١٩) .

و قد وردت روايات كثيرة فيما كلّم لقمان إبنه فى مواضيع مختلفة نشير إلى نبذة منها : ١ـ فى البحار عن قصص الانبياء بالاسناد عن الزهرى عن على بن الحسين صلوات الله عليهما قال : قال لقمان : يا بنى إن أشد العدم عدم القلب ، و إن أعظم المصائب مصيبة الدين ، و أسنى المرزئة مرزئته ، و أنفع الغنى غنى القلب ، فتلبّث فى كل ذلك ، و ألزم القناعة والرضا بما قسم الله ، و ان السارق إذا سرق حبسه الله من رزقه ، و كان عليه إثمه ، و لو صبر لنال ذلك و جاءه من وجهه ، يابنى أخلص طاعة الله حتى لاتخالطها بشىء من المعاصى، ثم زيّن الطاعة باتباع أهل الحق، فان طاعتهم متصلة بطاعة الله تعالى و زين ذلك بالعلم، و حصّن علمك بحلم لا يخالطه حمق ، و اخزنه بلين لا يخالطه جهل ، و شدّده بحزم لا يخالطه الضياع ، و امزج حزمك برفق لا يخالطه العنف .

قوله عليه السلام « العدم » : الفقدان ، و « المرزئة » : المصيبة العظيمة .

٢ـ وفيه عن الصادق عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : قيل للعبد الصالح لقمان : أىّ الناس أفضل ؟ قال : المؤمن الغنىّ ، قيل : الغنى من المال ؟ قال: لا ولكن الغنىّ من العلم الذى إن احتيج إليه انتفع بعلمه ، فان استغنى عنه اكتفى ، و قيل : فأىّ الناس أشرّ ؟ قال : الذى لا يبالى أن يراه الناس مسيئاً .

٣ ـ في تنبيه الخواطر : قال لقمان يابنى كما تنام كذلك تموت ، و كما تستيقظ كذلك تبعث . و قال : يا بنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً .

٤ ـ في الكافي باسناده عن حماد عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : قال لقمان لابنه: إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتك إياهم فى أمرك و امورهم ، و أكثر التبسم في وجوههم ، و كن كريماً على زادك ، و إذا دعوك فأجبهم و إذا استعانوا بك فأعنهم و اغلبهم بثلاث : بطول الصمت و كثرة الصلاة وسخاء النفس بما معك من دابة أو مال أو زاد و إذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم و أجهد رأيك لهم إذا استشاروك ، ثم لا تعزم حتى تثبّت و تنظر ، و لا تجب فى مشورة حتى تقوم فيها و تقعد و تنام و تصلّى ، و أنت مستعمل فكرك وحكمتك فى مشورته ، فان من لم يمحّض النصيحة لمن إستشاره سلبه‌الله تبارك وتعالى رأيه و نزع عنه الأمانة ، و إذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم ، و إذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم .

و إذا تصدّقوا و اعطوا قرضاً فأعط معهم ، و اسمع لمن هو أكبر منك سنّاً ، و إذا أمروك بأمر و سألوك فقل : نعم ، و لا تقل : لا ، فان لا عىّ ولوم ، و إذا تحيّرتم فى طريقكم فانزلوا ، و إذا شككتم فى القصد فقفوا و تؤامروا ، و إذا رأيتم شخصاً واحداً فلا تسئلوه عن طريقكم و لا تستر شدوه ، فان الشخص الواحد في الفلات مريب ، لعله أن يكون عيناً للصوص أو يكون هو الشيطان الذى يحيّركم ، و احذروا الشخصين أيضاً إلاّ أن تروا ما لا أرى ، فان العاقل إذا أبصر بعينه شيئاً عرف الحق منه .

والشاهد يرى مالا يرى الغائب ، يابنى فاذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخّرها لشىء و صلّها و استرح منها ، فانها دين ، و صلّ فى جماعة ولو على رأس زجّ ، ولاتنامنّ على دابتك فان ذلك سريع فى دبرها ، و ليس ذلك من فعل الحكماء إلاّ أن تكون فى محمل يمكنك التمدد لاسترخاء المفاصل ، و إذا قربت من

المنزل فانزل عن دابتك ، و ابدء بعلفها قبل نفسك ، و إذا أردت النزول فعليك من بقاع الارض بأحسنها لوناً ، و ألينها تربة و أكثرها عشباً ، و إذا نزلت فصلّ ركعتين قبل أن تجلس .

و إذا أردت قضاء حاجة فابعد المذهب في الارض ، فاذا ارتحلت فصلّ ركعتين، و ودّع الارض التي حللت بها ، و سلّم عليها و على أهلها ، فان لكل بقعة أهلاً من الملائكة ، و ان استطعت أن لاتأكل طعاماً حتى تبدء فتتصدق منه فافعل ، و عليك بقراءة كتاب الله عزوجل ما دمت راكباً ، و عليك بالتسبيح ما دمت عاملاً، وعليك بالدعاء مادمت خالياً ، و إياك والسير من أول الليل، وعليك بالتعريس والدلجة من لدن نصف الليل إلى آخره وإياك و رفع الصوت في مسيرك .

قوله : « وأجهد رأيك » : أظهره ، و «عيّ» : عجز و «تؤامروا» : تشاوروا و « عينا » : ديدباناً وجاسوساً ، و « زجّ » : حديدة في أسفل الرمح ، «الدلجة» : السير .

و في معاني الاخبار : عن البرقي مرفوعاً قال : قال لقمان لابنه : يابني صاحب مأة و لا تعاد واحداً ، يابني إنما هو خلاقك و خلقك ، فخلاقك دينك ، و خلقك بينك و بين الناس ، فلا تبتغض إليهم و تعلّم محاسن الاخلاق ، يا بني كن عبداً للاخيار و لا تكن ولداً للأشرار ، يا بني أدّ الامانة تسلم لك دنياك و آخرتك ، و كن أميناً تكن غنياً .

و في البحار : بالاسناد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال لقمان : يابني لاتقرب فيكون أبعد لك ، ولاتبعد فتهان ، كل دابة تحبّ مثلها وابن آدم لا يحبّ مثله ؟ ! لا تنشر بزّك إلاّ عند باغيه ، وكما ليس بين الكبش والذئب خلّة كذلك ليس بين البارّ والفاجر خلّة ، من يقترب من الزفت تعلّق كذلك من يشارك الفاجر، يتعلّم من طرقه ، من يحبّ المراء يشتم ، و من يدخل مدخل السوء يتهم ، و من يقارن قرين السوء لا يسلم ، و من لا يملك لسانه يندم .

وفيه: بالاسناد عن حماد بن عيسى عن الصادق عليه السلام قال: قال لقمان : يابني إياك والضجر ، و سوء الخلق و قلّة الصبر فلا يستقيم على هذه الخصال صاحب ، و ألزم نفسك التؤدة في امورك وصبّر على مؤونات الاخوان نفسك و حسّن مع جميع الناس خلقك، يابني إن عدمك ما تصل به قرابتك وتتفضّل به على إخوانك، فلا يعد منّك حسن الخلق و بسط البشر ، فانه من أحسن خلقه أحبّه الأخيار و جانبه الفجار ، و اقنع بقسم الله ليصفو عيشك ، فان أردت أن تجمع عزّ الدنيا فاقطع طمعك مما في أيدي الناس فانما بلغ الانبياء والصديقون ما بلغوا بقطع طمعهم .

وقال الصادق عليه السلام قال لقمان عليه السلام : يابني إن احتجت إلى سلطان فلا تكثر الالحاح عليه ، ولا تطلب حاجتك منه إلا في مواضع الطلب ، و ذلك حين الرضا و طيب النفس ولا تضجرنّ بطلب حاجة فان قضاءها بيد الله و لها أوقات، ولكن ارغب إلى الله و سله و حرّك إليه أصابعك .

يابني ان الدنيا قليل و عمرك قصير ، يا بني احذر الحسد فلا يكوننّ من شأنك ، و اجتنب سوء الخلق، فلا يكوننّ من طبعك فانك لاتضرّ بهما إلاّ نفسك، و إذا كنت أنت الضارّ لنفسك كفيت عدوّك أمرك لان عداوتك لنفسك أضرّ عليك من عداوة غيرك، يابني اجعل معروفك في أهله ، و كن فيه طالباً لثواب الله و كن مقتصداً ، و لا تمسكه تقتيراً و لا تعطه تبذيراً .

في حقيقة الوعظ وآثاره

قال الله تعالى : «وإذقال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم» لقمان : ١٣) .

وقداختلفت الكلمات في حقيقة الموعظة ،فقيل: هي زجر مقترن بالتخويف. وقيل : هي التذكير بالخير فيما يرقّ له القلب .

و قيل : هي ما يدعو الانسان إلى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة ، وان القرآن الكريم داع إلى كل خير وصلاح بهذا الطريق .

وقيل: هي التذكير بالعواقب سواءكان بالزجر والترهيب ، أو بالاستمالة والترغيب .

أقول: وقد سبق في اللغة : ان الوعظ هو : النصح بالطاعة . والوصاية بالتوحيد والتقوى والارشاد إلى الخير والصلاح مع التذكير بالله تعالى ، وتخويف عقابه حتى يرقّ قلب المتعظ ويلين .

و من البديهي : ان للموعظة آثاراً في النفوس والمجتمع البشري إذفيها حياة القلوب ، وجلاء الصدور وصقال النفوس ، وهي شفاء لمن اتعظ بها وتنبّه لمن يتنبّه ، وبالموعظة يهتدي كثير من الناس ، وانها كهف لمن وعاها ، فيطيع المتعظ بها الله تعالى ويميت شهواته ويترك المعاصي . . .

كل ذلك إذا كان الواعظ عاملاً بما يعظ الناس به ، فعلينا العمل ثم الوعظ .

وقدجاء الحث على الموعظة والاتعاظ في القرآن الكريم بمواضع عديدة :

منها : قوله تعالى : «قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى» الفاطر : ٤٦) .

ومنها : قوله تعالى : «ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسّكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم إذ تلقّونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم و تحسبونه هيّناً وهوعندالله عظيم ولولا إذسمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين» النور : ١٤-١٧) .

ومنها: قوله تعالى : «ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون ـ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» النحل : ٩٠-١٢٥) .

ومنها: قوله تعالى: «وإذقالت امة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أومعذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون» الاعراف :١٦٤) .

ومنها: قوله تعالى :«الرجال قوامون على النساء ـ فعظوهن ـ ان الله يامركم أن تؤدّوا الامانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ـ وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ـ ولو أنهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم و أشد تثبيتاً» النساء : ٣٤ و٥٨ و٦٣و٦٦) .

ومنها : قوله تعالى : «واذكروا نعمت الله عليكم وماأنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقواالله ـ ذلك يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الاخر ذلكم أزكى لكم وأطهر» البقرة : ٢٣١ ـ ٢٣٢) .

ومنها : قوله تعالى : «يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين» يونس : ٥٧) .

وغيرها من الايات الكريمة .

قال الامام مولى الموحدين علي عليه السلام : «ان أحسن الحديث وأبلغ موعظة

المتقين كتاب الله العزيز الحكيم» .

لما فيه من جلال الحق وعظمته وقدرته ، وعلمه وحكمته وقوته وعزته ومن رحمته وفضله و كرمه و من غضبه وسخطه وقهره . . . وان الآيات القرآنية حيث تكون، وحيث تتلى أو تسمع لايزايلها أبداً هذا العلو ، ولاتنفصل عنها تلك العظمة والقوة. . . ان هذه الصفات ليست شيئاً عارضاً فيها ، وإنما هي من كيانها وصميمها .. تعلو بها أبداً على كل كلام ، وترتفع بها دائماً على كل قول . . علوّ النجم على الحصا وإرتفاع السحاب على التراب !

وليس هذا العلو وتلك العظمة البارزة في القرآن الكريم تعالياً أو تكبراً، وإنما هي حقيقة لاصنعة فيها ، ولاتكلف معها ، و هل في علوّ الشمس على هذا الوجود الارضي علوّ أو تكبّر ؟

إن أيّ قارىء للقرآن أو مستمع له يستولي عليه شعور بالتصاغر والتضاؤل أمام هذا الجلال ، وتلك العظمة التي تطلع عليه من آيات الله تعالى والتي تشرف عليه من علوّ تحسر دونه الابصار !

فالقرآن الكريم في مخاطباته ومجادلاته ، وفي أوامره ونواهيه ، وفي وعده ووعيده، وفي أمثاله وقصصه، وفي مواعظه ونذره . . . وفي كل حال منه هو دائماً في هذا العلو الشامخ ، وفي هذا المقام الرفيع الذى لاينال إليه غيره..

في احقاق الحق : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : «لم أر أوعظ من المقبرة ولا آنس من كتاب الله تعالى» . الحديث .

وفي نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام :«أحي قلبك بالموعظة وأمته بالزهادة» .

أقول: هنا لفظان متقابلان، وذلك من لطيف الصنعة ، فالمراد إحياء دواعيه إلى الطاعة ، و إماتة الشهوات عنه .

﴿ الموعظة والاتعاظ ﴾

فى احقاق الحق : و من كلام الامام سيد الشهداء الحسين بن على عليه السلام حين قال له رجل: من أشرف الناس؟ فقال عليه السلام :من اتعظ قبل أن يوعظ، واستيقظ قبل أن يوقظ . فقال : أشهد أن هذا هو السعيد .

و فى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى باسناده عن إسمعيل بن بشر بن عمار قال :كتب هارون الرشيد إلى أبى الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : «عظنى وأوجز» قال : فكتب عليه السلام إليه : « ما من شىء تراه عينك إلاّ و فيه موعظة » .

و فى رواية : « مثل العلم بلا عمل كمثل الرعد بلا مطر ، ومثل القلوب القاسية كمثل الحجر الثابت فى الماء ، و مثل الموعظة عند من لا يرغب فيها كمثل المزمار عند أهل القبور » .

وفى نهج البلاغة: قال الامام مولى الموحدين على عليه السلام ـ فى خطبة ـ : « أيها الناس استصحبوا من شعلة مصباح واعظ متّعظ ، و امتاحوا من صفى عين قد روّقت من الكدر » الخطبة .

قوله عليه السلام : «متعظ» : هو متعظ فى نفسه واعظ لغيره ، فيعمل قبل أن يعظ غيره ، و إنما جعل الامام عليه السلام واعظاً متعظاً لان من لم يتعظ فى نفسه فلا يتعظ به غيره ، و ذلك لان القبول لايحصل منه ، والانفس تكون عنه نافرة ، ويكون داخلاً فى حيّز قوله تعالى: «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم» البقرة : ٤٤) و قوله تعالى : « لم تقولون مالا تفعلون » الصف : ٢) .

وعنى الامام عليه السلام بهذا المصباح نفسه عليه السلام ثم أمرهم أن يمتاحوا من عين صافية قد انتفى عنها الكدر. والامتياح: نزول البئر وملء الدلاء منها، ويكنى عليه السلام بهذا أيضاً عن نفسه عليه السلام.

وفيه: قال عليه السلام: «فانما امرتم بالنهي بعد التناهي» أي أمرتم بالنهي عن المنكر بعد تناهيكم عنه، وذلك لان إصلاح المرء نفسه أهم من الاعتناء باصلاحه لغيره، مع ان الناهي مالم يتناه عما ينهى غيره لا فائدة له.

وفيه: قال الامام علي عليه السلام لرجل سئله أن يعظه: «لاتكن ممن يرجوا الآخرة بغير عمل - إلى أن قال - يصف العبرة و لا يعتبر، و يبالغ في الموعظة و لا يتعظ فهو بالقول مدل و من العمل مقل» الخطبة.

قال السيد الرضي رضوان الله تعالى عليه: «و لو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة و حكمة بالغة، و بصيرة لمبصر، وعبرة لناظر مفكر».

و في شرح الحديد: قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم الاعرج: عظني، فقال: عظم ربك أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.

وفيه: قال بعض الحكماء: العلماء أطباء هذا الخلق، والدنيا داء هذا الخلق، فاذا كان الطبيب يطلب الداء فمتى يبرىء غيره!

وفيه: قال بعض العلماء في واعظ غير متعظ: ألا تعجبون من هذا الفاجر، يرقى عتبات المنبر فيتكلم بكلام الانبياء، وينزل فيفتك فتك الجبارين! يوافق الله في قوله، و يخالفه في عمله!

و في معاني الاخبار: عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أغفل الناس من لم يتعظ بتغير الدنيا من حال إلى حال».

و في أمالي الصدوق رحمه الله تعالى عليه: قال الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: السعيد من وعظ بغيره.

و في الدعاء : أعوذ بك أن تجعلني عظة لغيري .

و في كنز الفوائد للكراجكي أعلى‌الله مقامه باسناده عن حفص بن قرط عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من وعظه الله بخير فقبل فالبشرى ، و من لم يقبل فالنار له أحرى .

و في مصباح الشريعة : قال الامام الصادق عليه السلام : اعتبروا بما مضى من الدنيا هل بقي على أحد ؟ أو هل فيها باق من الشريف والوضيع، والغني والفقير، والولي والعدو ؟ فكذلك ما لم يأت منها بما مضى أشبه من الماء بالماء قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله : كفى بالموت واعظاً، وبالعقل دليلاً، وبالتقوى زاداً ، وبالعبادة شغلاً ، و بالله مونساً ، و بالقرآن بياناً .

وفي نهج‌البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام : « فيالها أمثالاً صائبة، و مواعظ شافية ، لو صادفت قلوباً زاكية ، و أسماعاً واعية ، و آراء عازمة ، و ألباباً حازمة » الخطبة .

قوله عليه السلام : « صائبة » غير عادلة عن الصواب ، و « شافية » تبرىء من مرض الجهل والهوى ، و « قلوباً زاكية » : طاهرة و « واعية » حافظة و « عازمة » : ذات عزم و «ألباباً» : عقولاً « حازمة » : ذات حزم والحزم : ضبط الرجل أمره .

وفيه: قال الامام علي عليه السلام في خطبة : « و اعلموا انه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ و زاجر، لم يكن له من غيرها لا زاجر و لا واعظ » .

قوله عليه السلام : « لم يعن » يحتمل أن يكون مبنياً للمفعول ، فالمعنى : من لم يعن من‌الله تعالى على نفسه ، و ذلك إذا كانت النفس مستعدة لاعانة الله عليها . و أن يكون مبنياً للفاعل ، فالمعنى : من لم يعن الواعظين له والمنذرين على نفسه ، ولم يكن معهم إلباً عليها وقاهراً لها لم ينتفع بالوعظ والزجر لان هوى نفسه يغلب ، وعظ كل واعظ و زجر كل زاجر .

وفي تحف العقول : قال الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام : « من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً فان مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً » .

وفيه: قال الامام الحسن العسكري عليه السلام : « من وعظ أخاه سراً فقد زانه ، و من وعظ علانية فقد شانه » .

وفيه: في مناجاة الله تعالى لموسى بن عمران عليه السلام : ياموسى خذ موعظتك من الدهر و أهله ، فان الدهر طويله قصير ، و قصيره طويل ، و كل شيء فان ، فاعمل كأنك ترى ثواب عملك لكي يكون أطمع لك في الاخرة .

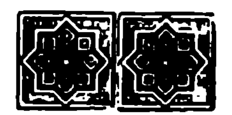
وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « هيهات هيهات أما يتعظ آخرهم بأولهم ، لقد جهلوا و نسوا كل موعظة في كتاب الله و أمنوا شر كل عاقبة سوء ، و لم يخافوا نزول فادحة و لا بوائق كل حادثة » .

و في نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام : « ربما كان الدواء داء والداء دواء ، و ربما نصح غير الناصح و غش المستنصح » .

وقد حكي : ان بعض الظرفاء سمع واعظاً يعظ ، فوقف يستمع له ثم لما لم يجد لكلماته صدى في نفسه ، أو أثراً في كيانه إنصرف عنه قائلا : « ياهذا إن بقلبك لشراً أو بقلبي كدورة » .

أقول : و لعمري اني لأجد مصداق هذا في كثير من « الدعايات » التي تذيعها الصحف ، و دور الاذاعة ، وفيما يكتب المأجورون من الكتّاب، والمنافقون من أرباب الاقلام . . . حين يراد لهم أن يقيموا للباطل وجوداً ، و أن يرفعوا من الزور بنياناً ، و من الاستبداد أساساً ، و من الاستثمار حقاً . . . و انك أيها القاري المنصف تسمع تلك الكلمات أو تقرؤها ، فتشم منها ريحاً خبيثة باردة خانقة تبعث في نفسك تقززاً و في وجدانك وحشة و نفرة ، و تحملك حملاً إلى مسافات بعيدة عن هذا الامر الذي تزينه لك و تدعوك إليه ! حتى لو كنت أنت

من دعاة هذا الباطل ، و شهداءِ هذا الزور ! الصدق ولاشيء غيره هو الذى يجمع القلوب ، و يملك النفوس ، و يحمل العدو على أن يحترمك و يذعن لمشيئتك ، وينقاد لكلمتك و إن تأبّى وعاند وكابر فانه لابدله من رجعة إلى الحق ، وفيئة إلى ظلاله طال به الأمد أم قصر . . .



﴿ مواعظ النبى الكريم ﷺ ﴾

وقد وردت مواعظ النبى الكريم ﷺ بألفاظ موجزة نشير إلى نبذة منها:

فى الفقيه : و من ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة التى لم يسبق إليها : « اليد العليا خير من اليد السفلى » . ٢ ـ ما قلّ و كفى خير مما كثر و ألهى . ٣ ـ خير الزاد التقوى . ٤ ـ رأس الحكمة مخافة الله عزوجل . ٥ ـ خير ما القى فى القلب اليقين .

٦ ـ الارتياب من الكفر . ٧ ـ النياحة من عمل الجاهلية . ٨ ـ السكر جمر النار . ٩ ـ الشعر من إبليس . ١٠ ـ الخمر جماع الآثام . ١١ ـ النساء حبالة الشيطان . ١٢ ـ الشباب شعبة من الجنون . ١٣ ـ شر المكاسب كسب الربا. ١٤ ـ شر المآكل أكل مال اليتيم ظلماً . ١٥ ـ السعيد من وعظ بغيره .

١٦ ـ الشقى من شقى فى بطن امه . ١٧ ـ مصيركم إلى أربعة أذرع . ١٨ـ أربى الربا الكذب . ١٩ ـ سباب المؤمن فسوق . ٢٠ ـ قتال المؤمن كفر. ٢١ـ أكل لحمه من معصية الله عزوجل .

٢٢ ـ حرمة ماله كحرمة دمه . ٢٣ ـ من كظم الغيظ يأجره الله عزوجل. ٢٤ ـ من يصبر على الرزية يعوضه الله . ٢٥ ـ الآن حمى الوطيس . ٢٦ـ لايلسع المؤمن من جحر مرتين . ٢٧ ـ لا يجنى على المرء إلاّ يده . ٢٨ ـ الشديد على من غلب نفسه . ٢٩ ـ ليس الخبر كالمعاينة . ٣٠ ـ اللهم بارك لامتى فى بكورها يوم سبتها و خميسها .

٣١ ـ المجالس بالأمانة . ٣٢ ـ سيد القوم خادمهم . ٣٣ ـ لو بغى جبل على جبل لجعله الله دكاً . ٣٤ ـ إبدأ بمن تعول . ٣٥ ـ الحرب خدعة . ٣٦ ـ المسلم مرآة لأخيه . ٣٧ ـ مات حتف أنفه . ٣٨ـ البلاء موكل بالمنطق. ٣٩ـ الناس كأسنان المشط سواء .

٤٠ ـ أيّ داءٍ أدوى من البخل . ٤١ ـ الحياء خير كله . ٤٢ ـ اليمين الفاجرة تدع الديار من أهلها بلاقع . ٤٣ـ أعجل الشر عقوبة البغي. ٤٤ـ أسرع الخير ثواباً البر . ٤٥ ـ المسلمون عند شروطهم .

٤٦ ـ ان من الشعر لحكمة ، و ان من البيان لسحراً . ٤٧ـ إرحم من فى الارض يرحمك من فى السماء . ٤٨ـ من قتل دون ماله فهو شهيد . ٤٩ـ العائد فى هبته كالعائد فى قيئه . ٥٠ ـ لايحل للمؤمن أن يهجر أخاه المؤمن فوق ثلاث.

٥١ ـ من لا يرحم لا يرحم . ٥٢ ـ الندم توبة . ٥٣ ـ الولد للفراش و للعاهر الحجر . ٥٤ـ الدال على الخير كفاعله . ٥٥ ـ حبك الشيء يعمى ويصمّ. ٥٦ ـ لا يشكر الله من لا يشكر الناس . ٥٧ ـ لا يؤوى الضالة إلاّ الضال .

٥٨ ـ اتقوا النار ولو بشق تمرة . ٥٩ ـ الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف . ٦٠ ـ مطل الغنى ظلم . ٦١ ـ السفر قطعة من العذاب . ٦٢ـ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة . ٦٣ـ صاحب المجلس أحق بصدر مجلسه . ٦٤ ـ احثوا فى وجوه المداحين التراب .

٦٥ ـ استنزلوا الرزق بالصدقة . ٦٦ ـ إدفعوا البلاء بالدعاء . ٦٧ـ جبلت (حبلت خ) القلوب على حبّ من أحسن إليها و بغض من أساء إليها . ٦٨ ـ ما نقص مال من صدقة . ٦٩ـ لاصدقة و ذورحم محتاج . ٧٠ـ الصحة والفراغ نعمتان مكفورتان .

٧١ ـ عفو الملك عقال الملك . ٧٢ ـ هبة الرجل لزوجته تزيد فى عفتها . ٧٣ ـ لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

قوله ﷺ : « الوطيس » : التنور . المعركة يضرب مثلاً للحرب إذا اشتد ، و هي كلمة لم تسمع إلاّ منه ﷺ ، و هو من فصيح الكلام عبّر به عن إشتباك الحرب و قيامها على ساق . وهذا من كلامه ﷺ في غزوة حنين حين ما رجع الناس بنداء عباس بن عبدالمطلب بعدالهزيمة ، وأخذوا بالقتال ، فأشرف النبي ﷺ في ركائبه فنظر إلى المعركة و هم يقتتلون فقال ﷺ : الآن حمى الوطيس .

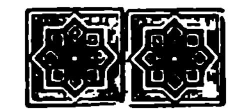
وقوله ﷺ : « إبدأ بمن تعول » أي إبدأ بمن عليك مؤنته و نفقته من عيالك ، فان فضل شيء فليكن للأجانب . « بلاقع » البلقع : الارض القفر التي لاشيء بها و «مطل» المطل: التسويف والمدافعة بالعدة والدين و «مكفورتان» : غير مشكورتين .

و في رواية : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس ! ان أصدق الحديث كتاب‌الله و أوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، و أشرف الحديث ذكر الله ، و أحسن القصص القرآن ، و خير الامور عزائمها ، و شرّ الامور محدثاتها ، و أحسن الهدى هدى الانبياء ، و أشرف القتل قتل الشهداء ، و أعمى العمى الضلالة بعد الهدى ، و خير الاعمال ما نفع ، وخير الهدى ما اتبع ، و شرّ العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، و ما قلّ و كفى خير مما كثر و ألهى .

و شرّ المعذرة حين يحضر الموت ، و شر الندامة ندامة يوم القيامة ، ومن أعظم خطايا اللسان الكذب ، و خير الغنى غنى النفس ، و خير الزاد التقوى ، و رأس الحكمة مخافة‌الله ، و خير ما القي في القلب اليقين ، والمسكر من النار ، والخمر جماع الاثم ، والنساء حبالات إبليس ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب الربا ، وشر المآكل أكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن امه ، و إنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع ، وملاك العمل

خواتيمه ، و كل ما هو آت قريب .

و سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، و أكل لحمه معصية ، و حرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يستغفرالله يغفر له ، و من يعف يعف‌الله عنه ، و من يصبر على الرزية يعوّضه الله .



﴿ مواعظ الامام على عليه السلام ﴾

فى تحف العقول : قال الاصبغ بن نباته : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: « احدثكم بحديث ينبغى لكل مسلم أن يعيه ، ثم أقبل علينا فقال عليه السلام : ١ ـ ما عاقب الله عبداً مؤمناً فى هذه الدنيا إلاّ كان أجود و أمجد من أن يعود فى عقابه يوم القيامة . ٢ ـ ولاستر الله على عبد مؤمن فى هذه الدنيا و عفى عنه إلاّ كان أمجد و أجود و أكرم من أن يعود فى عفوه يوم القيامة .

٣ ـ وقد يبتلى الله المؤمن بالبلية فى بدنه أو ماله أو ولده أو أهله ، وتلا هذه الاية : « ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير » وضمّ يده ثلاث مرّات ويقول : « و يعفو عن كثير » . ٤ ـ أول القطيعة السجا ٥ـ ولا تأس أحداً إذا كان ملولاً. ٦ـ أقبح المكافاة المجازاة بالاساءة . ٧ـ أوّل إعجاب المرء بنفسه فساد عقله . ٨ ـ من غلب لسانه أمنه . ٩ ـ من لم يصلح خلائقه كثر بوائقه . ١٠ ـ من ساء خلقه مله أهله .

١١ـ رب كلمة سلبت نعمة . ١٢ـ الشكر عصمة من الفتنة . ١٣ـ الصيانة رأس المروة . ١٤ ـ شفيع المذنب خضوعه . ١٥ ـ أصل الحزم الوقوف عند الشبهة . ١٦ـ فى سعة الأخلاق كنوز الارزاق . ١٧ـ المصائب بالسوية مقسومة بين البرية . ١٨ ـ لا تيأس لذنبك و باب التوبة مفتوح . ١٩ ـ الرشد فى خلاف الشهوة . ٢٠ ـ تأريخ المنى الموت .

٢١ ـ النظر إلى البخيل يقسى القلب . ٢٢ ـ النظر إلى الاحمق يسخن

العين . ٢٣ ـ السخاء فطنة . ٢٤ ـ واللوم تغافل . ٢٥ ـ الفقر الموت الاكبر . ٢٦ـ و قلة العيال أحد اليسارين وهو نصف العيش والهم نصف الهرم . ٢٧ـ وما عال امرؤ اقتصد . ٢٨ ـ و ما عطب امرؤ استشار ٢٩ ـ والصنيعة لاتصلح إلا عند ذى حسب أو دين . ٣٠ ـ والسعيد من وعظ بغيره .

٣١ ـ والمغبون لا محمود ولا مأجور . ٣٢ ـ البر لا يبلى . ٣٣ـ والذنب لا ينسى ٣٤ ـ اصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد . ٣٥ ـ و استشعروا الحمد يؤنس بكم العقلاء ٣٦ ـ و دعوا الفضول بجانبكم السفهاء . ٣٧ ـ و أكرموا الجليس تعمرنا ديكم . ٣٨ ـ و حاموا عن الخليط يرغب في جواركم . ٣٩ـ و أنصفوا الناس من أنفسكم يوثق بكم . ٤٠ ـ وعليكم بمكارم الاخلاق فانها رفعة .

٤١ ـ و إياكم والاخلاق الدنيّة فانها تضع الشريف و تهدم المجد . ٤٢ـ اقنع تعز. ٤٣ـ الصبر جنة من الفاقة . ٤٤ـ والحرص علامة الفقر. ٤٥ـ والتجميل إجتناب المسكنة . ٤٦ـ والموعظة كهف لمن لجأ إليها . ٤٧ ـ من كساه العلم ثوبه إختفى عن الناس عيبه . ٤٨ ـ لا عيش لحسود و لا مودة لملوك و لا مروة لكذوب . ٤٩ ـ تروح إلى بقاء عزك بالوحدة .

٥٠ ـ كل عزيز داخل تحت القدرة فذليل . ٥١ ـ أهلك الناس إثنان : خوف الفقر و طلب الفخر . ٥٢ ـ أيها الناس إياكم و حب الدنيا فانها رأس كل خطيئة ، و باب كل بلية ، و قران كل فتنة ، و داعى كل رزية .

٥٣ ـ جمع الخير كله فى ثلاث خصال : النظر والسكوت والكلام ، فكل نظر ليس فيه إعتبار فهو لهو ، و كل سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة و كل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو ، فطوبى لمن كان نظره عبرة و سكوته فكرة و كلامه ذكراً و بكى على خطيئته ، و أمن الناس من شره .

٥٤ ـ ما أعجب هذا الانسان مسرور بدرك ما لم يكن ليفوته محزون على فوت ما لم يكن ليدركه ، ولو انه فكر لأبصر و علم انه مدبر و أن الرزق عليه

مقدر و لا قتصر على ما تيسر ولم يتعرض لما تعسر . ٥٥ ـ إذا طاف فى الاسواق و وعظهم قال عليه السلام : يامعشر التجار قدموا الاستخارة وتبركوا بالسهولة واقتربوا من المبتاعين ، وتزينوا بالحلم وتناهوا عن اليمين ، وجانبوا الكذب، وتخافوا عن الظلم و انصفوا المظلومين ، و لا تقربوا الربا ، و أوفوا الكيل والميزان و لاتبخسوا الناس أشياءهم ، ولاتعثوا فى الارض مفسدين . ٥٦ ـ و سئل أىّ شىء مما خلق الله أحسن ؟ فقال عليه السلام : الكلام . فقيل : أىّ شىء مما خلق الله أقبح ؟ قال : الكلام ، ثم قال : بالكلام ابيضت الوجوه ، و بالكلام اسودت الوجوه .

٥٧ ـ قولوا الخير تعرفوا به و اعملوا به تكونوا من أهله . ٥٨ ـ إذا حضرت بلية فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم . ٥٩ ـ و إذا نزلت نازلة فاجعلوا أنفسكم دون دينكم . ٦٠ ـ و اعلموا أن الهالك من هلك دينه . ٦١ ـ والحرب من سلب دينه . ٦٢ـ ألاوانه لا فقر بعد الجنة ، ولاغنى بعد النار . ٦٣ـ لايجد عبد طعم الايمان حتى يترك الكذب هزله وجدّه. ٦٤ ـ ينبغى للرجل المسلم أن يجتنب مؤاخاة الكذب ، انه يكذب حتى يجيىء بالصدق فما يصدّق .

٦٥ ـ أعظم الخطايا إقتطاع مال امرىء مسلم بغير حق . ٦٦ ـ من خاف القصاص كفّ عن ظلم الناس . ٦٧ ـ ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد . ٦٨ـ العامل بالظلم والمعين عليه والراضى به شركاء ثلاثة . ٦٩ـ الصبر صبران : صبر عندالمصيبة حسن جميل ، و أحسن من ذلك ، الصبر عند ما حرّم الله عليك. ٧٠ ـ والذكر ذكران : ذكر عند المصيبة حسن جميل ، و أفضل من ذلك : ذكرالله عند ما حرم عليك فيكون ذلك حاجزاً .

٧١ ـ اللهم لا تجعل بى حاجة إلى أحد من شرار خلقك ، و ما جعلت بى من حاجة فاجعلها إلى أحسنهم وجهاً ، و أسخاهم بها نفساً و أطلقهم بها لساناً و أقلّهم علىّ بها منّاً . ٧٢ ـ طوبى لمن يألف الناس ، و يألفونه على طاعةالله. ٧٣ ـ ان من حقيقة الايمان أن يؤثر العبد الصدق حتى يفرّ عن الكذب حيث

ينفع ، و لا يعد المرء بمقالة علمه .

۷٤- أدّوا الأمانة ولو إلى قاتل ولد الانبياء . ۷٥- التقوى سنخ الايمان. ۷٦ - ألا ان الذلّ في طاعة الله أقرب إلى العز من التعاون بمعصية الله . ۷۷ - المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الاخرة ، وقد جمعهما الله لأقوام.

۷۸- وقال عليه السلام : مكتوب في التوراة في صحيفتين : إحداهما - من أصبح على الدنيا حزيناً فقد أصبح لقضاء الله ساخطاً . و من أصبح من المؤمنين يشكو مصيبة نزلت به إلى من يخالفه على دينه، فانما يشكو ربه إلى عدوه ، ومن تواضع لغني طلباً لما عنده ذهب ثلثا دينه ، و من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن يتخذ آيات الله هزواً . و في الصحيفة الاخرى : من لم يستشر يندم ، ومن يستأثر من الاموال يهلك ، والفقر الموت الاكبر .

۷۹ - قال عليه السلام : الانسان لبّه لسانه ، و عقله دينه ، و مروته حيث يجعل نفسه، والرزق مقسوم، والايام دول ، والناس إلى آدم شرع سواء . ۸۰- قال عليه السلام لكميل بن زياد : رويدك لا تشهر ، و اخف شخصك لاتذكر تعلم تعلم ، واصمت تسلم ، لا عليك إذا عرفك دينه لا تعرف الناس ولايعرفونك . ۸۱ - ليس الحكيم من لم يدار من لا يجد بداً من مداراته . ۸۲ - أربع لو ضربتم فيهن أكباد الابل لكان ذلك يسيراً : لا يرجونّ أحد إلاّ ربه ، و لا يخافنّ إلاّ ذنبه ، ولا يستحيي أن يقول : لا أعلم إذا هو لم يعلم ، و لا يستكبر أن يتعلم إذا لم يعلم .

۸۳ - و كتب عليه السلام إلى عبدالله بن العباس أما بعد : فاطلب مايعنيك، و اترك مالا يعنيك درك ما يعنيك ، و إنما تقدم على ما أسلفت لا على ما خلفت و ابن ما تلقاه غداً على ما تلقاه والسلام . ۸٤ - ان أحسن ما يألف به الناس قلوب أودائهم و نفوا به الضغن عن قلوبهم أعدائهم حسن البشر عند لقائهم والتفقد في غيبتهم والبشاشة بهم عند حضورهم .

۸٥ - لايجد عبد طعم الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما

أخطأه لم يكن ليصيبه . ٨٦ ـ يا رب ما أشقى جد من لم يعظم فى عينه و قلبه ما رأى من ملكك و سلطانك فى جنب ما لم ترعينه و قلبه من ملكك و سلطانك ، و أشقى منه من لم يصغر فى عينه و قلبه ما رأى ، و ما لم يرمن ملكك وسلطانك فى جنب عظمتك و جلالك ، لا إله إلاّ أنت سبحانك انى كنت من الظالمين .

٨٧ ـ إنما الدنيا فناء و عناء و غير و عبر فمن فنائها انك ترى الدهر موتراً قوسه مفوقاً نبله لا تخطىء سهامه ولاتشفى جراحه ، يرمى الصحيح بالقسم والحى بالموت ، و من عنائها ان المرء يجمع ما لا يأكل ، و يبنى ما لا يسكن ، ثم يخرج إلى الله لا مالاً حمل و لا بناءاً نقل ، و من غيرها انك ترى المغبوط مرحوماً والمرحوم مغبوطاً ، ليس بينهم إلاّ نعيم زال ، و بؤس نزل ، ومن عبرها أن المرء يشرف على أمله فيتخطفه أجله فلا أمل مدروك ، و لا مؤمل متروك ، فسبحان الله ما أعز سرورها ، و أظمأريها، و أضحى فيئها ، فكأن ما كان من الدنيا لم يكن ، و كأن ما هوكائن قد كان ان الدار الاخرة هى دارالمقام ، ودارالقرار و جنة و نار صار أولياء الله إلى الأجر بالصبر و إلى الأمل بالعمل .

٨٨ ـ من أحب السبل إلى الله جرعتان : جرعة غيظ تردّها بحلم ، وجرعة حزن تردّها بصبر ، و من أحب السبل إلى الله قطرتان : قطرة دموع فى جوف الليل، و قطرة دم فى سبيل‌الله ، و من أحب السبل إلى‌الله خطوتان : خطوة امرء مسلم يشهد (يشدخ) بها فى سبيل الله ، و خطوة فى صلة الرحم أفضل من خطوة يشهد بها صفا فى سبيل الله . ٨٩ ـ لا يكون الصديق لأخيه صديقاً حتى يحفظه فى نكبته وغيبته وبعد وفاته . ٩٠ـ ان قلوب الجهال تستفزها الاطماع وترتهنها المنى ، و تستعلقها الخدائع .

٩١ ـ من إستحكمت فيه خصلة من خصال الخير اغتفرت ما سواها ، و لا اغتفر فقد عقل و لا دين ، مفارقة الدين مفارقة الأمن ، و لا حياة مع مخافة ، و فقد العقل فقد الحياة ، و لا يقاس بالاموات . ٩٢ ـ من عرض نفسه للتهمة فلا

يلومنّ من أساء به الظن ، و من كتم سرّه كانت الخيرة فى يده . ۹۳ ـ ان الله يعذب ستة بستة: العرب بالعصبية، والدهاقين بالكبر، والامراءِ بالجور، والفقهاءِ بالحسد ، والتجار بالخيانة ، و أهل الرستاق بالجهل .

۹٤ ـ أيها الناس اتقوا الله ، فان الصبر على التقوى أهون من الصبر على عذاب الله . ۹٥ ـ الزهد فى الدنيا قصر الامل ، و شكر كل نعمة ، والورع عن كل ماحرم‌الله. ۹٦ـ ان‌الأشياء لما ازدوجت‌إزدوج الكسل والعجز، فنتج منهما الفقر . ۹۷ ـ ألا ان الايام ثلاثة : يوم مضى فلا ترجوه ، و يوم بقى لابد منه ، و يوم يأتى لا تأمنه ، فالأمس موعظة ، واليوم غنيمة ، و غداً لا تدرى من أهله ، أمس شاهد مقبول ، واليوم أمين مؤد ، وغد يجعل بنفسك سريع الظعن، طويل الغيبة أتاك و لم تأته .

۹۸ ـ أيها الناس ! ان البقاء بعد الفناءِ ، ولم تكن إلاّ وقد ورثنا من‌كان قبلنا و لنا وارثون بعدنا ، فاستصلحوا ما تقدمون عليه بما تظعنون عنه . ۹۹ ـ و اسلكوا سبل الخير ، و لا تستوحشوا فيها لقلة أهلها ، و اذكروا حسن صحبة الله لكم فيها . ۱۰۰ ـ ألا و ان العوارى اليوم والهبات غداً . ۱۰۱ ـ و إنما نحن فروع لأصول قد مضت ، فما بقاء الفروع بعد اصولها . ۱۰۲ ـ أيها الناس انكم ان آثرتم الدنيا على‌الاخرة أسرعتم إجابتها إلى العرض الادنى ، و رحلت مطايا آمالكم إلى الغاية القصوى ، يورد مناهل عاقبتها الندم ، و تذيقكم ما فعلت بالامم الخالية والقرون الماضية من تغيّر الحالات و تكون المثلات .

۱۰۳ ـ الصلاة قربان كل تقى ، والحج جهاد كل ضعيف ، و لكل شيء زكاة، و زكاة البدن الصيام . ۱۰٤ـ و افضل عمل المرءِ إنتظاره فرج الله . ۱۰٥ـ والداعى بلاعمل كالرامى بلاوتر . ۱۰٦ـ ومن‌أيقن بالخلف جاد بالعطية. ۱۰۷ـ استنزلوا الرزق بالصدقة . ۱۰۸ ـ و حصنوا أموالكم بالزكاة ۱۰۹ ـ و ما عال امرء اقتصد . ۱۱۰ ـ والتقدير نصف العيش . ۱۱۱ ـ والتودد نصف‌العقل . ۱۱۲ـ

والهم نصف الهرم . ١١٣ ـ و قلة العيال أحد اليسارين . ١١٤ ـ و من أحزن والديه عقهما . ١١٥ ـ و من ضرب بيده على فخذه عند المصيبة حبط أجره ، والصنيعة لا تكون صنيعة إلاّ عند ذى حسب أو دين .

١١٦ـ والله ينزل الرزق على قدر المصيبة (المؤنة ظ) ١١٧ ـ فمن قدر رزقه الله و من بذر حرمه الله ١١٨ ـ والأمانة تجرّ الرزق ، والخيانة تجر الفقر. ١١٩ ـ و لو أراد الله بالنملة صلاحاً ما أنبت لها جناحاً . ١٢٠ ـ متاع الدنيا حطام و تراثها كباب ، بلغتها أفضل من أثرتها ، و قلعتها أركن من طمأنينتها ، حكم بالفاقة على مكثرها ، و اعين بالراحة من رغب عنها ، من راقه رواؤها أعقبت ناظرية كمها ، و من استشعر شعفها ملأت قلبه أشجاناً ، لهن رقص على سويداءِ قلبه كرقيص الزبدة على أعراض المدرجة هم يحزنه و هم يشغله كذلك حتى يؤخذ بكظمه ويقطع أبهراه و يلقى هاماً للفضاءِ طريحاً هيناً على الله مداه و على الأبرار ملقاه ، و انما ينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار ، و يقتات منها ببطن إضطرار و يسمع فيها باذن المقت والابغاض .

١٢١ ـ تعلموا الحلم فان الحلم خليل المؤمن و وزيره ، والعلم دليله والرفق أخوه ، والعقل رفيقه ، والصبر أمير جنوده . ١٢٢ـ قال عليه السلام لرجل تجاوز الحدّ في التقشف : يا هذا أما سمعت قول الله : « و أما بنعمة ربك فحدّث » فوالله لابتذا لك نعم الله بالفعال أحب إليه من إبتذالكها بالمقال .

موعظة الامام الصادق عليه السلام لاهل الحق التى لابد لهم من النظر فيها

في الوافي : عن إبن فضال عن حفص المؤذّن عن أبي عبدالله عليه السلام و عن إبن بزيع عن محمد بن سنان عن إسمعيل بن جابر عن أبيعبدالله عليه السلام انه كتب بهذه الرسالة إلىأصحابه وأمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها ، و كانوا يضعونها في مساجد بيوتهم ، فاذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها . و عن إبن سماعة عن جعفر بن محمد بن مالك الكوفى عن القاسم بن الربيع الصحاف عن إسمعيل بن مخلد السرّاج قال : خرجت هذه الرسالة من أبي عبدالله عليه السلام إلى أصحابه :

بسم‌الله الرحمن الرحيم

« أما بعد فاسئلوا‌الله ربكم العافية ، وعليكم بالدعة ، والوقار والسكينة، و عليكم بالحياء والتنزه عما تنزّه عنه الصالحون قبلكم ، و عليكم بمجاملة أهل الباطل تحمّلوا الضيم منهم ، و إياكم و مماظتهم، دينوا فيما بينكم و بينهم إذاأنتم‌جالستموهم وخالطتموهم ونازعتموهم الكلام ، فانه لابدلكم من‌مجالستهم و مخالطتهم و منازعتهم الكلام بالتقية التى أمركم الله أن تأخذوا بها ، فيما بينكم و بينهم ، فاذا إبتليتم بذلك منهم فانهم سيؤذونكم و تعرفون في وجوههم المنكر ، و لو لا أن الله تعالى يدفعهم عنكم لسطوا بكم ، و ما في صدورهم من العداوة والبغضاء أكثر مما يبدون لكم .

مجالسكم و مجالسهم واحدة ، و أرواحكم و أرواحهم مختلفة لا تأتلف ، لاتحبّونهم أبداً ولايحبّونكم غير أن الله تعالى أكرمكم بالحق، وبصّركموه ولم يجعلهم من أهله فتجاملونهم و تصيرون عليهم وهم لامجاملة لهم ولاصبر لهم على شيء من امور كم ، تدفعون أنتم السيئة بالتى هى أحسن فيما بينكم و بينهم تلتسمون بذلك وجه ربكم بطاعته ، و هم لاخير عندهم ، لايحلّ لكم أن تظهروهم على اصول دين الله فانه إن سمعوا منكم فيه شيئاً عادوكم عليه و رفعوه عليكم ، و جاهدوا على هلاكهم و استقبلوكم بما تكرهون و لم يكن لكم النصف منهم دول الفجار ، فاعرفوا منزلتكم فيما بينكم و بين أهل الباطل .

فانه لا ينبغى لأهل الحق أن ينزلوا أنفسهم منزلة أهل الباطل لان الله لم يجعل أهل الحق عنده بمنزلة أهل الباطل ، ألم تعرفوا وجه قول الله تعالى فى كتابه إذ يقول: « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار » أكرموا أنفسكم عن أهل الباطل فلاتجعلوا الله تعالى ـ و له المثل الاعلى ـ و إمامكم و دينكم الذى تدينون به عرضة لأهل الباطل ، فتغضبوا الله عليكم ، فتهلكوا فمهلاً مهلاً يا أهل الصلاح لاتتركوا أمر الله وأمر من أمركم بطاعته ، فيغير الله ما بكم من نعمه ، أحبوا فى الله من وصف صفتكم ، و أبغضوا فى الله من خالفكم ، و أبذلوا مودتكم و نصيحتكم لمن وصف صفتكم ، و لا تبذلوها لمن رغب عن صفتكم ، و عاداكم عليها و بغالكم الغوائل .

هذا أدبنا أدب الله فخذوا به ، وتفهّموه واعقلوه ولاتنبذوه وراءظهوركم، ما وافق هداكم أخذتم به ، وماوافق هواكم اطرحتموه ولم تأخذوا به ، وإياكم والتجبّر على الله ، و اعلموا أن عبداً لم يبتل بالتجبّر على الله إلاّ تجبّر على دين الله فاستقيموا لله و لا ترتدّوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ، أجارنا الله و إياكم من التجبر على الله ، و لا قوة لنا و لا لكم إلاّ بالله .

و قال : ان العبد إذا كان خلقه الله فى الأصل أصل الخلقة مؤمناً لم يمت

حتى يكره الله إليه الشر و يباعده منه ، و من كره الله إليه الشر و باعده منه عافاه الله من الكبر أن يدخله ، والجبرية فلانت عريكته وحسن خلقه وطلق وجهه و صار عليه و قار الاسلام و سكينته و تخشّعه ، و ورع عن محارم الله و اجتنب مساخطه و رزقه الله مودّة الناس و مجاملتهم و ترك مقاطعة الناس والخصومات ، ولم يكن منها ولا من أهلها في شيء و ان العبد إذا كان الله خلقه في الاصل أصل الخلق كافراً لم يمت حتى يحبّب إليه الشر و يقرّ به منه ، فاذا حبّب إليه الشر و قرّ به منه إبتلى بالكبر والجبرية فقسى قلبه و ساء خلقه و غلظ وجهه وظهر فحشه وقلّ حياؤه و كشف الله ستره و ركب المحارم، فلم ينزع عنها ، و ركب معاصى الله و أبغض طاعته و أهلها .

فبعد ما بين حال المؤمن و حال الكافر سلوا الله العافية و اطلبوها إليه و لا حول و لا قوة إلاّ بالله .

صبّروا النفس على البلاء في الدنيا ، فانّ تتابع البلاء فيها والشدة في طاعة الله و ولايته و ولاية من أمر بولايته خير عاقبة عند الله في الاخرة من ملك الدنيا ، و إن طال تتابع نعيمها و زهرتها و غضارة عيشها في معصية الله و ولاية من نهى الله عن ولايته و طاعته ، فان الله أمر بولاية الائمة الذين سمّاهم في كتابه في قوله : « و جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا » و هم الذين أمر الله بولايتهم وطاعتهم ، والذين نهى الله عن ولايتهم وطاعتهم و هم أئمة الضلال الذين قضى الله أن يكون لهم دول في الدنيا على أولياء الله الائمة من آل محمد صلى الله عليه وآله يعملون في دولتهم بمعصية الله و معصية رسوله صلى الله عليه وآله ليحقّ عليهم كلمة العذاب ، وليتمّ أمر الله فيهم الذى خلقهم له في الاصل أصل الخلق من الكفر الذى سبق في علم الله أن يخلقهم له في الاصل ، و من الذين سمّاهم الله في كتابه في قوله : « و جعلنا منهم أئمة يدعون إلى النار » .

فتدبّروا هذا و اعقلوه ولاتجهلوه فان من جهل هذا و أشباهه مما افترض

الله عليه فى كتابه مما امر به ونهى عنه ترك دين الله، و ركب معاصيه ، فاستوجب سخط الله فأكبّه الله على وجهه فى النار .

و قال : أيتها العصابة المرحومة المفلحة ان الله تعالى أتمّ لكم ما آتاكم من الخير و اعلموا انه ليس من علم الله و لا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله فى دينه بهوى و لا رأى و لا مقائيس ، قد أنزل الله القرآن و جعل فيه تبيان كل شيء و جعل للقرآن و تعلّم القرآن أهلاً لايسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه أن يأخذوا فيه بهوى و لا رأى و لا مقائيس أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه ، و خصّهم به و وضعه عندهم و كرامة من الله تعالى أكرمهم بها ، و هم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الامة بسئوالهم ، و هم الذين من سئلهم ، و قد سبق فى علم الله أن يصدّقهم و يتّبع أثرهم ، أرشدوه و اعطوه من علم القرآن ما يهتدى به إلى الله باذنه و إلى جميع سبل الحق .

و هم الذين لا يرغب عنهم و عن مسئلتهم و عن علمهم الذى أكرمهم الله به و جعله عندهم إلاّ من سبق عليه فى علم الله الشقاء فى أصل الخلق تحت الأظلّة ، فاولئك الذين يرغبون عن سئوال أهل الذكر والذين آتاهم الله تعالى علم القرآن و وضعه عندهم و أمر بسئوالهم ، فاولئك الذين يأخذون بأهوائهم و آرائهم و مقائيسهم حتى دخلهم الشيطان لانهم جعلوا أهل الايمان فى علم القرآن عند الله كافرين و جعلوا أهل الضلالة فى علم القرآن عند الله مؤمنين ، و حتى جعلوا ما أحلّ الله فى كثير من الامر حراماً ، و جعلوا ما حرّم الله فى كثير من الامر حلالاً فذلك أصل ثمرة أهوائهم و قد عهد إليهم رسول الله ﷺ قبل موته ، فقالوا :

نحن بعد ما قبض الله رسوله يسعنا أن نأخذ بما اجتمع عليه رأى الناس بعد قبض الله تعالى رسوله ، و بعد عهد الذى عهده إلينا و أمرنا به ، مخالفة لله تعالى و لرسوله ﷺ فما أحد أجرأ على الله و لا أبين ضلالة ممن أخذ بذلك

و زعم ان ذلك يسعه والله إن لله على خلقه أن يطيعوه و يتبعوا أمره في حياة محمد صلى الله عليه و آله و سلم و بعد موته ، هل يستطيع اولئك أعداء الله أن يزعموا أن أحداً ممن أسلم مع محمد صلى الله عليه و آله و سلم أخذ بقوله و رأيه و مقائيسه ، فان قال : نعم ، فقد كذب على الله و ضلّ ضلالاً بعيداً ، و إن قال : لا ، لم يكن لأحد أن يأخذ برأيه و هواه و مقائيسه ، فقد أقرّ بالحجة على نفسه ، و هو ممن يزعم ان الله يطاع و يتبع أمره بعد قبض الله رسوله صلى الله عليه و آله و سلم و قد قال الله تعالى ـ و قوله الحق ـ :

« ومامحمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين » و ذلك ليعلموا أن الله تعالى يطاع و يتبع أمره في حياة محمد صلى الله عليه و آله و سلم وبعد قبض الله محمداً صلى الله عليه و آله و سلم و كما لم يكن لأحد من الناس مع محمد صلى الله عليه و آله و سلم أن يأخذ بهواه ولا رأيه و لا مقائيسه خلافاً لأمر محمد صلى الله عليه و آله و سلم فكذلك لم يكن لأحد من الناس من بعد محمد صلى الله عليه و آله و سلم أن يأخذ بهواه و لا رأيه و لا مقائيسه .

وقال : دعوا رفع أيديكم في الصلاة إلاّ مرة واحدة حين تفتتح الصلاة فان الناس قد شهروكم بذلك والله المستعان و لا حول و لا قوة إلاّ بالله .

و قال : أكثروا من أن تدعوا الله فان الله يحبّ من عباده المؤمنين أن يدعوه و قد وعد عباده المؤمنين بالاستجابة ، والله مصيّر دعاء المؤمنين يوم القيامة لهم عملاً يزيدهم به في الجنة ، فأكثروا ذكر الله ما استطعتم في كل ساعة من ساعات الليل والنهار فان الله تعالى أمر بكثرة الذكر له ، والله ذاكر لمن ذكره من المؤمنين ، و اعلموا أن الله لم يذكره أحد من عباده المؤمنين إلاّ ذكره بخير فاعطوا الله من أنفسكم الاجتهاد في طاعته فان الله لايدرك شيء من الخير عنده إلاّ بطاعته وإجتناب محارمه التي حرّم الله تعالى في ظاهر القرآن و باطنه فان الله تعالى قال في كتابه ـ و قوله الحق ـ :

« و ذروا ظاهر الاثم و باطنه » و اعلموا ان ما أمر الله أن تجتنبوه فقد

حرّمه الله و اتبعوا آثار رسول الله ﷺ وسنته ، فخذوا بها ولاتتبعوا أهواءكم و آراءكم فتضلّوا فان أضل الناس عندالله من اتبع هواه و رأيه بغير هدى من الله وأحسنوا إلى أنفسكم ما استطعتم ، فان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وإن أسأتم فلها ، و جاملوا الناس و لا تحملوهم على رقابكم تجمعوا مع ذلك طاعة ربكم و إياكم ، و سبّ أعداء الله حيث يسمعونكم فيسبّوا الله عدواً بغير علم ، و قد ينبغي لكم أن تعلموا حدّ سبّهم لله كيف هو، انه من سبّ أولياء الله فقد انتهك سبّ الله ، و من أظلم عندالله ممن استسبّ لله و لأوليائه ، فمهلاً مهلاً فاتبعوا أمر الله و لا قوة إلاّ بالله .

وقال: أيتها العصابة الحافظ الله لهم أمرهم ، عليكم بآثار رسول الله ﷺ و سنته ، و آثار الائمة الهداة من أهل بيت رسول الله ﷺ من بعده وسنتهم، فانه من أخذ بذلك فقد اهتدى ومن ترك ذلك ، و رغب عنه ضلّ لأنهم هم الذين أمر الله بطاعتهم و ولايتهم ، و قد قال أبونا رسول الله ﷺ : « المداومة على العمل في إتباع الآثار والسنن و إن قلّ أرضى لله و أنفع عنده في العاقبة من الاجتهاد في البدع و إتباع الأهواء » .

ألا إن إتباع الأهواء و إتباع البدع بغير هدى من الله ضلال ، و كل ضلال بدعة ، و كل بدعة في النار ولن ينال شيء من الخير عندالله إلاّ بطاعته ، والصبر والرضا لان الصبر والرضا من طاعة الله .

و اعلموا انه لن يؤمن عبد من عبيده حتى يرضى عن الله فيما صنع الله إليه و صنع به على ما أحبّ و كره ، و لن يصنع الله بمن صبر و رضى عن الله إلاّ ماهو أهله ، وهو خير له مما أحبّ و كره و عليكم بالمحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين كما أمر الله به المؤمنين في كتابه من قبلكم، و إياكم و عليكم بحبّ المساكين المسلمين ، فانه من حقّرهم و تكبّر عليهم، فقد زلّ عن دين الله ، والله له حاقر و ماقت ، و قد قال أبونا رسول الله ﷺ :

« أمرني ربي بحب المساكين المسلمين منهم » .

و اعلموا أنه من حقّر أحداً من المسلمين ألقى الله عليه المقت منه ، والمحقرة حتى يمقته الناس والله له أشدّ مقتاً، اتقوا الله في إخوانكم المسلمين المساكين منهم ، فان لهم عليكم حقاً أن تحبّوهم فان الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بحبّهم ، فمن لم يحبّ من أمر الله بحبه فقد عصى الله و رسوله ، و من عصى الله و رسوله ، و مات على ذلك مات و هو من الغاوين .

وإياكم والعظمة والكبر، فان الكبر رداء الله تعالى، فمن نازع الله رداءه قصمه الله و أذلّه يوم القيامة .

و إياكم أن يبغي بعضكم على بعض، فانها ليست من خصال الصالحين، فانه من بغى صيّر الله بغيه على نفسه ، و صارت نصرة الله لمن بغى عليه ومن نصره الله غلب و أصاب الظفر من الله ، و إياكم أن يحسد بعضكم بعضاً ، فان الكفر أصله الحسد ، و إياكم أن تعينوا على مسلم مظلوم ، فيدعو الله عليكم ، فيستجاب له فيكم، فان أبانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: « ان دعوة المسلم المظلوم مستجابة » و ليعن بعضكم بعضاً فانّ أبانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول : « إنّ معونة المسلم خير و أعظم أجراً من صيام شهر و إعتكافه في المسجد الحرام » .

و إياكم و إعسار أحد من إخوانكم المؤمنين أن تعسروه بالشيء يكون لكم قبله ، و هو معسر فان أبانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول : « ليس لمسلم أن يعسر مسلماً ومن أنظر معسراً أظلّه الله يوم القيامة بظلّه يوم لاظلّ إلاّ ظلّه » .

و إياكم أيتها العصابة المرحومة المفضّلة على من سواها، وحبس حقوق الله قبلكم يوماً بعد يوم و ساعة بعد ساعة فانه من عجّل حقوق الله قبله كان الله أقدر على التعجيل له إلى مضاعفة الخير في العاجل والآجل ، و انه من أخّر حقوق الله قبله كان الله أقدر على تأخير رزقه ، ومن حبس الله رزقه لم يقدر أن يرزق نفسه ، فأدّوا إلى الله حق ما رزقكم يطيب لكم بقيته ، وينجز لكم ما وعدكم من مضاعفته

لكم الأضعاف الكثيرة التى لايعلم بعددها ، ولايكنه فضلها إلاّالله رب العالمين .

و قال : اتقوا الله أيتها العصابة و إن استطعتم أن لا يكون منكم محرج للامام، وانمحرج للامام هوالذى يسعى بأهل الصلاح من أتباع الامام ، المسلمين لفضله الصابرين على أداء حقه العارفين بحرمته ، و اعلموا أن من نـزل بذلك المنزل عندالامام فهومحرج للامام ، فاذا فعل ذلك عند الامام أحرج الامام إلى أن يلعن أهل الصلاح من أتباعه ، المسلّمين لفضله ، الصابرين على أداء حقه ، العارفين بحرمته ، فاذا لعنهم لاحراج أعداءالله الامام صارت لعنته رحمة من الله عليهم و صارت اللعنة من الله و من الملائكة و رسوله على اولئك .

وأعلموا أيتها العصابة أن السنة من الله قد جرت فى الصالحين قبل، وقال: من سرّه أن يلقى الله و هو مؤمن حقاً حقاً فيتولّ الله و رسوله والذين آمنوا و ليبرأ إلى الله من عدوّهم و ليسلّم لما انتهى إليه من فضلهم لان فضلهم لايبلغه ملك مقرّب و لا نبى مرسل و لا من دون ذلك ، ألم تسمعوا ما ذكرالله من فضل أتباع الائمة الهداة و هم المؤمنون قال : « اولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين و حسن اولئك رفيقاً » .

فهذا وجه من وجوه فضل أتباع الائمة ، فكيف بهم وفضلهم ، و من سرّه أن يتمّ الله له ايمانه حتى يكون مؤمناً حقاًحقاً فكيف لله بشروطه التى اشترطها على المؤمنين، فانه قد اشترط مع ولايته وولاية رسوله وولاية أئمة المؤمنين عليهم السلام إقام الصلاة و ايتاء الزكاة و إقراض الله قرضاً حسناً ، و إجتناب الفواحش ماظهر منها و ما بطن ، فلم يبق شىء مما فسّر مما حرّم الله الاّ و قد دخل فى جملة قوله : فمن دان الله فيما بينه و بين الله مخلصاً لله ، و لم يرخّص لنفسه فى ترك شىء من هذا فهو عندالله فى حزبه الغالبين ، و هو من المؤمنين حقاً .

و إياكم والاصرار على شىء مما حرّم الله فى ظهر القرآن و بطنه ، وقد قال الله : « و لم يصرّوا على ما فعلوا و هم يعلمون » .

إلى‌هنا رواية القاسم بن الربيع . قال‌المجلسى قدس‌سره : ما يذكر بعده لم يكن فى رواية القاسم بل كان فى رواية حفص و اسمعيل و هو :

يعني المؤمنين قبلكم إذا نسوا شيئاً مما اشترط‌الله فى كتابه عرفوا انهم قد عصوا الله فى تركهم ذلك الشى ، فاستغفروا و لم يعودوا إلى تركه ، فذلك معنى قول الله تعالى : « و لم يصرّوا على ما فعلوا و هم يعلمون » .

و اعلموا أنه إنما أمر و نهى ليطاع فيما أمر به ، و لينتهى عما نهى‌عنه ، فمن اتبع أمره فقد أطاعه و قد أدرك كل شيء من‌الخير عنده ومن لم ينته عما نهى‌الله عنه فقد عصاه فان مات على‌معصيته أكبّه الله على‌وجه في‌النار، واعلموا انه ليس بين الله و بين أحد من خلقه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ،ولا من‌دون ذلك من‌خلقه كلهم إلاّ طاعتهم له ، فجدّوا في‌طاعة‌الله إن سرّكم أن تكونوا مؤمنين حقاً حقاً و لا قوة إلاّ بالله .

وقال: عليكم بطاعة ربكم ما استطعتم فان‌الله ربكم ، و اعلموا أن‌الاسلام هو التسليم والتسليم هو الاسلام ، فمن سلّم فقد أسلم و من لم يسلّم فلا إسلام له ، و من سرّه أن يبلغ إلى نفسه في الاحسان ، فليطع الله فانه من أطاع الله فقد أبلغ إلى نفسه فى الاحسان .

وإياكم ومعاصى‌الله أن تركبوها ، فانه من انتهك معاصى‌الله فركبها فقد أبلغ فى الاساءة إلى نفسه ، وليس بين الاحسان والاساءة منزلة فلأهل الاحسان عند ربهم الجنة و لاهل الاساءة عند ربهم النار ، فاعملوا بطاعة الله و اجتنبوا معاصيه ، و اعلموا انه ليس يغنى‌عنكم من الله أحد من‌خلقه شيئاً لاملك مقرّب ولا نبى مرسل ، و لا من دون ذلك ، فمن سرّه أن تنفعه شفاعة الشافعين عندالله فليطلب إلى الله أن يرضى عنه .

و اعلموا أن أحداً من خلق‌الله لم يصب رضا الله إلاّ بطاعته وطاعة رسوله و طاعة ولاة أمره من آل محمد صلى الله عليهم ، و معصيتهم من معصية الله ، ولم

ينكر لهم فضلاً عظم و لا صغر ، و اعلموا أن المنكرين هم المكذبون ، و أن المكذبين هم المنافقون و أن الله تعالى قال للمنافقين - و قوله الحق - : « ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار و لن تجد لهم نصيراً » و لا يفرقنّ أحد منكم ألزم الله قلبه طاعته و خشيته من أحد من الناس أخرجه الله من صفة الحق و لم يجعله من أهلها ، فان من لم يجعله الله من أهل صفة الحق ، فاولئك هم شياطين الانس والجن فان لشياطين الانس حيلاً و مكراً و خدائع ، و وسوسة بعضهم إلى بعض يريدون إن استطاعوا أن يردّوا أهل الحق عما أكرمهم الله به من النظر فى دين الله الذى لم يجعل الله شياطين الانس من أهله إرادة أن يستوى أعداء الله وأهل الحق فى الشك والانكار والتكذيب فيكونون سواء كما وصف الله فى كتابه من قوله سبحانه : « ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء » .

ثم نهى الله أهل النصر بالحق أن يتخذوا من أعداء الله ولياً و لا نصيراً ، فلا يهولنّكم ولا يردّنّكم عن النصر بالحق الذى خصّكم الله به من حيلة شياطين الانس و مكرهم و حيلهم و وساوس بعضهم إلى بعض، فان أعداء الله إن استطاعوا صدّوكم عن الحق ، فيعصمكم الله من ذلك فاتقوا الله و كفّوا ألسنتكم إلاّ من خير وإياكم أن تذلقوا ألسنتكم بقول الزور والبهتان والاثم والعدوان فانكم إن كففتم ألسنتكم عما يكره الله مما نهاكم عنه كان خيراً لكم عند ربكم من أن تذلقوا ألسنتكم به ، فان ذلق اللسان فيما يكره الله ، و فيما ينهى عنه لدناءة للعبد عند الله ومقت من الله وصمم وعمى وبكم يورثه الله إياه يوم القيامة فيصيروا كما قال الله : « صمّ بكم عمى فهم لا يرجعون » (يعنى لا ينطقون) ولا يؤذن لهم فيعتذرون .

و إياكم ومانهاكم الله عنه أن تركبوه وعليكم بالصمت إلاّ فيما ينفعكم الله به فى أمر آخرتكم ويؤجركم عليه، وأكثروا من التهليل والتقديس والتسبيح والثناء على الله والتضرع إليه والرغبة فيما عنده من الخير الذى لا يقدر قدره

ولا يبلغ كنهه أحد فاشغلوا ألسنتكم بذلك عما نهى‌الله عنه من أقاويل الباطل التى تعقّب أهلها خلوداً فى النار لمن مات عليها و لم يتب إلى الله منها ، و لم ينزع عليها، وعليكم بالدعاء فان المسلمين لم يدركوا نجاح الحوائج عند ربهم بأفضل من‌الدعاء والرغبة إليه والتضرع إلى‌الله والمسئلة له فارغبوا فيما رغبكم الله فيه و أجيبوا الله إلى ما دعاكم اليه لتفلحوا و تنجوا من عذاب الله .

و إياكم أن تشره أنفسكم إلى شيء مما حرّم الله عليكم ، فانه من انتهك ما حرّم الله عليه ههنا فى الدنيا حال الله بينه و بين الجنة و نعيمها و لذتها و كرامتها القائمة الدائمة لأهل‌الجنة أبد الآبدين، واعلموا انه بئس‌الحظّ الخطر لمن خاطر بترك طاعة الله و ركوب معصيته ، فاختار أن ينتهك محارم الله فى لذّات دنيا منقطعة زائلة عن أهلها على خلود نعيم فى الجنة و لذاتها و كرامة أهلها ، ويل لاولئك ما أخيب خطهم و أخسر كرّتهم ، و أسوأ حالهم عند ربهم يوم القيامة ، استجيروا الله أن يجريكم فى‌مثالهم أبداً وأن يبتليكم بما ابتلاهم به و لا قوة لنا و لكم إلاّ به .

فاتقوا‌الله أيتها العصابة‌الناجية إن أتمّ‌الله لكم ما أعطاكم فانه لايتمّ‌الامر حتى يدخل عليكم مثل‌الذى دخل على‌الصالحين قبلكم، وحتى‌تبتلوا فى‌أنفسكم وأموالكم وحتى تسمعوا من أعداء الله أذى كثيراً، فتصبروا وتعركوا بجنودكم، و حتى يستذلّوكم أو يبغضوكم ، و حتى يحملوا عليكم الضيم فتحتملوه منهم تلتمسون بذلك وجه‌الله والدار الآخرة ، وحتى‌تكظموا الغيظ الشديد فى‌الأذى فى الله يجترمونه إليكم و حتى يكذّبوكم بالحق و يعادوكم فيه و يبغضوكم عليه ، فتصبروا على ذلك منهم و مصداق ذلك كله فى كتاب الله الذى أنزله جبرئيل على نبيكم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم سمعتم قول الله تعالى لنبيكم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم :

« فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل و لا تستعجل لهم » ثم قال : « و إن يكذبوك فقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا و اوذوا » .

فقد كذّب نبي الله والرسل من قبله، و اوذوا مع التكذيب بالحق، فان سرّكم أن تكونوا مع نبي الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم والرسل من قبله فتدبّروا ما قصّ الله عليكم في كتابه مما ابتلى به أنبياءه و أتباعهم المؤمنين ثم سلوا الله أن يعطيكم الصبر على البلاء في السرّاء والضرّاء والشدة والرخاء مثل الذى أعطاهم.

وإياكم ومماظّة أهل الباطل، وعليكم بهدى الصالحين ووقارهم وسكينتهم و حلمهم و تخشعهم و ورعهم عن محارم الله و صدقهم و وفائهم و إجتهادهم لله في العمل بطاعته، فانكم إن لم تفعلوا ذلك لم تنزلوا عند ربكم منزلة الصالحين قبلكم، واعلموا أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً شرح صدره للاسلام، فاذا أعطاه ذلك نطق لسانه بالحق، وعقد قلبه عليه، فعمل به، فاذا جمع الله له ذلك تمّ إسلامه و كان عندالله إن مات على ذلك الحال من المسلمين حقاً، و إذا لم يرد الله بعبد خيراً وكله إلى نفسه، و كان صدره ضيقاً حرجاً، فان جرى على لسانه حق لم يعقد قلبه عليه، وإذا لم يعقد قلبه عليه لم يعطه الله العمل به، فاذا اجتمع ذلك عليه حتى يموت و هو على تلك الحال كان عندالله من المنافقين، و صار ماجرى على لسانه من الحق الذى لم يعطه الله أن يعقد قلبه عليه ولم يعطه العمل به حجة عليه.

فاتقوا الله وسلوه أن يشرح صدوركم للاسلام، وأن يجعل ألسنتكم تنطق بالحق حتى يتوفاكم، و أنتم على ذلك، و أن يجعل منقلبكم منقلب الصالحين قبلكم و لا قوة إلاّ بالله والحمد لله رب العالمين، و من سرّه أن يعلم أن الله عزوجل يحبّه فليعمل بطاعة الله و ليتّبعنا ألم يسمع قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: «قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم» والله لايطيع الله عبد أبداً إلاّ أدخل الله عليه في طاعته اتباعنا ولا والله لايتبعنا عبد أبداً إلاّ أحبه الله، ولا والله لا يدع اتباعنا أحد أبداً إلاّ أبغضنا، ولا والله لايبغضنا أحد أبداً إلاّ عصى الله، و من مات عاصياً لله أخزاه الله و أكبّه على وجهه في النار

والحمد لله رب العالمين .

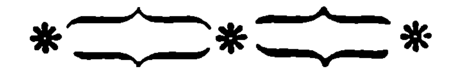
قوله عليه السلام : «بالدعة» : بخفض العيش والطمأنينة ، و «بمجاملة» : المعاملة بالجميل ، و « الضيم » : الظلم ، و « مماظتهم » : شدة منازعتهم و مخاصمتهم مع طول اللزوم، «لسطوا» : لقهروا عليكم بالبطش، و «أن تظهروهم» : أن تطلعوهم ، و «ورفعوه عليكم» : رفعوا إلى ولاتهم لينالكم الضرر منهم، و «عرضة» : معترضاً بينكم و بينهم ، و « مهلاً » : أمهلوا مهلاً ، و « وصف صفتكم » أى قال بقولكم و دان بدينكم ، و «بغالكم الغوائل» : طلب لكم المهالك، و «التجبر» : التكبر، و لعل المراد بالتجبر على الله عدم المبالاة بأوامره ونواهيه تعالى ، والجبرية : الكبر ، فالعطف للبيان ، و « عريكته » : طبيعته ، يقال : فلان لين العريكة : إذا كان سلساً مطاوعاً منقاداً قليل الخلاف والنفور . و « زهرتها » : حسن الدنيا و بهجتها ، و « غضارة عيشها » : طيبها و لذتها .

وقوله عليه السلام : « تحت الأظلة » : أظلة العرش يوم الميثاق ، و لعله اشير به إلى عالم القدر ، و « قد عهد اليهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قبل موته » أى بالنص على ولاية الامام على عليه السلام و « دعوا رفع أيديكم فى الصلاة » أمر الامام عليه السلام أصحابه بالتقية فى رفع الايدى فى الصلاة لانه كان يومئذ من علامات التشيع. و « حرّم الله تعالى فى ظاهر القرآن وباطنه » لعل المراد مما حرّم الله تعالى فى باطن القرآن مخالفة ولى الامر وهو الامام المعصوم عليه السلام ، ومتابعة أهل الضلال وإتباع آراءهم. و «عدواً»: تجاوزاً عن الحق إلى الباطل، و« الحافظ الله لهم أمرهم » أى هو تعالى يحفظ أمر دينهم باقامة إمام معصوم لهم بعد إمام ، و مع غيبة إمامهم بتبليغ كلام أئمتهم إليهم و إبقاء آثارهم لديهم لئلا يحتاجوا إلى الأراءِ والاهواءِ والمقائيس .

وقوله عليه السلام : « وإعسار أحد» إعسار الغريم أن يطلب منه الدين على عسرته ، و « ان استطعتم » جواب الشرط محذوف ، يدل عليه ما بعده ، و «محرج للامام» إحراج الامام : إلجاؤه إلى ما يريد من الحرج بمعنى الضيق، و « بأهل الصلاح»

يعنى إلى الامام من السعايـة يقال : سعى به إلى الوالى إذا و شىء به إليـه ، و « قد جرت فى الصالحين » يعنى ان هـذه السنة قد جرت فيهم قبل ذلك فيمن سلف من الامم بان يسعى بهم إلى الامام، فيلعنوا فاذا لعنوا صارت اللعنة عليهم رحمة . و « و لا يفرقنّ » : لا يخافن ، من الفرق ـ بالتحريك ـ بمعنى الخوف، و « فاولئك هم شياطين الانس والجن » أى شياطين الانس إن كانوا من الانس ، و شياطين الجن إن كانوا من الجن . و « أن تذلقوا » الذلق : حدّة اللسان .

وقوله ﷺ : « أن تشره » الشره : غلبة الحرص ، و « كرّتهم » : رجوعهم إلى الله تعالى .



الامام الحسين بن علي بن أبيطالب
عليه السلام و موعظته

و من خطبة للسيد الشهداءِ ، سبط المصطفى ، سيد شباب أهل الجنة ، الامام الحسين بن علي عليه السلام وعظ بها أهل العراق :

« الحمد لله الذى خلق الدنيا ، فجعلها دار فناءٍ و زوال ، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال ، فالمغرور من غرّته ، والشقى من فتنته ، فلا تغرّنكم هذه الدنيا، فانها تقطع رجاء من ركن إليها ، و تخيّب طمع من طمع فيها ، و أراكم قد إجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم ، و أعرض بوجهه الكريم عنكم ، و أحلّ بكم نقمته ، و جنّبكم رحمته ، فنعم الرب ربنا ، و بئس العبيد أنتم .

أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم إنكم زحفتم على ذريته وعترته ، تريدون قتلهم ، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكرالله العظيم ، فتبّاً لكم ، و لما تريدون ، إنا لله و إنا إليه راجعون ، هؤلاءِ قوم كفروا بعد ايمانهم ، فبعداً للقوم الظالمين » .

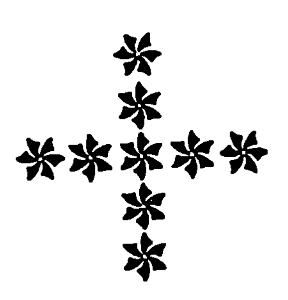
فتقدّم شمر لعنه الله ، و قال : افهمنا حتى نقهم .

فقال الامام سيد الابرار ، و قائد الاحرار : أقول :

« اتقوا الله ربكم ولاتقتلونى ، فانه لايحلّ لكم قتلى ، ولا انتهاك حرمتى، فانى إبن بنت نبيكم ، و جدّتى خديجة زوجة نبيكم ، و لعله قد بلغكم قول نبيكم : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

ثم نادى بأعلى صوته ! يا أهل العراق :

« أيها الناس اسمعوا قولى، ولاتعجّلوا حتى أعظكم بما يحقّ لكم علىّ، و حتى أعذر إليكم فان أعطيتمونى النصف كنتم بذلك أسعد ، و إن لم تعطونى النصف عن أنفسكم فاجمعوا رأيكم ، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ، ثم اقضوا إلىّ و لا تنظرون : إن ولى الله الذى نزّل الكتاب و هو يتولّى الصالحين » .



﴿ بهلول و مواعظ ﴾

إعلم أن بهلولاً هو وهب بن عمرو الكوفى المشتهر بالبهلول كان رجلاً تقياً ورعاً زاهداً عالماً فقيهاً محدثاً ذا أدب ومعرفة وتشيّع ، إستفاد من قدسى الامامين الهمامين : الصادق والكاظم صلوات الله عليهما .

و له حكايات و مناظرات لطيفة فى الفقه والكلام مع أبى‌حنيفة ، و غيره من مشاهير زمانه ، و انه كان يتستر بجنة التجنن تقية و حقنا لدمه ، و له شعر رائق و منه قوله فى العظة والأحوال بأحوال الموتى و أهل القبور :

تناديك أجداث و هن صموت و أربابها تحت التراب خفوت
فيا جامع الدنيا حريصاً لغيره لمن تجمع الدنيا و أنت تموت

و من شعره إذ رماه الصبيان بالحصا فأدمته حصاة :

حسبى الله توكلت عليه من نواصى الخلق طراً بيديه
ليس للهارب فى مهرب به أبداً من راحة إلاّ إليه
رب رام لى بأحجار الردى لم أجد بداً من العطف عليه

فقيل له : يابهلول تعطف عليهم ، و هم يرمونك بالأحجار ، فقال : اسكت لعل‌الله يطلع على‌غمى، ووجعى وفرح هؤلاء الصبيان فيسره فيهب بعضنامن بعض.

و من مكارم أخلاقه : انه اجتمع عليه الصبيان ذات يوم ، ونهبوا ما كان عليه و جعلوا يرمونه بالأحجار ، فهرب منهم و تحصن فى مسجد كان هناك ، و أغلق عليهم الباب و صعد على السطح حتى أشرف عليهم منه و جعل يقرأ قوله

تعالى: « فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » فلما رأى محمد بن سليمان ذلك أمر بتفرقة الأطفال عنه وقال: « لا إله إلا الله » لقد رزق علي بن أبيطالب عليه السلام لبّ كل ذي لبّ.

و منها: انه اجتمع عليه ذات يوم عدة من الصبيان، و جعلوا يرمونه و يضربونه فقال له رجل: ألا تشكوهم إلى آباءهم؟ فقال: اسكت فلعلي اذا مت يذكرون هذا الفرح، فيقولون: رحم الله ذلك المجنون.

وقد حكي: ان هارون الرشيد أرسل بشرطة طعاماً إلى بهلول، فقال: من أين هذا؟ فقال: من هارون، فقال: لاحاجة لي إلى طعامه، فقال: لم فقال: مهلاً مهلاً لو فهمت الكلاب الهراش ذلك لما أكلته.

و قد وردت كلمات عن بعض الظرفاء، لا تخلو عن فائدة منها:

قال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم: يا أبا حازم! انى أخاف الله مما قد دخلت فيه، فقال أبوحازم له: لست أخاف عليك أن تخاف، و انما أخاف عليك ألاّ تخاف.

و من كلام أبي حازم: عجباً لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مرحلة، و يتركون أن يعملوا لدار يرحلون إليها كل يوم مرحلة.

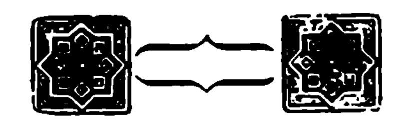
و من كلامه: نحن لانريد أن نموت حتى نتوب، ونحن لانتوب حتى نموت.

و لما ثقل عبد الملك رأى غسالاً يلوى بيده ثوباً، فقال: وددت أني كنت غسالاً مثل هذا، أعيش بما أكتسب يوماً فيوماً، فذكر ذلك لأبي حازم، فقال: الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يتمنّون ما نحن فيه، ولانتمنى عند الموت ما هم فيه.

و قال عامر بن عبد القيس: كل من في الدنيا يجري إلى ما لايدري، و كل مستقر فيها غير راض بها، و ذلك شهيد على انها ليست بدار قرار.

و حكي: دخل إبن السماك على الرشيد، فقال له: عظني، ثم دعا بماء

ليشربه ، فقال له ؛ ناشدتك الله ، لو منعك الله من شربه ما كنت فاعلاً ؟ قال: كنت أفتديه بنصف ملكي قال : فاشربه ، فلما شرب ، قال : ناشدتك الله ! لو منعك الله من خروجه ما كنت فاعلاً ؟ قال : كنت أفتديه بنصف ملكي ، قال : إن ملكاً يفتدى به شربة ماء لخليق ألا ينافس عليه .



﴿غرر حكم و درر كلم في المواعظ﴾

كلمات قصار في المقام عن الامام أمير المؤمنين على عليه السلام فنشير إلى نبذة منها :

١ ـ قال الامام على عليه السلام : « نعم الهداية المواعظة » .

٢ ـ قال عليه السلام : « لا واعظ أبلغ من النصح » .

٣ ـ و قال عليه السلام : « من لم يعنه الله على نفسه لم ينتفع بموعظة الواعظ » .

٤ ـ و قال عليه السلام : « من وعظك أحسن إليك » .

٥ ـ و قال عليه السلام : « من وعظك فلا توحشه » .

٦ ـ و قال عليه السلام : « لم يعقل مواعظ الزمان من سكن إلىحسن الظن بالايام » .

٧ ـ و قال عليه السلام : « للكيس في كل شيء إتعاظ » .

٨ ـ و قال عليه السلام : «فطنةالمواعظ تدعوإلىالحذر فاتعظوا بالعبر واعتبروا بالغير» .

٩ ـ و قال عليه السلام : « الموعظة نصيحة شافية » .

١٠ ـ و قال عليه السلام : « المواعظ كهف لمن وعاها » .

١١ ـ و قال عليه السلام : « إذا وعظت فأوجز » .

١٢ ـ و قال عليه السلام و فيوصفالاسلام : « تبصرة لمن عزم وآية لمن توسم ، وعبرة لمن اتعظ و نجاة لمن صدق » .

١٣ ـ و قال عليه السلام : « في كل تجربة موعظة » ،

١٤ ـ و قال عليه السلام : « قد نصح من وعظ ، قد تيقظ من اتعظ » .

١٥ ـ و قال عليه السلام : « وعظتم إن اتعظتم » .

١٦ ـ و قال عليه السلام : « كفى عظة لذوى الألباب ما جربوا » .

١٧ ـ و قال عليه السلام : « الاتعاظ إعتبار » .

١٨ ـ و قال عليه السلام : « الوعظ النافع ما ردع » .

١٩ ـ و قال عليه السلام : « استصحبوا من شغلة واعظ متعظ » .

٢٠ ـ و قال عليه السلام : « أنفع المواعظ ما ردع » .

٢١ ـ و قال عليه السلام : « أبلغ العظات الاعتبار بمصارع الاموات » .

٢٢ ـ و قال عليه السلام : « أبلغ العظات النظر إلى مصارع الاموات والاعتبار بمصائر الآباء والامهات » .

٢٣ ـ و قال عليه السلام : « ان فى كل شيء موعظة و عبرة لذوى اللب والاعتبار » .

٢٤ ـ و قال عليه السلام : « ان العاقل ليتعظ بالأدب والبهائم لا تتعظ إلاّ بالضرب » .

٢٥ ـ و قال عليه السلام : « المواعظ حياة القلوب » .

٢٦ ـ و قال عليه السلام : « المواعظ شفاء لمن عمل بها » .

٢٧ ـ و قال عليه السلام : « العاقل من وعظته التجارب » .

٢٨ ـ و قال عليه السلام : « العاقل من اتعظ بغيره » .

٢٩ ـ و قال عليه السلام : « المواعظ صقال النفوس و جلاء القلوب » .

٣٠ ـ و قال عليه السلام : « بالمواعظ تنجلى الغفلة » .

٣١ ـ و قال عليه السلام : « بينكم و بين الموعظة حجاب من الغفلة والغرة » .

٣٢ ـ و قال عليه السلام : « رب واعظ غير مرتدع » .

٣٣ ـ و قال عليه السلام : « فى المواعظ جلاء الصدور » .

٣٤ ـ و قال عليه السلام : « فيالها مواعظ شافية لو صادفت قلوباً زاكية و أسماعاً واعية و آراء عازمة » .

٣٥ ـ و قال عليه السلام : « لن يذهب من مالك ما وعظك و حازلك الشكر » .

٣٦ ـ و قال عليه السلام : « من لم يتعظ بالناس وعظ الله الناس به » .

٣٧ ـ و قال عليه السلام : « من فهم مواعظ الزمان لم يسكن إلى حسن الظن بالايام » .

٣٨ ـ و قال عليه السلام : « من عدم الفهم عن الله سبحانه لم ينتفع بموعظة الواعظ » .

٣٩ ـ و قال عليه السلام : « من لم يكن أملك شيء به عقله لم ينتفع بموعظة » .

٤٠ ـ وقال عليه السلام : « أكثر الشر في الاستخفاف بمؤلم عظة المشفق الناصح والاغترار بحلاوة ثناء المادح الكاشح » .

٤١ ـ و قال عليه السلام : « إذا أحبّ الله عبداً وعظه بالعبر » .

٤٢ ـ و قال عليه السلام : « من لم يعتبر بعبر الدنيا وصروفها لم تنسجع فيه المواعظ » .

٤٣ ـ و قال عليه السلام : « لا تكونن ممن لا تنفعه الموعظة إلاّ إذا بالغت في ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لا ترتدع إلاّ بالضرب » .

٤٤ ـ و قال عليه السلام : « يا أيها الناس إلى كم توعظون و لا تتعظون ، و كم قد وعظكم الواعظون وحذركم المحذرون وزجركم الزاجرون وبلغكم العاملون » .

٤٥ ـ و قال عليه السلام : « الجاهل لا يرتدع و بالموعظة لا ينفع » .

٤٦ ـ و قال عليه السلام : « احي قلبك بالموعظة و امته بالزهادة » .

٤٧ ـ و قال عليه السلام : « اتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم » .

٤٨ ـ و قال عليه السلام : « ثمرة الوعظ الانتباه » .

٤٩ ـ و قال عليه السلام : « ان الدنيا دار موعظة لمن اتعظ بها » .

٥٠ ـ و قال عليه السلام : « ان الوعظ الذي لا يمجه سمع ، و لا يعدله نفع ما سكت عنه لسان القول ، و نطق به لسان الفعل » .

٥١ ـ و قال عليه السلام : « خير ما جربت ما وعظك » .

٥٢ ـ و قال عليه السلام : « رحم الله امرءاً اتعظ و ازدجر و إنتفع بالعبر » .

أئمة أهل بيت الوحى عليهم السلام
هم العروة الوثقى

قال الله تعالى: « و من يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » لقمان : ٢٢) العروة من الحبل هى الناحية من نواحيه ، والوثقى : هى المتينة.

وقد عبّر عن أئمتنا المعصومين أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين بالعروة الوثقى ، و هم الذين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بهم. و قد ورد فى ذلك روايات كثيرة بأسانيد عديدة عن طريق العامة نشير إلى ما يسعه المقام :

١ ـ روى محب الدين الطبرى فى (ذخائر العقبى ص١٦ ط القدسى بالقاهرة) مسنداً عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : أنا و أهل بيتى شجرة فى الجنة و أغصانها فى الدنيا فمن تمسك بنا اتخذ إلى ربه سبيلاً.

رواه بعينه جماعة من حملة أسفار العامة :

١ ـ الهيتمى فى (الصواعق المحرقة ص ٢٣٤ ط عبد اللطيف بمصر).

٢ ـ القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ١٩١ ط اسلامبول).

٣ ـ ابوبكر الحضرمى فى (رشفة الصادى ص ٨٩ ط مصر).

٤ ـ باكثير الحضرمى فى (وسيلة المآل ص ٥٩ ط الظاهرية بدمشق).

و غيرهم تركناهم للاختصار.

٢ ـ روى الذهبى فى (ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣١٣ ط القاهرة) عن

على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من صنع مع أحد من أهل بيتي يداً كافأته عنها يوم القيامة .

رواه جماعة منهم :

١ ـ الزرندی الحنفی فی (نظم درر السمطين ص ٢٣٦ ط القضاء) .

٢ ـ ابن حجر الهيتمی فی (الصواعق المحرقة ص١٨٥ ط عبد اللطيف بمصر) .

٣ ـ محب الدين الطبری فی (ذخائر العقبی ص ١٩ ط القدسی بمصر) .

٤ ـ السيوطی فی (احياء الميت) المطبوع بهامش (الاتحاف ص ١١٦ ط الحلبی بمصر) .

٥ ـ العسقلانی فی (لسان الميزان ج ٤ ص ٣٩٩ ط حيدر آباد) .

٦ ـ المتقی الهندی فی (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند ج ٥ ص ٩٣ ط مصر) .

٧ ـ النبهانی فی (الفتح الكبير ج ٣ ص ٢٠٩ ط مصر) .

٨ ـ السيوطی فی (الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٣٤ ط مصر) .

٣ـ روى الامر تسرى الحنفی فی (أرجح المطالب ص٣٤١ ط لاهور) بالاسناد ان النبی صلى الله عليه وآله وسلم قال : من حفظنی فی أهل بيتی فقد اتخذ عند الله عهداً .

رواه جماعة منهم :

١ ـ أبوبكر الحضرمی فی (رشفة الصادی ص ٨٩ ط مصر) .

٢ ـ القندوزی الحنفی فی (ينابيع المودة ص١٩٢ ط اسلامبول) وفی (ص٢٧٣).

٣ ـ محب الطبری فی (ذخائر العقبی ص ١٨ ط القدسی بمصر) .

٤ ـ روى أحمد زينی دحلان مفتی مكة المشرفة فی (السيرة النبوية) المطبوع بهامش (السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٣٢ ط مصر) عن أبی سعيد قال : قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم : من صنع إلى أهل بيتی معروفاً ، فعجز عن مكافاته فی الدنيا فأنا المكافی له يوم القيامة .

رواه جماعة منهم :

١ ـ الكازروني في (شرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم) .

٢ ـ محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ١٩ ط القدسي بالقاهرة) .

٣ ـ القسطلاني في (المواهب اللدنية ج ٧ ص ٩ ط الازهرية بمصر) .

٤ ـ الزرندي الحنفي في (نظم درر السمطين ص ٢٣٦ ط القضاء بمصر) .

٥ ـ روى الكازروني في (شرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه وصف آخر الزمان فقيل : يا رسول الله أيّ العمل أفضل في ذلك الزمان ؟ قال : فرس تربطه و سلاح تعدّه ، و تميل مع أهل بيتي حيث مالوا .

٦ـ قال أبو بكر الحضرمي في (رشفة الصادي ص١٧ ط القاهرة) مالفظه:
و كاخباره عليه الصلاة والسلام في أحاديث متعددة بان المهدي الموعود به في آخر الزمان من أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم إلى غير ذلك من الأحاديث والاخبار الدالة قطعاً على أن هذه السلالة الطاهرة والعناصر الزكية هم أهل البيت المطهرون ، و انهم المرادون بكل ما ورد في فضل أهل البيت من الآيات والأحاديث والآثار و انهم ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم و عترته و بنوه وأولاده ، و انهم لن يفارقوا الكتاب إلى يوم القيامة و انهم أحد الثقلين اللذين تركهما فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمر امته بالتمسك بهم ، وقد أجمعت الامة على ذلك فلا حاجة لاطالة الاستدلال له .

و إذا استطال الشيء قام بنفسه　　　وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً

٧ ـ قال الشيخ عبد الحفيظ الفهري في (رياض الجنة ج٢ص٢) مالفظه:
في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصلّ و سلّم و بارك عليه وعلى آله و عترته الذين جعلتهم في مفرق المجد تاجاً ، و في دجى الكون نوراً و سراجاً و آتيتهم من الفضل ما لم تؤت أحداً من العالمين، ونشرت مآثرهم على تعاقب السنين و كلائتهم فلم تغيرهم الحوادث والتنقلات أو تنقص من بهجتهم نقائص الحالات و منحتهم إجلالاً و تعظيماً و توقيراً بقولك : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل

البيت و يطهركم تطهيراً » .

و جعلت التمسك بهم أماناً لأهل الارض طولها والعرض ، و حفظتهم مع القرآن من الانقراض والانعدام كما أفصح عنه حديث نبيك عليه الصلاة والسلام .

٨ ـ ذكر إبن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة ص ١١ ط الغرى) ما لفظه :

فهؤلاء هم أهل البيت المرتقون بتطهيرهم إلى ذروة أوج الكمال المستحقون لتوقيرهم مراتب الاعظام والاجلال . ثم نقل الأبيات أنشأها بعض العامة :

هم العروة الوثقى لمعتصم بهم مناقبهم جائت بوحي و إنزال
مناقب في الشورى وسورة هل أتى وفي سورة الاحزاب يعرفها التالي
وهم أهل بيت المصطفى فودادهم على الناس مفروض بحكم واسجال

٩ ـ ذكر أبوبكر الحضرمي في (رشفة الصادى ص ٢٥ ط القاهرة) ما أنشأه بعض العامة :

لي خمسة أنجو بها من شرّ نارالحاطمة ـ المصطفى والمرتضى و ابنيهما والفاطمة.

و ذكر في (ص ٢٨ الطبع) مما أنشأه بعض العامة :

و لما رأيت الناس قد ذهبت بهم مذاهبهم في أبحر الغيّ والجهل
ركبت على إسم الله في سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
و أمسكت حبل الله و هو ولائهم كما قد امرنا بالتمسك بالحبل

١٠ ـ ذكر عمارة بن اليمني الشافعي في (تاريخ اليمن ص ١٦ ط مصر) ما أنشأه نجم الدين أيوب أبياتاً منها :

باب النجاة فهم دنيا و آخرة وحبّهم فهو أصل الدين والعمل

الائمة أهل بيت الوحي عليهم السلام
هم سفينة النجاة

أورد في‌ذلك‌جماعة من‌حملة آثار العامة روايات كثيرة مستفيضة متواترة باسانيد عديدة في أسفارهم المعتبرة عندهم ، و ما وقفت منها في‌ذلك نحو: مأة كتاب ، فنشير إلى نبذة منها :

۱ ـ روى الطبراني في (المعجم الكبير ص ۱۳۰) باسناده عن حنش بن المعتمر قال : رأيت أباذر آخذاً بعضادتي باب الكعبة و هو يقول : من عرفني، فقد عرفني‌و من لم يعرفني فأنا أبوذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : مثل‌أهل‌بيتي فيكم كمثل سفينة نوح في‌قوم نوح ، من ركبها نجي ومن تخلّف عنها هلك ، و مثل باب حطّة في بني اسرائيل .

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة منهم :

۱ ـ السيوطي في (احياءالميت) المطبوع بهامش (الاتحاف ص۱۱۳ط مصطفى الحلبي بمصر) .

۲ ـ البدخشي في (مفتاح النجا ص ۹) .

۳ ـ الطبري في (المعجم الصغير ص ۷۸ ط الدهلي) و غيرهم .

۲ ـ روى الحاكم النيشابوري في (المستدرك ج ۳ ص ۱۵۰ ط حيدر آباد الدكن) باسناده عن حنش الكناني قال : سمعت أباذر رضي‌الله عنه يقول وهو آخذ بباب الكعبة : من عرفني فأنا من عرفني، و من أنكرني فأنا أبوذر سمعت

النبى ﷺ يقول : ألا ان مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من قومه من ركبها نجى ، و من تخلّف عنها غرق .

رواه بعينه جماعة منهم :

١ ـ السيوطى فى (الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٦٦ ط حيدرآباد) .

٢ ـ ابن‌حجر الهيتمى فى (الصواعق المحرقة ص١٨٤ ط عبد اللطيف بمصر) .

٣ ـ الكمشخانوى فى (راموز الأحاديث ص٣٩١ط قشلة همايون بالآستانة) .

٤ ـ الامر تسرى فى (أرجح المطالب ص ٣٢٩ ط لاهور) .

٣ ـ روى الفقيه ابن المغازلى الواسطى الشافعى فى (المناقب) باسناده عن سعيد بن المسيب عن أبى‌ذر رحمه‌الله قال : قال رسول‌الله ﷺ : مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركب فيها نجى و من تخلف عنها غرق .

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة منهم :

١ ـ الخطيب الخوارزمى فى (مقتل الحسين ط الغرى) .

٢ ـ الذهبى فى (ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٢٤ ط القاهرة) .

٣ ـ إبن حجر الهيتمى فى (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٨ ط القدسى بمصر) و غيرهم .

٤ ـ روى إبن حجر الهيتمى فى (مجمع الزوائد ج ٩ ص١٦٨ط القدسى بالقاهرة) باسناده عن أبى سعيد الخدرى سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجى و من تخلّف عنها غرق، و إنما مثل أهل بيتى فيكم مثل باب حطّة فى بنى إسرائيل من دخله غفر له .

رواه جماعة من حملة أسفار العامة :

١ ـ الطبرانى فى (المعجم الصغير ص ١٧٠ ط الدهلى) .

٢ ـ الحموينى فى (فرائد السمطين) .

٣ ـ السيوطى فى (إحياء الميت) المطبوع بهامش (الاتحاف ص١١٣ ط الحلبى بمصر).

٤ ـ القندوزى البلخي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٢٨ ط اسلامبول) .
٥ ـ الحضرمي في (رشفة الصادى ص ٧٩ ط مصر) .

٥ ـ روى محب الدين الطبرى في (ذخائر العقبى ص٢٠ ط القدسي بمصر) عن علي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مثل أهل بيتى كمثل سفينة نوح من ركبها نجي و من تعلّق بها فاز ، و من تخلّف عنها زجّ في النار .

رواه القندوزى الحنفي في (ينابيع المودة ص١٩٣ ط اسلامبول) .

٦ـ روى الخطيب البغدادى في (تاريخ بغداد ج١٢ ص٩١ ط السعادة بمصر) عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : إنما مثلي و مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجي و من تخلّف عنها غرق .

٧ ـ روى أبو نعيم الاصبهاني في (حلية الاولياء ج ٤ ص ٣٠٦ ط السعادة بمصر) باسناده عن إبن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجي ، و من تخلّف عنها غرق .

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة منهم :

١ ـ الطبراني في (المعجم الكبير ص ١٣١) .
٢ ـ إبن المغازلي في (المناقب) .
٣ ـ إبن حجر الهيتمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص١٦٨ ط القدسي بالقاهرة) .
٤ ـ السيوطي في (إحياء الميت) المطبوع بهامش (الاتحاف ص١١٣ ط الحلبي بمصر).
٥ ـ السيوطي أيضاً في (الجامع الصغير ص ٤٨٠ ط مصر) .
٦ـ النبهاني في (الفتح الكبير ص١٣٣ ط مصر) وغيرهم ممن تركنا ذكرهم للاختصار .

٨ ـ روى السيوطي في (الجامع الصغير ص ٤٦٠ ط مصر) بالاسناد عن عبد بن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجي و من تخلّف عنها غرق .

رواه جماعة منهم :

١ ـ المتقي الهندي في (منتخب كنزالعمال) المطبوع بهامش (المسند ج ٥ ص ٩٥ ط الميمنية بمصر) .

٢ ـ إبن‌حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة ص ١٨٤ ط عبد اللطيف بمصر) .

٣ ـ البدخشي في (مفتاح النجا ص ٩) .

٤ ـ القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٢٧ ط اسلامبول) .

٥ ـ النبهاني في (الفتح الكبير ص ١٣٣ ط مصر) .

٦ ـ الامر تسري الحنفي في (أرجح المطالب ص ٣٣٠ ط لاهور) وغيرهم .

٩ ـ روى الدولابي في (الكنى والاسماء ج ١ ص ٧٦ ط حيدر آباد) باسناده عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال : سمعت رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجي و من تركها غرق .

١٠ ـ روى الفقيه إبن المغازلي الشافعي في (المناقب) باسناده عن سلمة بن الاكوع عن‌أبيه قال: قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجي .

رواه الامر تسري في (أرجح المطالب ص ٣٣٠ ط لاهور) .

والقندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٢٨ اسلامبول) .

١١ ـ روى الثعالبي في (التمثيل والمحاضرة ص٣٣ ط الحلبي بالقاهرة) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عترتي كسفينة نوح من ركب فيها نجي ، و من تخلّف عنها غرق .

والرواية جائت بطرق عديدة كما قال إبن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة ص٢٣٤ ط عبد اللطيف بمصر) ما لفظه : وجاء من طرق كثيرة يقوى بعضها بعضاً : « مثل أهل بيتي » و في رواية « انما مثل أهل بيتي » و في اخرى « ان مثل أهل بيتي » و في رواية « ألا ان مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح

فی قومه من رکبها نجی و من تخلّف عنها غرق » وفی روایة « من رکبها سلم و من ترکها غرق » .

١٢ ـ قال محمد الصبان فی (اسعاف الراغبین) المطبوع بهامش (نور الابصار ص ١٢٣ ط مصر) ما لفظه : و روی جماعة من أصحاب السنن عن عدة من الصحابة ان النبی صلى الله عليه وآله وسلم قال : مثل أهل بیتی فیکم کسفینة نوح من رکبها نجی و من تخلّف عنها هلك .

و فی روایة غرق . و فی روایة اخری : زجّ فی النار . وفی روایة اخری عن أبی ذر زیادة ، وسمعته یقول: اجعلوا أهل بیتی منکم مکان الرأس من الجسد، و مکان العینین من الرأس و لا یهتدی الرأس إلاّ بالعینین .

١٣ـ قال النبهانی البیروتی فی (الشرف المؤبد ص ٢٨ ط مصر) مالفظه: روی جماعة من أصحاب السنن عن عدة من الصحابة ان النبی صلى الله عليه وآله وسلم قال : مثل أهل بیتی فیکم کسفینة نوح من رکبها نجی ، و من تخلّف عنها هلك . و فی روایة : غرق ، و فی اخری : زجّ فی النار .

رواه بهذا اللفظ الشبلنجی فی (نور الابصار ص ١٠٥ ط مصر) والنجار المصری فی (الأشراف ص ١٩ ط مصر) .

١٤ ـ روی الخفاجی المصری فی (شفاء الغلیل ص٢٢٠ و ٢٥٣ ط مکتبة الحرم بمصر) ما لفظه : ومثله قولی فی آل البیت رضی الله عنهم عقداً لما ورد فی الحدیث النبوی من قوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنما مثل أهل بیتی فیکم کمثل سفینة نوح من رکبها نجی .

ان آل البیت حبّی ‌ ‌ ‌ لهم مائی و زادی

و هم سفن نجاتی ‌ ‌ ‌ فی معاشی و معادی

ثم قال و للنواجی :

قد تدانی الرحیل والسیر صعب ‌ ‌ ‌ فعلام القدوم من غیر زاد

و ببحر الهوى غرقت ولكن بك أرجو النجاة يوم المعاد

١٥ـ روى المالكي التونسي الشهير بالكافي في (السيف اليماني المسلول ص ١٦٩ ط الترقي بالشام) ما لفظه : روى أبوبكر محمد بن مؤمن الشيرازي في كتابه (المستخرج) من التفسير الاثنى عشر في إتمام الحديث المتقدم بعده فقال علي عليه السلام : يا رسول الله من الفرقة الناجية ؟ فقال : المتمسكون بما أنت عليه و أصحابك .

و في الأحاديث المذكورة آنفاً ما يدل على أن المتبعين لاهل البيت والمقدمين لهم والمقتدين بهم هم الفرقة الناجية ، وحث الرسول على الاقتداء بهم والتمسك بما هم عليه ، وايجاب ذلك على جميع الخلق بروايات الكل يعلمنا علماً ضرورياً ان أهل البيت هم الفرقة الناجية ، فكل من اقتدى بهم و سلك آثارهم فقد نجي و من تخلّف عنهم ، و زاغ عن طريقهم ، فقد غوى ، ويدل على ذلك الحديث المشهور المتفق على نقله : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجي ، ومن تخلف عنها غرق . وهوحديث نقله الفريقان وصححه القبيلان لا يمكن لطاعن أن يطعن عليه و أمثاله .

و غير ذلك من الروايات الواردة عن طريق العامة تركنا للاختصار .

ونختم البحث برواية واحدة واردة عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية:

في اصول الكافي : باسناده عن فيض بن المختار قال: اني لعند أبي عبدالله عليه السلام إذ أقبل أبو الحسن موسى عليه السلام ـ و هو غلام ـ فالتزمته و قبّلته ، فقال أبوعبدالله عليه السلام : أنتم السفينة و هذا ملاّحها ، قال : فحججت من قابل و معي ألفا دينار فبعثت بألف إلى أبي عبدالله عليه السلام و ألف إليه ، فلما دخلت على أبي عبدالله عليه السلام قال: يافيض عدلته بي؟ قلت : إنما فعلت ذلك لقولك ، فقال: أما والله ما أنا فعلت ذلك ، بل الله عزوجل فعله به .

الائمة أهل بيت الوحي عليهم السلام

هم حبل الله المتين لابد من التمسك بهم

ان الحبل يطلق على كل ما يتوسّل به إلى ما يرغب فيه الانسان ، ومنه الحبل للأمان لانه سبب النجاة ، فشبّه الكتاب والعترة بالحبل الذى يتمسك به حتى يوصل إلى رضى الله وقربه وثوابه وحبّه .

وفي صفة القرآن : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الارض أى نور ممدود يعني نور هداه والعرب يشبّه النور الممتد بالحبل والخيط، وفي حديث آخر : و هو حبل الله المتين أى نور هداه.

و في المجمع : عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد عليه السلام قال : نحن حبل الله الذى قال : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » .

وفيه: عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : أيها الناس انى قد تركت فيكم حبلين إن اتخذتم بهما لن تضلّوا بعدى أحدهما أكبر من الاخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الارض ، و عترتى أهل بيتى ، ألا و انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض .

فيحمل الحبل على القرآن و أهل بيت الوحي عليهم السلام .

و في مناقب : إبن شاذان باسناده عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستكون بعدى فتنة مظلمة ، الناجي منها من تمسّك بالعروة الوثقى ، فقيل : يا رسول الله و ما العروة الوثقى ؟ قال : ولاية سيّد الوصيين ،

قيل : و من سيّد الوصيين ؟ قال : أمير المؤمنين ، قيل : يا رسول الله و من أمير المؤمنين ؟ قال : مولى المسلمين و إمامهم بعدى ، قيل : يا رسول الله من مولى المسلمين و إمامهم بعدك ؟ قال : أخى على بن أبيطالب عليه‌السلام .

و في مناقب الخوارزمي : باسناده عن أبي‌ليلى قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لعلى عليه‌السلام : أنت العروة الوثقى التي لا انفصام لها .

و في تفسير القمي : عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه‌السلام في قوله : « ولا تفرّقوا » قال : ان الله تبارك و تعالى علم انهم سيتفرّقون (سيفترقون خ) بعد نبيهم و يختلفون، فنهاهم عن التفرق كما نهى من كان قبلهم، فأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم و لا يتفرّقوا .

و في تفسير العياشي : عن إبن يزيد قال : سئلت أبا الحسن عليه‌السلام عن قوله تعالى: « واعتصموا بحبل الله جميعاً » قال : على بن أبيطالب عليه‌السلام حبل الله المتين.

وفيه: عن أبي عبدالله عليه‌السلام في قوله تعالى : « إلاّ بحبل من الله و حبل من الناس » قال: الحبل من الله كتاب الله ، والحبل من الناس هو على بن أبى طالب عليه‌السلام .

و في كنز الفوائد للكراجكي قدس سره عن الامام على بن الحسين عليهما‌السلام قال : كان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ذات يوم جالساً في المسجد و أصحابه حوله ، فقال لهم : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة يسئل عما يعنيه ، قال: فطلع علينا رجل شبيه برجال مصر ، فتقدّم و سلّم على رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم و جلس و قال : يا رسول الله اني سمعت الله يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرّقوا » فما هذا الحبل الذى أمرنا الله تعالى بالاعتصام به ، و أن لانتفرّق عنه ؟ قال: فأطرق النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ساعة ثم رفع رأسه ، و أشار إلى على بن أبيطالب عليه‌السلام و قال : هذا حبل الله الذى من تمسّك به عصم في دنياه و لم يضلّ في آخرته قال :

فوثب الرجل إلى على بن أبي طالب عليه‌السلام و احتضنه من وراء ظهره و هو يقول : اعتصمت بحبل الله و حبل رسوله ، ثم قال : فولّى و خرج فقام رجل

من الناس، فقال: يارسول الله ألحقه واسئله أن يستغفر لی؟ فقال رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم: إذاً تجده مرفقاً ، قال : فلحقه الرجل ـ و هو عمر ـ و سئله أن يستغفر له ، فقال عليه السلام : هل فهمت ما قال لی رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم و ما قلت له ؟ قال الرجل : نعم ، فقال له : إن كنت متمسّكاً بذلك الحبل فغفر الله لك ، و إلاّ فلا غفر الله لك و تركه .

و فی الخصائص : للسيدالرضی رضی الله عنه باسناده عن عيسی الضرير عن أبی الحسن الاول عن أبيه عليهما السلام قال : خطب رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم فی مرضه الذی مات فيه ، فقال : يا معاشر المهاجرين والانصار ، و من حضر فی يومی هذا و ساعتی هذه من الانس والجن ليبلّغ شاهدكم غائبكم ، ألا انی خلفت فيكم كتاب الله ، فيه النور والهدی والبيان لما فرض الله تبارك و تعالی من شیء ، حجّة الله عليكم وحجتی وحجة ولیّ ، وخلفت فيكم العلم الاكبر : علم الدين و نور الهدی و ضياءه ، و هو علی بن أبيطالب عليه السلام و هو حبل الله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرّقوا ـ إلی قوله تعالی ـ لعلكم تهتدون » الخطبة .

و فی المستدرك : لابن بطريق عن أبی نعيم باسناده عن حفص الصائغ قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول فی قوله: « واعتصموا بحبل الله جميعاً » : نحن حبل الله .

وفی كشف الغمة : مما أخرجه العز المحدّث الحنبلی قوله تعالی: «واعتصموا بحبل الله جميعاً» قال العزّ المحدّث : حبل الله علیّ و أهل بيته عليهم السلام .

وفی المناقب : لابن شهر آشوب قدس سره عن الباقر عليه السلام فی قوله: « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلاّ بحبل من الله » كتاب من الله « وحبل من الناس » : علی بن أبی طالب عليه السلام .

وفيه: عن النبی صلی الله علیه و آله و سلم انه سئله أعرابی عن قوله تعالی : « واعتصموا بحبل الله » فأخذ رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم يده فوضعها علی كتف علیّ ، فقال: يا أعرابی

هذا حبل الله فاعتصم به ، فدار الاعرابى من خلف علىّ والتزمه ثم قال : اللهم انى اشهدك أنى اعتصمت بحبلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة ، فلينظر إلى هذا .

و فى غيبة النعمانى : باسناده عن جابر قال : وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل اليمن فقالوا : يا رسول الله من وصيّك ؟ قال : هو الذى أمركم بالاعتصام به فقال عزوجل : « واعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرّقوا » فقالوا يا رسول الله بيّن لنا ما هذا الحبل ، فقال: هو قول الله : « إلاّ بحبل من الله وحبل من الناس » فالحبل من الله كتابه والحبل من الناس وصيّى، فقالوا : يارسول الله من وصيّك؟ فقال : هو الذى أنزل الله فيه « أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله » .

فقالوا : يا رسول الله و ما جنب الله هذا ؟ فقال : هو الذى يقول الله فيه : « يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً » هو وصيى والسبيل إلى من بعدى ، فقالوا : يارسول الله بالذى بعثك بالحق أرناه فقد اشتقنا إليه ، فقال : هو الذى جعله الله آية للمؤمنين المتوسمين ، فان نظرتم إليه نظر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، عرفتم انه وصيى كما عرفتم أنى نبيكم، فتخلّلوا الصفوف و تصفّحوا الوجوه فمن هوت إليه قلوبكم فانه هو لان الله عزوجل يقول فى كتابه : « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم » إليه وإلى ذريته فقاموا جميعاً و تخلّلوا الصفوف ، و أخذوا بيد على عليه السلام . الحديث .

وفى شرح الحديد: (ج٩ص١٦٨ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٦٠م) ما لفظه : الخبر الخامس : « من سرّه أن يحيى حياتى ويموت ميتتى ، ويتمسّك بالقضيب من الياقوتة التى خلقها الله تعالى بيده ثم قال لها : كونى فكانت، فليتمسّك بولاء على بن أبى طالب » ذكره أبو نعيم الحافظ فى كتاب « حلية الاولياء » و رواه أبوعبدالله بن حنبل فى « المسند » وفى كتاب فضائل على بن أبى طالب ، و حكاية لفظ أحمد رضى الله عنه : « من أحبّ أن يتمسك بالقضيب الأحمر الذى غرسه الله

في جنة عدن بيمينه ، فليتمسك بحبّ علي بن أبي طالب » .

و في المراجعات : عن زياد بن مطرف قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من أحب أن يحيى حياتي و يموت ميتتي ، و يدخل الجنة التي و عدني ربي ، و هي الجنة الخلد ، فليتولّ علياً و ذريته من بعده فانهم لن يخرجوكم من باب هدى ، و لن يدخلوكم باب ضلالة .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « و اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ، ومكان العينين من الرأس ، ولا يهتدي الرأس إلاّ بالعينين » .

تمت سورة لقمان والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله المعصومين



بسم الله الرحمن الرحيم

الم ﴿١﴾ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴿٢﴾ أم يقولون
افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من
قبلك لعلهم يهتدون ﴿٣﴾ الله الذي خلق السموات والأرض وما
بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من
ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون ﴿٤﴾ يدبر الأمر من السماء إلى
الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴿٥﴾
ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ﴿٦﴾ الذي أحسن كل
شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ﴿٧﴾ ثم جعل نسله من سلالة

مِنْ مَآءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوّٰىهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا أَءِذَا ضَلَلْنَا
فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾
قُلْ يَتَوَفّٰىكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلٰى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾
وَلَوْ تَرٰىٓ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا
وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا
كُلَّ نَفْسٍ هُدٰىهَا وَلٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هٰذَآ إِنَّا
نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافٰى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَآ أُخْفِيَ لَهُمْ
مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا
كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوٰى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ

فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها
وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴿٢٠﴾ ولنذيقنهم
من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ﴿٢١﴾ ومن أظلم
ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون ﴿٢٢﴾
ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه
هدى لبني إسرائيل ﴿٢٣﴾ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا
وكانوا بآياتنا يوقنون ﴿٢٤﴾ إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون ﴿٢٥﴾ أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من
القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴿٢٦﴾
أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه
أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴿٢٧﴾ ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم
صادقين ﴿٢٨﴾ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم
ينظرون ﴿٢٩﴾ فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ﴿٣٠﴾

﴿ فضلها و خواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : من قرأ سورة السجدة في كل جمعة أعطاه الله كتابه بيمينه ، و لم يحاسبه بما كان منه ، وكان من رفقاء محمد وأهل بيته صلى الله عليهم .

رواه الطبرسي في المجمع ، والبحراني في البرهان ، والحويزي في نور الثقلين ، والمجلسي في البحار .

أقول : وذلك لان من قرأها متدبراً ، وآمن بالله تعالى و رسوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم و باليوم الاخر و عمل صالحاً ، و شكر لربه جل و علا من غير استكبار وأنفق في وجوه البر و أيقن بآياته ، و نال بالدرجات العالية من الايمان ، فيوتيه كتابه بيمينه يوم القيامة من غير حساب بما فيه ، و ان كان يحاسب حساباً يسيراً ، وهو يحشر يومئذ مع النبي الكريم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم و أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين .

قال الله تعالى : « فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً » الانشقاق : ٧ ـ ٨) .

و قال : « يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم » الاسراء : ٧١) .

و قال : « و من يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين و حسن اولئك رفيقاً » النساء : ٦٩) .

و أما اختصاص قراءتها بالجمعة دون غيرها من الاسبوع فلا يخفى على القارىء الخبير ، فلابد له من التدبر فيها .

وفي المجمع : ابى بن كعب عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال : ومن قرأ « الم تنزيل » و« تبارك الذى بيده الملك » فكأنما أحيى ليلة القدر .

وفيه: و روى ليث بن أبى الزبير عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لاينام حتى يقرأ « الم تنزيل » و « تبارك الذى بيده الملك » قال ليث: فذكرت ذلك لطاوس فقال : فضلتا على كل سورة في القرآن ، و من قرأهما كتب له ستون حسنة و محى عنه ستون سيئة ، و رفع له ستون درجة .

وفي البرهان : روى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم انه قال : من قرأ هذه السورة فكأنما أحيى ليلة القدر ، و من كتبها ، و جعلها عليه أمن من الحمّاء و وجع الرأس و وجع المفاصل .

وفيه: و قال الصادق عليه السلام : من كتبها و علقها عليه أمن من الحمّى و ان شرب مائها زال عنه الزبغ بالمثلثة باذن الله تعالى .

أقول: و من غير بعيد أن يكون من خواص السورة لأهل الايمان وصالح الاعمال ما جاء في الروايتين الأخيرتين .

و في نور الثقلين : عن الصادق عليه السلام قال : من اشتاق إلى الجنة و إلى صفتها فليقرأ الواقعة ، و من أحبّ أن ينظر إلى صفة النار فليقرأ سجدة لقمان .

﴿ الغرض ﴾

غرض السورة تو كيد بصلة القرآن الكريم بالوحى الالهى من غير ريب فى صدقه ، و ردّ على نسبتهم افتراءه للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، و تقرير بانه الحق النازل من عندالله تعالى على النبى صلى الله عليه وآله وسلم لينذر به اناساً لم يأتهم نذير من قبله رجاءاً أن يهتدوا به إلى صراط مستقيم . مع ذكر الايات الكونية من الآفاقية والانفسية التى تدل على التوحيد والبعث ، و إبطال ما عليه المشركون والمنحرفون عن طريق الفطرة البشرية .

كلها لفتح القلوب ، وتنوير البصائر ، وتكوين النفوس لقبول صدق القرآن الكريم ، و تلبية نداء الفطرة السليمة ، كما ان السورة سميت بالسجدة لما فيها من الايات الدالة على عظمة آيات القرآن خاصة ، و على عظمة نفس القرآن جميعه بحيث تخرّ وجوه الكل لسماع مواعظها ، و تنزه منزلها عن أن يعارض فى كلامه ، و بشكره على كمال هدايته كما هو أعظم مقاصد القرآن الكريم و أغراضه . . .

و فيها إشارة إلى موقف طائفة فى القبول والايمان ، و هم الخارجون عن زىّ العبودية والمنحرفون عن طريق الفطرة البشرية ، مع وعيدهم بما هو فوق تصورهم من العقاب ، و إلى قبول الآخرين و هم المؤمنون بآياته مع وعدهم بما هو فوق تصور المتصورين من الثواب .

فكما ان الفريقين متمايزان قلباً وعملاً ، طريقاً وسيراً ، وحركة وفعلاً ... فكذلك هم متمايزان حساباً وجزاءاً ، ثواباً وعقاباً ، نعمة و نقمة ، خيراً وشراً ، مآلاً و نزولاً .

﴿النزول﴾

سورة « السجدة » مكية ، نزلت بعد سورة « المؤمنون » ، و قبل سورة « الطور » و هي السورة الخامسة والسبعون نزولاً ، والثانية والثلاثون مصحفاً . قيل : ان آية (١٦ ـ إلى غاية ٢٠) مدنية و تشتمل على ثلاثين آية ، سبقت عليها ٤١١٣/ آية نزولاً ، و ٣٥٠٣/ آية مصحفاً على التحقيق .

ومشتملة على ٣٨٠/ كلمة وقيل: ٦٨٠ كلمة وقيل : ٣٣٠/ كلمة ، و على ١٥١٨/ حرفاًوقيل: ١٥٠٠/ حرفاً وقيل: ١٥٩٩/حرفاً على ما فيبعض التفاسير.

ولهذه السورة إسمان : أحدهما ـ السجدة . ثانيهما ـ المضاجع ووجههما ظاهر للقارىء الخبير .

في أسباب النزول : للواحدي النيسابوري عن مالك بن دينار قال : سئلت أنس بن مالك عن قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » فيمن نزلت ؟ فقال : كان اناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلّون من المغرب إلى صلاة العشاء الاخرة فأنزل الله تعالى فيهم هذه الاية .

وفيه: وقال الحسن ومجاهد : نزلت في المتهجدين الذين يقومون الليل إلى الصلاة .

و قال الواحدي : و يدل على صحة هذا ما ـ عن معاذبن جبل قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، و قد أصابنا الحر ، فتفرّق القوم ، فنظرت فاذا رسول الله ﷺ أقربهم مني ، فقلت : يا رسول الله أنبئني بعمل

يدخلني الجنة و يباعدني من النار ، قال : لقد سئلت عن عظيم ، و انه ليسير على من يسره الله تعالى عليه : تعبدالله ولاتشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة المكتوبة، و تؤدي الزكاة المفروضة ، و تصوم رمضان ، و إن شئت أنبأتك بأبواب الخير ، فقال : قلت : أجل يا رسول الله ، قال : الصوم جنة ، الصوم جنة ، والصدقة تكفر الخطيئة ، و قيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله تعالى قال : ثم قرأ هذه الاية : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » .

وفيه: باسناده عن ابن‌عباس قال : قال الوليد ابن عقبة بن أبي‌معيط لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنا أحدّ منك سناناً ، و أبسط منك لساناً ، و أملأ للكتيبة منك ، فقال له عليّ : اسكت فانما أنت فاسق، فنزل : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » قال : يعني بالمؤمن علياً عليه السلام و بالفاسق الوليد بن عقبة .

و في تفسير الثعلبي : ان الاية نزلت في عليّ عليه السلام و في الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخي عثمان لامه ، و ذلك انه كان بينهما تنازع في شيء ، فقال الوليد لعلي عليه السلام : اسكت فانك صبيّ ، و أنا والله أبسط منك لساناً وأحدّ سناناً و أملأ للكتيبة منك ، فقال له علي عليه السلام : اسكت فانك فاسق ، فأنزل الله سبحانه تصديقاً لعلي عليه السلام : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً » يعني بالمؤمن علياً عليه السلام و يعني بالفاسق الوليد .

و في تفسير البغوي : المطبوع بهامش تفسير (الخازن) مالفظه : نزلت الاية في علي بن أبيطالب عليه السلام والوليد بن عقبة بن أبي معيط أخي عثمان لامه .

وفي شواهد التنزيل : للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن ابن‌عباس قال : انتدب عليّ والوليد بن عقبة فقال الوليد لعليّ : أنا أحدّ منك سناناً وأسلط منك لساناً و أملأ منك حشواً في الكتيبة ، فقال له علي عليه السلام : اسكت يا فاسق فانزل الله تعالى هذه الاية .

و في شرح المختار : لابن أبى الحديد عن أبى القاسم البلخى انه قال : من المعلوم الذى لا ريب فيه لاشتهار الخبر به و إطباق الناس عليه ان الوليد بن عقبة بن أبى معيط كان يبغض علياً و يشتمه، و انه هو الذى لاحاه فى حياة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قال له : أنا اثبت منك جناباً و أحد سناناً، فقال له على عليه السلام : اسكت يا فاسق ، فأنزل الله تعالى فيهما : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » للآيات المتلوة ، و سمى الوليد بحسب ذلك فى حياة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الفاسق ، فكان لا يعرف إلاّ بالوليد الفاسق .

وفى شواهد التنزيل : باسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى : « أفمن كان مؤمنا » قال : هو على بن أبيطالب عليه السلام « كمن كان فاسقاً » الوليد بن عقبة بن أبى معيط و قوله تعالى : « فلهم جنات المأوى » نزلت فى على عليه السلام و قوله : « فمأواهم النار » نزلت فى الوليد بن عقبة .

وفيه: باسناده عن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة السجدة بمكة الاّ ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة فى على عليه السلام والوليد بن عقبة و كان بينهما كلام فقال الوليد : أنا أبسط منك لساناً ، و أحدّ سناناً ، فقال علىّ: اسكت فانك فاسق ، فأنزل الله فيهما : « أفمن كان مؤمناً كمن فاسقاً » إلى آخر الآيات الثلاث .

و قال فيه الفضل بن العباس :

و قد أنزل الرحمن انك فاسق فما لك فى الاسلام سهم تطالبه

و فى البحار : عن يونس بن حبيب قال : سئلت أباعمرو عن تلخيص الآى المكى والمدنى من القرآن فقال أبوعمرو : سئلت مجاهداً كما سئلتنى فقال : سئلت ابن عباس ذلك فقال : « الم السجدة » نزلت بمكة الاّ ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة ، و ذلك انه شجر ـ تنازع ـ بين علىّ والوليد كلام فقال له الوليد : أنا أذرب ـ أحدّ ـ منك لساناً ، و أحدّ منك سناناً ، و أدرك للكتيبة ، فقال له على عليه السلام : اسكت فانك فاسق فانزل الله عزوجل الاية .

و في الكشاف : روى فى نزولها انه شجر بين على بن أبيطالب عليه السلام والوليد بن عقبة بن أبى معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد : اسكت فانك صبى، أنا أشب منك شباباً، و أجلد منك جلداً ـ اى الشديد القوى ـ و أذرب منك لساناً، وأحد منك سناناً، و أشجع منك جناناً، و أملأ منك للكتيبة، فقال له على عليه السلام : اسكت فانك فاسق فنزلت .

وفيه: عن الحسن بن على عليه السلام انه قال للوليد : كيف تشتم علياً و قد سماه الله مؤمناً فى عشر آيات و سماك فاسقاً ؟

و فى الاحتجاج : عن الامام الحسن بن على عليه السلام ـ فى حديث يحاج فيه رجالاً عند معاوية ـ : و أما أنت يا وليد بن عقبة ، فوالله ما ألومك أن تبغض علياً ، و قد جلدك فى الخمر ثمانين جلدة ، و قتل أباك صبراً بيده يوم بدر أم كيف تسبه ، و قد سماه الله مؤمناً فى عشر آيات من القرآن و سماك فاسقاً و هو قول الله عزوجل : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » .

و فى مجالس الشيخ قدس سره : عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه ـ فى حديث احتجاج على عليه السلام على أهل الشورى يذكر فضائله ، وماجاء فيه على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و هم يسلمون له ما ذكره و انه مختص بالفضائل دونهم إلى أن قال على عليه السلام ـ : فهل فيكم أحد أنزل الله تعالى فيه : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » إلى آخر ما اقتص الله تعالى من خبر المؤمنين غيرى ؟ قالوا : اللهم لا .

وقد وردت روايات كثيرة باسانيد عديدة عن طريق العامة ان الاية نزلت فى الامام أمير المؤمنين على عليه السلام و فى الوليد بن عقبة نشير إلى نبذة منها :

١ ـ ابن جرير الطبرى فى تفسيره (جامع البيان) .

٢ ـ السيوطى فى تفسيره (الدر المنثور) .

٣ ـ الخطيب الشربينى فى تفسيره (سراج المنير) .

۴ ـ احمد بن حنبل فی (الفضائل) .

۵ ـ محیی الدین بن العربی الاندلسی المالکی فی (احکام القرآن) .

٦ ـ محب الدین الطبری فی (ذخائر العقبی) .

۷ ـ الخازن البغدادی فی تفسیره (لباب التأویل) .

۸ ـ اسمعیل بن کثیر دمشقی فی (تفسیره) .

۹ ـ سبط ابن الجوزی فی (التذکرة) .

۱۰ ـ القرطبی فی تفسیره (الجامع لاحکام القرآن) .

۱۱ ـ ابوحیان الاندلسی فی تفسیره (البحر المحیط) .

۱۲ ـ محمد صالح الترمذی الکشفی فی (مناقب مرتضوی) .

۱۳ ـ ابن همام فی (حبیب السیر) .

۱۴ ـ الشوکانی فی تفسیره (فتح القدیر) .

و غیرهم ترکناهم للاختصار .

و فی کتاب ما نزل من القرآن فی علی لأبی نعیم عن ابن عباس ذکر ولید بن عقبة علیاً علیه السلام عند النبی صلی الله علیه و آله و سلم بما یکره فقال : أنا أحدّ منه سناناً و املأ للکتیبةغناء فقال له النبی صلی الله علیه و آله و سلم : « أفمن کان مؤمناً کمن کان فاسقاً لا یستوون » .

و فی کفایة الطالب : للکنجی الشافعی بعد ما ذکر روایة نزول الایة فی علی علیه السلام والولید بن عقبة ذکر ما أنشأ حسّان بن ثابت فی ذلك اذ قال :

أنـزل الله والکتـاب عـزیـز — فی علی و فی الولیـد قرآنـا

فتبـوء الولید من ذلك فسقاً — و علـیّ مبـوّء ایمـانـا

لیس من کان مؤمناً عرف الله — کمن کان فاسقـاً خوانـا

فعلـیّ یجـزی هنـاك نعیمـاً — و ولیـد یجزی هناك هوانـا

سوف یجزی الولید خزیاًونارا — و علیّ لا شك یجزی جنـانـا

و أما الروايات الواردة عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية فكثيرة لا يسعها المقام فنشير إلى نبذة منها :

في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن هشام بن محمد عن أبيه قال هشام : و أخبرني ببعضه أبومخنف لوط بن يحيي و غير واحد من العلماء في كلام كان بين الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام و بين الوليد بن عقبة فقال له الحسن عليه السلام : لا الومك ان تسبّ علياً عليه السلام وقدجلدك في الخمر ثمانين سوطاً، و قتل أباك صبراً بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم بدر ، و قد سماه الله عزوجل في غير آية مؤمناً و سماك فاسقاً و قد قال الشاعر فيك ، و في على عليه السلام :

أنزل الله في الكتاب علينا ... في عليّ و في الوليد قرآنا
فتبوء الوليد منزل كفر ... و عليّ تبوء الايمانا
ليس من كان مؤمناً يعبد الله ... كمن كان فاسقاً خوانا
سوف يدعى الوليد بعد قليل ... و عليّ إلى الجزاء عيانا
فعليّ يجزى هناك جنانا ... و هناك الوليد يجزى هوانا

و في تفسير القمي : عن أبي الجارود عن أبي جعفر في قوله تعالى: « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون » فذلك ان على بن أبيطالب عليه السلام والوليد بن عقبة بن أبي معيط تشاجرا ، فقال الفاسق الوليد بن عقبة : أنا والله أبسط منك لساناً، و أحدّ منك سناناً، و أمثل منك حشواً في الكتيبة ، قال على عليه السلام : اسكت فانما أنت فاسق فأنزل الله : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً » .

و في البحار : قال المجلسي بعد نقل الروايات عن الطريقين : قد ثبت بنقل الخاص والعام نزول الاية فيه عليه السلام و يدل على كمال ايمانه حيث قوبل بالفسق ، فالمراد به الايمان الذى لم يشب ـ اى لم يخلط ـ بفسق ، و يدل على انه لا يجوز أن يساوى المؤمن بالفاسق ، فكيف يجوز أن يقدّم الفاسق عليه ؟ و لا ريب أن من قدّم عليه لم يكونوا معصومين ، و انهم كانوا فاسقين ولو قبل

الخلافة، وقد مرّ الكلام فيه في كتاب الامامة. و أيضاً يكفي الدلالة على كمال ايمانه في ثبوت فضل له، و اذا انضمّ إلى سائر فضائله منع من تقديم غيره عليه عقلاً.

و غير ذلك من الروايات لا يسعها المقام.

وفي شواهد التنزيل: للحاكم الحسكاني الحنفي النيسابوري باسناده عن أبي حمزة عن أبي‌جعفر عليه السلام في قوله: «و جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا» قال: نزلت في ولد فاطمة عليها السلام.

وفيه: باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «و جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا» قال: نزلت في ولد فاطمة خاصة، جعل‌الله منهم أئمة يهدون بأمره.

وفيه: باسناده عن ابن‌عباس في قول الله تعالى: «أفمن كان مؤمناً» قال: نزلت هذه‌الاية في علي عليه السلام يعني كان عليّ مصدّقاً بوحدانيتي «كمن كان فاسقاً» يعني الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط، و في قوله: «و جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا» قال: جعل‌الله لبني‌اسرائيل بعد موت هارون و موسى من ولد هارون سبعة من‌الائمة، كذلك جعل من ولد علي، سبعة من الائمة ثم اختار بعد السبعة من ولد هارون خمسة، فجعلهم تمام الاثنى عشر نقيباً، كما اختار بعد السبعة من ولد علي خمسة فجعلهم تمام الاثنى عشر.

و في أسباب النزول: للسيوطي عن قتادة قال الصحابة: ان لنا يوماً يوشك أن نستريح فيه و ننعم، فقال المشركون: «متى هذا الفتح ان كنت صادقين» فنزلت.

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم و حمزة و نافع « خلقه » بفتح اللام على انه فعل ماض ، وصف لقوله تعالى: « كل شيء» والباقون بسكونها على المصدر ، بدلاً من « كل شيء» .

و قرأ نافع « بدأ » بفتح الهمزة والباقون باسكانها بدلاً من «خلقه» لا على التخفيف .

وقرأ نافع « أإذا - أإنا » بالاستفهام في الاول، والاخبار في الثاني، والباقون بالاستفهام فيهما .

وقرأ حمزة « ما اخفى » بسكون الياء على انه فعل مضارع متكلم وحده ، والباقون بفتحها على انه فعل ماض مبنيّ للمفعول .

وقرأ حمزة « لما صبروا » بكسر اللام وتخفيف الميم ، والباقون بفتح اللام و تشديد الميم .

﴿ الوقف والوصل ﴾

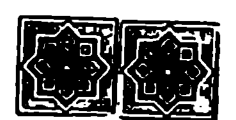
« الم قف » فيستحب الوقف ، من غير حرج فى الوصل ، و « العالمين ط » لان « أم » استفهام تقريع غير عاطفة بل هى للانقطاع ، و « افتراه ج » لعطف الجملتين المختلفتين ، و « العرش ط » لابتداء الكلام التالى ، و « شفيع ط » لتمام الكلام ، و « الرحيم لا » لان « الذى » نعت من « العزيز » ، و « طين ج » لان « ثم » لترتيب الاخبار ، و « مهين ج » لما تقدم ، و « الافئدة ط » لتمام الكلام ، و « جديدط » لابتداء الكلام التالى، و « كافرون ى » علامة توضع عند انتهاء عشر آيات .

«ترجعون ع» علامة انتهاء الركوع وهو الحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن فى عامين، و « عندربهم ط » لابتداء الكلام التالى ولحق القول المحذوف، و « هذا ج » للابتداء بـ « ان » مع تكرار ، و « طمعاًز » لانقطاع النظم بتقديم المفعول، و « أعين ج » لان « جزاءاً » يحتمل أن يكون مفعولاً له ، وأن يكون مصدراً لفعل محذوف .

«فاسقاًط» لانتهاء الاستفهام إلى الاخبار، « الماوى ز » لان «نزلاً» يحتمل أن يكون مفعولاً له . و أن يكون مصدراً لفعل محذوف ، و « النار ط » لتمام الجملة ، و « أعرض عنها ط » و « منتقمون ع » .

« اسرائيل ج » و إن اتفقت الجملتان للعدول عن ضمير المفعول الاول ، و هو واحد إلى ضمير الجمع فى الثانية ، و « صبروا ط » على قراءة تشديد الميم فى « لما » و فتح اللام ، و « مساكنهم ط » لتمام الكلام .

« لايآت ط » لابتداء الكلام التالى بالاستفهام ، و « أنفسهم ط » كالمتقدم .



﴿ اللغة ﴾

١٢ - الست - ٦٧١

ستّ فلاناً يستّه ستّاً - من باب ضرب نحو : فرّ - : اذا عابه .

الست - بالفتح - : الكلام القبيح والعيب .

الست والستة والستون هى الاعداد المعروفة .

الستة : ما بين الخمسة والسبعة من العدد قال الله تعالى : « الذى خلق السموات والارض و ما بينهما فى ستة أيام » السجدة : ٤) .

السات : السادس . قيل : أصل الست : السدس ، فابدل من إحدى السينين تاءاً و ادغم فيه الدال .

الستون : ست عشرات للمذكر والمؤنّث ، يقال : ستون رجلاً و ستون امرأة قال الله تعالى : « فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً » المجادلة : ٤) .

٣٧ - النسل - ١٥١٢

نسل ينسل نسلاً و نسلاناً و نسولاً - من باب نصر - : سقط و انفصل .

يقال : نسل الصوف والريش : انتفشه و أسقطه ، و نسل الثوب عن صاحبه: سقط . لازم و متعدّ . ويقال: نسل الوبر عن الابل والقميص عن الانسان : سقط.

النسل : الانفصال عن الشى . والنسل : الولد لكونه منفصلاً عن أبيه .

نسله نسلاً: ولده ، ويقال للولد نسل من إطلاق المصدر على المفعول كالخلق في معنى المخلوق ، قال الله تعالى : « ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين » السجدة : ٨) . و نسل فلان : كثر ولده . والنسل : الولد والذرية ، يقال : له نسل كثير ، و هو من نسل طيب و نسل خبيث . جمعه : أنسال . و سميت الذرية نسلاً لانها تنفصل منه .

و في الحديث : « انهم شكوا إلى رسول الله ﷺ الضعف فقال : عليكم بالنسل » تناسلوا : توالدوا . و يأتي النسل للواحد و غيره في العاقل و غيره .

نسل الدابة : حان لها أن ينسل وبرها. والنسل- محركة- مصدر: اللبن يخرج بنفسه من الاحليل ، والذى يخرج من التين الاخضر .

النسيل: ما يسقط من الصوف والريش عند النسل الواحدة . النسل: العسل اذ اذاب و فارق الشمع . النسيلة : الولد والفتيلة والذبالة .

نسل الماشي ينسل نسلا - من باب ضرب - : أسرع في سيره و مشيه مع مقاربة الخطوة .

قال الله تعالى : « ونفخ في الصور فاذاهم من الاجداث إلى ربهم ينسلون » يس : ٥١) أي يسرعون .

و في الحديث : « سيروا و انسلوا فانه أخف عليكم » أي أسرعوا .

و في رواية : « شكوا إليه الاعياء فقال : عليكم بالنسلان » أي الاسراع في المشي .

و يقال : نسل فلان القوم : تقدّمهم .

٧٢ - السلالة - ٧٣١

سلّ الشيء من الشيء يسلّ سلاً - من باب نصر نحو : مدّ - : انتزعه و أخرجه برفق .

يقال : سلّ السيف من الغمد والشعرة من العجين . ويقال : سلّ من بين يديه : مضى و خرج بتأنّ و تدريج .

السلالة : الصفو الذى ينتزع برفق، و سميت النطفة سلالة لانها مستخلصة من الغذاء .

قال الله تعالى : « ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين » السجدة : ٨) .

السلالة : الخلاصة لانها تسلّ من الكدر . قال الله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » المؤمنون : ١٢) يعنى آدم عليه السلام أسلّ من طين . ويقال: سلّه من كل تربة . أى من الصفو الذى يسلّ من الارض . وقيل: السلالة كناية عن النطفة تصور دونه صفو ما يحصل منه . والسلالة : ما ينسل من الشىء القليل . السلالة : النسل والولد ، تقول : هو سلالة طيبة .

و فى حديث حسان : « لأسلّنّك منهم كما تسلّ الشعرة من العجين » و فى حديث الدعاء : « اللهم أسلل خيمة قلبى » .

تسلل : انطلق فى استخفاء كأنه ينتزع نفسه فى رفق قال الله تعالى: « قد يعلم الله الذين يتسلّلون منكم لواذا » النور : ٦٣) أى يخرجون من الجماعة واحداً واحداً . كقولك : سللت كذا من كذا اذا أخرجته منه . و سلّ الشىء من البيت على سبيل السرقة . والسلة : شقوق فى الارض تسرق الماء . والسلة - بالفتح - : السرقة الخفية ، و فى المثل : الخلّة تدعو إلى السلّة أى الفقر يدعو إلى السرقة . الاسلال : السرقة تقول : اهديت لك من مال حلال من غير إسلال و لا إغلال أى من غير سرقة و لا رشوة .

إنسلّ قيد الفرس أو عنانه من يده : خرج . الانسلال : المضى والخروج من مضيق أو زحام . السّالّ: المسيل الضيق فى الوادى. والسليلة : الشعر ينفش ثم يطوى ويشد ثم تسلّ منه المرأة الشىء بعدالشىء تغزله . والسليل: النخاع. والسلال - بالضم - : السيل . والسلة : وعاء يحمل فيه الفاكهة .

المسلة ـ بكسر الميم و فتح السين واللام ـ : الابرة العظيمة التى تخلط بها العدول و نحوها ، جمعها : مسلاّت و مسالّ . مسلة فرعون : عمود على هيئة المسلة .

و فى الحديث : « اللجاجة تسلّ الرأى » أى تأخذه و تذهب به . قال بعض الشارحين : و ذلك ان الانسان قد يلجّ فى طلب الشىء مع أن الرأى فى تحصيله التأنى، فيكون اللجاج فيه سبباً مفوتاً للرأى الاصلح فيه ، وهومفوت للمطلوب لمرغوب فيه غالباً .

و فى الحديث المرأة المصلية : « فاذا نهضت انسلت انسلالاً » أى نهضت بتأنّ و تدريج ، و كأنّ ذلك لئلا يبدو عجيزتها غالباً . السليلة : البنت ، وانما لحقت الهاء مع كونها بمعنى مفعول ، لانها جعلت إسماً غير منظور فيها إلى الصفة كما تقول : قتيلة بنى فلان .

سلّ ـ مبنىّ للمفعول ـ : هزل و بلى بالسّلّ ، فهو مسلول ، و أسلّه الله إسلالاً : ابتلاه بالسل . والسل ـ بالكسر ـ : الهزال وداء معروف ، و قرحة فى الرية يلزمهاحمىهادئة. السليل: المسلول . والسل: مرض ينزع بهاللحموالقوة.

٨٨ ـ النكس ـ ١٥٦٣

نكسه ينكسه نكساً ـ من باب نصر ـ : قلبه وجعل أعلاه أسفله ، و مقدّمه مؤخّره و منه : نكس الولد : اذا خرج رجله قبل رأسه . و منه نكس رأسه ، و نكس على رأسه اذا طأطأ رأسه ذلاً و انكساراً . ويقال أيضاً: نكس على رأسه اذا اعاد إلى الضلال بعد الرشاد و هو على التشبيه كأنما قلب على رأسه .

قال الله تعالى : « و لو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم » السجدة : ١٢) أى هم مطأطؤن رؤسهم دلاً . و نكس رأسه : أماله .

و قال الله تعالى : « ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون »

الانبياء : ٦٥) أى عادوا إلى الضلال بعد أن استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم ، فأخذوا فى المجادلة بالباطل والمكابرة .

يقال : نكس الطعام و غيره داء المريض : أعاده بعد إفاقته . النكاس ـ بالضم ـ : عود المرض بعد النقه . والنكس ـ بالضم ـ : أن يعود المرض بعد الافاقة ، و ـ بالفتح ـ : السهم الذى انكسر فوقه ، فجعل أعلاه أسفله ، فيكون رديئاً ، ولردائته يشبّه به الرجل الدنىء ، و ـ بالكسر ـ : الرجل الضعيف والعاجز والمقصر فى النجدة والكرم و جمعه : الأنكاس .

يقال : فلان يقرأ القرآن منكوساً أى يبتدىء من آخره ، ويختم بالفاتحة ، أو من آخر السورة فيختم بأولها مقلوباً ، و كلاهما مكروه الآ الاول فى تعليم الصبيان . الطواف المنكوس بأن يستلم الحجر الاسود ثم يأخذ عن يساره ، سمّى بذلك لانه نكس أى قلب عما هو السنة .

الناكس : المطأطىء رأسه ، والمنكوس : المقلوب . و فى حديث الامام الصادق عليه السلام : « لا يحبّنا ذورحم منكوسة » قيل : هو المأبون لانقلاب شهوته إلى دبره نكّسه تنكيساً ـ من باب التفعيل ـ : قلبه وجعل أعلاه أسفله ، ويقال من هذا : نكّس الله الهرم : أعاده بعد الكمال إلى ما كان عليه من نقص وضعف ، و ذلك انه يتناقص حتى يرجع إلى حال شبيهه بحال الصبى فى ضعف جسده و نقص عقله .

قال الله تعالى : « و من نعمّره ننكّسه فى الخلق أفلا يعقلون » يس:٦٨) فصار بدل القوة ضعفاً ، و بدل الشباب هرماً ، و بدل العلم جهلاً ، وبدل الصحة سقماً . . .

٣٩ ـ التجافى ـ ٢٥٥

جفا جنبه عن الفراش يجفو جفاءاً و جفواً و جفاءة ـ واوى من باب نصر

نحو : دعا ـ : تباعد عنه . و مثله تجافى .

قال الله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً » السجدة : ١٦) أى ترفع و تنبو عن الفرش .

يقال : « تجافى جنبه عن الفراش » أى اذا لم يستقر عليه من خوف أو وجع أو همّ ، و لم يلزم مكانه و مال من جانب إلى جانب و لم يطمئن عليه .

وفى حديث المسبوق بالصلاة : « اذا جلس يتجافى ولايتمكن من القعود » أى يرتفع عن الارض و يجلس مقعياً غير متمكن لانه أقرب إلى القيام .

وفى الحديث : « انه عليه السلام كان يجافى عضديه عن جنبه للسجود » أى يباعدهما عن جنبيه و لا يلصقهما بهما .

و فى حديث : « اذا سجدت فتجاف » أى ارتفع عن الارض و لا تلصق جؤجؤك بها .

و فى رواية : « تجافوا عن الدنيا » أى تباعدوا عنها و اتركوها لاهلها .

و فى رواية الجريدة للميت : « يتجافى عنه العذاب ما دامت رطبة » أى يرتفع عنه عذاب القبر ما دامت كذلك .

و فى الحديث : « إقرؤا القرآن و لا تجفوا عنه » أى تعاهدوه ولا تبعدوا عن تلاوته .

و جفا السرج عن ظهر الفرس : ارتفع . و جفا الثوب : غلظ . و جفا عليه كذا : ثقل . الجافى : الغليظ . والجفاء ـ بالفتح ـ : الغليظ فى العشرة والخرق فى المعاملة و ترك الرفق . والجفاء ـ بالمد غلظ الطبع والبعد والاعراض . يقال : جفوت الرجل أجفوه : إذا أعرضت عنه .

و فى الحديث : « الاستنجاه باليمين من الجفاء » أى فيه بعد عن الآداب الشرعية والجفاء : ترك الصلة والبر . والجفاوة : قساوة القلب . والجفوة ـ بالكسر والفتح ـ : الجفاء يقال : أصابته جفوة الزمان وجفوانه . اجتفى الشىء اجتفاءاً :

أزاله عن مكانه . والجفاء : الباطل التجافي : التجنب عن الشيء مأخوذ من الجفاء من لم يوافقك فقد جافاك .

قال عبدالله بن رواحة : و فينا رسول الله يتلو كتابه - اذا انشق معروف من الصبح ساطع .

أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات ان ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استيقلت بالمشركين مضاجع

٣ - المضاجع - ٨٩٥

ضجع الرجل يضجع ضجعاً وضجوعاً - من باب منع - : وضع جنبه بالارض فهو ضاجع . و ضجع النجم : مال للغروب . و أضجع الحرف : أماله إلى الكسر . يقال : أراك ضاجعاً إلى فلان : مائلاً إليه . المضجع : لصوق بالارض على جنب ، والمضجع - كمقعد - : مكانه .

و قد ورد في القرآن الكريم منه الجمع فقط .

قال الله تعالى: « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » السجدة : ١٦) أي المراقد.

و قال : « و اهجروهن في المضاجع » النساء : ٣٤) .

وفي الحديث : « عجلوا موتاكم إلى مضاجعهم » أي إلى قبورهم ومراقدهم.

ضجّع في الامر : قصّر فيه . و تضاجع عن الامر: تغافل عنه . و اضطجع : نام . و قيل : استلقى ، و وضع جنبه بالارض .

الاضطجاع في الحركات : التسفل كالامالة . التضجيع في النية: التردد فيها و ان لا يبتّها . مضاجع الغيث : مساقطه .

المضجوع : الضعيف الرأي . والضجعة - بضم الضاد و فتحها - : الخفض والدعة و - بكسرها - الكسل و عدم النهوض . و هيئة الاضطجاع و هو النوم كالجلسة .

الضجوع : الناقة التى ترعى ناحية . والضجوع : الضعيف الرأى . والدلو الواسعة . والمرأة المخالفة للزوج . والسحابة البطيئة لكثرة مائها .

الضاجعة : الغنم الكثيرة . والضجع - بالكسر - : الميل . والضاجع : الاحمق لعجزه و لزومه مكانه و هو من الدواب الذى لاخير فيه .

٢٥ - الجرز - ٢٤١

جرزه يجرز جرزاً - من باب نصر - : قطعه . و جرز ما على المائدة جرزاً : أكله أكلاً بسرعة و لم يترك منه شيئاً .

و أصل المعنى فى هذه المادة : القطع والاستئصال .

قال الله تعالى: « صعيداً جرزاً » الكهف : ٨) أى منقطع النبات من أصله. الارض الجرز : الارض الجرداء التى لا نبات فيها . أرض جارزة : يابسة غليظة يكتنفها رمل أوقاع . والارض التى لم يصبها المطر و ليس فيها النبات .

قال الله تعالى: «أولم يروا انا نسوق الماء إلى الارض الجرز» السجدة : ٢٧) الجرز - بالفتح ثم السكون - مصدر: الارض التى لاتنبت أو أكل نباتها أو قطع جمعه : أجراز . الجروز : الاكول السريع الذى لا يترك على المائدة شيئاً .

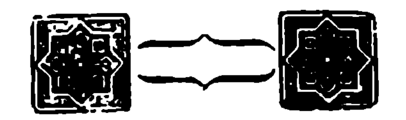
أجرز القوم : أمحلوا . أجرزت الناقة : هزلت . تجارز القوم : تشاتموا . الجرز : الجسم و صدر الانسان أو وسطه .

الجراز - بالضم - : السيف القطاع . والجرز - بالكسر - : لباس النساء من الوبر وجلود الشاة ، ويقال: هو الفرو الغليظ . والجرز - بالضمّ والسكون - : عمود من حديد أو فضة . وبمعنى القتل. و - بفتحهما - السنة المجدبة. والجرزة - بالفتح والسكون - : الهلاك يقال: رماه الله بجرزة أى بهلاك و - بالضم والسكون - : القطعة من القت و نحوه .

الجرز : الطائفة من الترك . و قد جاء فى الحديث : « سئلته عن اللحاق

من الثعالب والجرز يصلّى فيها أم لا » .

المجروز من الامكنة : ما قطِع نباته و منه : أرض مجروزة . والجراز ـ بالفتح ـ : نبات يظهر مثل القرعة بلاورق يعظم حتى يكون كأنه الناس القعود ، فاذا عظمت دقت رؤسها ، و فوّرت نوراً .



﴿ النحو ﴾

١ - (الم) .

و قد سبق الكلام فيه في سورة « لقمان » فراجع .

٢ - (تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) .

في «تنزيل» وجوه : أحدها- مبتداء ، اضيف إلى « الكتاب » و «لا» حرف نفي للجنس و « ريب » إسمها ، و « فيه » متعلق بمحذوف، وهوخبرها ، والضمير راجع إلى « الكتاب » وقيل : راجع إلى مضمون الجملة أي لا ريب في كونه منزلاً من عندالله تعالى، والجملة في موضع رفع ، خبر المبتداء ، و « من رب العالمين » متعلق بـ« تنزيل » وقيل : لا يجوز على هذا أن تتعلق بـ« تنزيل » لان المصدر قد أخبر عنه ، وقيل: «من رب العالمين» متعلق بمحذوف : خبر بعد خبر .

ثانيها - خبر لمحذوف أي هذا تنزيل أو المتلو تنزيل أو هذه الحروف تنزيل و « لا ريب فيه » في موضع نصب ، حال من « الكتاب » وقيل : في موضع رفع ، خبر بعد خبر . و قيل : إعتراض لا محل له ، و « من رب العالمين » خبر بعد خبر أو متعلق بمحذوف ، و هو حال من ضمير « فيه » والعامل في الحال هو الظرف لان « ريب » هنا مبني .

ثالثها- ان التنزيل مصدر من باب التفعيل بمعنى المنزّل على إسم المفعول، و إضافته إلى « الكتاب » من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف ، والمعنى: هذا هو الكتاب المنزل الذي لاريب فيه .

٣- (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ماأتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون)

« أم » للانقطاع في معنى « بل » وهمزة الاستفهام فالمعنى : بل أيقولون و « يقولون » فعل مضارع لجمع المذكر الغائب ، و ضمير الجمع راجع إلى المشركين وإن لم يجرلهم ذكر ، و « افتراه » فعل ماض من باب الافتعال ، والفاعل ضمير مستترفي الفعل راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ضمير البارز في موضع نصب ، راجع إلى « الكتاب » على حذف المتعلق أي على الله تعالى .

« بل » إضراب عن الانكار إلى الاثبات ، و « هو » مبتداء و « الحق » خبره و « من ربك » متعلق بـ « الحق » على تقدير : هو الذي حق من ربك . و قيل : متعلق بمحذوف على الحال على تقدير كائناً من ربك ، والعامل فيه الحق وذوالحال الضمير المستكن فيه و « لتنذر » فعل مضارع خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم منصوب بـ « أن » مقدرة ، والفعل بعد الانسباك إلى المصدر مجرور متعلق بالحق ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف أي أنزله لتنذر قوماً .

و « قوماً » مفعول به و « ما » حرف نفي و « أتاهم » الفعل ماض والضمير في موضع نصب ، مفعول به ، و « من » في « من نذير » زائدة جيئت للتأكيد و « نذير » في موضع رفع ، فاعل الفعل ، والجملة في موضع نصب ، نعت من « قوماً » و « من قبلك » متعلق بما قبله ، و « لعل » حرف للترجي ، و « هم » في موضع نصب ، إسم لحرف الترجي و « يهتدون » فعل مضارع من باب الافتعال على حذف الياء ، إذ ثقلت الضمة عليها ، فنقلت إلى الدال بعد حذف كسرها ، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين بينها وبين الواو .

٤- (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولاشفيع أفلا تتذكرون)

« الله » مبتداء و « الذي » موصولة و « خلق » فعل ماض و « السموات » مفعول به

« والارض » عطف على « السموات » والجملة صلة للموصول ، والعائدهو الضمير في « خلق » والجملة خبر المبتداء و « ما » موصولة في موضع نصب ، عطف على «السموات» و « بينهما» متعلق بمحذوف وهو الصلة ، و « في ستة » متعلق بـ «خلق» اضيفت إلى « أيام » : جمع يوم من جموع القلة .

« ثم » ليست للترتيب وهي هنا بمعنى الواو و « استوى » فعل ماض من باب الافتعال و « على العرش » متعلق بـ « استوى » و « ما » حرف نفي و «لكم» متعلق بمحذوف ، خبر لحرف النفي و « من دونه » متعلق بما يتعلق به « لكم » في موضع نصب على الحال و« من » في « من ولي » زائدة و «ولي » إسم لـ « ما » على تقدير: ماولي ثبت لكم حال كونه غيره تعالى ، و«لاشفيع» عطف على « من ولي » .

« أفلا » الهمزة إستفهامية إنكارية و «لا» حرف نفي ، و « تتذكرون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب من باب التفعل .

٥ـ (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون)

« يدبر » فعل مضارع من باب التفعيل ، وفاعله هو الضمير المستتر فيه، راجع إلى « الله » و« الامر » مفعول به ، والجملة في موضع رفع ، نعت من « الله » و« من السماء » متعلق بمحذوف ، نعت من « الامر » و « إلى الارض » متعلق بما يتعلق به « من السماء » و « ثم » للترتيب بمعنى الواو ، و « يعرج » و « إليه » متعلق بـ « يعرج » والضمير راجع إلى « السماء » على لغة من يذكرها ، ويجوز أن يكون راجعاً إلى مكان الملك الذي يرجع إليه ، وأن يكون راجعاً إلى إسم الله تعالى ، و« في يوم » متعلق بـ « يعرج » .

«كان » فعل ماض من أفعال الناقصة و « مقداره » إسمها و « ألف سنة» خبرها ، والجملة في موضع جر ، نعت من « يوم » و « ما » في « مما » موصولة و« تعدون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب ، صلة الموصول على حذف العائد على تقدير:

تعدّونه ، والجملة صفة من « ألف » ويجوز أن تكون نعتاً من « سنة »

٦- (ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم)

« ذلك » مبتداء قيل : « ذلك » بمعنى « أنا » و « عالم الغيب » خبره . و قيل :خبر لمحذوف أى ذلك المشار إلى قدرته وتدبير الامور هو عالم الغيب و« الشهادة» عطف على « الغيب » و«العزيز» خبر بعد خبر ، ويجوز أن يكون نعتاً من « عالم الغيب » و كذلك « الرحيم » .

٧- (الذى أحسن كل شيء خلقه و بدأ خلق الانسان من طين)

فى « الذى »وجوه : أحدها ـ خبر لمحذوف أى هو الذى الخ . . ثانيها ـ خبر بعد خبر .ثالثها ـ ان الموصول وصلته فى موضع رفع ، نعت من « عالم الغيب» رابعها ـ ان « العزيز » مبتداء و«الرحيم » صفته ، و«الذى » خبره . و « أحسن » فعل ماض من باب الافعال ، صلة الموصول ، و « كل شيء » مفعول به ، و «خلقه» فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى الله تعالى ، وضمير الوصل فى موضع نصب ، مفعول به ، والجملة فى موضع نصب ، نعت من « كل» و يجوز أن يكون فى موضع جر، نعتاً من «شيء»

« وبدأ » عطف على « خلقه » و « خلق الانسان » مفعول به ، و «من طين » متعلق بـ « بدأ » .

٨- (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين)

« ثم »حرف عطف يفيد هنا الترتيب والتراخى الزمانى و « جعل »فعل ماض، عطف على « بدأ » و « نسله »مفعول به ، و « من سلالة » متعلق بـ « جعل » و«من ماء » متعلق بمحذوف ، فى موضع جر ، نعتاً من « سلالة » ويجوز أن يكون بدلاً من « سلالة » و « مهين » صفة لـ « ماء » .

٩- (ثم سواه ونفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون)

« ثم » حرف عطف للترتيب والتراخي في المقام ، و « سواه » الفعل للماضي من باب التفعيل ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الله تعالى ، و ضمير الوصل في موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى « الانسان » و « نفخ » عطف على « سواه » و « فيه » متعلق بـ « نفخ » و «من روحه » متعلق بمحذوف ، في موضع نصب، مفعول به و «جعل» عطف على «نفخ» و «لكم» متعلق بـ «جعل» .

و «السمع» مفعول به ، بمعنى الأسماع ، و «الابصار» جمع البصر ، عطف على «السمع» و «الافئدة » جمع الفؤاد ، عطف على «السمع» وفي «قليلاً» وجوه: أحدها صفة لمحذوف أي تشكرون شكراً قليلاً و «ما» زائدة مؤكدة للقلة والجملة إعتراضية في محل التوبيخ .

ثانيها ـ صفة لظرف محذوف أي وقتاً قليلاً . ثالثها ـ منصوب على الحال أي حال كون شكركم قليلاً تجاه هذه النعم . وأن «ما» مصدرية . وقيل: ان الجملة حالية أي حال كونكم تشكرون قليلاً .

١٠ـ (وقالوا ءاذا ضللنا في الارض ءانا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون)

« إذا » ظرف ، منصوب بما دلّ عليه « أ إنا لفي خلق جديد » لان الكلام يدل على نعاد ونبعث فالظرف متعلق بمقدر أي أنبعث إذا غبنا في الارض . ولا يعمل في «إذا» «جديد» لان ما بعد « ان» لا يعمل فيما قبلها . والهمزتان « ء إذا ـ ءانا» للاستفهام الانكاري . و « لفي خلق » اللام للتأكيد و مدخولها و مجرورها متعلق بمحذوف وهو الخبر لحرف التأكيد و « جديد » نعت من « خلق » .

« بل » حرف إضراب عن فحوى قولهم : « ء إذا ضللنا في الارض » و «هم» مبتداء و « بلقاء ربهم » متعلق بـ «كافرون» وهو خبر المبتداء .

١١ـ (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون)

«قل» فعل أمر ، خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و « يتوفى » فعل مضارع ، من

باب التفعل ، و ضمير الجمع المخاطب في موضع نصب ، مفعول به ، و « ملك الموت » فاعل الفعل ، و«الذى» موصولة و «وكل» فعل ماض ، مبنى للمفعول من باب التفعيل ، صلة الموصول والجملة في موضع رفع ، نعت من « ملك الموت » و«بكم »متعلق بـ« وكل» و«ثم»حرف عطف ، و «إلى ربكم» متعلق بـ« ترجعون» وهوفعل مضارع ، مبنى للمفعول ، خطاب للجمع المذكر .

۱۲- (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوارؤسهم عند ربهم ربنا أبصرناوسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً انا موقنون)

« لو » شرطية ، و «ترى» فعل مضارع ، خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من رؤية العين على حذف المفعول أى ولو ترى أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هؤلاء المجرمين وأغنى عن ذكره المبتداء التالى . وقيل : على تقدير : لو رأيت ببصرك مثل قوله: «وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً » فيكون « ترى » عاملاً في « إذ »

وجواب «لو»محذوف أى لرأيت أمراً فظيعاً أوالتقدير : ولو رأيت المجرمين على تلك الحالة لرأيت ماتعتبر به غاية الاعتبار . و قيل : «لو» للتمنى كأنه تعالى جعل لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم تمنى أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الذل والهوان ليشمت بهم .

« إذ » ظرف يراد بها الاستقبال ، متعلق بـ« ترى » و«المجرمون » مبتداء واللام فيه للعهد ، و «ناكسوا » إسم فاعل لجمع المذكر ،على حذف النون لاـ ضافته إلى « رؤسهم » والمضاف والمضاف إليه خبر المبتداء ، و « عند ربهم » متعلق بـ«ناكسوا » و «ربنا» منصوب بحرف النداء للاضافة على تقدير القول أى يقولون : يا ربنا والجملة في موضع نصب على الحال والعامل فيها « ناكسوا » و « أبصرنا » فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال ، و « سمعنا » عطف على « أبصرنا » والفاء في «فارجعنا » للتفريع ، والفعل للامر، خطاب لله تعالى و«نا» ضمير تكلم مع الغير في موضع نصب ، مفعول به ، والجملة في معنى الشرط ، و

« نعمل » جزاء مجزوم بشرط مقدرأى إن رجعتنا نعمل و « صالحاً » مفعول به.

و« انا » حرف تأكيد مع إسمها ، و « موقنون » خبرها .

١٣- (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين)

« لو » حرف شرط فى المضى بصرف المضارع إليه ، عكس « إن » الشرطية، ومعناها المشهور انها تدل على إمتناع الجواب لامتناع الشرط ، وفى المقام علّق نفى الهداية على نفى المشيئة ، وان الملزوم هنا مشيّة الهداية لامطلق المشيّة، أى متى وجدت المشية وجدت الهداية ، ومتى إنتفت إنتفت .

و« شئنا » فعل ماض للتكلم مع الغير ، و«لاتينا» اللام للجواب ، ومدخولها فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال، جواب لـ«لو» و «كل نفس» مفعول أول ، و «هداها» مفعول ثان ، و«لكن» حرف إستدراك ، و «حق» فعل ماض ، و « القول» فاعل الفعل ،و « منى » متعلق بـ« حق » و«لاملئن» اللام للقسم ومدخولها فعل مضارع للتكلم وحده ، مؤكد بنون الثقيلة ، و « جهنم » مفعول به و «من الجنة » متعلق بـ« لأملئن » و«الناس » عطف على «الجنة» و « أجمعين » تأكيد لما قبله .

١٤- (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بماكنتم تعملون)

تفريع على قوله تعالى : « ولكن حق القول منى » و مدخولها فعل أمر لجمع المذكر المخاطب على حذف المفعول أى فيقال لهم ، ذوقوا عذاب جهنم والباء فى «بما» سببية ومدخولها موصولة و « نسيتم » صلتها ، على حذف العائد أى بسبب مانسيتموه من لقاء يومكم . وقيل : « ما » مصدرية أى بسبب نسيانكم .

وقيل : « لقاء يومكم » مفعول به لقوله : « فذوقوا » وهذا بناء على قول الكوفيين فى إعمال الاول من المتنازعين .

و « هذا » فى موضع جر ، نعت من « يومكم » و قيل : « هذا » مفعول به لقوله: « فذوقوا » و «إنا» حرف تأكيد ، و إسمها ، و « نسينا » فعل ماض للتكلم مع الغير و « كم » ضمير جمع للخطاب ، فى موضع نصب ، مفعول به ، والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد .

و « ذوقوا » عطف على «فذوقوا» على سبيل التأكيد ، و « عذاب الخلد » مفعول به من إضافة الموصوف إلى الصفة فى الظاهر نحو : رجل صدق ، و « بما » الباء للسببية و « ما » موصولة ، و « كنتم » من أفعال الناقصة ، و « تعملون » فى موضع نصب ، خبر لفعل الناقص ، والجملة صلة الموصول على حذف العائد أى تعملون به .

۱۵- (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم و هم لا يستكبرون)

« انما » كلمة حصر ، و «يؤمن» فعل مضارع من باب الافعال ، و «بآياتنا» متعلق بـ« يؤمن » و « الذين » موصولة فى موضع رفع ، فاعل الفعل ، و « اذا » ظرف للاستقبال ، و « ذكّروا » فعل ماض من باب التفعيل ، مبنى المفعول ، و «بها» متعلق بـ« ذكروا» والضمير راجع إلى الآيات، والجملة شرطية، و «خرّوا» فعل ماض ، جزاء للشرط ، والجملتان سدتا مسدّ الصلة ، و « سجداً » حال من فاعل «خرّوا» أى سقطوا على الارض حال كونهم ساجدين لله تعالى تذللاً وإستكانة.

« و سبحوا » فعل ماض ، من باب التفعيل ، عطف على « خروا » و «بحمد» متعلق بـ« سبحوا » اضيف إلى « ربهم » و « و هم لا يستكبرون » الواو للحال ، و «هم» مبتداء ، و «لا» حرف نفى و «يستكبرون» فعل مضارع من باب الاستفعال ، منفى بحرف النفى، والجملة فى موضع نصب على الحال ، أى حال كونهم خاضعين لله تعالى متذللين له غير مستكبرين عليه .

۱۶ - (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طمعاً و مما

رزقناهم ينفقون)

« تتجافى » فعل مضارع لافراد التأنيث من باب التفاعل ، و « جنوبهم » فاعل الفعل، والجنوب : جمع الجنب ، اضيف إلى ضمير المؤمنين ، والجملة فى موضع نصب ، حال من الضمير فى « خرّوا » أى متجافية جنوبهم ومن المحتمل أن تكون الجملة صفة مستأنفة أى تتجافى جنوبهم و هم أيضاً فى كل حال يدعون ربهم ليلهم و نهارهم و « عن المضاجع » متعلق بـ « تتجافى » والمضاجع : جمع المضجع .

« يدعون » فعل مضارع لجمع المذكر الغائب ، و « ربهم » مفعـول به ، والجملة فى موضع نصب، حال من ضمير « خروا » أى داعين ، وفى نصب « خوفاً و طمعاً » وجهان : أحدهما ـ على أنهما مفعول لهما . ثانيهما ـ على المصدرية أى يخافون خوفاً و يطمعون طمعاً .

« و مما » الواو للحال ، و « ما » فى «مما» موصولـة ، و « رزقنا » فعل ماض للتكلم مع الغير ، و « هم » فى موضع نصب ، مفعول به ، و « ينفقون » فعل مضارع من باب الافعال ، والجملة صلة الموصول على حذف العائد أى ينفقونه ، و جملة الصلة والموصول فى موضع نصب ، على الحال من ضمير « خرّوا » . و يجوز أن تكون « ما » مصدرية . و على الوجهين فـ « ما » منفصلة من « من » .

١٧ ـ فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)

الفاء للتفريع ، و مدخولها حرف نفى ، و « تعلم » فعل مضارع لافـراد التأنيث ، و « نفس » فاعل الفعل ، و فى « ما » وجهان : أحدهما ـ موصولـة فى موضع نصب بـ « تعلم » و « أخفى » فعل ماض ، مبنىّ للمفعول من باب الافعال ، و « لهم » متعلق بـ « اخفى » والجملة صلة الموصول ، على حذف العائد تخفيفاً . ثانيهما ـ إستفهامية ، فى موضع رفع على الابتداء و « اخفى » خبره .

« من قرة أعين » متعلق بمحذوف ، فى موضع نصب على الحال من الضمير

«اخفى» و «أعين» : جمع عين من جموع القلة ، و « جزاء » منصوب على المصدر أى جوزوا جزاء . وقيل : منصوب ، مفعول له . والباء فى « بما » سببية ، و «ما» موصولة و « كانوا » من أفعال الناقصة ، و « يعملون » فى موضع نصب ، خبراً لفعل الناقص ، والجملة صلة الموصول على حذف العائد رعاية للفواصل أى يعملون به .

١٨ - (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون)

الهمزة للاستفهام الانكارى، والفاء للتعقيب على الايات السابقة التى كشفت عن وجوه المجرمين ، و « من » موصولة ، فى موضع رفع على الابتداء و «كان» من أفعال الناقصة ، و إسمها ضمير مستتر فيه ، و « مؤمناً » خبرها ، والجملة صلة الموصول و « كمن كان فاسقاً » فى موضع رفع ، خبر المبتداء و « لا يستوون » مستأنف لا موضع له و هو بمعنى ما تقدم من التقدير . و قيل : « لايستوون » جواب للاستفهام أى لا يكون كذلك . والواو الثانية فى « يستوون » فاعل من وجه ، و مفعول من وجه لان المعنى :

لا يساوى هؤلاء اولئك ، و لا اولئك هؤلاء . و لو قال : لا يستويان لكان جائزاً ولكنه جاء على معنى: لايستوى المؤمنون والكافرون ، ويجوز أن يكون « لا يستوون » للاثنين لان معنى الاثنين جماعة .

١٩ - (أما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون)

« أما » للتفصيل ، وفيها معنى الشرط للزوم الفاء ، و التزم حذف شرطها ، و عوض بين « أما » والفاء عن فعل الشرط ، جزء مما فى جزائها ، و « الذين » موصولة فى موضع رفع ، على الابتداء ، و « آمنوا » فعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب الافعال ، صلة الموصول ، وجملة الصلة والموصول جزء من جزاء الشرط ، فصلاً بين « أما » و فاء الجزاء و « عملوا » عطف على « آمنوا » و

« الصالحات » جمع الصالحة ، مفعول بها .

«فلهم» الفاء للجزاء ، ومدخولها متعلق بمحذوف، خبرمقدم ، و «جنات» : جمع جنة ، اضيفت إلى « المأوى » مبتداء مؤخر ، والجملة في موضع رفع خبر ل «الذين» والجملة بتمامها جواب ل « أما » وفي « نزلاً » وجهان: أحدهما ـ منصوب على الحال من « جنات الماوى » أى لهم الجنات معدة . والعامل في الحال ما يتعلق به « لهم » . ثانيهما ـ أن يكون مفعولاً لأجله . و « بما كانوا يعملون » ظاهر بما تقدم مثله .

٢٠ـ (وأماالذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها و قيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون)

عطف على ماتقدم ، و « كلما » ظرف زمان ل « اعيدوا » و « أرادوا » فعل ماض لجمع المذكر المغائب من باب الافعال ، فعل الشرط ، و « أن يخرجوا » فيموضع نصب ، مفعول به لفعل الارادة ، لانسباك « أن يخرجوا » إلى المصدر ، و « منها » متعلق بـ « يخرجوا » والضمير راجع إلى « النار » و « اعيدوا » فعل ماض ، مبنيللمفعول من بابالافعال ، جزاء الشرط و «فيها» متعلق بـ « اعيدوا » و « قيل » عطف على « اعيدوا » و « ذوقوا » فعل أمر لجمع المذكرالمخاطب ، و « عذاب النار » مفعول به ، والجملة مقولة القول .

« الذى » موصولة ، و « كنتم به تكذبون » صلتها ، والجملة في موضع نصب ، نعت من « عذاب » و يجوز أن تكون في موضع جر ، نعت من « النار » على أن النار في معنى الجحيم أو الحريق .

٢١ ـ (ولنذيقنهم منالعذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون)

اللام جواب للقسم المقدر ، و مدخولها فعل مضارع للتكلم مع الغير ، مؤكد بنون الثقيلة ، وضمير الجمع فيموضع نصب ، مفعول به ، و «منالعذاب» متعلق بفعل الاذاقة ، و « الادنى » نعت من « العذاب » و « دون » بمعنى قبل .

و قيل : بمعنى غير ، اضيف إلى « العذاب » و « الاكبر » نعت من « العذاب » و « لعل » حرف ترجّ ، و ضمير الجمع فى موضع نصب ، إسمها و « يرجعون » فعل مضارع فى موضع رفع خبرها .

۲۲ ـ (و من أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون)

« من » إستفهامية ، فى موضع رفع على الابتداء و « أظلم » إسم تفضيل ، خبره تمّ بمن و «من» فى «ممن» موصولة ، و «ذكّر» فعل ماض، مبنى للمفعول من باب التفعيل ، و « بآيات » متعلق بـ «ذكر» اضيفت إلى « ربه » والجملة صلة الموصول ، و «ثم» حرف عطف، و « أعرض » فعل ماض من باب الافعال و «عنها» متعلق بـ « أعرض » والضمير راجع إلى الآيات .

« انا » حرف تأكيد مع إسمها ، و « من المجرمين » متعلق بـ « منتقمون » و هو إسم فاعل لجمع المذكر من باب الافتعال ، خبر المبتداء .

۲۳ ـ (و لقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه و جعلناه هدى لبنى اسرائيل)

« لقد » اللام للتأكيد ومدخولها للتحقيق ، و « آتينا » فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال ، و « موسى » مفعول أول ، و « الكتاب » مفعول ثان ، و « فلا » الفاء للتفريع ، ومدخولها حرف نهي ، و « تكن » فعل مضارع من أفعال الناقصة ، خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، مجزوم بحرف النهى ، و « فى مرية » متعلق بـ « تكن » و « من لقائه » متعلق بمحذوف و هو خبر لـ « تكن » وفى ضمير «لقائه» وجوه : أحدها ـ ان اللقاء مصدر اضيف إلى مفعوله ، على أن الضمير راجع إلى «الكتاب» فالفاعل مقدر، والتقدير : من لقاء موسى الكتاب . و قدّر لتقدم ذكره فاضيف المصدر إلى الكتاب . ثانيهـا ـ أضيف إلى الفاعل على أن الضمير راجع إلى موسى ، والمفعول به محذوف ، و هو الكتاب . والتقدير : من لقاء موسى

الكتاب و هو التوراة .

وقيل : على تقدير: من لقاء موسى إياك يا محمد ﷺ وقيل : على تقدير من لقاءك يا محمد ﷺ موسى ليلة المعراج . وقيل : على تقدير : من لقاء موسى ربه . ثالثها ـ ان الضمير راجع إلى مالاقا موسى . فالتقدير : من لقاء ما لاقى موسى عليه السلام من التكذيب والانكار من قومه.

و« جعلناه » الواو للعطف ، و«جعلنا» فعل ماض للتكلم مع الغير،وضمير الوصل في موضع نصب ، مفعول به الاول ، راجع إلى «موسى» أوإلى «الكتاب» و«هدى» مفعول ثان ، و «لبني اسرائيل » متعلق بـ « هدى» .

٢٤ـ (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)

الواو للعطف ، و «جعلنا » فعل ماض للتكلم مع الغير ، و « منهم » متعلق بمحذوف ، في موضع نصب ، مفعول به الاول ، و« من » في « منهم »بمعنى التبعيض أي بعضهم ، والضمير راجع إلى « بني اسرائيل » و « أئمة » : جمع إمام،مفعول ثان ، و أصل « أئمة »: أءممة من جموع القلة ، فنقلت كسرة الميم الاولى إلى الهمزة الثانية ، ثم ادغمت الميم الاولى في الثانية .

و«يهدون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب ، في موضع نصب ، نعت من « أئمة » وأصل « يهدون » يهديون ، فلما ثقلت الضمة على الياء ، نقلت إلى الدال بعد حذف كسرها ، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين بينها وبين الواو، و « بأمرنا» متعلق بـ« يهدون» و «لما» ظرف زمان بمعنى «حين» في موضع نصب ، والعامل فيه «يهدون» ، و«كانوا» عطف على «صبروا» و«بآياتنا» متعلق بـ «يوقنون»و«يوقنون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب ، في موضع نصب ، خبراً لـ «كانوا» .

٢٥ـ (ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)

«ان» حرف تأكيد ،و«ربك» إسمها ، و«هو» ضمير فصل ، و « يفصل » فعل مضارع ، في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « بينهم يوم القيامة فيما »

متعلقة بـ« يختلفون» وهوفعل مضارع من باب الافتعال ، في موضع نصب ، خبر ا «كانوا» والجملة بتمامها صلة الموصول .

٢٦- (أولم يهدلهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات أفلا يسمعون)

الهمزة للاستفهام الانكارى والواو للعطف ، عطف على مقدر أى ألم يبين لهم كذاو كذاأولم يهدلهم الخ و«لم» حرف جحد ، و «يهد» فعل مضارع ،مجزوم بحرف الجحد على حذف الياء ، وفاعله ضمير مستترفيه ، راجع إلى الله تعالى . وقيل : راجع إلى « هدى » .

وقيل : مضمريدل عليه قوله : « كم أهلكنا » على تقدير : أولـم يهدلهـم إهلاكنا من أهلكناه من القرون الخالية . قيل : ولايجوز أن يكون فاعله « كم أهلكنا » لان ماقبل « كم»لايجوزأن يعمل فيه إلا حروف الاضافة لان « كم»على تقدير الخبرية الاستفهامية له صدر الكلام .

و « لهم » متعلق به «يهد» و « كم» خبرية بمعنى كثير، فيموضع نصب ، بـ « أهلكنا » أي كم قرناً أهلكنا وهوفعل ماض للتكلم مع الغير، و « من قبلهم» متعلق بـ« أهلكنا » و« يمشون » في موضع نصب ، حال من الضمير في «لهم» ألم يبين للمشركين في حال مشيهم في مساكن من أهلك من الكفار . وقيل:حال من الضمير في « قبلهم » أي أهلكناهم ماشين في مساكنهم غفلة : و«في مساكنهم»: جمع مسكن : متعلق بـ« يمشون » .

«ان» حرف تأكيد ، و«فيذلك» متعلق بمحذوف وهوخبر لحرف التأكيد، و«لايات» اللام للتأكيد ومدخولهاإسم ا «ان» و «أفلا» الهمزة للاستفهام التوبيخى والفاء للنتيجة و «لا» حرف نفي و«يسمعون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب.

٢٧- (أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون)

الهمزة للاستفهام الانكارى ، و«انا» حرف تأكيد مع إسمها ، و«نسوق» فعل مضارع للتكلم مع الغير، في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، والجملة سدّت مسدّ المفعولين لفعل الرؤية ، و«الماء» مفعول به ، و«الجرز» نعت من «الارض» والفاء في «فنخرج» للتفريع . وقيل : عطف على «نسوق» . وقيل : منقطع مما قبله، ومدخولها فعل مضارع للتكلم مع الغير ، و «به» متعلق بـ«نخرج» والضمير راجع إلى « الماء » و « زرعاً » مفعول به ، و «تأكل منه أنعامهم » في موضع نصب، نعت من « زرعاً » . والباقي ظاهر مما تقدم .

٢٨ـ (و يقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين)

«متى» إسم إستفهام في موضع رفع ، خبر مقدم ، و«هذا» في موضع رفع ، على الابتداءِ و«الفتح» نعت من «هذا» لان «الفتح» مصدر وهو حدث و «متى» ظرف زمان ، وظروف الزمان يجوز أن تكون اخباراً عن الأحداث لوجود الفائدة في الاخبار بها عنها ، ولا يجوز أن تكون اخباراً عن الجثث لعدم الفائدة .

ألا ترى انك إذا قلت : زيد يوم الجمعة . لم يكن فيه فائدة لان زيداً لا يجوز أن يخلو عن يوم الجمعة ، بخلاف ظرف المكان ، فان في الاخبار بها عن الجثث فائدة ، ألا ترى أنك إذا قلت : زيد أمامك أو خلفك ،كان مفيداً لانه يجوز ألا يكون أمامك ولا خلفك . فاذا أخبرت به عنه كان مفيداً وإنما اعتبر هذا المعنى في الخبر لانه معتمد الفائدة كما ان المخبر عنه معتمد البيان فكما لا يجوز الاخبار عن الفكرة المحضة لعدم البيان ، فكذلك لا يجوز الاخبار بظروف الزمان عن الجثث لعدم الفائدة .

وجملة المبتداءِ والخبر مقولة القول ، و«إن» حرف شرط ، و«كنتم» من أفعال الناقصة ، و « صادقين » خبرها .

٢٩ـ (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون)

«قل» فعل أمر، خطاب للنبى الكريم ﷺ ، و«يوم الفتح» منصوب على

الظرف متعلق بـ «لاينفع»وهو فعل مضارع ، منفي بحرف النفي ، و«الذين»موصولة في موضع نصب ، مفعول به ، و« كفروا» صلة الموصول ، و «ايمانهم» فاعل لفعل المذكر من باب الافتعال ، خبر لحرف التأكيد .

النفع ، و « ولاهم ينظرون» الواو للعطف ، و«لا» حرف نفي ، و«هم» مبتداء ، و « ينظرون » فعل مضارع ، مبني للمفعول خبره ، والجملة عطف على « لاينفع » من عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية .

٣٠- (فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون)

الفاء للتفريع ، ومدخولها فعل أمر من باب الافعال ، و « عنهم » متعلق بـ «أعرض» و«انتظر» عطف على «فاعرض» فعل أمر من باب الافتعال ، و «انهم» حرف تأكيد ، وضمير الجمع في موضع نصب ، إسمها ، و«منتظرون» إسم فاعل لجمع المذكر من باب الأفتعال .

﴿ البيان ﴾

١ ـ (الم) .

رمز من رموز الوحي السماوى ، و سرّ من الأسرار الالهية ، التى بين الله تعالى و رسوله الاعظم ﷺ و لما فيه من التنبيه والاسترعاء ما لا يخفى على من نوّر الله جل و علا قلبه بنور القرآن الكريم .

٢ ـ (تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين)

إشارة تنويهية إلى القرآن الكريم كتاب الله جل و علا ، وتوكيد بصلته بالوحي السماوى ، و بمبدأ يكون العالم كله فى ظلّ تربيته ، فلا سبيل للريب فيه ، إذ لا موضع فى نفسه لريبة و لا محلّ فى نزوله من عند الله تعالى شك .

قوله تعالى : « لاريب فيه » نفى الريب بين المبتداء والخبر لسلب القضية ، و لبيان النقطة المقصودة فى القرآن الكريم ، و تمهيد لها بأن هذه الحروف المقطعة يضع المرتابين الشاكين وجهاً لوجه أمام واقع الامر الذى لاسبيل إلى الجدل فيه .

و من لوازم نفى الريب فيه انه ليس بسحر و لا كهانة و لا شعر ، ولامن أساطير الاولين ولامن تلقاء نفس النبى ﷺ . فالجملة تنزيه القرآن الكريم عن الريب لا نفى الريب بمعنى ان لا يريب فيه أحد لان كثيراً ما يريب فيه المريبون ، ففرق بين أن لا يريب فيه المريبون ، و أن لا ريب فيه و فيه ردّ على من تقوّل بذلك ، و تقرير لكونه منزلاً من عندالله جل و علا .

و قوله تعالى : « من رب العالمين » إشارة إلى أن نزول الكتاب من شئون الربوبية والتربية ، و فى تخصيص « رب العالمين » بالمقام إشارة إلى أن كتاب « رب العالمين » لابد أن يكون فيه عجائب للعالمين فترغب النفوس فى مطاعته ، فكل كتاب و قانون و حكم . . . لا يستند إلى مبدإ التربية فليس بشىء ، و لا يستطيع على تربية الافراد والمجتمع .

٣ ـ (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون)

إنقطاع و عدول عما قبله ، و فيه دلالة على خروج من حديث إلى حديث ، و ذلك ان الله تعالى أثبت ان هذا القرآن منزّل من رب العالمين ، و ان ذلك مما لا ريب فيه ، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله تعالى : « أم يقولون افتراه » وفيه إنكار منهم من كون الكتاب من رب العالمين ، و تعجيب من قولهم لظهور أمر القرآن فى تعجيز بلغائهم عن إتيان حديث من مثله . و انهم ارتكبوا فى تلك المقالة السخيفة جنايات :

منها : إتهام النبى الصادق الأمين ﷺ بالكذب والافتراء ، وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون ، لانهم يعرفون صدق هذا النبى الكريم ﷺ الذى لم يعرف الكذب فى حياته، ولم يجربوا عليه كذبة منذ عرفوه صبياً وشاباً و كهلاً ...

و منها : انهم يفترون الكذب على هذا الكتاب السماوى المنزل من رب العالمين ، و هم يرون بأعينهم آيات الحق مشرقة فى كل كلمة من كلماته ، و مع كل آية من آياته ! فلو أنهم إتهموا النبى الكريم ﷺ لردّهم عن هذا ما رأوا من صدق الكتاب نفسه . و لو أنهم اتهموا الكتاب السماوى لصدّهم عن ذلك ماعرفوا من صدق النبى ﷺ ولكنه العناد الذى يورد أهله موارد الضلال، موارد الشقاء ، و موارد الدمار والهلاك ، و يرمى بهم فى مواطن السوء . . .

و فى قوله تعالى : « إفتراه » عدول من الخطاب إلى الغيبة ، و هذا على غير

ما يقتضيه النظم إذكان قوله تعالى: « تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين » خطاباً للنبى ﷺ على أن القرآن الكريم كله خطاب من ربه إليه ﷺ ثم ماجاء بعد ذلك فى قوله تعالى: « لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك » يقضى بأن يكون مقام النبى ﷺ هنا مقام حضور لا مقام غيبة . .

ان تسئل : ما سرّ هذا الاختلاف فى النظم ؟ ولم خوطب رسول الله ﷺ خطاب غيبة فى قوله تعالى : « أم يقولون افتراه » ؟ ولم لم يجر الخطاب على هذا النسق فى قوله تعالى : « بل هو الحق من ربك . . » ؟

تجيب : انه لما كان الافتراء مما لايليق بمقام النبوة ، ولايصح أن يطوف بحماها، فقدكان إكرام الله تعالى لنبيه ﷺ وإحسانه إليه، ورفعه لقدره أن عزل سمعه عن أن يواجه بهذا المكروه من القول الذى يقوله المشركون فيه ، وحتى انهم و إن أرادوا النبى ﷺ به ، فانما هو مصروف عنه إلى غيره ، ممن يصح أن يكون منه إفتراء . . وهذا ـ فوق انه تكريم للنبى ﷺ و إعلاء لقدره ـ هو أدب سماوى ، و إعجاز قرآنى فى تصوير الواقع ، وضبطه على أحكم ميزان ، و أعدله و أقومه . .

أما حين يكون الامر مما يخص النبى ﷺ و يتعلق برسالة ، و يحقق صفته فانه يكون من مقتضى الحال أن يواجه النبى ﷺ بالخطاب ، و أن يتلقى ما يخاطب به فى مشهد و حضور فذلك أرضى لنفسه ، و أهنأ لقلبه ، ولهذا جاء قوله تعالى : « بل هو الحق من ربك الخ » .

و قوله تعالى : « بل هو الحق من ربك » إضراب عن الانكار إلى إثبات انه الحق من ربك ، إضراب عن مقالتهم السخيفة و اعتبارها من لغو الكلام ، و سقط القول ، و إزالة هذا القول المنكر من هذا المقام ، و إقامة الحق مقامه ، و ردّ عليهم وعلى تكذيبهم فى دعوى الافتراء إذ قالوا: هذا كذب محمد ﷺ ، و تقرير له ﷺ بان هذا الكتاب هو الحق المنزل من بيده تربيتك ، وبيان

حقيّة ما أنكروه حيث أضاف إسم الرب إلى ضميره صلى الله عليه وآله وسلم بعد إضافته فيما سبق إلى « العالمين » تشريفاً له صلى الله عليه وآله وسلم .

و قوله تعالى : « لتنذر قوماً » تأييد لما تقدم ببيان غايته ، إذ بيان غاية الشيء و حكمته لاسيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة إليها مما يقرر وجود الشيء و يؤكده لامحالة . وفي تنكير «قوماً» بدلاً من إضافتهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم - قومك - إشارة إلى أنهم كانوا على حال من الضلال والضياع ، بحيث كادت تذهب معالمهم ، و تضيع إنسانيتهم ، و في هذا ما يدعوهم إلى النظر إلى أنفسهم و إلى البحث عن وجودهم الضائع حتى يجدوه في ضوء هذا النور المرسل إليهم .

قيل : و يندرج فيهم أهل الكتاب إذ يصدق عليهم انه لم يأتهم نذير بعد ضلالهم سوى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولولم يندرجوا لم يضرّ ، فان تخصيص قوم بالذكر لا يدل على نفي من عداهم كقوله تعالى : « و أنذر عشيرتك الاقربين » .

و قوله تعالى : « ما أتاهم من نذير من قبلك » و فيه دلالة على أن هؤلاء المشركين لم يأتهم نبي قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحمل كتاباً من عندالله تعالى ، يدعوهم به إلى دين الله جل و علا .

ان تسئل : ماكان من مقام إبراهيم و إسمعيل في هؤلاءِ المشركين؟ وما كان لآبائهم الاولين من إتصال بهذين النبيين الكريمين ، و من الايمان بهما ، والأخذ عن شريعتهما ؟

تجيب : أولاً - ان ابراهيم عليه السلام لم يلقهم لقاء مباشراً، ولم يكن من شأنه معهم أن يبشر فيهم بشريعته ، و إنما أقام البيت الحرام مع إسمعيل ، و ترك لاسمعيل مهمة القيام على هذا البيت ، و دعوة من يلمّون به إلى الايمان بالله تعالى والاخذ بشريعة أبيه إبراهيم . . وقدكان من هذا أن تابع إسمعيل على شريعة أبيه كثير من العرب ، و عبدوا الله حنفاء مخلصين له الدين .

وثانياً - انه لما طال العهد بهؤلاء القوم ، تفلتوا من شريعة إبراهيم شيئاً فشيئاً ، حتى لم يبق فى أيديهم منها إلا ظلال باهتة، وإلا رسوم دارسة، وحتى لقد زحف الشرك على موطن الايمان ، وأجلاه من مواقعه ، و أصبح بيت الله مجمعاً لآلهة الضلال التى جلبوها إليه من أصنام وأنداد .

وعلى هذا تكون رسالة إسمعيل إلى العرب : رسالة قاصرة محدودة الزمن، قد أدّت دورها فى فترة ، لم تتجاوز جيلاً أوجيلين ، ثم غربت شمسها إذ لم يكن وراءها كتاب يقوم فى القوم مقام الرسول بعد موته . وبهذا يكون المراد بالقوم فى قوله تعالى : « لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك » هم هؤلاء المخاطبون من المشركين ، ويدخل معهم فى هذا الخطاب آباؤهم الاقربون ، إذ لو كان قد جاء إلى آبائهم الاقربين رسول ، لكانوا محسوبين مع آباء هم هؤلاء داخلين فى دعوة الرسول الذى لقى آباءهم .

وهذا مايشير إليه قوله تعالى : « لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون » يس : ٦)

وقوله تعالى : « لعلهم يهتدون » إطماع لهؤلاء المنذرين فى الاهتداء إلى الله تعالى ، وإنتفاع بهذا الكتاب الذى يتلى عليهم . وانه كتاب يرجى منه الهدى لكثير منهم ، الامر الذى تحقق فيما بعد فآمن كثير منهم به ، ودخلوا فى دين الله أفواجاً .

ففى الاية إشارة إستدراكية إلى مايتقوّله المشركون فى النبى الكريم ﷺ باسلوب تنديدى ، حيث كانوا يقولون : ان النبى ﷺ إفتراه ، وردّ على القول بتوكيد انه الحق من الله تعالى أنزله على نبيه ﷺ لينذر به اناساً لم يأتهم نذير من قبله رجاء أن يهتدوا به إلى طريق الله القويم ، غاية رجائية لارسال الرسول ﷺ والترجى قائم بالمقام أوبالمخاطب دون المتكلم .

٤- (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى

على العرش مالكم من دونه من ولي ولاشفيع أفلا تتذكرون)

تدعيم للرد الذى احتوته الاية السابقة لها مباشرة ، وبيان لبعض ما يحمل هذا الكتاب من نذر ينذر بها النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قومه والناس أجمعين، وفى هذا النذير إلفات إلى القدرة الكاملة الالهية فى هذا الوجود ، وإلى سلطانه القائم على هذا الوجود ، ليسمعوا ما يتلى عليهم من آياته ، ويتأملوه ويؤمنوا اذن بالاله المتفرد بالالوهية الذى خلق السموات والارض ، وقام بسلطان قدرته عليها ، وعلى تصريف كل شيء فيهما ، ويتركوا ماهم عاكفون عليه من أصنام وأوثان . . . فان لم يفعلوا أخذهم الله تعالى بعذابه الذى لايدفعه عنهم «ولى» من قريب أو حليف ولايشفع لهم من بأس الله « شفيع » من تلك المعبودات التى يعبدونها من دونه ليقربوهم إلى الله زلفى .

وفى الاية تنديد بالمشركين الذين لاينتبهون ولايتدبرون فى هذا الوجود الذى خلقه الله تعالى على أحسن وأحكم صورة ، ولايتفكرون فى تصرفه جل وعلا فى العالم بانفراد ببالغ الحكمة وشمول القدرة . واسلوب الآية قوى نافذ إلى القلوب والعقول ، ومن شأنه إثارة شعور الاجلال والانكار لله جل وعلا فى النفس المزكاة ، وفى القلب السليم الطوى الراغب فى الحق والهدى ، و بعث القناعة فى النفوس والقلوب بوجود واجب الوجود ، وكمال صفاته وعظيم قدرته ، وإستحقاقه وحده للخضوع والاتجاه .

قوله تعالى: « ثم استوى على العرش » الاستواء على العرش كناية عن إستعلائه على الخلق كله ، وعن مقام تدبير الموجودات بنظام عام إجمالى يحكم على الجميع ، و كلمة «ثم » لايمكن أن تكون للترتيب الزمنى لان الله تعالى لا تتغير عليه الاحوال ، ولايكون فى حال أو وضع ثم يكون فى حال أو وضع تال ، وإنما هى للترتيب المعنوى ، فالاستعلاء درجة فوق الخلق يعبّر عنها بهذا التعبير.

وقوله تعالى : « ما لكم من دونه من ولى و لا شفيع » إثبات للولاية

والشفاعة من الله تعالى، ونفى لهما من غيره، وفيه تجهيل لعبدة الاصنام الزاعمين انها شفعاؤهم بعد أن اعترفوا بان خالق الكل هو الله تعالى وحده.

و ذلك ان الولى هو الذى يملك تدبير أمر الشيء، ومن البديهى ان امورنا والشئون التى تقوم به حياتنا قائمة بالوجود، محكومة مدبّرة للنظام العام الحاكم فى الاشياء عامة، و ما يخصّ بنا من نظام خاص، والنظام أيّاً ما كان من لوازم خصوصيات خلق الاشياء، والخلقة كيفما كانت مستندة إلى الله جل وعلا فالله تعالى وحده ولينا، القائم بأمرنا، المدبر لشؤننا وامورنا، كما انه عزوجل وحده ولى كل شيء لاشريك له.

وان الشفيع هو الذى ينضمّ إلى سبب ناقص، فيتمّ سببيته وتأثيره والشفاعة تتميم السبب الناقص فى تأثيره وإذا طبّقناها على الاسباب والمسببات الخارجية كانت أجزاء الأسباب المركبة وشرائطها بعضها شفيعاً لبعض لتتميم حصّة من الاثر منسوبة إليه كما ان كلاً من السحاب والمطر والشمس والنجوم والقمر وغيرها شفيع للنبات.

وإذ كان موجد الأسباب وأجزائها والرابط بينها، و بين المسببات هو الله جل وعلا، فهو الشفيع بالحقيقة الذى يتمّم نقصها، ويقيم صلبها فالله تعالى هو الشفيع بالحقيقة لاغيره.

وبيان آخر أدق: ان أسماء الله تعالى الحسنى وسائط بينه وبين خلقه فى ايصال الفيض إليهم فهو جل وعلا يرزقهم مثلاً بما أنه رازق كريم جواد غنى رحمن، ويشفى المريض بما أنه شاف رؤف عطوف، ويهلك الظالمين بما انه قهار، شديد البطش، عزيز ذوانتقام... وهكذا.

فما من شيء من المخلوقات المركبة الوجود إلاّ ويتوسط لوجوده عدّة من الاسماء الحسنى بعضها فوق بعض، وبعضها فى عرض بعض، وكل ماهو أخصّ منها يتوسّط بين الشيء وبين الاعم منها كما ان الشافى يتوسط المريض و بين الرؤف

الرحمن ، والرحمن يتوسط بينه وبين القدير وهكذا .

والتوسط المذكور في الحقيقة تتميم لتأثير السبب فيه ، وإن شئت فقل هو تقريب للشيء من السبب لفعليّة تأثيره وينتج منه انه تعالى شفيع ببعض أسمائه عند بعض فهو الشفيع ليس من دونه شفيع في الحقيقة فافهم واغتنم .

وقد تبيّن بما مرّ أن لا إشكال في إطلاق الشفيع على الله جل وعلا بمعنى كونه شفيعاً بنفسه عند نفسه ، وحقيقته توسّط صفة من صفاته الكريمة بين الشيء وصفة من صفاته كما يستعاذ من سخطه إلى رحمته ومن عدله إلى فضله ، و أما كونه تعالى شفيعاً بمعنى شفاعته لشيء عند غيره فهو مما لا يجوز البتة .

وقوله تعالى : « أفلا تتذكرون » إستفهام توبيخي يوبّخهم على إستمرارهم على الاعراض عن الادلة القاطعة الآفاقية والانفسية على كمال القدرة الالهية ، و وحدانيته في الخلق والتربية والتدبير حتى يتذكروا ان الخلق والملك والربوبية والتدبير لله جل وعلا وحده وهو المعبود الحق ، مالك الملك وقادر المطلق ، ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع كما يزعمون ذلك لآلهتهم .

وفيه : حثّ وتحريص على التفكر في قدرته تعالى وحكمته في خلقه، وتدبيره في هذا الوجود .

٥- (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون)

بيان لعظمة عالم الامر و إمتداد زمانه بعد بيان عظمة عالم الخلق وسعة مكانه . وقيل « ألف سنة » كناية عن تطاول الزمن . وان الآية تتميم لبيان ان تدبير أمر الموجودات قائم بالله سبحانه ، وهذا هو القرينة على أن المراد في الآية الشأن دون الامر المقابل للنهي .

٦- (ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم)

بيان لسعة علمه تعالى بأمر العالمين ، بعد بيان عظمة خلقه و أمره في هذا الوجود و ملكه و ملكوته ، و تأكيد لما تقدّم من دلائل وحدانيته و اعلام ربوبيته و تدبيره في خلقه . و في تقديم علم الغيب على الشهادة إشارة إلى أن علم الله تعالى علم مطلق لاتحدّه حدود ، فيستوى لديه القريب والبعيد ، والظاهر والخفى ، والكبير والصغير ، إذ لا قرب و لا بعد ، ولاخفاء ولاظهور ، ولا كبير ولاصغير لان ذلك إنما يكون بالاضافة إلى العلم القاصر المحدود الذى يتناول شيئاً، و يقصر عن شيء ، و أما العلم الكامل المطلق ، فحقائق الاشياء كلها واقعة في دائرة هذا العلم كحقيقة واحدة .

قوله تعالى : « العزيز الرحيم » إشارة إلى صفتى القهر واللطف اللتين ينبغى أن تكونا لكل ملك ، و إنما أخّر «الرحيم» مع أن رحمته سبقت غضبه ليوصله بقوله تعالى : « الذى أحسن كل شيء خلقه » مع أن الانسان لابد أن يكون بين الخوف والرجاء .

و قيل : في وصف الله تعالى بالعزة والرحمة إشارة إلى أن عزته جل وعلا عزة رحمة وإحسان، وليست عزة تسلط وقهر، فان من شأن العزة القهر والجبروت، و في المثل : « من عزّ بزّ » و تعالت عزة العزيز الحكيم عن ذلك علواً كبيراً .

٧ ـ (الذى أحسن كل شيء خلقه و بدأ خلق الانسان من طين)

إشارة إلى آثار عزته و رحمته تعالى في هذا الوجود عامة ، وفي الانسان خاصة ، و في الاية دلالة على أن الكفر والقبائح لا يجوز أن يكون من خلقه ، و على أن كل شيء بما أنه موجود مخلوق لا يتصف بالمساءة والقبائحة ، و إذا انضم قوله تعالى : « الذى أحسن كل شيء خلقه » بقوله : « الله خالق كل شيء » الزمر : ٦٢) ينتج أمرين : أحدهما ـ ان الخلقة تلازم الحسن ، فكل مخلوق حسن من حيث هو مخلوق . ثانيهما ـ ان كل سيّيء و قبيح ليس بمخلوق من حيث هو سيّيء قبيح كالكفر والمعاصى والسيئات من حيث هى كفر و معاصى

و سيئآت ، والاشياء السيئه من جهــة القياس ·

و بالعزة والرحمة الالهية يقوم هذا الوجود على أحسن نظام و أكمله ، و ليس المراد بالحسن هنا مجرد حسن الصورة ، و إنما هو الحسن الذى يتجلى فى إحكام الصنعة و دقة التنسيق و روعة التأليف وتجاوب النغم ، و وحدة الغاية ، و إن اختلفت الاتجاهات و تعددت الانغام . . « ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت » فدبيب النملة على مسارها ، و جريان الشمس فى فلكها ، والارض حول محورها و تدفق النهر فى مجراه ، و حفيف الاوراق على أشجارها ، و كل همسة و كل حركة فى هذا الوجود فى أرضه و سماواته تؤلّف جميعها لحناً علوىّ النغم ، يروع القلب جلاله ، و يأسر الفؤاد حسنه و جماله . . سواء أنظر الانسان إليها فى إجتماعها أو إفتراقها ، و سواء إستعرضها على تفصيلها أو إجمالها .

و قوله تعالى : « و بدأ خلق الانسان من طين » من عطف الخاص على العـام ، وفيه إلفات إلى وحدة من وحدات هذا الخلق، و إشارة إلى مواطن هذا الحسن منه ، و هو خلق الانسان من طين ، ففى هذا الطين الذى قد تنبو عنه العين ، و يتحاشاه النظر حسن رائع ، و جلال مهيب ، إذا إستطاع الناظر أن ينفذ إلى ماوراء هذا النظر الذى يراه ، وأن يتجاوز هذه القشرة السوداء المعتمة من الطين ، فان وراء هذه القشرة عالماً يموج بألوان زاخرة زاهية من الحياة . . فما هذه الأناسى التى تتحرك على ظهر الارض ، و تملأ الحياة حركة و عمراناً إلاّ بعض هذا الطين الذى نمشى عليه و ننطلق فوقه ! ! . .

و إذا عجز إدراك الانسان عن أن يرى فى مرآة هذا الطين صورته ، ويعرف الرحم الذى تفتق عنه ، فلينظر فى وجوه الارض ، و ما عليها من ألوان الزهر و أصناف الشجر و أنواع الثمر . . « و فى الارض قطع متجاورات و جنات من أعناب و زرع و نخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد و نفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون » الرعد : ٤) .

فهذا الطين ، ليس فى عين ذوى البصائر طيناً جامداً صامتاً كئيباً ، و انما هو الجمال كله ، والحسن كله ، تفتقت عنه - بقدرة العزيز الرحيم - هذه الحياة المتدفقة من إنسان و حيوان ونبات !

فبدأ خلق الانسان من طين ، وهو نقطة الابتداء التى يبدأ العقل مسيرته منها إلى حيث يلتقى بالانسان فى أكمل صورته و أعظم مواقفه . . . و عندئذ يرى كيف تدبير الله تعالى وقدرته؟ كيف علمه وحكمته ؟ و كيف إحسانه ورحمته فما أبعد ما بين الطين والانسان في عين من لا يحسن النظر، ويمعن التفكير؟ و ما أقرب ما بين الطين والانسان ، فى عين من ينظر، فيحسن النظر بعقله بشعوره بفكره وبقلبه جميعاً .. فمن هذا الطين كان الانبياء والرسل ،كان الاوصياء والاولياء، كان القادة والمصلحون وكان الحكماء والعباقرة . . . ومن هذا الطين كانت اولئك الشموس المضيئة التى زينت الارض وعمّرتها . . . كما زينت الكواكب والنجوم وجه السماء !

٨- (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين)

لفتة اخرى إلى قدرة الله العزيز الرحيم يرى فيها الانسان نفسه لا فى هذا الطين الذى ربما كانت كثافته حائلاً بينه و بين نظره الكليل أن يرى وجوده فيه . . . فهناك النطفة التى يعلم الانسان عن يقين ، انه ثمرتها وانها البذرة التى جاء منها ، فأين تلك النطفة . . من هذا الانسان «فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » الطارق : ٥ - ٧)

قوله تعالى : « ماء مهين » كناية عن النطفة التى يتولد منها الانسان . والتعبير بسبيل إستصغار شأن النطفة . وفى وصف النطفة بأنها ماء مهين إشارة إلى أنها شيء رخيص مبتذل لا يرى فيها الانسان شيئاً ذابال ، فما هى إلا ماء مستقذر .. هكذا يبدو فى ظاهر الامر . . ولكن إذا نظر إليه نظراً متأملاً متفحصاً ،رأى انه هو هذا الانسان ، قد أجمل فى هذه القطرة من الماء ! ثم فصّل فكان هذا الخلق

السّوى الذى توّج بتاج الخلافة من الله تعالى على هذه الارض .

وفى تلخيص البيان للسيد الرضى رضوان الله تعالى عليه قال فى قوله تعالى : « ثم جعل نسله من سلالة من ماءمهين » : « وهذه استعارة لان المهين لايكون بحقيقته إلاّ الانسان قال الله تعالى : « أم أناخير من هذا الذى هومهين ولا يكاد يبين » الزخرف : ٥٢)

وقال تعالى : « ولاتطع كل حلاف مهين » القلم : ١٠) ومهين : فعيل من المهنة وهى الخدمة ، يقال :مهن القوم يمهنهم مهنة إذا خدمهم ، والمهنة ـ بكسر الميم ـ خطأ فيكون معنى : من ماء مهين على ما قدمناه أي من ماء مستذل لان ماهن النوم إذا خدمهم يكون ذليلاً لهم ومبتذلاً بينهم » إنتهى كلامه ورفع مقامه.

ان تسئل : قال الله تعالى فى سورة « المؤمنون » : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » : ١٢) وقال فى هذه السورة « السجدة » : « ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين » : ٨) فكيف التوفيق بينهما ؟

تجيب : ما جاء في سورة « المؤمنون » يشير إلى آدم عليه السلام و ما جاء فى هذه السورة يشير إلى ذرية آدم عليه السلام .وعلى فرض كون المراد فيهما هما ذرية آدم عليه السلام لاتناقض ولاتناف بينهما . على أن المراد بالانسان النوع فالمبدوّ خلقه من طين هو النوع الذى ينتهى أفراده إلى من خلق من طين من غير تناسل من أب وام كآدم عليه السلام .

٩ـ (ثم سواه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع والأبصار والافئدة قليلاً ماتشكرون)

لفتة اخرى، يرى فيها الناظر إلى الانسان فى مسيرته من النطفة إلى الوجود البشرى ـ يرى كيف تحركت هذه النطفة ، وكيف نمت كماينمو النبات ، حتى إذا بلغت فى رحم الام مرحلة محدودة ، نفخ فيها الخالق من روحه ، فبعث فيها الحياة ، حتى إذاتم نضجها ،دفع بها الرحم إلى هذه الدنيا ، قطعة من لحم،مصورة

في هيئة بشر،لاسمع ولابصر ولاإدراك . . . ثم لايلبث هذا الوليد حتى يكون له السمع والبصر والادراك . . وإذا هو هذا الانسان كما هو في كل موقع من مواقع الحياة . .

قوله تعالى: « ونفخ فيه من روحه » اسلوب تقريبي ، يقرّ إنبعاث نسمة الحياة في الجسم الجامد أصلاً بقدرة الله تعالى ، ولاينبغي أن يؤخذ منه ان روح الانسان أو نسمة الحياة فيه هي جزء من حياة الله ، و روحه ، فالضابط القرآني الذي إنطوى في الجملة القرآنية : « ليس كمثله شيء » قائم واجب الاعتبار هنا أيضاً .

وفي إضافة الروح إلى نفسه جل وعلا تشريف له وايذان بأن الروح خلق عجيب وصنع بديع ،وان له شأناً ، له مناسبة ما إلى حضرة الربوبية ولاجله قال رسول الله ﷺ : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » وان أقصى ماتنتهي إليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي يعبّر عنه تارة بالاضافة إليه تعالى ، واخرى بالنسبة إلى أمره تعالى : « قل الروح من أمر ربي » وفي التعبير عنه بالنفخ لان الروح من جنس الرِيح .

وفي نفخ الروح إستعارة بالكناية بتشبيه الروح بالنفس الذي يتنفس به ثم نفخه في قالب من سوّاه .

ان تسئل: كيف قال الله تعالى : « و نفخ فيه من روحه » والله تعالى منزّه عن الروح ؟

تجيب : معناه : نفخ فيه من روح مضافة إلى الله جل وعلا بالخلق والايجاد لابوجه آخر .

و قوله تعالى: « وجعل لكم السمع والابصار والافئدة » إلتفات من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الافراد إلى الجمع تنبيهاً على جسامة نعم تلك الجوارح ، و تسجيلاً على أن الانعام الالهي الشامل للجميع يربو على شكرهم ، فهم قاصرون أو

أكثرهم مقصّرون، وتوبيخاً على قلة الشكرعليها.

وفيه إمتنان بنعمة الادراك الحسّي والفكرى بعد إمتنان نعمة الوجود، وان السمع والبصر للمحسوسات والقلوب للفكريات أعم من الادراكات الجزئية والكلية العقلية.

وقدّم السمع على البصر لانه أسبق من البصر ظهوراً فى الكائن الحيّ بعد الميلاد، حيث تبدأ وظيفة السمع فى كيان الطفل، قبل أن يبدأ البصر فى أداء وظيفته- وهذا من إعجاز القرآن الكريم، الذى كشف عنه العلم- ثم يجيىء بعد هذا دورالوعى والادراك!

وفى إفراد السمع وجمع البصر والفؤاد إشارة إلىأن مطعيات السمع تكاد تكون واحدة عند الناس جميعاً،وذلك علىخلاف البصر الذى يختلفمن إنسان إلى إنسان، حيث يكون النظر عند بعض الناس مجرد عين ترى الأشياء رؤية حيوانية لاتتجاوزظاهرالمرئيات، على حين يكون النظرعند بعض آخر بصيرة نافذةتبلغ الاعماق، وتصل إلى اللباب.. وكذلك الشأن فى الفؤاد و هو موطن المدركات! وذلك أظهرمن أن يكشف عنه.

وقوله تعالى: «قليلاً ما تشكرون» بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلى وفى الجملة حثّعلى الشكر، و شكوى على قلة الشكر، و توبيخ على كفران النعم.

١٠- (وقالوا ءاذاضللنا فيالارضء انا لفيخلق جديد بلهم بلقاءربهم كافرون)

حكايةلتساؤل الكفارتساؤل الجاحدالمستهزىء عما إذاكانوا حقيقةسيخلقون خلقاً جديداً بعد أن تبلى أجسادهم، وتتناثرذراتها، فالآية مستأنفة سيقتلبيان أباطيلهم بطريق الالتفات ايذاناً بان ماذكرمن عدم شكرهم بل كفرانهم بتلك النعمموجب للاعراض عنهم، وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباحثةوالجدال،

وبيان لحقيقة الدافع لهم على هذا القول ، وهو كفرهم بلقاء الله تعالى، مع الايماء إلى عدم شكرهم بانكارهم المعاد بعد مشاهدة الفطرة الاولى ، وليست الثانية بأصعب منها .

والاستفهامان إنكاريان مع إستهزاء وسخرية وتعجب وإستبعاد .

ان تسئل: كيف يكون الضلال في الارض ؟

تجيب : ان المعنى: إذا غبنا في الارض ولحقنا في التراب مختلطاً بترابها و صرنا منها . والعرب تقول : ضل الماء في اللبن إذا غلب اللبن عليه فلم يتميّز.

فهذه إستعارة لانها عبارة عن حال الموت ، والميت لا يوصف بالضلال الذى هو المتاه والضياع ، فكأن المعنى: إنا دفنّا في الارض فكنا كالشيء الضال الضائع لتفرق أوصالنا و تمزّق أعضائنا تستأنف بعد هذه الحال إعادتنا وتستجد حياتنا كأنهم قالوا على سبيل الاستهزاء والاستبعاد ، و أخرجوه مخرج الاستطراف والاستغراب فأعلمهم الله تعالى انهم لا يضلّون عن علمه ولا يلطفون عن جمعه، و إن صاروا رميماً وتراباً وفرقاً وأوزاعاً .

وفي عرف كلام العرب : ان كل شيء غلب عليه شيء حتى يغيّبه باشتماله عليه فقد ضلّ عليه ويسمّون الدافنين للأموات مضلّين لانهم يغيبونهم في الارض.

وقوله تعالى : « بل هم بلقاء ربهم كافرون » إضراب عن فحوى قولهم : « ء إذا ضللنا في الارض ءإنا لفي خلق جديد » كأنه قيل : انهم لا يجحدون الخلق الجديد لجحدهم ربهم أو لجحدهم قدرته تعالى على ذلك أو لسبب آخر بل هم كافرون بالرجوع إلينا ولقائنا ، ولذا جيىء في الجواب عن قولهم بما يدل على الرجوع.

وفي الجملة ايماء إلى أن إنكارهم للبعث ليس منبعثاً من إنكارهم لوجود الله تعالى ولا لقدرته ، ولكن من إعتقادهم باستحالة البعث بعد بلى الأجساد، وإستبعاد الرجوع إلى الله جل وعلا .

و قيل :ان في الجملة إشارة إلى أن هؤلاء المشركين على ضلال في حياتهم

الدنيا . . . قد فتنوا بها ، و أذهبوا طيباتهم فيها ، وأطلقوا لهواهم العنان يذهب بهم كل مذهب . . و هذا ما أوقع في تفكيرهم أن لاحياة ولاحساب ولاجزاء بعد الموت لان ذلك يعني أن يعملوا حساباً لهذا الحساب ، وأن يتخففوا كثيراً مماهم فيه من ضلال ، وأن يستبقوا من يومهم شيئاً لما بعد هذا اليوم . . وانه ليس لهم إلى ذلك من سبيل ، وقد غلبتهم أهواءهم ، واستولت عليهم دنياهم . . و إذن فلا يوم بعد هذا اليوم ، ولاحياة بعد هذه الحياة . . انهم ـ والحال كذلك أشبه بالجند في ليلة الحرب . . يقضونها ليلة صاخبة معربدة حتى الصباح ، ينفقون فيها كل ما معهم ثم ليكن في الغد مايكون ! !

١١ـ (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون)

أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بالرد على المنكرين بالبعث وبأن يؤكد لهم ان الله تعالى هو الذى خلقهم وخلق الاكوان جميعاً ، و أن يقول لهم : ان هناك ملكاً للموت و كّله الله تعالى بقبض أرواحهم ثم يرجعون إلى حكم الله تعالى وحده وإلى جزاءه وفي جعل الرجوع إلى الجزاءِ رجوعاً إلى الله تعالى تفخيم للامر و تعظيم للحال .

وعبّر عن الموت بالموت لانه لايكون الموت حتى يستوفي الحيّ ما قدر الله تعالى له من حياة ، دون زيادة أو نقصان ، لأن توفي الشيء : هو إستيفاؤه وأخذه كاملاً وافياً .

وفي قوله تعالى : « قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم » إشارة إلى أن الموت الذى يحلّ بهم ، ليس أمراً يقع من تلقاءِ نفسه إعتباطاً كما يظنون ، و إنما الموت بيد الله القادر العزيز الحكيم العليم الذى جعل لكل نفس أجلاً محدوداً ، فاذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولايستقدمون . . ثم ان الموت يقوم به رسول من رسل الله مهمته هي قبض الارواح من الأجساد بعد أن تستوفي أجلها . . وإذا كان ذلك كذلك ، فان الذي إليه الموت ، له أيضاً الحياة قبل الموت

وبعد الموت . . فمن أعطى الحياة ثم سلبها لايعجزأن يعطى ماسلب .

ان تسئل: : كيف قال الله تعالى هنا : « قل يتوفاكم ملك الموت » و فى سورة الانعام : « و يرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا » : ٦١)

وفى سورة النحل : « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » : ٢٨)وفى سورة الزمر : « الله يتوفى الانفس حين موتها » : ٤٢) إذنسب التوفى فى الاية الاولى إلى ملك الموت ، وفىالثانيةإلى الرسل ، وفى الثالثة إلى الملائكة ،وفى الرابعة إلى الله تعالى ؟

تجيب : انالله تعالى هوالمتوفى بخلق الموت ، وأمرالوسائط بنزع الروح والملائكة المتوفون أعوان ملك الموت ، وهم يجذبون الروح من الاظفار إلى الحقوم، وملك الموتيتناولالروح من الحلقوم على ماورد منالروايات،فصحّت الاضافات كلها نظراً إلى إختلاف مراتب الوسائط والاسباب . . .

فالسبب القريب الملائكة الرسل ، وهم أعوان ملك الموت ، وهو فوقهم والآمر بذلك ، والمجرىلأمرالله تعالى ، والله جلوعلا من ورائهم محيط ، وهو السبب الاعلى ، ومسبب الاسباب ، فذلك بوجه كمثل كتابة الانسان بالقلم،فالقلم كاتب واليدكاتبة والانسانكاتب .

و قوله تعالى : « ثم إلى ربكم ترجعون » هوالرجوع الذى عبّرعنه فى الآيةالسابقة باللقاء وموطنه البعث المترتب علىالتوفى والمتراخى عنه كما يدل عليه العطف بـ« ثم » الدالة على التراخى الزمانى .

و ان الايـة الكريمة جواب عن الاحتجاج بضلال الموتى فى الارض على نفى البعث ، و من المعلوم أن إماتة ملك الموت لهم ليس يحسم مادّة الاشكال ، فيبقىقوله : « ثم إلى ربكم ترجعون » دعوى خالية عن الدليل فىمقابل دعواهم المدلّلة والكلام الالهى أنزه ساحة أن يتعاطى هذا النوع من المحاجّة ، لكنه

تعالى أمر رسوله أن يجيب عن حجتهم المبنية على الاستبعاد بأن حقيقة الموت ليس بطلاناً لكم و ضلالاً منكم في الارض بل ملك الموت الموكل بكم يأخذ «كم» تامّين كاملين من أجسادكم أي ينزع أرواحكم من أبدانكم بمعنى قطع علاقتها من الابدان، و أرواحكم تمام حقيقتكم فانتم أي ما يعنى بلفظة «كم» محفوظون لايضلّ منكم شيء في الارض، و إنما يضل الابدان و تتغيّر من حال إلى حال، و قد كانت في معرض التغيّر من أوّل كينونتها، ثم انكم محفوظون حتى ترجعوا إلى ربكم بالبعث و رجوع الأرواح إلى أجسادها.

و بهذا يندفع حجتهم على نفي المعاد بضلالهم سواء قرّرت على نحو الاستبعاد أو قرّرت على أن تلاشي البدن يبطل شخصيّة الانسان، فينعدم و لا معنى لاعادة المعدوم، فان حقيقة الانسان هي نفسه التي يحكي عنها بقول «أنا» و هي غير البدن، والبدن تابع لها في شخصيته و هي لا تتلاشى بالموت، و لا تنعدم بل محفوظة في قدرة الله حتى يؤذن في رجوعها إلى ربها للحساب والجزاء، فيبعث على الشريطة التي ذكر الله سبحانه.

و ظهر مما تقدم: أولاً وجه اتصال قوله تعالى: «قل يتوفاكم.. الخ» بقوله جل و علا: «ءإذا ضللنا في الارض.. الخ» و انه جواب حاسم للاشكال قاطع للشبهة، و قد أشكل الامر على بعض من فسّر التوفي بمطلق الاماتة من غير إلتفات إلى نكتة التعبير بلفظ التوفي فتكلّف في توجيه إتصال الآيتين بما لايرتضيه العقل السليم، و ثانياً أن الآية من أوضح الآيات القرآنية الدالة على تجرّد النفس بمعنى كونها غير البدن أو شيء من حالات البدن.

١٢ـ (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً انا موقنون)

عرض حال من أحوال المشركين والضالين يوم القيامة، وماسوف يكون من أمرهم فيها حينما يرجعون إلى الله سبحانه ويقفون موقف الحساب والجزاء،

وما يلقون من ذلة و هو ان ، ومايذوقون من بلاء وعذاب ، وهم فيهذا الموقف قد سيقوا إلى ساحة الحساب بين يدى الله تعالى ، و قد نكست رؤسهم ذلة و خزياً ، و خضعت أعناقهم هماً و غماً ، يضرعون إلى الله جل و علا أن يردوا إلى الحياة الدنيا مرة اخرى ليصلحوا ما أفسدوا ، و ليستقيموا على طريق الحق والهدى بعد أن أبصروا من عمى، وسمعوا من صمم ، وشهدوا الحق الذىأنكروه ، وعاينوا البعث الذى كفروا به ، وشاهدوا موقفاً أنكروه ، و رأوا يوماً جاحدوه ، و أيقنوا يومئذ انهم كانوا من قبل فى ضلال مبين .

و فيهذا الاستفهام فضح لهؤلاء المجرمين ، و إستدعاء لكل ذى نظر أن يشهدهم و هم على موقف الهوان ، و فى ثياب الذلة والصغار ، و هم كانوا السادة الذين إنتفخت أنوفهم كبراً ، و صعّرت خدودهم تيهاً و عجباً !

و لسوف يأخذ المرء العجب حينما يرى المجرمين الذى كفروا بالله جل و علا و لقائه مطأطىء الرؤس خجلاً وخزياً مستشعرين بالندم والحسرة يعلنون يقينهم باللهتعالى و صدق وعده ، و بأنهم قد سمعوا و أبصروا و اتعظوا ، ويطلبون من الله إرجائهم إلىالدنيا ليعملوا صالحاً و يتلافوا ما فرط منهم غير أن ندمهم هذا لن يجديهم نفعاً .

و قيل : فى التعبير عن البعث بقوله : « عند ربهم » محاذاة لما تقدم من قوله : « بل هم بلقاء ربهم كافرون » أى واقفون موقفاً من اللقاء لايسعهم إنكاره، وقولهم : « أبصرنا و سمعنا » ومسألتهم الرجوع للعمل الصالح لما ينجلىلهم أن النجاة فى الايمان والعمل الصالح ، وقد حصل لهم الايمان اليقينى ، وبقىالعمل الصالح ، ولذا يعترفون باليقين و يسألون الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحاً ، فيتمّ لهم سبباً النجاة .

١٣ - (و لو شئنا لآتينا كل نفس هدايها ولكن حق القول منى لأملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين)

ردّ ضمنىّ على ما طلب المجرمون من أن يعودوا إلى الحياة الدنيا مرة اخرى ، و تقرير للقدرة الكاملة الالهية على جعل الناس يسيرون فى طريق الهدى والحق دون أن يشذّ منهم شاذ ، ولكن حكمته إقتضت و قضاؤه سبق أن يكون لجهنم ملؤها من الجن والانس معاً إذا انحرفوا عن الفطرة و خالفوها .

١٤ـ (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون)

تفريع على قوله تعالى : « ولكن حق القول منى » و ردّ مباشر على هؤلاء المجرمين بعد أن تلقوا الردّ الضمنى فى الاية السابقة ، و انهم من أصحاب النار و لن يعدل بهم عنها عودتهم إلى الدنيا مرة و مرة و مرات ، فليخسؤا و ليذوقوا عذاب السعير . . انهم من أصحاب السعير .

وتقرير للحكمة الالهية إقتضت أن يترك الناس إلى إختيارهم الذى أودعه فيهم بعد أن بيّن لهم طريق الهدى والضلال حتى تمتلىء جهنم بأهلها عن بينة و عدل والجنة بأهلها عن بينة و عدل ، و أن لا يجبر الناس على الهدى إجباراً .

و فى الآية تأكيد لاهانة المجرمين ، و يقال لهم : انكم أعطيتم الفرصة فأضعتموها و تجاهلتم و غفلتم عن هذا اليوم ، فوقعتم فى سوء العاقبة ، فذوقوا عذاب الخلد الدائم بما نسيتم و تجاهلتم و بما كنتم تقترفون من الآثام، وتنحرفون عن طريق الحق والهدى فقد استحققتم أن ينساكم الله كما نسيتموه و أن تصيروا إلى المصير الوبيل الذى صرتم إليه .

قيل : قد عبّر عن كفرهم ، بيوم القيامة بالنسيان ، ليكشف عن مدى إستخفافهم به ، و إخلاء أنفسهم من كل شعور يصل بينهم و بينه .

و قوله تعالى : «وذوقوا عذاب الخلد» تكرر لقصد التأكيد والتوضيح لسابقه.

١٥ ـ (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بهاخروا سجداًوسبحوا بحمد ربهم و هم لا يستكبرون)

مستأنف مسوق لبيان من يستحق الهداية إلى الايمان ، و من لايستحقها ، و فيه من المقابلة بين المجرمين والمؤمنين، و ردّ آخر على هؤلاء المجرمين الذين لايؤمنون بآيات الله جل و علا أبداً لانهم على غير صفات أهل الايمان ، و إخبار بايمان طائفة لمّا يلحقوا بالمؤمنين ، مع الاشارة إلى صفاتهم ، و إلى علائم الايمان ، على طريق الحصر للايمان بحقيقة معناه فى أهله . وتسلية للنبى الكريم ﷺ .

و فى الاية و تاليها إلهام و تلقين و تنويه و غبطة مستمرة لكل مؤمن فى كل وقت لما فيها وتاليها من تصوير حقيقة الايمان وصورة واقعية للمؤمنين و ما يؤل إليه أمرهم من تذكر و خشوع و تسبيح من غير إستكبار ، و دعائهم ربهم فى كل حال و هم بين الخوف والرجاء ، و إنفاقهم فى وجوه البر ، و لهم ما لا خطر ببال أحد .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكّروا بها خرّوا سجداً » و ليس المؤمنون منحصرين فيمن هو موصوف بهذه الصفة ، و لا هذه الصفة شرط فى تحقق الايمان ؟

تجيب : ان المراد بقوله تعالى: « ذكروا بها » اتعظوا والمراد بالسجود الخشوع والخضوع والتواضع فى قبول الموعظة بآيات الله تعالى ، و هذه الصفة شرط فى تحقق الايمان كقوله تعالى : « ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً » الاسراء : ١٠٧) .

١٦ - (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طمعاً و مما رزقناهم ينفقون)

تقرير لعلامات ثلاث اخر للايمان ، و تعريف المؤمنين من حيث أعمالهم بعد تعريفهم من حيث صفاتهم ، من إشتغالهم بذكر الله تعالى ، و هجرهم النوم والراحة ، وقيامهم وتهجدهم وتقديسهم وتسبيحهم فى الليل والناس نيام ، و من

دعائهم ربهم وهم بين الخوف والرجاء، ومن أداء حق الله تعالى عليهم في أموالهم بذلاً و إحساناً في كل وجه من وجوه الخير والبر إبتغاءاً لوجه الله تعالى، وهذا بعد إقامتهم حق الله تعالى عليهم في أنفسهم من عبادة و صلاة و دعاء.

١٧ - (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)

تفريع لما للمؤمنين من الاوصاف والاعمال يصف ما أعدّ الله تعالى لهم من الجزاء والثواب من عظيم المكافآت التي فيها قرت أعينهم و طمأنينة قلوبهم جزاء وفاقاً على ما قدموه من صالح الاعمال...

و في الاية : بشرى عظيمة غير محدودة من شأنها أن تثير في نفوس المؤمنين الصالحين أشد الغبطة والارتياح و تحملهم على مضاعفة جهدهم في نيل رضاء الله تعالى في العبادة والتسبيح والذكر والانفاق.

و في هذا التجهيل « فلا تعلم نفس » لنعيم الجنة الذي أعدّه الله تعالى لعباده المؤمنين إطلاق له من القيود والحدود، فهو نعيم مطلق بلا حدود و لا قيود، فيه كل ما تشتهي الانفس و تلذ الأعين.. كما في الحديث القدسي:- « أعددت لعبادي الصالحين مالاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر بله ما اطلعتكم عليه » و ذلك غير ما اطلعهم الله عليه و عرفوه في الدنيا من ألوان النعيم. « بله » إسم فعل أمر بمعنى دع أو اترك.

و في وقوع النكرة و هي « نفس » في سياق النفي يفيد العموم.

قوله تعالى : « ما اخفي لهم » فيه إشارة إلى أن هذا النعيم لايخطر على بالهم، و لا يقع في تصورهم، لانه مما لا شبيه له، فيما يعرف الناس من نعيم الدنيا.. فهو - والحال كذلك - أشبه بالشيء الخفي الذي لا تعلم حقيقته.

و قوله تعالى : « من قرة أعين » في إضافة « قرة » إلى « أعين » لا أعينهم إفادة ان فيما أخفي لهم قرة عين كل ذي عين، و تسرّ به و ترتاح له و تجد فيه أنسها وحبورها.. وخصّت الأعين بهذا لانها المرآة التي تتجلى على صفحتها

مشاعر الانسان ، و ترتسم على نظرتها خلجاته و خطراته . . من فرح أو حزن ، و من حب أو بغض، و من رضاً أو سخط ، ولهذا فانه قدكان للناس نظر بالاعين إلى الأعين ، و حديث من الاعين إلى الاعين . . و كان للعيون لغة أبلغ من لغة الكلام ، و كان لهذه اللغة علماؤها و أصحاب القدم الراسخة فيها، عطاءاً وأخذاً و إرسالاً و إستقبالاً .

١٨ ـ (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون)

مقايسة بين المؤمن والفاسق ، و إستنكار لأىّ تسوية بين المؤمن المخلص الصالح ، والفاسق المتمرد الطالح ، و ان الاية تعقيب على الآيات السابقة التى كشفت عن وجوه المجرمين ، و ساقتهم إلى موارد الهلاك والبلاء ، كما كشفت عن وجوه المؤمنين و أرتهم ما أعدّ لهم من نعيم و رضوان . . ثم انها تمهيد لما ستكشفه الايات التالية أيضاً من موقف الفريقين ، و من الجزاء الذى يلقاه كل فريق .

و ان أول الآية محمول على اللفظ إذ نزلت فى الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام والوليد بن عقبة ، وآخرها ـ «لا يستوون» محمول على المعنى .

والاستفهام للانكار ولهذا جاء جوابه منفياً أى ليس المؤمن كالفاسق إذ بينهما شتان من التفاوت ، و فى الاستفهام من توضيح الحكم و تأكيده ما ليس فى الخبر التقريرى الذى يجىء بالحكم صريحاً مواجهاً ، يلقى به إلقاء على سبيل الالزام والتحكم ! .

ففى الاسلوب الاستفهامى دعوة إلى العقل أن ينظر فى هذه القضية ، و أن يشارك فى الحكم المناسب لها ، وفى البحث عن الحيثيات التى تدعم هذا الحكم و تسنده . . قوله تعالى : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً » قضية . .

فماذا يؤدّى إليه النظر فيها ؟ و لأىّ طرفى الخصومة فيها يحكم العقل ؟ أهما على سواء فلا فاضل ولا مفضول ؟ ذلك بعيد . . إذ لو كانا على حال واحدة

من جميع الوجوه لكانا شيئاً واحداً ، و لم يكونا شيئين متقابلين . . و إذ كان الامر كذلك ، فهما غير متساويين . .

هذه بديهة لاتحتاج إلى كثير من النظر . . ولهذا جاء قوله تعالى «لايستوون» جواباً مطلقاً على هذه البديهة . . انهما غير متساويين . . هذا ما لا سبيل إلى المماراة أو الخلاف فيه .

فالمؤمن غير الفاسق ، والفاسق غير المؤمن . . و إذ كانا غيرين فهما غير متساويين . . و يبقى بعد هذا الفصل في أيّ من هذين غير المتساويين أرجح كفة و أثقل ميزاناً .

قد يرى أهل الضلال ان الفاسق أرجح ميزاناً، وأهدى سبيلاً من المؤمن . .

قال الله تعالى: « ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » النساء : ٥١) فليكن ذلك حكمهم . .

وأما الحكم الحق والقضاء الفصل ، فهو هذا الذى سمعوه من قبل إن كانوا قد سمعوا و عقلوا وهو هذا الذى يسمعونه الآن إن كانوا يسمعون أو يعقلون ـ « لا يستوون » و فيه زيادة تصريح لما أفاده الانكار الذى أفاده الاستفهام ، مع إفادة تعميم الحكم .

١٩ ـ (أما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم جنات الماوى نزلاً بما كانوا يعملون)

تفصيل لعدم إستواء المؤمن والكافر بتقرير التفاوت بين مآل أمرهما و مقرّهما غداً ، و بيان المصير الحق الذى يكون لكل من الفريقين في الآخرة المتناسب مع عمل كل منهما ، فكما أن الايمان والفسق ، والمؤمن والفاسق ليسا متساويين فكذلك عاقبة المؤمن والفاسق ليست بمتساوية ، فضلاً عن إمكان ترجيح الفاسق على المؤمن ، أو دخول الفاسق في الجنة و دخول المؤمن في

النار على ما زعم بعض الزنادقة .

و ان التفاوت بين المؤمن والفاسق ، بين الايمان والفسق ، و بين مآلهما هوالتفاوت بين العدل والظلم ، بين النور والظلمة ، بين‌الخير والشر ، بين‌العلم والجهل ، بين الحق والباطل ، بين الطيب والخبيث ، بين الشجاع والجبان ، بين السماء والارض ، بين الليل والنهار ، و بين السواد والبياض . . .

قوله تعالى : « فلهم » الفاء للنتيجة و في لام الاختصاص والتمليك مزيد تشريف ، و ايذان بانهم لايخرجون منها كما لا يخرج المالك من ملكه ، ولهذا لو قيل: هذه الدار لزيد ، يفهم منه الملكية بخلاف لو قيل : اسكن هذه الدار فانه يحمل على الاعارة . وانه تعالى قال لآدم عليه السلام : اسكن أنت و زوجك الجنة لانه كان يعلم بانه يخرج منها ـ و إشعار بان غيرهم لايدخلون فيهاقال‌الله تعالى: « ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب‌السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج‌الجمل في‌سم الخياط و كذلك نجزي‌المجرمين » الاعراف: ٤٠).

و في تلخيص البيان : قال السيد الرضي رضوان الله تعالى في‌قوله‌تعالى: « فلهم جنات الماوى نزولاً بما كانوا يعملون » : وقد تقدم مثل هذه اللفظة في بعض السور المتقدمة و لم نشر إليه إذ كان في الاشهر بين التأويل خارجاً عن الاستعارة لانه عند عامة المفسرين بمعنى المنزل والنزول ، فكأنه تعالى قال : كانت لهم جنات الفردوس منزلاً ينزلونه وقراراً يستوطنونه . فلما بلغنا إلى هذا الموضع من هذه السورة نظرنا ، فاذا لهذه اللفظة مجاز آخر يدخلها في حيّز الاستعارة فذكرناها لهذه العلة ، وهو أن لفظ النزل عند بعضهم قد عبّر به عما يقرى به الضيف عند طروقه و يعدله قبل نزوله ، فيجوز أن يكون معنى قوله تعالى : « فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون » .

أي قرى معداً كما يقرى‌الضيوف لانهم ضيفان‌الله تعالى في‌جناته وجيرانه في داره ليس ان هناك قرباً بمسافة ولا وصفاً في أداء إقامة ، و إنما أوجب هذا

اختصاص في قولنا : ضيفان الله و جيران الله لانهم نزول في الدار التي لا يملك الحكم فيها غيره ، و لا يتسلط عليها إلاّ سلطانه ، كما قيل : ان قريشاً كانوا يسمّون قطين الله إذ كانوا جيران بيته الذي اختصّه و فرض على الناس حجه و من الشاهد قول عبدالله بن قيس الرقيات :

أتانا رسول من رقيّة ناصح بأن قطين الله بعدك سيّرا

يريد أهل مكة ، و حكى ابن الزبير قال : سمعت حسان بن ثابت ينشد هذا البيت في جملة قصيدته الميمية على قوله :

لنا حاضر فخم و باد كأنه قطين إله عزة و تكرما

قال فغيّره الرواة فيما بعد حسداً لقريش ، فقالوا : «شماريخ رضوى عزة و تكرماً » و أي تكرم للجبال .

٢٠ - (و أما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها و قيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون)

تقرير لما يؤل إليه أمر الفاسقين المكذبين بالبعث والجزاء ، وتدعيم قوى في نيل الناس في الآخرة ثوابهم وعقابهم ، و كونه جزاء عادلاً لما قدموه في الدنيا و اختاروه من طريق ، و فيها إثارة الرعب في قلوب الكفار الذين خرجوا عن زيّ العبودية ، و انحرفوا عن طريق الفطرة .

و هذا هو الحكم الفصل فيما بين المؤمن والفاسق ، فيلاحظ ان القرآن الكريم لم يأت بالحكم صريحاً، ولم يقل : إن المؤمن خير من الفاسق . . ولكنه جاء بفحوى هذا الحكم و بالآثار المترتبة عليه . . ثم ليكن الحكم على تلك الآثار التي هي أظهر من أن تختفي التفرقة بينهما على ذي مسكة من عقل .

قوله تعالى : « فمأواهم النار » و فيه نوع تهكم بهم ، إذ جعلت النار ملجأ و مستراحاً لهم يستريحون إليها كقوله تعالى : « فبشرهم بعذاب أليم » و من لازم كون النار مأواهم خلودهم فيها، ولذلك عقبه بقوله : « كما أرادوا الخ »

و هذا مستأنف سيق لبيان كيفية كون النار مأواهم و هذا تعبير اسلوبي بقصد توكيد شدة البلاء الذي سيصيب الكفار في الاخرة، وبيان لحالهم فيها ونفورهم منها.

و قوله تعالى: « و قيل لهم ذوقوا عذاب النار » تقريع و توبيخ لهم.

و قوله تعالى: « كنتم به تكذبون » و فيه دلالة على أن المراد بالفاسق هنا الكافر المكذب، وخطابهم و هم في النار بهذا الخطاب شماتة بهم، و كثيراً ما كانوا يشتمون في الدنيا بالمؤمنين لقولهم بالمعاد.

ان تسئل: كيف قال الله تعالى ههنا: «عذاب النار الذي كنتم به تكذبون» و قد قال في سورة « سبأ » : « عذاب النار التي كنتم بها تكذبون » : ٤٢) ؟

تجيب: لان النار في هذه السورة وقعت موقع الكناية لتقدم ذكرها، والكنايات لا توصف، فوصف العذاب، و في سورة « سبأ » لم يتقدم ذكر النار، فحسن وصف النار.

٢١ ـ (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون)

إنذار رباني على طريق القسم التلويحي والتوكيد بأن الله تعالى سيذيق الفساق بالعذاب والبلاء القريب قبل العذاب الاخروي الاكبر لعلهم يتراجعون عن غيهم و موقفهم، و إشارة إلى ما يصيب به الكفار من بلاء دنيوي و تأنيب لهم على عدم إتعاظهم به، و إنذار ببلاء أشد.

قيل: سمّى عذاب الدنيا أدنى، و لم يقل: الاصغر حتى يقابل الاكبر لان المقام مقام الانذار والتخويف، و لا يناسبه عدّ العذاب أصغر، و كذا لم يقل دون العذاب الابعد حتى يقابل العذاب الأدنى لعدم ملاءمته مقام التخويف.

قوله تعالى: « لعلهم يرجعون » دعوة لهم عن الرجوع عن الكفر والفسق والتكذيب، إلى الايمان و قبول الدعوة الحقة، و إشارة إلى أن هذا العذاب الذي يقع للمشركين الفاسقين في هذه الدنيا قد يكون لبعضهم فيه عبرة وموعظة، فيرجع عن غيّه وضلاله، عن كفره و فسقه، عن تمرّده وطغيانه، وعن إنحرافه

و خروجه من مقتضيات الفطرة البشرية . . . وهذا هو بعض السّرّ فى تصدير هذا الحكم بحرف الرجاء: « لعلّ » .

٢٢ - (و من أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون)

بيان إجمالى لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض - بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد - على طريق التفريع فى اسلوب السئوال الانكارى فى موضع التعليل لما تقدم من عذابهم بالعذاب الاكبر بما أنهم مكذبون فعلّله بانهم ظالمون أشد الظلم بالاعراض عن الآيات بعد التذكرة فيكونون مجرمين والله تعالى منتقم منهم .

فقوله تعالى : « و من أظلم » تعليل لعذابهم بانهم ظالمون أشد الظلم ، وقوله تعالى: « انا من المجرمين منتقمون » تعليل لعذاب الظالمين بانهم مجرمون ، والعذاب إنتقام منهم والله منتقم من المجرمين ، و فيه تهديد و وعيد لهؤلاءِ المعرضين عن آيات الله تعالى ، و انهم فى معرض الانتقام من الله جل وعلا لانهم مجرمون ظالمون . . مجرمون فى حق أنفسهم ، ظالمون باعراضهم عن الخير الممدود إليهم .

و ان الاية تنطوى تقريراً بانه ليس من أحد أشد ظلماً ممن أنذره الله تعالى بآياته و ذكره بها ، ثم أعرض و تصامم عنها ، و توكيد بأن الله جل و علا منتقم حتماً من المجرمين الذين لاتنفع فيهم الموعظة والانذار، وتتضمن تكرار إنذار المجرمين من جهة ، وتطمين النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين من جهة اخرى.

و قوله تعالى : « ذكر بآيات ربه » فيه إشارة إلى أن آيات الله التى يتلوها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الناس إنما هى لتذكرهم بما نسوه من الايمان الذى كان فى فطرتهم . . فلما أهملوا فطرتهم ، و أفسدوها بما ساقوا إليها من آفات الهوى والضلال ، لم يعودوا يذكرون شيئاً من هذا الايمان ، فكانت بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

بآيات الله يتلوها عليهم تذكيراً لهم بأصل فطرتهم ، و ايقاظاً لهم من غفلتهم . . و من أجل هذا ، فقد كانـوا أظلم الظالمين لانهم ظلموا أنفسهم مرتين ظلموها أولاً باطفاء جذوة الايمان التـى أودعها الله فطرتهم ، و ظلموا أنفسهم ثانياً ، إذ أبوا أن يستجيبوا لمن يدعوهم إلى تعاطى الدواء الذى يشفى هذا الداء الـذى مـكنوه منهم، فأفسد فطرتهم . ومن هنا جيئت بـ« ثم » وهى هنا لاستبعاد الاعراض عن الايات عقلاً مع غاية وضوحها و إرشادها إلى سعادة دارين أى هـو أظلم من كل ظالم . و أما الفاء فى سورة الكهف : « فاعرض عنها » : ٥٧) فانها تدل على الاعراض عقيب التذكير . وقال أهل المعانى : « ثم » ههنا تدل على ان الاعراض بعد التذكير مستبعد فى العقول .

ان تسئل : ما فائدة العدول عن قوله تعالى : « انـا منهم منتقمون » فى قوله جل و علا : « و من أظلم ممن ذكر بآيات ربه » ؟

تجيب : لما جعله أظلم الظلمة ثم توعد كل المجرمين بالانتقام منه دلّ على أن الاظلم يصيبه النصيب الأوفر من الانتقام ، و لو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة . .

٢٣ ـ (و لقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه و جعلناه هدى لبنى اسرائيل)

تذكير بموسى عليه السلام و بنى إسرائيل ، فقد نزل الله تعالى على موسى الكتاب وجعله هدى لبنى إسرائيل ، تأكيداً لاصل الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم مع تسليته والتطمين له صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين و تثبيتهم فى الظرف الذى أخذ موقفهـم فيه ، يتحرج و أزمتهم تشتد من الكفار، فكما فعل لموسى و بنى إسرائيل لانهم أيقنوا و صبروا ، فسيفعل لهم لانهم أيقنوا و صبروا أيضاً .

قوله تعالـى : « فلا تكن فى مرية من لقائه » خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، و فيه إلفات للمشركين إلى ما انزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، و إلى هذا الشك والافتراء الذى يدور فى رؤسهم منه . . انه كتاب من عند الله جل وعلا مثل الكتاب الذى

جاء به موسى والذى كانوا يتمنّون أن يكون لهم كتاب مثله .

وقوله تعالى : « وجعلناه هدى لبنى اسرائيل » فيه تحريض للمشركين على أن يقبلوا على الكتاب الذى جاءهم من عند الله تعالى ويهتدوا به . فهذا الكتاب هو كتابهم وهوالهدى الذى يهتدون به كماكان كتاب موسى كتاباً لبنى اسرائيل ، ومعلم الهدى الذى يهتدون به .

٢٤- (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنالماصبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)

حكاية بان من بنىإسرائيلمن إجتباه الله تعالى للامامة فيهدون الناسإلى طريق الحق بأمرالله تعالى وتوفيقه بسبب مابدا من هؤلاءِ الائمة من الصبر على متاعب التكليف و مشاق الدعاء إلى الدين الحق ، والايقان بآيات الله تعالى . فلابدلامام الحق من الصبروالايقان وليس هذا إلا من وصف المعصوم عليه السلام .

وفى « من » التبعيضية فى « منهم » دلالة على أن بعضهم ليس بأئمةالهدى، و فيه رمز إلى أن بعضهم كانوا أئمة الضلال . ولا يخفى ان وصف الصبرلايكون شاملاً لجميع بنىاسرائيل لافى زمن موسى و لابعده لأن أسفارالعهد القديم من لدن موسى عليه السلام قد سجلت إنحرافات كثيرة دينية وخلقية لفئات كثيرة من بنى إسرائيلكانت أحياناً غالبيتهم الكبرى ولذلك قال :

٢٥- (ان ربك هويفصل بينهم يوم القيامة فيماكانوا فيه يختلفون)

إشارة إلىأن الله تعالىسيميز المحق فى كل دين من المبطل ، أئمةالهدى من أئمة الضلال، مع التقرير التطميني للنبىالكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين،والانذارى للكفاروالفاسقين بانالله تعالى سيفصل بين الناس يوم القيامة فيما اختاروه من الطرق المختلفة حيث يحقّ الحق ويؤيد أهله ، ويزهق الباطل و يخذل أصحابه ، سواء قلنا باستهداف الاية بنى إسرائيل أوالكفار أوالناس عامة .

وقيل : ان الآية إجابة عن سئوال يعرض لمن يستمع إلى قوله تعالى :«و جعلناه هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا الخ » وهذا السئوال

هو : هل اهتدى بنواسرائيل بهذا الكتاب الذى جاءهم به موسى ؟ و أكان منهم أئمة هداة ؟ و كيف يكون هذا ، وهم على مايشهد الناس منهم من خلاف فيما بينهم ـ ثم ما سيشهدون من خلاف بينهم و بين النبى ﷺ ؟ و كيف يصح أن يكون الكتاب الذى جاء به موسى لايلتقى مع الكتاب الذى جاء به محمد ﷺ و كلا الكتابين من عندالله تعالى ؟

فكان قوله تعالى: «ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» جواباً عن هذه التساؤلات . . ثم هو إعلام بما سيكون من اليهود من كفر وضلال وما يكون من المشركين من تكذيب وإعراض حين يواجههم النبى ﷺ بالقرآن الكريم ويدعوهم إلى تصديقه والايمان به .

٢٦ـ (أولم يهدلهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون)

مستأنف بيانى سيق إلى أصل التوحيد ، والقدرة المطلقة الالهية مع ذكر الادلة القاطعة عليها بما يراه المشركون من المشاهدات ، مقروناً بالوعيد على طريق التساؤل الانكارى ، فيتضمن التنديد بالكفار عما إذالم يكن قدبان لهم و هداهم ووعظهم ما أهلكه الله تعالى قبلهم من القرون والأجيال الكثيرة و هؤلاء الكفار هم الذين يعيشون و يمشون من مساكنهم، ففى ذلك موعظة كافية لمن يسمع و يعى، فهل فقدوا السمع فلا يسمعون .

وان الاية تنطوى أيضاً على تؤكيد كون سامعى القرآن على علم بما كان من الامم السابقة وأحداثها و آثارها ، وبلاءالله تعالى عليها فيكون التنديد والتقريع مستحكمين فى الكفار ، وانهم لو عقلوا لعلموا انهم مأخوذون بما اخذ به أصحاب هذه الديار ماداموا سائرين على طريقهم ،آخذين فأخذهم ، سالكين مسلكهم...

فالحديث هنا إلى المشركين والكفار ، حديث مواجه مباشر ، بعد أن كان الحديث إليهم فى الآيات السابقة حديثاً من وراءِ حجاب ، هو اليهود .

وقوله تعالى: « يمشون فى مساكنهم » و فيه إشارة إلى أنهم قد خلفوا هؤلاءِ الظالمين أصحاب تلك الديار ، ورثوا ما كانوا عليه من كفر وضلال ، من معصية وعناد ومن تمرّد وشقاق . . .

وقوله تعالى : « لآيات » فى تنكيرها للتعظيم فى أنفسها وللكثير فى عددها، وان الجمع يناسب القرون والمساكن . . وإنما قال : « أفلا يسمعون » لانه تقدم ذكر الكتاب ، وهو مسموع ، و فيه إشارة إلى أنه لاحظ لهم منه الاّ السماع ، و حين ذكر الاهلاك والتخريب اتبعه ذكر الاحياءِ والعمارة . و إشارة أن السمع طريق من طرق الاهتداءِ . . سواءكان هذا المسموع من كلمات الله تعالى أو من الأخبار الصحيحية والعظات النافعة . . فالكلمة الطيبة ، إذا تلقتها اذن واعية ، و استقبلها قلب سليم ، أينعت وأثمرت، كما تينع وتثمر البذرة الطيبة ، وفى الارض الطيبة .

٢٧- (أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا تبصرون)

تساؤل إستنكارى آخر يتضمن التنبيه والتنديد بالكفار أيضاً عما إذا لم يروا بأعينهم ان الله تعالى يرسل الماء إلى الارض الجافة اليابسة ، فيخرج به زرعاً يأكلونه هم وأنعامهم ، وفى هذا من الدلالة على قدرة الله تعالى وحسن تدبيره فى هذا الوجود و منه الانسان والانعام ما فيه الكفاية ، فهل فقدوا الابصار فلا يبصرون !

فهذا الماء الذى يسوقه الله تعالى محمولاً على أجنحة السحاب ، فينزل فى الارض الجديب ، ويحيى مواتها ، ويخرج من صدرها حباً ونباتاً ، وجنات ألفافاً تحيى عليها الانعام ، ويعيش فيها الانسان ـ فى هذا عبرة لمن اعتبر ، و تذكرة لمن يتذكر .

وقوله تعالى : « الارض الجرز » و هذه إستعارة لان المراد بالجرز ههنا

الارض التي لانبات فيها ، وذلك مأخوذ من قولهم ناقة جروز إذا كانت كثيرة الأكل لايكاد لحياها يسكنان من قضم الاعلاف ونشط الاعشاب ومن ذلك قولهم : سيف جراز إذا كان يرىء المفاصل ويقطّ الضرايب .

و قال محمد بن يزيد المبرّد : السيف الجراز الذى لا يبقى من الضريبة شيئاً ، والاصل في هذه اللفظة أن تكون بمعنى الاستئصال ، قال : ومن أمثالهم لا ترضى شائنة إلاّ بجرزة أى لايرضى المبغضة فيمن أبغضته إلاّ بالاستيصال ، و إنما سميت تلك الارض جرزاً إذ كانت كأنها تأكل نبتها فلاتدع منه نابغة ، ولا تترك طالعة ، ونظير ذلك قولهم : أرض جداء وهي التي لاماء فيها تشبيهاً بالناقة الجداء التي لالبن لها .

و قوله تعالى : « تأكل منه أنعامهم وأنفسهم » إنما قدّم الانعام هنا على الانفس لان الزرع لايصلح أوّله إلاّ للانعام ، وإنما يحدث الحبّ في آخر أمره . وقال في سورة طه : « كلوا وارعوا أنعامكم » : ٥٤) لان الازواج من النبات أعم من الزرع ،و كثير منه يصلح للانسان في أول ظهوره مع أن الخطاب لهم فناسب أن يقدموا ، وإنما ختم الاية بقوله تعالى : « أفلاتبصرون » تأكيداً لقوله في أول الاية : « أولم يروا »

ومن المحتمل أن يكون في تقديم الأنعام على أصحابها دلالة على أن ليس للناس شيء في تقدير هذا الرزق يسوقه الله تعالى إليهم وإلى أنعامهم . . وانما هو من عند الله جل وعلا ، وان الانعام والناس سواء في الاحتياج إلى الله عزوجل ، و انهم انما يرزقون كما ترزق الانعام : « ومامن دابة في الارض إلاّ على الله رزقها» هود : ٦)

و قوله تعالى : « أفلايبصرون » تنبيه وتوبيخ وتخصيص هذه الاية بالابصار، والاية السابقة بالسمع لما ان العلم باهلاك الامم الماضين إنما هو بالاخبار التي

تنال من طريق السمع ، وأما العلم بسوق الامطار إلى الارض الجرز و إخراج الزرع واغتذاء الانعام والانسان ، فالطريق إليه حاسّة البصر .

٢٨- (ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادِقين)

حكاية لنوع جهالة اخرى عن المشركين وهو إستعجالهم العذاب ، و لما يتكرر صدوره منهم من التساؤل على طريق الاستهزاء والاستخفاف والسخرية والتكذيب عن موعد تحقيق ما يوعدون به من البعث والحساب والجزاءِ إن كان صدقاً وهم استعملوا كلمة «الفتح» في التساؤل عن يوم القيامة من قبيل الاستخفاف والسخرية لان القرآن الكريم ينذرهم فيه بالذل والخزى والعذاب ، وهذا بالنسبة للمسلمين فتح ونصر .

٢٩- (قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون)

أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بجواب عن استبعادهم البعث والحساب والجزاء على طريق الانذار والتوكيد معاً بأن ذلك آت في اليوم الذى هو في علم الله تعالى ، وان ايمان الكافرين المكذبين فى ذلك اليوم وندمهم لن يجدياهم ، و لن يكون لهم إمهال وفرصة اخرى ، و فى وصف يوم القيامة بيوم الفتح ردّ للتحدى والاستخفاف لانه يوم فتح ونصر حقاً .

فجاء الجواب بما لاينتظره السائلون . . انهم كانوا لاينتظرون جواباً . . و إذا كان ثمة جواب ، فليكن مؤقتاً بالوقت الذى يقع فيه ما انذروا به ، .متى هو ؟ ولم يجب القرآن على : « متى هو ؟ » وإنما أجاب على : « كيف هو ؟ وعلى أيّة صورة يقع ؟ أما وقوعه فهو أمر لاشك فيه . .

وأما الصورة التى يقع عليها فانها بلاء على المشركين ، يوم يقفون وجهاً لوجه بين يدى هذا اليوم للحساب والجزاء . . حيث لايقبل منهم ايمان فى هذا اليوم ، ولايؤخر حسابهم ليوم آخر ، حتى يصلحوا ما أفسدوا ، . « ولاهم ينظرون » فقد انتهى أجلهم وطويت صحف أعمالهم ، على ماضمّت عليه من كفر وضلال ، من

تمرد و لجاج ، ومن معصية وطغيان .

ان تسئل : كيف ينطبق قوله تعالى : « قل يوم الفتح . . » جواباً عن سئوالهم عن وقت الفتح ، وهويوم الفصل والقضاء بين المؤمنين والكافرين ، بين المتقين والفجار ، بين المصلحين المفلحين، والمفسدين الكاذبين ، وبين المحقين والمبطلين . . يعنى يوم القيامة ، و كيف طابقه مابعده جواباً ؟

تجيب : لماكان سئوالهم ذلك سئوال تكذيب وإستهزاء ، سئوال إستخفاف وسخرية بيوم البعث والجزاء لاسئوال إستفهام أجيبوا بالتهديد والتنديد المطابق للتكذيب والاستهزاء لابيان حقيقة الوقت ، فكأنه قيل لهم : لاتستهزؤا فكأنا بكم، وقد حصلتم فى ذلك اليوم ، وآمنتم فلم ينفعكم الايمان ،واستنظرتم فلم تنظروا.

وان تسئل : وعلى قول من فسّر «الفتح» بفتح مكة أو بفتح يوم بدر، كيف وجه الجواب عن قوله تعالى : « قل يوم الفتح الذين كفروا » الاية .

وقد نفع بعض الكفار ايمانهم فى ذينك اليوم كالطلقاء الذين آمنوا ؟

تجيب : المراد ان المقتولين منهم لاينفعهم ايمانهم فى حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند إدراك الغرق .

٣٠- (فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون)

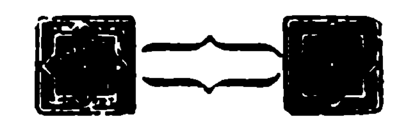
أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالاعراض عن المشركين المكذبين بالبعث والجزاء وبأن يذرهم وماهم فيه ضلال ، ولايبالى بموقفهم من غير أن ينقطع عن إنذارهم ، وإنما هواسلوبى بقصد تثبيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتسليته ، و دعوته إلى عدم الاغتمام لموقفهم، وإنتظار النصرة والفتح عليهم كماانهم كانوا فى إنتظار إنقطاع دابر دعوة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالموت أوقتله مع إصرارهم على غيهم وعنادهم .

وبهذه الاية تختم السورة ، وبهذا الامر القاطع ينحسم الموقف بين النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل الشرك من قومه . . انه بلغ رسالة ربه وبالغ فى إبلاغها . . مبشراً ومنذراً فلم يزدهم ذلك إلا عناداً وضلالاً . . و إذن فليعرض النبى صلى الله عليه وآله وسلم

عنهم ، ولا يأبه لسفهائم ، ولايقف عند ما يلقون إليه من أذى ولجاج وعناد . . .

كما يقول تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »الاعراف : ١٩٩)

ثم لينتظر حكم الله ، ومايقضى به بينه وبينهم ، ولايعجل ، فانهم منتظرون، لايملكون التحول عمايريدالله تعالى فيهم . .



﴿ الاعجاز ﴾

و من وجوه إعجاز هذه السورة ما جاء في قوله تعالى : « الله الذى خلق السموات والارض و ما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ـ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون » : ٤ ـ ٩) مما يتعلق بسنن الكون و نواميس الطبيعة والافلاك ، و بخلق الانسان الاول و ذريته مما لا سبيل إلى العلم به فى بدء الاسلام إلاّ من ناحية الوحى السماوى والنبوة . . . و قد كانت الجزيرة العربية بعيدة عما كان بيونان من بعض تلك العلوم ناقصة غير تامة .

و أمّا ما أخبر به القرآن الكريم لم يتضح إلاّ بعد توفر العلوم و كثرة الاكتشافات والاختراعات . . . وسيتضح ما لم يتضح بعد من أخباره . . . وقدأخذ القرآن الكريم بالحزم فى إخباره عن تلك الامور . . . فصرّح ببعضها حيث يحسن التصريح ، و أشار إلى بعضها حيث تحمد الاشارة ، لان بعض هذه الأشياء مما يستعصى على عقول أهل ذلك العصر، فكان من الرشد أن يشير إليها إشارة تتضح لاهل العصور المقبلة حين يتقدم العلم ، و تكثر الاكتشافات . . . فما لاشك فيه ان هذه المعارف وتلك العلوم متصلة بالوحى ، ومقتبسة من أنواره لان من يعرف تاريخ جزيرة العرب ـ ولاسيما الحجاز ـ لا يخطر بباله أن تكون تلك العلوم قد أخذت عن غير منبع الوحى .

و من وجوه اعجازها : ما جاء فى قوله تعالى : « و لنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر ـ و يقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين قل

يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم و لا هم ينظرون فاعرض عنهم و انتظر انهم منتظرون » : ٢١ ـ ٣٠) و ذلك لما انطوت تلك الايات من الانباء والاخبار بالمغيبات مما لم يكن فكان كما قال ، و وقع كما أخبر ، و لما فيها من كشف أسرار المشركين و مقالتهم ، و لا سبيل إلى ذلك غير طريق الوحي السماوي .

و قد وعد الله تعالى في تلك الايات رسوله ﷺ والمؤمنين بالنصر على أعداءهم ، والمؤمنون على ماهم عليه من قلة العدد والعدة ، وقد وفى لنبيه ﷺ و للمؤمنين بوعده يوم بدر ، و نصرهم على أعداءهم بفتح مكة ، و قطع دابر المعاندين وخذلهم الذين ناوؤا النبي الكريم ﷺ واستهزؤا بنبوته، واستخفوا بأمره ، و سحروا بما كان يعدهم من النصر والغلبة عليهم . . .

و كان تلك الاخبار في زمن لم يخطر فيه ببال أحد من الناس إنحطاط شوكة قريش ، و إنكسار سلطان المشركين ، و ظهور النبي الكريم ﷺ على المعاندين .

قال الله تعالى : « و إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين انها لكم و تودّون ان غير ذات الشوكة تكون لكم و يريد الله أن يحق الحق بكلماته و يقطع دابر الكافرين ـ فاضربوا فوق الاعناق و اضربوا منهم كل بنان ـ ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ـ و ان الله مع المؤمنين » الانفال : ٧ ـ ١٩) .

﴿التكرار﴾

إعلم أن ثلاث سور يشتمل كل واحد منها على ثلاثين آية :

أحدها ـ سورة السجدة . ثانيها ـ سورة الملك . ثالثها ـ سورة الفجر .

و نحن نشير فى المقام إلى سبع لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة ـ جائت فى هذه السورة وفى غيرها من السور القرآنية :

١ـ جاءت كلمة (الست) على صيغها فى القرآن الكريم نحو: ثمان مرات :

١ ـ الاعراف : ٥٤) ٢ ـ يونس : ٣) ٣ ـ هود : ٧) ٤ ـ الفرقان : ٥٩)

٥ ـ السجدة ٤) ٦ ـ ق : ٣٨) ٧ ـ الحديد : ٤) ٨ ـ المجادلة : ٤) .

٢ ـ « « (النسل) « « « : أربع مرات :

١ ـ السجدة : ٨) ٢ ـ البقرة : ٢٠٥) ٣ ـ الانبياء : ٩٦) ٤ ـ يس : ٥١) .

٣ ـ « « (السلالة) « « « : ثلاث مرات :

١ ـ المؤمنون : ١٢) ٢ ـ السجدة : ٨) ٣ ـ النور : ٦٣) .

٤ ـ « « (النكس) « « « : ثلاث مرات :

١ ـ الانبياء : ٦٥) ٢ ـ يس : ٦٨) ٣ ـ السجدة : ١٢) .

٥ ـ « « (التجافى) « « « : مرة واحدة :

و هى فى سورة السجدة : ١٦) .

٦ ـ « « (المضاجع) « « « : ثلاث مرات :

١ ـ آل عمران : ١٥٤) ٢ ـ النساء : ٣٤) ٣ ـ السجدة : ١٦) .

٧ ـ « « (الجرز) « « « : مرتين :
أحدهما ـ سورة الكهف . ثانيهما ـ سورة السجدة : ٢٧) .

قال الله تعالى : « و قيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون » السجدة : ٢٠) و قال فى سورة سبأ : « و نقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون » : ٤٢) و ان القارىء الخبير يرى فى الآيتين فروقاً أربعة : أوّلها و ثانيها ـ قوله : « قيل » مكان « نقول » لسياق الغيبة فى سورة السجدة إلى تمام هذه الاية و عطف «قيل» على «اعيدوا» . ثالثها ـ قوله : **«لهم»** بدل « للذين ظلموا » لاقتضاءِ سياق سورة سبأ التوصيف . رابعها ـ قوله: « عذاب النار الذى » لان النار فى هذه السورة وقعت موقع الكناية لتقدم ذكرها ، والكنايات لاتوصف فوصف العذاب ، و فى سورة سبأ لم يتقدم ذكر النار، فحسن وصف النار .

قال الله تعالى : « كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها و قيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون » السجدة : ٢٠) وقال: « كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها و ذوقوا عذاب الحريق » الحج : ٢٢) وفى الآيتين فروق لابد من التدبر فيهما :

منها : أضيف فى سورة الحج قوله تعالى : « من غم » لان المراد بالغم : هو الكرب والاخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه متنفساً ، و ما قبله من الايات يقتضى ذلك و هو قوله : « قطعت لهم ثياب من نار ـ إلى ـ من حديد » فمن كان فى ثياب من نار و فوق رأسه حميم يذوب من حره أحشاء بطنه حتى يذوب ظاهر جلده ، و عليه موكلون يضربون بمقامع من حديد كيف يجد سروراً ، أو يجد متنفساً من تلك الكرب التى عليه ، وليس فى سورة السجدة من هذا ذكر، وإنما قبلها : « فماواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها » .

و منها : قوله تعالى : « و ذوقوا عذاب الحريق » فى سورة الحج ، وقوله:

« وقيل لهم ذوقوا الخ » على إضمار القول فى الاولى لطول الكلام بوصف العذاب، و إظهاره فى الثانية موافقة للقول قبله فى مواضع : منها ـ « أم يقولون افتراه ـ و قالوا ءإذا ضللنا ـ و قل يتوفاكم ـ وحق القول » و ليس فى سورة الحج شيء من ذلك .

قال الله تعالى : « أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لايات أفلا يسمعون » السجدة : ٢٦) و قال : « أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لايات لاولى النهى » طه : ١٢٨) فى الآيتين فروق ثلاثة : أحدها ـ جاءت الفاء فى سورة طه ، والواو فى سورة السجدة . ثانيها ـ حذفت كلمة «من» فى سورة طه ، و قد جاءت فى هذه السورة . و ذلك لان الفاء للتعقيب والاتصال بالاول ، فطال الكلام ، فحذفت «من» و أما الواو تدل على الاستئناف ، و إثبات «من» مستثقل، و قد سبق الفرق بين إثباتها و حذفها فى الكلام .

مع أن الآية فى سورة طه فى سياق العموم والشمول ، فلا يحتاج إلى «من» تدل على التبعيض، و ان الاية فى هذه السورة فى سياق الخاص من قصة بنى اسرائيل، فاقتضت « من » لذلك فتأمل جيداً و اغتنم جداً .

ثالثها ـ قوله تعالى : « أفلا يسمعون » فى هذه السورة و « لاولى النهى » فى سورة طه . للعموم والخصوص اللذين أشرنا إليهما آنفاً .

﴿ التناسب ﴾

إعلم أن البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بينها وما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : لما نزلت هذه السورة بعد سورة « المؤمنون » فالتناسب بينهما فبامور :

أحدها ـ لما جائت في السورة السابقة تقريرات عن مشاهد قدرة الله تعالى في الكون وعنايته بالخلق وأفضاله على الناس فيما جعل لهم فيه من منافع وسيره من وسائل شتى . . جائت هذه السورة لتقرير بعض آثار القدرة الالهية في هذا الوجود ، وبيان أهم آثار عنايته بعباده من تنزيل القرآن الكريم وصلته بالوحي الالهي لتربية عباده ونيلهم إلى الكمال اللائق بهم بهذا الوحي .

ثانيها ـ لما جائت في السورة السابقة قصص بعض الانبياء ومواقف أقوامهم بعد ذكر صفات المؤمنين ومصيرهم السعيد ، جائت هذه السورة لتقرير موقف المشركين وقريش في الدعوة الحقة ومآل أمرهم .

ثالثها ـ لما اشير في السورة السابقة إلى خلق الانسان من طين ، و إلى مراحله الانسانية في خلقه ، اشير في هذه السورة إلى خلق الانسان الاول وذريته...

رابعها ـ لما جاء في السورة السابقة تهديد ووعيد بالمشركين في قوله تعالى : « قل رب إما تريني ما يوعدون ـ وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون »:

٩٣ ـ ٩٥) .

جاء فى هذه السورة إستهزاء المشركين بهذا التهديد والوعيد مع الاشارة إلى حتمية وقوع ماوعدوا به فى قوله تعالى : « ويقولون متى هذا الفتح ـ قل يوم الفتح ـ انهم منتظرون » ٢٨ ـ ٣٠) وغيرها من التناسب ، فعلى القارى الخبير التأمل فيهما .

و أما الثانية : فان المناسبة بين هذه السورة و ما قبلها (لقمان) مصحفاً فبوجوه :

منها : ان الله تعالى لماوصف القرآن الكريم فى السورة السابقة بالحكمة، وأشارفيها إلى من اتصف بها من عباده وهو لقمان الذى ينبغى أن يكون للناس فيه اسوة حسنة ، وذكر آثار الحكمة فى النفوس وفى المجتمع البشرى أخذ فى هذه السورة بوصف هذا الكتاب بالتربية تلويحاً ، يربّى به الناس فينالوابه إلى الكمال المعنوى ، وإلى السعادة والفلاح ، مع الاشارة إلى آثار الكمال فى الحياة الدنيا من التذكر والخشوع والتسبيح والدعاء والانفاق . . .

وإلى مآله فى الاخرة مما لاتعلمه نفس ، ولايخطر ببال أحد ، تقرّ به العيون عند مليك مقتدر .

ومنها . ان السورة السابقة ـ لما جاء فيها من ذكر الحكيم وخصاله ـ فهى كالتوطئة لما يجيىء فى هذه السورة من أمر الامامة والقيادة الدينية ، ومالابد أن يتصف به القائد . . .

ومنها : ان الله تعالى لما ذكر فى السورة السابقة دلائل التوحيد ،وهو الاصل الاول من الاصول الاعتقادية الاسلامية ، ثم ذكر المعاد ، و هو الاصل الاخر منها ذكر فى هذه السورة أصلاً آخر وهو النبوة والوحى السماوى .

ومنها : ان الله تعالى لماعرّف فى أول السورة السابقة : ان القرآن هدى ورحمة قال فى هذه السورة: انه من رب العالمين ، و ذلك لان من عثر على كتاب

يسئل أولاً : أنه فى أى علم ، فاذاقيل :انه فى التفسير أوالحديث ، يسئل :انه تصنيف أى شخص ، ففى تخصيص رب العالمين بالمقام إشارة إلى أن كتاب رب العالمين لابد أن يكون فيه عجائب للعالمين ، فترغب النفس فى مطالعته .

ومنها : لما ختمت السورة السابقة بدلائل الالوهية والربوبية ، إفتتحت هذه السورة أيضاً بها ، فيشتمل كل واحد منهما عليها . . على طريقى التفصيل والاجمال .

ومنها : لما جاء فى آخر السورة السابقة ما استأثرالله جل و علا بعلمه ، و ليس لعلم الانسان إليه سبيل فى قوله تعالى : « ان الله عنده علم الساعة ـ إلى ـ ان الله عليم خبير » من الامور الخمسة ، جائت هذه السورة لبيانها وتقريرها . . . وغيرها من المناسبات ، فعلى القارى الخبير التأمل جداً .

و أما الثالثة : فان الله تعالى لما أشار إلى كمال علمه وغاية قدرته ، و إلى جهل الانسان وعجزه بقوله تعالى : « ألم » بان فى هذا الوجود أسرار الاينال بها الانسان ، و إن تقدم العلم ، أخذ بأن هذا تنزيل من رب العالمين ، ثم أشار إلى أبعاد جهل الانسان على طريق الاضراب: جهله بالاسرار ، وجهله بأن هذا الكتاب وحى السماوى ، وجهله بجهله ، وعجزه عن الاتيان بمثله ، ثم أضرب عن الانكار إلى إثبات أنه الحق من ربك ، ومن جاء به فهو رسول من الله تعالى مع الاشارة إلى حكمة التنزيل والرسالة بقوله تعالى : « تنزيل الكتاب ـ إلى ـ لعلهم يهتدون » : ۲ ـ ۳) .

لما ذكر عرض تنزيل الكتاب ، وإرسال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان القوم الذين ارسل إليهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوماً معهم الاصنام يشركونها بالله سبحانه ، ويعبدونها ويتخذونها شفعاء و أولياء لهم أخذ بذكر أدلة التوحيد فى الخلق ، و براهين الربوبية لله تعالى وحده فى الآفاق والانفس ، وآثار القدرة المطلقة الالهية فى هذا الوجود ، وغاية حكمته وعلمه بما كان وما يكون ، ورحمته بعباده و تدبيره

فيأمره . . ليعرفوا بها حق الوهيته ، ويميزوابها بين من يستحق هذا الوصف العظيم ومن لايستحقه مع تجهيل عبدة الاصنام فيماهم عليه والتنديد بهم بقوله تعالى : « الله الذى خلق السموات والارض ـ إلى ـ قليلاً ماتشكرون » : ٤ ـ٩)

قيل : والوجه فيذكر الاستواءعلى العرش بعد ذكرخلق السموات والارض ان الكلام فيإختصاص الربوبية والالوهية بالله وحده ، و مجرد إستناد الخلقة إليه تعالى لاينفع فيإبطال ما يقول به الوثنية شيئاً ، فانهم لا ينكرون إستناد الخلقة إليه وحده وإنما يقولون باستناد التدبير و هوالربوبية للعالم إلىآلهتهم ثم إختصاص الالوهية ، وهي المعبودية بآلهتهم ، ولله تعالى من الشأن انه رب الارباب و إله الآلهة . . .

فكان من الواجب عند إقامة الحجة لابطال قولهم أن يذكرأمر الخلقة ثم يتعقب بأمر التدبير لمكان تلازمهما ، وعدم إنفكاك أحدهما من الآخرحتى يكون موجد الأشياء وخالقها هوالذى يربها ويدبرأمرها ، فيكون رباً وحده و إلهاً وحده كما انه موجد خالق وحده .

ولذلك بعينه ذكرأمرالتدبير بعد ذكرالخلقة فيالاية التى نحن فيها إذ قيل : « خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم مندونه من ولى ولاشفيع »فالولاية والشفاعة كالاستواء على العرش من شئون التدبير .

ان الله تعالى لما بين النشأة الاولى ، و أطوار هذه النشأة العجيبة :أطوار قبل الجنين وأطوارالجنين ، وأطوارالوجود كلها خارقة غيرمألوف ، وإن كانت تتكرر فى كللحظة ، وتقع أمام الانظاروالاسماع ، ولكن الناس عنهاغافلونأخذ. ببيان إعتراض الناس على النشأة الاخرة ، وشكهم فيها ، و بدأ هذا الشك و ذلك الاعتراض غريبين كل الغرابة بقوله تعالى : « وقالواء إذا ضللنا فى الارض ء إنا لفى خلق جديد » انهم يستبعدون أن يخلقهم الله تعالى خلقاً جديداً بعد موتهم

ودفنهم وتحوّل أجسادهم إلى رفات يغيب في الارض ، ويختلط بذراتها ويضلّ فيها.

وهم لايستبعدون غرابة أمام النشأة الاولى لقد بدأ خلقهم من طين من هذه الارض التي يقولون : ان رفاتهم سيضل فيها و يختلط بها ، فالنشأة الاخرة شبيهة بالنشأة الاولى ، وليس فيها غريب ولاجديد .

ثم بيّن العلة مع الزيادة في النعي عليهم والانكار لآرائهم بقوله تعالى : «بل هم بلقاء ربهم كافرون » و من ثم يقولون ما يقولون .

ثم رد عليهم مقالتهم، وشديد إستنكارهم ، مع تهديدهم وتخويفهم ،وإشارة إلى أن القادر على الاماتة قادر على الاحياء بقوله تعالى : « قل يتوفاكم ملك الموت الخ » : ١١)

ان الله تعالى لما أشار إلى مقالة المشركين في البعث بعد الموت و كفرانهم بما أنعمهم الله جل وعلا وإنكارهم المعاد والرد عليهم ، أخذ ببيان أحوالهم عند البعث والحساب والجزاء ، و سؤالهم عندئذ والرد عليهم بانهم لو ردوا إلى الدنيا لعادوا لمانهوا عنه لصميمهم على بقائهم على الكفر والنسيان بلقاء الاخرة ، وعلى الشرك والطغيان، ثم بيان مآل أمرهم مع تقرير السبب لذلك بقوله تعالى : «ولو ترى إذ المجرمون - إلى - بما كنتم تعملون » :١٢ - ١٤)

ان الله تعالى لما بيّن سخافة عقائد المشركين ، وإنحطاط أفكار الكافرين في الحياة الدنيا وسوء أحوالهم وهوانهم في الاخرة أخذ ببيان حسن صفات المؤمنين، ومديح خصال المخلصين في الحياة الدنيا ، وعلوّ درجاتهم في الاخرة ، مع الاشارة أيضاً إلى سوء عاقبة المنحرفين عن الفطرة البشرية ، وإلى علل ذلك الفروق بيّن الاحوال والمآل بقوله تعالى : « إنما يؤمن بآياتنا - إلى - كنتم به تكذبون » : ١٥ - ٢٠) .

ثم أخذ بوعيد الكافرين بعذاب الدنيا بالقتل والسبي ، قبل عذاب الاخرة بالنار ، وبذلة الدنيا قبل هوان الآخرة مع بيان العلة ، ثم ذكر حال من قابل

آيات الله تعالى بالاعراض على طريق العموم ، بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد على طريق الخصوص مع التهديد والوعيد بالانتقام من المعرضين المجرمين بقوله تعالى على طريق التأكيد بالقسم : « ولنذيقنهم من العذاب الادنى - إلى - انا من المجرمين منتقمون » : ٢١ ـ ٢٢)

ان الله تعالى لما بيّن في أول السورة اصولاً ثلاثة اعتقادية : من الرسالة والتوحيد والمعاد حسب ما اقتضته البلاغة والمقام ، أعاد الكلام إلى تأكيد أصل الرسالة ومابه كمالها من الامامة مع تسلية للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتهديد المخالفين المعاندين بقوله تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب ـ إلى - أفلا يسمعون » : ٢٣ ـ ٢٦)

ثم أعاد أصل التوحيد، مع الايماء إلى وقوع البعث ، مقروناً بالوعيد بقوله تعالى : « أولم يروا ـ إلى ـ أفلا يبصرون » : ٢٧)

لما أوعد الله تعالى المشركين بالعذاب الادنى قبل العذاب الاكبر ، أشار إلى ماطلبوا عن وقت وقوعه على طريق الاستهزاء والسخرية ، ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيبهم عن إستبعادهم على طريق التهديد والتوبيخ ، ثم أمره بالاعراض عنهم، وانتظار الفتح بينه وبينهم مع الوعيد بقوله تعالى : « و يقولون متى هذا الفتح ـ إلى ـ وانتظر انهم منتظرون » : ٢٨ ـ ٣٠)

«الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه»

في المجمع والجامع لاحكام القرآن : عن إبن‌عباس انه قال : ان قوله تعالى: «فاعرض‌عنهم» : السجدة : ٣٠) منسوخ بآية‌السيف: « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » التوبة : ٥) قيل: ان الآية غيرمنسوخة إذ قد يقع الاعراض مع الامر بالقتال كالهدنة و غيرها .

أقول: ان آية السجدة بصدد تيئيس للنبي الكريم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عن تأثير الدعوة الحقة في عتاة قريش ، و طغاة المشركين لصميمهم على إدامة العتو والطغيان ، كما ان الاية بصدد تهديدهم بعذاب قريب نظراً لوقوعها بعد مقالتهم : « متى هذا الفتح إن كنتم صادقين » .

مع أن الاعراض عنهم لايعني أن ينقطع عن إنذارهم ، و انما هو اسلوبي بقصد تثبيت النبي الكريم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم و تسليته و دعوته إلى عدم الاغتمام لموقفهم .

و قد رأى بعض المفسرين : ان قوله تعالى : « فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » السجدة : ١٧) من المتشابهات لما بينه و بين قوله تعالى : « و فيها ما تشتهيه الانفس و تلذ الاعين » الزخرف : ٧١) من‌تناف. وليس في كلام‌الله‌تعالى إختلاف إلاّ أن نقول: ان‌الاية من‌المتشابهات...

أقول: و ليس بين الآيتين شائبة التنافي ، فان معنى آية السجدة : فلا تعلم نفس من النفوس في الحياة الدنيا ما اخفى الله تعالى لهـؤلاءِ المؤمنين في الاخرة. . . و إن تعلم بعد أن دخلت في الجنة كما يشير إليه آية الزخرف :

و فى الجنة ما تشتهيه الانفس بعد ما علمت بالدخول فيها ما ادّخر لها .

كما فيحديث قدسى مأثور : يقول الله تعالى : « اعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر علىقلب بشر» أى اعددت لعبادىالصالحين فى الاخرة مالاعين رأت فى الحياة الدنيا . . .

وقالالله تعالى: « و اطيعوا الله و اطيعوا الرسول لعلكم ترحمون وسارعوا إلىمغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين » آلعمران: ١٣٢ ـ ١٣٣) فاذا كان عرضها السمـوات والارض لا يعلمها نفس ، فكيف تعلم طولها و ما فيها ؟ .

و قد أجاب بعض الأفاضل عن تشابه آيـة السجدة : بأن المؤمن يجد من نعيمالجنة ما لم يكن يترقبه ولاكان يتصوره ، فتقر عينه بتلكالنعم الجسام التى منحه الله فوق ما كان يشتهيه ، و زيادة عما كان يتوقعه .

و فى سورة الزخرف : « وفيها ما تشتهيه الانفس و تلذ الاعين » فالاول : ما كان يتصوره من نعيم و ينتظره ، و إن كان قد أتى به متشابها كما قال تعالى : « واتوابه متشابهاً » البقرة : ٢٥) والثانى : ما لم يكنْ يتوقعـه ، و ستقر عينه برؤيتها ، و هذا هو المزيد الموعود به فيقوله تعالى : « للذين احسنوا الحسنى و زيادة » يونس : ٢٦) .

أقول: و الكلام وجه مع التكلف ، و لا حاجة لنا فى تفسير هذه الاية إلى هذا التكلف، فتدبر و اغتنم جداً .

و ذهب بعض المفسرين إلى أن قوله تعالى : « و لو شئنا لآتينا كل نفس هداها . . الاية » السجدة : ١٣) من المتشابهات لما نرى بينها ونظيرها، وبين قولهتعالى: « إناهديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً » الانسان : ٣) ونظيرها تناقضاً صريحاً ، فلا سبيل لنا إلى حلّ هذا التناقض إلاّ أن نقـول : انها من المتشابهات لا يعلمها إلا الراسخون فى العلم .

أقول: و نحن لا نرى تناقضاً فيها، ولا انها من المتشابهات ، حيث ان الله تعالى مشيئتين - على ماستاتيك زيادة توضيح في بحث مذهبي إن شاءالله تعالى - : مشيئة تكوينية لا تتخلف عن المراد ، و مشيئة تشريعية قد تتخلف عن المراد من غير تناف بينهما .

و ان المراد بالمشيئة في الطائفة الاولى من الايات هي المشيئة التكوينية ، و منها آية السجدة ، و في الطائفة الثانية منها هي المشيئة التشريعية .

و معنى آية السجدة : لو أردنا إجبار كل نفس على الهدى لفعلنا ، غير انه « لا اكراه في الدين » فان حكمة التكليف تقتضي منح المكلفين اختيارهم في الاهتداء والطاعة ، أو الضلال والمعصية ، و لو لا ذلك لم يحصل إختبار ، ولا يتميز الخبيث من الطيب، فالالجاء على الهدى يتنافى مع دار التكليف والاختبار .

و قوله تعالى بعد ذلك : « ولكن حق القول مني لأملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين » لا يدل على أنه تعالى حتم عليهم الكفر والعصيان ليدخلوا جهنم .

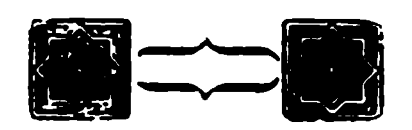
و انما المعنى : ان الله تعالى حق القول منه أن لايكره أحداً على الايمان والطاعة ، بل يجعلهم مختارين في الاهتداء والطاعة ، و في الضلال والمعصية تحقيقاً لحكمة التكليف الذي هو الاختبار ، و لا إختبار مع الالجاء ، و من ثم فمنهم من يؤمن و منهم من يكفر : « فمن شاء فليؤمن ، و من شاء فليكفر » الكهف : ٢٩) .

الامر الذي يؤول في نهاية المطاف إلى دخول كثير من الجنة والناس في النار ، و امتلاء جهنم من الطغاة المستبدين ، من العصاة الكافرين ، و من البغاة المنافقين بسوء إختيارهم و قبح تصرفاتهم في هذه الحياة الدنيا بدليل الآية قبلها : « ولو ترى إذا لمجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً انا موقنون » .

هذا إبداء مرير لغاية الندم على مافرطوا في جنب الله ، الامر الذي يكشف

بوضوح انه لم يكن إلجاء على كفر و لا إكراه على عصيان ، و لا انه تعالى خلق أحداً ليدخل جهنم ، و إنما يدخلها من استحقها بنفسه و اكتسبها بجهده و ألقى بيده إلى التهلكة .

و تدل على ذلك الآية التى بعدها : « فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون » إذ تصرح بالقاء تبعات الامر على عاتقهم ، و انهم هم المسئولين عن موقفهم هذا الفضيح ، و انهم المستحقون العقاب لسوء تصرفاتهم فى الحياة الدنيا ، و تناسيهم لقاء يوم البعث والحساب والجزاء . فعلى ذلك ليست الاية من المتشابهات على مازعموا فتدبروا غتنم جداً .



﴿ تحقيق فى الاقوال ﴾

٢ ـ (تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين)

فى « لا ريب فيه » أقوال : ١ـ قيل : أى لا امكان للريب فيه . ٢ـ قيل: أى لاريب فى أنه نزل من عندالله تعالى . ٣ ـ قيل : إن الجملة خبر ، ومعناها النهى أى لا ترتابوا فيه . والريب أقبح الشك . ٤ ـ قيل : أى انه زال الشك فى أنه كلام ربالعزة لعجزهم عنالاتيان بمثله علىهذا الاسلوب مجملاًومفصلاً، محكماًومتشابهاً . ٥ ـ قيل : أى لاشك فى هذا الكتاب للمهتدين ، و إن كان قد إرتاب فيه الجهال والمبطلون لايعتد بهم لانه ليس بموضع ريبة ولاشك لأنه الحق الذى نزل من عندالله تعالى لا شبهة فيه .

أقول: والاخير هو المؤيد بالآيات الكريمة .

٣ ـ (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنـذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون)

فىالمراد من « قوماً » أقوال : ١ ـ عن إبنعباس ومقاتل: هم أهلالفترة بين عيسى و محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فكانوا كأنهم فى غفلة عما لزمهم منحق نعم الله تعالى عليهم ، و ما خلقهم له من العبادة .

و استشكل عليه بعض المفسرين : بأن معنى الفترة هـو عـدم إنبعاث نبى له شريعة و كتاب، و أما الفترة عن مطلق النبوة فلم نسلّم تحققها، وخلوّ جميع الزمان و هو قريب من ستة قرون من النبى مطلقاً .

٢ـقيل: هم قريش إذ كانوا امة اميّة لم يأتهم نذير من قبل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم و إن أتى غيرهم من قبائل العرب مثل خالد بن سنان العبسى و حنظلة على ما فى بعض الروايات . . .

٣ ـ قيل : كانت الحجة ثابتة لله تعالى عليهم بانذار من تقدم من الرسل، و إن لم يروا رسولاً ، و يندرج فيهم أهل الكتاب إذ يصدق عليهم انه لم يأتهم نذير بعد ضلالهم سوى محمد صلى الله عليه وآله وسلم و لو لم يندرجوا لم يضرّ ، فان تخصيص قوم بالذكر لايدل على نفى ما عداهم كقوله تعالى: « وأنذر عشيرتك الاقربين » .

أقول: و على الثانى جمهور المحققين .

٥ ـ (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون)

وقد إختلفت الاقوال و كثرت و إختلطت فى الاية الكريمة إلى أن إنتهى القول بتشابهها أخيراً ، و نحن نشير إلى أهمها و إلى ما اخترناه .

١ ـ عن إبن عباس : أى يدبر الله تعالى أمر الدنيا ، فينزل القضاء والتدبير والقدر كلها من السماء إلى الارض لكل يوم من أيام الله جل و علا و هو ألف سنة ، ثم يصعد إليه مكتوباً فى الصحف فى كل جزء من أجزاء ذلك اليوم الخ . . ثم يدبر الامر ليوم آخر مثله و هلم جرّاً أو ينزل الوحى مع جبرائيل ، ثم يرجع إليه ما كان من قبول الوحى و ردّه مع جبرائيل أيضاً ، و يرجع الامر و يعود التدبير إلى الله بعد إنقضاء الدنيا و فنائها حتى يقطع أمر الامراء وحكم الحكام ، و ينفرد الله بالتدبير فى يوم كان مقداره ألف سنة و هو يوم القيامة ، فالمدة المذكورة مدة يوم القيامة إلى أن يستقر الخلق فى الدارين .

٢ـقيل: أى يدبر أمر الدنيا أربعة: جبرئيل فانه موكل بالرياح والجنود ، وميكائيل، فانه موكل بالقطر والماء ، وملك الموت، فانه موكل بقبض الارواح ، و إسرافيل ، فانه ينزل بالامر عليهم .

۳ ـ قيل : ان الله جل و علا يدبر الامر من السماء إلى الارض بالملائكة ثم تعرج إليه الملائكة في يوم كان مقداره ألف سنة من أيام الدنيا، فتسير الملائكة في يوم واحد سير ألف سنة إذا سار غير الملائكة من بنى آدم . والمراد بالامر هو الشأن دون الامر المقابل للنهى . قيل : ان العرش موضع التدبير كما ان ما دون العرش موضع التفصيل قال الله تعالى : « ثم استوى على العرش و سخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات » و ما دون السموات موضع التصريف قال الله سبحانه : « و لقد صرّفناه بينهم ليذكروا » .

فالمراد بالسماء هنا إشارة إلى متنزل هذا الامر المدبر ، و هو العرش من سلطان عال متمكن . والمراد بالارض إشارة إلى ما يقضى به الله تعالى فى شأن الناس ، و ما يتصل بعالمهم الارضى ، فانهم كانوا مخاطبين بهذا و مدعوين إلى النظر فيه و تلقى العبرة منه .

وقيل : إن المراد بالسماء مقام القرب الذى ينتهى إليه أزمة الامور دون السماء بمعنى جهة العلو أو ناحية من نواحى العالم الجسمانى ، فان الامر قد وصف قبل العروج بالنزول ، فظاهر العروج انه صعود من الطريق التى نزّل منها ، و لم يذكر هناك الاّ علوّ و هو السماء ، و سفل و هو الارض ، و نزول و عروج ، فالنزول من السماء والعروج إلى الله تعالى يشعر بأن السماء هو مقام الحضور الذى يصدر منه تدبير الامر أو ان موطن تدبير الامر الأرضى هو السماء والله المحيط بكل شيء ينزّل التدبير الارضى من هذا الموطن . قيل : و لعل هذا هو الاقرب إلى الفهم بالنظر إلى قوله تعالى: « و اوحى فى كل سماء أمرها » فصلت :۱۲) .

وقيل: اريد بالسماء جنسها فتشمل الجمع ، و اريد بالارض جنسها فتشمل جميع أرضى السبع ـ ٤ ـ قيل : أى يدبر أمر الشمس فى طلوعها و غروبها و رجوعها إلى موضعها من الطلوع فى يوم كان مقداره فى المسافة ألف سنة .

٥- قيل : أي يدبر المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبراً من السماء إلى الارض ثم يعرج إليه ذلك الامر في يوم طويل ، وهذا كناية عن قلة الاخلاص لانه لايوصف بالصعود ، ولايقوى على العروج إلاّ العمل الخالص. قيل : ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى فيما بعد : « قليلاً ماتشكرون ».

٦- عن مجاهد : أي ان الله تعالى يدبر الامر ، ويقضي أمر كل شيء لألف سنة في يوم واحد ثم يلقيه إلى ملائكته ، فاذا مضى ألف سنة قضى لألف سنة اخرى ثم كذلك أبداً .

٧- قيل : أي خلقهما وما بينهما في هذه المدة يدبر الامور كلها ويقدرها على حسب إرادته فيما بين السماء والارض ، وينزله مع الملك إلى الارض .

٨- قيل : أي يدبر أمر الدنيا إلى أن تقوم الساعة ثم يصير الامر كله إليه ليحكم فيه في يوم مقداره ألف سنة مما كنا نعدّه في هذه الدنيا ، والمراد بالالف الزمن المتطاول ، وليس المقصد منه حقيقة العدد إذ هو عند العرب منتهى المراتب العددية ، وأقصى غاياتها ، و ليس هناك مرتبة فوقه إلاّ ما يتفرع منه من أعداد مراتبها، وان العرب تصف أيام المكروه بالطول ، وأيام السرور بالقصر.

٩- قيل : أي يدبر الامر من السماء إلى الارض مدة الدنيا ، ثم يرجع الامر والتدبير إلى الله في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون في الدنيا ، وفي سورة المعارج : « خمسين ألف سنة » وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر ، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا .

أقول : والثالث هو الانسب بظاهر السياق من ذكر خلق هذا العالم والتدبير في أمره .

وفي قوله تعالى : « ثم يعرج إليه » أقوال : ١- عن يحيى بن سلام : ان جبرئيل يصعد إلى السماء بعد نزوله بالوحي . و قيل : إلى سدرة المنتهى فانه إليها يرتفع مايصعد به من الارض ، و منها ينزل ما يهبط به إليها ، و ان سدرة

المنتهى منتهى سيره في النزول والعروج .

٢- عن النقاش : هو الملك الذى يدبر الامر من السماء إلى الارض . ٣- قيل : أى يرجع ذلك الامر والتدبير إلى الله تعالى بعد إنقضاء الدنيا في يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة . فعروج الامر إلى الله تعالى هو رجوعه إليه بعد أن وقع على ما أراده الله تعالى ، فيعلمه على وقع ، و هذا العلم ليس بحادث ، و إنما هو علم قديم لامور حادثة ،فكل الامور تصدر عن الله ثم تعود إليه بعد أن دارت دورتها المقدرة لها كما قال جل وعلا : « **ألا إلى الله** تصير الامور » الشورى ٥٣).

٤- عن مجاهد : أى يعرج التدبير الذى دبره الله تعالى إليه جل وعلا . و قيل : إلى السماء . و قيل : إلى المكان الذى كان قبل نزوله . ٥- عن إبن شجرة : أى ان أخبار أهل الارض تصعد إلى السماء مع حملتها من الملائكة . و قيل : إلى الله تعالى . وقيل إلى المكان الذى أمره الله تعالى أن يصعد اليه . وقيل : إلى الموضع الذى أمره بالعروج إليه كقول ابراهيم عليه السلام : « انى ذاهب إلى ربى سيهدين » أى إلى أرض الشام التى أمرنى ربى بالذهاب إليها ، ولم يكن الله سبحانه بالشام .

أقول : والثالث هو المؤيد بالرواية الآتية فانتظر .

وفى «يوم» أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك و عكرمة و الحسن والجبائي : ان الامر الذى ينزل من السماء إلى الارض ، والامر الذى يصعد من الارض إلى السماء في يوم واحد . وقدّر ذلك ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا ، فان البعد بين السماء والارض خمس مأة عام ، فالنزول والصعود يصيران ألف سنة . ففى الاية تحديد لما بين السماء والارض من البعد . والدليل على ذلك ان الله تعالى لما ذكر خلق السموات والارض وما بينهما ، فحدّد البعد والمسافة بينهما .

٢- قيل : ان هذا اليوم عبارة عن زمان يتقدّر بألف سنة من سنى العالم،

و ليس بيوم يستوعب نهاراً بين ليلتين لان ذلك ليس عندالله تعالى . وان العرب قد تعبّرعن مدّة العصر باليوم . والمعنى : ان الله تعالى يدبر الامر من السماء إلى الارض ثم يعرج إليه في يوم من الايام الستة التى خلق فيهن الخلق، وكان مقدار ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم . . . عن الضحاك أيضاً .

٣- عن إبن عباس : انه قال : ما أدرى ماهذا اليوم ، فاكره أن أقول فيه : مالاأعلم . ٤- قيل : اريد باليوم هنا الوقت لأن اليوم فى اللغة بمعنى الوقت . والمعنى : تعرج الملائكة إلى المكان الذى أمرهم الله تعالى أن تعرج إليه فى وقت كان مقداره ألف سنة .

وقيل : ولماكان المراد بالسماءِ هوعالم القرب والحضور- وهو ممالاسبيل للزمان إليه - كان المراد انه في وعاءِ وظرف لوطبّق على مقدار حركة الحوادث وزمانها في الارض كان مقداره ألف سنة ، فان من المسلّم ان الزمان الذى يقدّره ما نعدّه من الليل والنهار والشهور والسنين لايتجاوز العالم الأرضى .

٥- عن عكرمة أيضاً : أى في يوم من أيام الاخرة كان مقداره ألف سنة مما تعدون من أيام الآخرة . وقال : ان اليوم فى سورة المعارج عبارة عن أول أيام الدنيا إلى إنقضائها ، وانها خمسون ألف سنة ، لايدرى أحدكم مضى ، وكم بقى إلاّ الله تعالى .

٦- قيل : لوأراد الله تعالى على الكافرين لجعل الله ذلك اليوم مقدار خمسين ألف سنة فان المقامات فى يوم القيامة مختلفة . ٧- قيل : ان مسافة الصعود والنزول إلى السماءِ الدنيا في يوم واحد للملك مقدار مسيرة ألف سنة لغير الملك من بنى آدم ، وإلى السماءِ السابعة مقدار مسيرة خمسين ألف سنة . و قيل : ان الألف سنة للنزول والعروج والخمسين ألف سنة لمدة القيامة .

٨- قيل : ان اليوم هو وحدة من وحدات الزمن عند الناس في هذه الدنيا ، وهومحدود بأربع وعشرين ساعة ، تدور فيها الارض دورة كاملة حول الشمس من

الغرب إلى الشرق . وقد ورد في القرآن الكريم موازنة بين أيام الدنيا هذه ،و أيام اخرى عندالله تعالى ، فكان من تلك الايام ما يوازى ألف سنة من أيام دنيانا كما يقول الله تعالى فى هذه الاية ،وفى قوله : « ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » الحج : ٤٧)

وجاء في موضع آخر من القرآن الكريم ، أن من الأيام عندالله تعالى ما يعدل خمسين ألف سنة من أيامنا . . كقوله : « تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » المعارج : ٤) وهناك أيام تعدل مالاحصر له من أيامنا فى دنيانا هذه .

فتأويل هذا اليوم الذى مقداره ألف سنة ، واليوم الذى مقداره خمسون ألف سنة : هو أن هذين اليومين يوقتان دورتين من دورات الأجرام السماوية فى أفلاكها ، وأن اليوم الذى مقداره ألف سنة من أيام الارض هو يوم كوكب من الكواكب السماوية ، حيث تتم دورته فى فلكه فى ألف سنة . . ويمكن أن يكون هذا الكواكب فى السماء الدنيا . . ويكون فى الحديث عن هذا الكوكب أوعن يومه وطوله بالنسبة ليوم الارض ـ إشارة إلى قصر الحياة على هذه الارض ، ومع هذا ، فان الناس يستعجلون مقامهم فيها ، ويستحثون مطاياهم للارتحال عنها .

وإذا كان فى الكواكب مايتمّ دورته فى يوم مثل فلك الارض ، وكان فيها ما يتم دورته فى ألف سنة ، مثل كثير من الكواكب ـ فان هناك من الكواكب ما يتم دورته فى خمسين ألف سنة . . وهناك مايتم دورة فى آلاف آلاف من السنين . . فهناك أيام كثيرة فى علم الله تعالى ، لدورات الكواكب والنجوم المبثوثة فى ملك الله تعالى . . ولعل هذا هو السّرّ فى تنكير « يوم » فى المواضع الثلاثة التى جاء فيها تحديد الزمن اليومى بألف سنة ، وبخمسين ألف سنة . . فكل يوم منها هو بعض أيام الله تعالى ، فلله جل وعلا أيام لاتحصى فى النظام الذى أقام عليه حركات الكواكب والنجوم التى لايعلمها إلاّ الله تعالى .

أقول: وعلى الخامس أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى: «كان مقداره ألف سنة» أقوال: ١- عن مجاهد: أي كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة من سني الدنيا أي يقضي كل شيء لألف سنة في يوم واحد . ثم يلقيه إلى ملائكته ، فاذامضت قضى لألف سنة اخرى ثم كذلك أبداً . وقيل :ان الله تعالى يدبر الامر من السماء إلى الارض في يوم كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا، ثم يعرج إليه ذلك التدبير الذي دبره بيوم واحد. وقيل :ثم يعرج إليه ذلك التدبير الذي دبره بألف سنة، فالتدبير والعروج كل واحد ألف سنة .

٢- قيل : أي كان مقدار العروج إلى السماء . والمعنى : ان الله تعالى يدبر أمر الدنيا إلى أن تقوم الساعة ثم يعرج هذا الامر إلى الله تعالى فيحكم فيه في يوم كان مقدار العروج ألف سنة . ٣- عن إبن عباس والضحاك : أي كان مقدار العروج لو ساره غير الملك لكان ألف سنة لان النزول خمسمأة سنة ، والصعود خمسمأة سنة . فجبرئيل لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة في يوم من أيامكم .

٤- عن قتادة والسدي : ان الملك ينزل ويصعد في يوم كان مقدار هذا اليوم ألف سنة ، فيكون مقدار نزوله خمسمأة سنة ،ومقدار صعوده خمسمأة سنة، فالملك يقطع هذا المسير في يوم واحد من أيامنا .

٥- قيل : ان هذا المقدار هل هو مقدار النزول واللبث والعروج أو مقدار مجموع النزول والعروج دون اللبث أو مقدار كل واحد من النزول والعروج أو مقدار نفس العروج فقط بناء على أن « في يوم »قيد لقوله : « يعرج إليه »فقط كما وقع في قوله : « تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » المعارج : ٤)

ثم على تقدير كون الظرف قيداً للعروج هل العروج مطلق عروج الحوادث إلى الله أو العروج يوم القيامة ، وهو مقدار يوم القيامة ، و أما كونه خمسين ألف سنة، فهو بالنسبة إلى الكافر من حيث الشقة أو ان الألف سنة مقدار مشهد من مشاهد

يوم القيامة وهوخمسون موقفاً ، كل موقف مقدارألف سنة .

ثم المراد بقوله : « مقداره ألف سنة » هل هوالتحديد حقيقة أو المراد مجرّدالتكثير ، وتحديد البعد بالالف من باب المبالغة بعدم إمكان وصول الانسان إليها لوسافر كما فيقوله : « يود أحدهم لو يعمّرألف سنة » البقرة : ٩٦) أي يعمّرعمراً طويلاً جداً وإن كان هذا الاحتمال بعيداً من السياق .

قيل : والاية ـ كما ترى ـ تحتمل الاحتمالات جميعاً ، ولكل منها وجه . والاقرب من بينها إلى الذهن كون « فييوم » قيداً لقوله : « ثم يعرج إليه » و كون المراد بيوم عروج الامر مشهداً من خمسين مشهداً من مشاهد يوم القيامة والله أعلم . ٦ـ عن إبن زيد : أي مقدارمابين الارض حين يعرج إليه إلى أن يبلغ عروجه ألف سنة ، وهذا مقدارذلك المعراج في ذلك اليوم حين يعرج إليه.

٧ـ قيل : انه إشارة إلى نفوذالامر ، فان نفاذ الامر كلماكان فيمدةأكثر كان حاله أعلى . أي يدبر الامر فيزمان يوم منهألف سنة ، فكم يكون شهر منه، وكم يكون سنة منه ، وكم يكون دهرمنه ، فلافرق على هذا بين ألف سنة و بين خمسين ألف سنة كما فيسورة المعارج .

٨ـ قيل : ان هذه عبارةعن الشدة وإستطالة أهلها إياها كالعادة فيإستطالة أيام الشدة والحزن ، وإستقصار أيام الراحة والسرور . ٩ـ قيل : أي مقدار هذا اليوم الذي يرجع الأمر المدبر إلىالله تعالى ألف سنة .

أقول : والاخيرهو الأنسب والله تعالى هوأعلم .

٧ـ (الذي أحسن كل شيءخلقهوبدأ خلق الانسان من طين)

فيقولهتعالى : « أحسن كل شيءخلقه » أقوال : ١ـ عن إبن عباس ومجاهد وعكرمة : أي أتقن كل شيءوأحكمه من جهة ماهو لمقاصده التي اريد بها، فجعل كل شيء خلقه حسناً حتى جعل الكلب فيخلقه حسناً ، فأحكم كل شيءخلقه، و جاء به على ما أراد ولم يتغيرعنإرادته . والمعنى : انه أحسن خلقه من جهة

الحكمة ، فكل شيء خلقه وأوجده ، فيه وجه من وجوه الحكمة تحسنه .

٢- عن مجاهد أيضاً : أي أحصى كل شيء خلقه ،ولم يخلق الانسان على خلق البهيمة، ولاخلق البهيمة على خلق الانسان. ٣-قيل: أي حسّن خلق كل شيء ثم اعطى كل شيء خلقه فهدى ، ولم يجعل خلق البهائم فى خلق الانسان ولا العكس .فلو تصورت مثلا ان للفيل مثل رأس الحمار ، و للجمل مثل رأس الأسد ، و للانسان مثل رأس الحمار لوجدت في ذلك نقصاً كبيراً وعدم تناسب وإنسجام ،لكنك إذا علمت أن طول عنق الجمل و شق شفته لسهولة تناول الكلأ أثناء السير، وان الفيل لولاخرطومه الطويل لما استطاع أن يبرك بجسمه الكبير لتناول طعامه و شرابه لعلمت ان كل ذلك صنع الله تعالى الذى أتقن كل شيء ، فتبارك الله أحسن الخالقين.

٤- قيل : أى أعلم تعالى و أفهم كل شيء خلقه بأن الانسان إنسان فى بدء خلقته والفرس فرس والحمار حمار كذلك- . . فكل موجود فهو مستقل في خلقه من غير إشتقاق حيوان من حيوان كما توهم بعض من لايرى بين نفسه والقردة فرقاً فهو زمرة القرود لاشأن له فهو وهي .

٥- قيل : ان كل شيء خلقه حسن لانه لايقدر أحد أن يأتى بمثله ، وهو دال على خالقه . ٦- عن قتادة : أى أحسن كل شيء خلقه حسن على نحو ما خلق. ٧- عن مقاتل والسدى : أى ان الله تعالى علم كيف يخلق كل شيء قبل أن يخلقه من غير أن يعلمه أحد من قولهم : فلان يحسن كذا أن يعلمه .

أقول : ولكل وجه من غير تناف بينها .

٩- (ثم سواه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون)

فى « الافئدة » أقوال :١- قيل : الافئدة : القلوب ،وهى جمع الفؤاد بمعنى القلب ، وهى للفكريات أعم من الادراكات الجزئية الخيالية والكلية العقلية .٢- قيل : الافئدة : العقول . ٣- قيل : الافئدة : هى الحواس الباطنة كالقوة المتخيلة

والواهمة والحافظة وما إليها . . .

أقول: و على الاول جمهور المحققين ، والانسب بمعناها اللغوية على أن الفؤاد هو القلب لكن يقال له : فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التوقد ، يقال : فأدت اللحم : شويته ، و لحم فئيد : مشويّ . و ان تخصيص الافئدة تنبيه على فرط تأثير له .

١٠ - (و قالوا ءاذا ضللنا فى الارض ءانا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون)

فى « ضللنا » أقوال : ١- عن مجاهد والضحاك و قتادة : أى هلكنا وبطلنا وصرنا تراباً من ضلّ الماءِ فى اللبن إذا ذهب . و أضلّه : أضاعه و أهلكه . ويقال: أضللت بعيرى : إذا ذهب منك ، وضللت المسجد والدار : إذا لم تعرف موضعهما و كذلك كل شيء مقيم لا يهتدى له . ٢ - قيل : أى خفينا . والعرب تقول للشيء عليه غيره حتى خفى فيه أثره : قد ضلّ . ٣ - عن قطرب : أى غبنا فى الارض . يقال : أضلّ الميت : إذا دفن .

أقول: والمعانى متقارب .

و فى « بلقاءِ ربهم » أقوال : ١ - قيل : أى بلقاءِ جزاءِ ربهم و حسابه ، إذ ليس لهم جحود قدرة الله تعالى على الاعادة لانهم يعترفون بقدرته، ولكنهم اعتقدوا ان لا حساب ولا جزاء بعد الموت ، و انهم لا يلقون الله تعالى ، فكفروا بالبعث حذراً من عقابه و خوف مجازاته إياهم على كفرهم و عصيانهم إياه جل وعلا فهم من أجل ذلك جحد والقاء جزاءِ ربهم يوم الحساب .

٢ - قيل : أى بلقاءِ الجنة . ٣- قيل : بلقاءِ البعث . ٤ - لما كانت الاخرة مجردة عن الجهل والجمود ، فهى قريبة من الله تعالى لخلوها عن عوارض دنيوية، ولهذا لك تعبّر بلقاءِ كأن من ذهب من الدنيا إلى الآخرة يقرب منه تعالى بحيث يلاقيه سبحانه و إن لا يلاقيه . و قيل : لما كانت الاخرة أقرب من الله تعالى من

الدنيا ، فخروج الانسان من الدنيا و مجيئه بالآخرة كأنه يلاقيه سبحانه .

أقول: والثالث هو المؤيد بالرواية الآتية فانتظر .

١٢ـ (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عندربهم ربنا أبصرناوسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً انا موقنون)

في « ترى » أقوال : ١ ـ عن الزجاج : هذا خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و ان مخاطبته مخاطبة لامته . والمعنى: ولو ترى يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم منكرى البعث يوم القيامة لرأيت العجب . ٢ـ قيل: خطاب لكل من له أهلية الخطاب. والمعنى: أيها الانسان .

٣ ـ عن أبي العباس : خطاب لكل مجرم ينكر البعث والحساب والجزاء . والمعنى يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قل للمجرم : و لو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم لندمت على ما كان منك .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين و هو الظاهر .

وفي « ربنا أبصرنا و سمعنا » أقوال : ١ـ قيل : أي أبصرنا الرشد وسمعنا الحق . ٢ـ قيل : أي أبصرنا صدق ما أنكرنا من البعث ، و صدق وعدك و وعيدك من الحساب والجزاء ، و سمعنا تصديق رسلك فيما كذبناهم فيه . ٣ ـ قيل: أي انا كنا بمنزلة العمى فقد أبصرنا ، و بمنزلة الصم في الدنيا فسمعنا في الاخرة .

٤ ـ قيل : أي أبصرنا بالمشاهدة ، و سمعنا بالطاعة . ٥ ـ قيل : أي ربنا لك الحجة ، فقد أبصرنا رسلك ، و عجائب خلقك في الدنيا ، و سمعنا كلامهم فلا حجة لنا ، فهذا إعتراف منهم . قيل : أي أبصرنا ما كنا شاكين في وقوعه من عقابك أهل معاصيك ، وسمعنا منك تصديق رسلك و ما تأمرنا به في الدنيا .

أقول: والثاني هو الانسب بظاهر السياق من غير تناف بينه وبين الاقوال الاخر فتدبر جيداً . وفي « انا موقنون » أقوال : ١ـ عن النقاش: أي انا مصدقون بالآخرة والبعث والحساب والجزاء . ٢ ـ عن يحيى بن سلام: أي موقنون بالذي

جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانه حق . وصفوا أنفسهم بالايمان يومئذ طمعاً فيما طلبوه من إرجاعهم إلى الدنيا . ٣ ـ قيل : أى انا موقنون انها قد زالت عنهم الشكوك التى كانت تخالطهم فى الدنيا لما رأوا ما رأوا و سمعوا ما سمعوا .

أقول: و لكل وجه بلا تناف بينها .

١٣ ـ (و لو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين)

فى « و لو شئنا لآتينا كل نفس هداها » أقوال : ١ ـ قيل : أى لو شئنا لهدينا الناس كلهم ، فلم يكفر منهم أحد فى الحياة الدنيا ، و لم يختلف منهم أحد ، بأن نفعل أمراً من الامور يلجئهم إلى الاقرار بالتوحيد و تصديق النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بل كل نبى من أنبياء الله تعالى ، و إلى الطاعات وصالح الاعمال ، ولكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف لان المقصود به إستحقاق الثواب والالجاء لا يثبت معه إستحقاق الثواب .

٢ـ عن الجبائى: أى ولو شئنا لأجبناهم و رددناهم إلى الحياة الدنيا والمحنة كما سئلوا ليؤمنوا بالله تعالى و رسله و كتبه وباليوم الاخر، ويعملوا الصالحات ولكن حق القول منى أن اجازيهم بالعقاب و لا اردّهم لحصول ملكة الكفر والطغيان لهم تقتضى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين الذين حصلت لهم ملكة الكفر ، و صبغت فطرتهم و طبيعتهم صبغة الشرك والعصيان .

٣ ـ قيل : أى و لو شئنا لآتينا كل نفس هداها فى التشريع كما آتيناها فى التكوين ، ولكن إقتضت إرادة الله تعالى أن يكون لهذا الانسان طبيعة خاصة فى التشريع يملك معها الهدى والضلالة ، و يختار الهداية أو يحيد عنها .

٤ ـ قيل : أى لو شئنا أن نعطى كل نفس سواء كانت من المؤمنة أم من الكافرة الهدى الذى يختصّ بها و يناسبها لأعطيناه لها بأن نشأ من طريق اختيار الكافر و إرادته أن يتلبس بالهدى ، فيتلبس بها من طريق الاختيار ، والارادة

كما شئنا في المؤمن كذلك، فتلبس بالهدى باختيار منه ، و إرادة من دون أن ينجرّ إلى الالجاء والاضطرار ، فيبطل التكليف و يلغو الجزاء .

٥ - قيل : أي و لو شئنا لآتينا كل نفس هداها بأن نجعل الناس كلهم امة واحدة في الوصول إلى الجنة على أن المراد بالمشيئة هنا إرادة الهداية إلى طريق الجنة والوصول اليها .

أقول: و على الاول جمهور المحققين و قريب منه الثالث والرابع .

١٤- (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون)

في « بما نسيتم لقاء يومكم » أقوال : ١ - قيل : أي لم تعملوا لهذا اليوم فكنتم بمنزلة الناسين . أي تجاهلتم وغفلتم عن هذا اليوم . على أن هذا النسيان من النسيان الذي لا ذكر معه عمداً .

٢ - عن الضحاك ويحيى بن سلام : أي بما تركتم الايمان بالبعث والحساب والجزاء في هذا اليوم . ٣ - قيل : أي تركتم الفكر في دلائل البعث والحساب والجزاء . ٤ - قيل: أي تركتم ما آمركم الله تعالى به منّ الايمان وصالح الاعمال و كفرتم به و عصيتموه .

أقول: و على الثاني أكثر المفسرين ، و هو الانسب بظاهر السياق .

و في « انا نسيناكم » أقوال : ١ - عن السدي و قتادة : أي تركناكم من الخير والرحمة الخاصة . ٢ - عن مجاهد : أي تركناكم في العذاب . ٣ - عن إبن عباس: أي تركناكم إطلاقاً . على أن النسيان من الله تعالى هو الترك لا للغفلة كما ان ترك التذكر من الانسان قد يكون للغفلة ، و قد يترك التذكر عمداً . و ان النسيان هو ذهول صورة الشيء عن الذاكرة ، و يكنّى به عن عدم الاعتناء بما يهمّ الشيء . والمعنى: فاذا كان من القضاء إذاقة العذاب لمتبعي إبليس فذوقوا العذاب بسبب عدم إعتنائكم بلقاء هذا اليوم حتى جحدتموه و لم تعملوا صالحاً

تثابون به فيه لأنالم نعتن بما يهمّكم فى هذا اليوم من السعادة والنجاة .

أقول: و على الثالث أكثر المفسرين .

۱۵ - (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجداً و سبحوا بحمد ربهم و هم لا يستكبرون)

فى « خرّوا سجداً » أقوال : ۱ـ عن إبن‌عباس: أى سقطوا ركعاً و انحنوا راكعين لقوله تعالى : « و خرّوا راكعاً و أناب » . ۲ـ قيل: أى سقطوا سجداً لله تعالى على وجوههم تعظيماً لآياته و خوفاً من سطوته و عذابه . ۳ ـ قيل : أى ساجدين شكراً لله تعالى على أن هداهم بمعرفته وأنعم‌عليهم بفنون نعمه . . .

أقول: و على الثانى أكثر المفسرين .

وفى « سبحوا بحمد ربهم » أقوال : ۱ـ قيل: أى خلطوا التسبيح بالحمد أى نزّهوه وحمدوه ، فيقولون فى‌سجودهم : سبحان الله و بحمده ، سبحان ربى الاعلى و بحمده . تنزيهاً لله تعالى عن قول المشركين ، فيبرؤنه مما يصفه أهل الشرك ، و يضيفون إليه من الصاحبة والولد والشركاء والانداد . . .

۲ـ قيل : أى صلّوا حمداً لربهم . ۳ـ قيل : نزّهوه جل‌وعلا عما لايليق به من الصفات و عظّموه و حمدوه مقارناً للثناء الجميل عليه .

أقول: والثالث هو الظاهر .

وفى « لايستكبرون » أقوال : ۱ـ قيل: أى و هم لايستكبرون عن الايمان والطاعة ، و عن صالح الاعمال . . . ۲ ـ عن النقاش : أى و هم لا يستكبرون كما استكبر أهل مكة عن السجود له تعالى ، و لا يستنكفون عن التذلل له والاستكانة . ۳ ـ عن يحيى بن سلام : أى لا يستكبرون عن عبادة الله تعالى ولا يستنكفون من طاعته ، و لا يأنفون أن يعفروا وجوههم صاغرين له .

أقول: والاخير هو الانسب بظاهر السياق.

۱۶ ـ (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طمعاً و مما

رزقناهم ينفقون)

في « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » أقوال : ١ ـ عن قتادة و عكرمة : أي يتركون الاضطجاع للنوم شغلاً بالصلوات ، و هي ما بين المغرب والعشاء من النوافل و هي صلاة الأوابين . ٢ ـ قيل : عني بها صلاة المغرب فقط ، فهم لاينامون قبل أن يقيموا صلاة المغرب . ٣ ـ عن الحسن و عطاء : اريد بها صلاة العشاء فقط يقال لها : العتمة ، و هم لا ينامون قبل صلاة العشاء كما كان بعض الاصحاب ينامون قبلها .

٤ ـ عن الحسن و عطاء أيضاً و إبن زيد و مجاهد : هي النافلة الليلية قبل طلوع الفجر . ٥ ـ عن إبن عباس والضحاك : هذه صفة قوم لا تخلو ألسنتهم عن ذكر الله تعالى فهم لا يزالون يذكرون الله قياماً و قعوداً ، فتتجافى جنوبهم لذكر الله تعالى لا للصلاة فقط بل إما في الصلاة وإما في قيام أو قعود أوعلى جنوبهم.

٦ـ قيل: أي هم يجافون جنوبهم عن مضاجعهم للتهجد . والمراد ان نومهم قليل ، و سهرهم كثير لانقطاعهم إلى الله تعالى ، فترتفع جنوبهم ، و تنبو عن مواضع الاضطجاع . و قيل : عن وقت الاضطجاع للصلاة . ٧ ـ قيل : هم الذين يصلون العشاء والفجر بجماعة .

أقول: والتعميم هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر .

و في « و مما رزقناهم ينفقون » أقوال : ١ ـ قيل : اريد بالانفاق الزكاة المفروضة . والمعنى : و ينفقون بعض ما رزقناهم في سبيل الله و يؤدّون منه حقوق الله تعالى التي أوجبها عليهم فيه . ٢ ـ قيل : اريد به الصدقات المندوبة . ٣ ـ قيل : يظهر من عموم السياق الشمول للمفروض والمندوب .

أقول: والأخير غير بعيد .

١٧ ـ (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بماكانوا يعملون)

في « ما اخفي لهم » أقوال : ١ ـ قيل ان فائدة الاخفاء ان الشيء إذا عظم

و جلّ قدره لاتستدرك صفاته على كنهه إلاّ بشرح طويل ، و مع ذلك فيكون إبهامه أبلغ . ٢ـ ان هذا الجزاء لما كان فوق علمهم و تصورهم أخفاه ٣ـ قيل: ان الله تعالى جعل هذا الجزاء إزاء صلاة الليل ، وهي خفية ، فكذلك ما بازائها من جزائها . ٤ ـ قيل : ان قرة العيون غير متناهية ، فلا يمكن إحاطة العلم بتفاصيلها . . . ٥ ـ قيل : لما كانت الاعمال الصالحة منهم خفية جعل الله تعالى جزاءهم بها خفية ، و لم يطلع عليه أحداً .

أقول: و لكل وجه ، و كل مؤيد بالروايات الآتية فانتظر .

١٨ ـ (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون)

في « لا يستوون » أقوال : ١ ـ قيل : أي لا يستوون في العقيدة والعمل في الحياة الدنيا ، فان المؤمن يؤمن بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و كتابه وباليوم الاخر ، والفاسق هو الكافر بالله و رسوله و كتابه و باليوم الاخر ، والمؤمن يطيع الله و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و يأتمر بأوامره و ينتهي عن نواهيه و يعمل صالح الاعمال ، والفاسق يعصيه و يرتكب النواهي و يترك الاوامر و يسعى في الارض فساداً . . .

٢ ـ قيل : أي لا يستوون في الدنيا عند الناس ، فانهم يرون المؤمن بما لايرون الفاسق ، وللمؤمن عندهم كرامة و حرمة ما ليس للفاسق عندهم منهما. ٣ ـ قيل : أي لايستوون عندالله تعالى في الحياة الدنيا، فان للمؤمن عيشاً هنيئاً فيها، وللفاسق معيشة ضنكاً . ٤ـ قيل : أي لايستوون عندالله تعالى ولاعندالناس. ٥ ـ قيل : أي لايستوون عند الموت . ٦ـ قيل : أي لايستوون في القبر والبرزخ . ٧ ـ قيل : أي لا يستوون عند الحشر و أهوال الاخرة . ٨ ـ قيل : أي لا يستوون عند الحساب والجزاء . ٩ ـ قيل : أي لا يستوون في الكرامة والعزة . ١٠ـ قيل: أي لايستوون في الدنيا ولافي الموت ولافي القبر ولافي الحشر، ولافي الاخرة ولافي الحساب والجزاء .

أقول: والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

١٩ ـ (أما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون)

فى « نزلاً » أقوال : ١ـ عن الحسن : أى عطاءاً بما كانوا يعملون . ٢ـ عن الكسائى : أى ينزلهم الله تعالى فى الجنة نزلاً كما ينزل الضيف يعنى انهم فى حكم الاضياف . و « نزلاً » على هذا مصدر . ٣ـ قيل: أى ضيافة . و « نزلاً » كل ما يعدّ للضيف و يهيّأ للنازل فى بيت من الطعام والشراب و غيرهما . ثم عمّم لكل عطية .

٤ـ قيل: أى منزلاً كريماً يأوون إليه و ينزلونه حيث يجدون فيه الحياة الطيبة الهنيئة . ٥ ـ قيل : أى إنزالاً من الله تعالى إياهم فى الجنة التى نزلوها. ٦ ـ قيل : أى ثواباً . ٧ ـ قيل : أى رزقاً .

أقول: و لكل وجه من غير تناف بينها .

٢١ـ (و لنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون)

فى « العذاب الادنى » أقوال : ١ ـ عن إبن عباس والحسن و أبى العالية والضحاك و ابىّ بن كعب و إبراهيم : أى مصائب الدنيا فى الانفس و أسقامها و بلائها و محنها . . . و فى الاموال . . . و ما يبتلى به العبد حتى يتوبوا إلى الله تعالى من الكفر إلى الايمان ، و من المعصية إلى الطاعة . ٢ ـ عن إبن عباس أيضاً وعكرمة : عنى بالعذاب الادنى الحدود . ٣ـ عن ابى بن كعب أيضاً و إبن مسعود و عبدالله بن الحارث و قتادة والسدى : أى القتل بالسيف كما فى يوم بدر .

٤ ـ عن إبراهيم أيضاً : عنى بذلك سنون إصابتهم التى أجاعهم الله تعالى فيها . ٥ ـ عن مجاهد والبراء إبن عازب : أى عذاب القبر . ٦ ـ عن إبن زيد : عنى بذلك عذاب الدنيا قبل موتهم كى يرجعوا بتعذيبهم العذاب الادنى فيتوبوا . ٧ ـ قيل: اريد به عذاب الرجعة بالسيف لعلهم يرجعون فى الرجعة حتى يعذبون .

۸ ـ قيل : اريد به العذاب يوم القيامة بالفزع قبل دخولهم في النار .

۹ ـ عن مجاهد أيضاً : اريد به القتل والجوع لقريش . ۱۰ ـ عن ابي بن كعب أيضاً : اريد به البطشة واللزام والدخان . ۱۱ ـ قيل : العذاب الادنى : الدابة والدجال . ۱۲ ـ عن مجاهد أيضاً و مقاتل : اريد به الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والكلاب . . .

أقول: والثالث هو الانسب بسياق التهديد و قوله تعالى حكاية عنهم : « متى هذا الفتح » من غير تنـاف بينه و بين بعض الاقوال الاخر فتامل جيداً .

وفي «العذاب الاكبر» أقوال: ۱ـ عن مجاهد وعبدالله والحسن و إبن زيد: أي عذاب جهنم يوم القيامة . ۲ـ قيل: أي القتل والسبي. ومعنى «لعلهم يرجعون» : يرجع من بقي منهم إلى الايمان . وقيل: أي لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه . وقيل : أي ليرجع الآخرون عن أن يذنبوا مثل ذنوبهم . ۳ـ قيل : أي بالسيف عند خروج المهدي عليه السلام . ٤ ـ عن القشيري : أي عذاب القبر .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين .

۲۳ ـ (و لقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه و جعلناه هدى لبني اسرائيل)

في « فلا تكن في مرية من لقائه » أقوال : ۱ ـ عن إبن عباس و مجاهد و قتادة والسدي : أي فلا تكن يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في شك من لقائك موسى عليه السلام و ذلك لانه صلى الله عليه وآله وسلم لقاه عليه السلام ليلة الاسراء . والمعنى : فلا تكن في شك من انك لقيته ليلة الاسراء أو ستلقاه ، و ذلك لان السورة إن كانت نازلة بعد المعراج فهو تذكرة لما قد وقع ، وإن كانت نازلة قبله فهو وعد من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سيراه ، و قد ورد انه صلى الله عليه وآله وسلم قال : رأيت ليلة اسرى بي موسى بن عمران رجلا آدم طوالا جعداً كأنه من رجال شنؤة ـ قبيلة من اليمن ـ و رأيت عيسى بن مريم رجلا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس . فعلى هذا فقد

وعد صلى الله عليه وآله وسلم انه سيلقى موسى عليه السلام قبل أن يموت .

٢ـ قيل: أى فلا تكن فى شك من لقائك موسى عليه السلام يوم القيامة ، وستلقاه فيه . ٣ ـ عن مجاهد أيضاً والزجاج : أى فلا تكن فى شك من لقاء موسى الكتاب بالقبول والرضا ، فان موسى عليه السلام تلقى التوراة لنفسه بالقبول والرضا .

٤ ـ عن الحسن : أى و لقد آتينا موسى الكتاب فاوذى و كذب ، فلا تكن فى شك من أنه سيلقاك ما ألقاه من التكذيب والأذى ، فالضمير فى «لقائه» راجع إلى المحذوف أى من لقاء مالاقاه .

٥ ـ قيل : فى الكلام تقديم و تأخير والمعنى: قل : يتوفاكم ملك الموت الذى و كل بكم فلا تكن فى مرية من لقاءه فجاء معترضاً بين « و لقد آتينا موسى الكتاب » و بين « جعلناه هدى لبنى اسرائيل » . ٦ ـ قيل : أى لقينا موسى عليه السلام مثل ما لقيناك من الوحى، فلاتك فى شك من انك لقيت مثله ، واللقاء بمعنى التلقين والاعطاء كقوله تعالى : « و انك لتلقى القرآن » . ٧ ـ قيل : أى من لقائك الكتاب .

٨ ـ قيل: أى من لقاء الكتاب إياك . فالضمير راجع إلى القرآن المذكور ضمناً فى الاية السابقة بانه كتاب من عندالله تعالى مثل الكتاب الذى جاء به موسى ، والذى كانوا يتمنون أن يكون لهم كتاب مثله .

٩ ـ قيل : ان الضمير راجع إلى الله تعالى والمراد بلقائه البعث بعناية انه يوم يحضرون لربهم لا حجاب بينه و بينهم ، والمعنى : فلا تكن فى مرية من البعث الذى ينطق به القرآن بالشك فى نفس القرآن . ١٠ـ قيل : ان المراد بلقاءه الانقطاع التام إلى الله تعالى عند نزول الوحى القرآنى أو بعضه ، فيكون رجوعاً إلى ما فى صدر السورة من قوله تعالى : « تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين » .

أقول: والسادس غير بعيد ، و قريب منه السابع والثامن والعاشر .

وفى « جعلناه هدى » أقوال : ١ـ عن قتادة : أى جعلنا موسى عليه السلام هادياً . فالمصدر بمعنى إسم الفاعل . ٢ ـ عن الحسن : أى جعلنا الكتاب سبباً للهداية . ٣ ـ قيل: أى جعلنا كل واحد من موسى عليه السلام والكتاب النازل عليه وهو التوراة هداية . و ان الهداية مصدر جيئت للمبالغة .

أقول: و على الثانى جمهور المفسرين .

٢٤ ـ (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)

فى « و جعلنا منهم أئمة » أقوال : ١ ـ قيل : أى جعلنا من بنى إسرائيل قدوة يقتدى بهم الناس فى دينهم . ٢ ـ عن قتادة : اريد بالائمة الانبياء الذين كانوا فيهم يدلّون الناس على صراط مستقيم بأمر الله . ٣ـ قيل : اريد بهم الفقهاء والعلماء منهم . ٤ ـ عن قتادة أيضاً : أى رؤساء فى الخير يقتدى بهم يهدون الناس إلى أفعال الخير باذن الله تعالى . ٥ ـ قيل : هم النقباء و رؤساء الاسباط الاثنى عشر الذين كانوا كالولاة على بنى إسرائيل يتولون امورهم، وان نسبة بنى اسرائيل إلى أسباطهم بوجه كنسبة اولى الامر إلى الأفراد فى هذه الامة الاسلامية ، فلهم المرجعية فى الامور الدينية والدنيوية غير انهم لايتلقون وحياً ولايشرّعون شريعة.

أقول: والاخير هو الانسب بما ورد فى المقام من الروايات فانتظر .

و فى «بأمرنا» أقوال : ١ـ قيل : أى أمرناهم بذلك . ٢ـ قيل: أى لأمرنا. ٣ ـ قيل : أى يهدون الناس لديننا . ۴ ـ قيل : أى باذننا إياهم وتقويتنا إياهم على الهداية والارشاد .

أقول: والاخير هو المؤيد بالروايات الآتية .

وفى « لما صبروا » أقوال : ١ـ قيل : أى حين صبرهم على الدين والطاعة. ٢ـ قيل: أى لصبرهم على البلاء من عدوهم جعلناهم أئمة . ٣ـ قيل : اى بسبب صبرهم عن الدنيا حين عزفوا أنفسهم عن لذاتها و شهواتها . . .

أقول: والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

٢٥ ـ (ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)

في الاية أقوال : ١ - قيل : أى ان الله تعالى يقضى و يحكم بين المؤمنين والكفار، فيجازى كلاً بما يستحق. ٢- قيل: أى يقضى بين الانبياء و بين أقوامهم.
٣ - أقول : والتعميم هو المستفاد من ظاهر الاطلاق.

٢٧- (أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم و أنفسهم أفلا يبصرون)

في « الارض الجرز » أقوال : ١ - عن الفراء : أى الارض اليابسة الجافة التي لانبات فيها ، إما لعدم الماء و إما لانه رعي و ازيل . ولا يقال للتي لاتنبت كالسباخ : جرز . ٢ - عن إبن عباس : هي أرض باليمن و هي قرى بين الشام واليمن . ٣ - عن مجاهد : هي أبين . ٤ - عن عكرمة : هي الارض الظمآى . ٥ - عن الضحاك : هي الارض الميتة العطشى . ٦ - عن الاصمعي : هي الارض التي لا تنبت شيئاً .

٧ - عن مجاهد أيضاً : هي أرض النيل . ٨ - قيل : هي الارض التي لا أنهار فيها ، و هي بعيدة من البحر ، و إنما يأتيها في كل عام و دان ، فيزرعون ثلاث مرات في كل عام .

أقول: والاول هو الانسب بمعناه اللغوى ، والباقى من المصاديق . . .

٢٨ - (و يقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين)

في « هذا الفتح » أقوال : ١- عن قتادة : الفتح : القضاء بعذابهم في الدنيا وهو يوم بدر . و ذلك لان المسلمين كانوا يقولون: ان الله تعالى سيفتح لنا على المشركين أى ينصرنا عليهم ، ويفتح بيننا و بينهم ، فاستعجل المشركون ذلك .
٢ - عن الفراء والقتبى : يعنى فتح مكة .

٣ - عن مجاهد : أى الحكم بالثواب والعقاب يوم القيامة ، و ذلك لان المؤمنين لما قالوا : سيحكم الله تعالى بيننا يوم القيامة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء ، فقال المشركون على طريق الاستهزاء : متى هذا الفتح أى هذا الحكم .

ويقال للحاكم : فاتح وفتاح لان الاشياء تنفتح على يديه ، وتنفصل، وفى القرآن الكريم : « ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق » ۴ ـ قيل : أى الفصل والقضاء بين النبى الكريم صلى الله عليه و آله وسلم و بين الامة فى آخر الزمان عند الرجعة .

أقول: و ما يظهر من السياق ان المراد بالفتح هو الفتح الدنيوى ، و إن كان أكثر المفسرين على الاول من غير تناف بينه وبين الثانى والرابع فتدبر جيداً.

٢٩ ـ (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم و لا هم ينظرون)

فى « يوم الفتح » أقوال : ١ ـ عن مجاهد : أى يوم يحكم فيه الله تعالى بيننا و بينكم لمن يكون الثواب ، و لمن يكون العقاب ، و هذا يوم القيامة ، وهو يوم الفصل والقضاء بين الانبياء عليهم السلام و اممهم ، وبين المؤمنين والكافرين .

٢ـ قيل :أى يوم فتح مكة . ٣ـ قيل: أى يوم الرجعة . ۴ ـ عن إبن زيد: أى يوم العذاب. ٥ـ قيل: أى يوم بدر . ٦ـقيل: أى يوم ظهور المهدى المنتظر عليه السلام.

٧ ـ قيل : أى يوم الاحتضار . ٨ ـ قيل : أى يوم يحلّ بهم بأس الله تعالى وسخطه فى الدنيا بالقتل والاسر . . . و فى الآخرة بالنار والعذاب .

أقول: هذا جواب عما تقدم ، و قد سبق ما اخترناه فيه فراجع .

٣٠ ـ (فاعرض عنهم و انتظر انهم منتظرون)

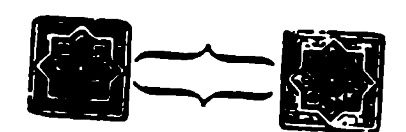
فى « فاعرض عنهم » أقوال : ١ ـ قيل : أى فأعرض عن المشركين بعد ما بلغت الحجة و اتممتها عليهم . ٢ ـ قيل : أى فاعرض عن أذاهم . ٣ ـ أى فاعرض عن سفههم ، و لا تجبهم إلاّ بما امرت به .

أقول: و لكل وجه من غير تناف بينها .

وفى « وانتظر انهم منتظرون » أقوال: ١ـ قيل: أى انتظر عذاب المشركين فى الاخرة لانهم منتظرون هلاكك . ٢ـ قيل: أى وانتظر هلاكهم فى الحياة الدنيا، فانهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم يعنى انهم هالكون لا محالة و انتظر ذلك ، فان الملائكة فى السماء ينتظرونه .

٣ - قيل : أى انتظر أمر الله تعالى و حكمه عليهم لانهم مصرّون على غيّهم وعنادهم، حتى يظهر الله تعالى الحق على الباطل، والمحق على المبطل . ٤- قيل: أى انتظر موعدى ونصرتى اياك عليهم ، و انهم منتظرون موتك أو قتلك حتى ينقطع دابر دعوتك الحقة .

أقول: والاخير هو الانسب بظاهر السياق.



«التفسير والتأويل»

١- (ألم)

سرّ من أسرار إلهيّة بين الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومن عنده علم الكتاب من أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين.

وهذا مما ليس العلم به في الكتاب علينا فرضه، ولا في سنة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة الهدى عليهم السلام أثره، فلابدلنا من دعة علمه إلى الله جل وعلا وإلى مهبط الوحي، فان ذلك منتهى حق الله تعالى علينا.

٢- (تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين)

ذلك - ما يوحى إليك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم - تنزيل الكتاب عليك لاريب فيه، فانه وحي منزل من رب العالمين.

و من البديهي ان القرآن الكريم ليس بموضع ريبة وشك لمن تدبّر و اهتدى، وإن كان قد ارتاب فيه من استكبر وطغى.

قال الله تعالى: «وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين» الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤)

وقال: «وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم» النمل: ٦)

وقال: «الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» الزمر: ٢٣)

وقال: «وإذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايماناً،

فأما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون » التوبة : ١٢٤ ـ ١٢٥)

وقال : « ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفاً اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواء هم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم » محمد ﷺ : ١٦ ـ ١٧)

وقال : « ءانزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى » ص : ٨)

٣ـ (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون)

بل يقول هؤلاءِ المشركون بالله سبحانه من عبدة الاصنام ، ومردة الاوثان أولئك الضالون المعاندون الذين ينكرون الحق ويمارون فيه : إختلق محمد ﷺ هذا الكتاب من تلقاءِ نفسه وإفتعله من تكذبه ، وإفتراه على الله كذباً ، وليس نازلاً عليه من عندالله .

قال الله تعالى : « وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك إفتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلماً وزوراً و قالوا أساطير الاولين إكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » الفرقان : ٤ ـ ٥)

و قال : « و إذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباءكم وقالوا ماهذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين » سبأ : ٤٣)

وقال : « وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لونشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الاولين » الانفال : ٣١)

وقال : « أم يقولون افترى على الله كذباً » الشورى : ٢٤)

وقال : «والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر ـ ولقد نعلم انهم يقولون إنما يعلمه بشر» النحل : ١٠١ ـ ١٠٣)

قوله تعالى : « بل هو الحق من ربك » ليس الامر على ما يزعمون ،وإنما

هذا الكتاب هو الحق والصدق الذى نزل عليك من عند ربك أيها النبى الكريم ﷺ.

قال الله تعالى: «والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه» فاطر: ٣١)

وقال: «الذى انزل إليك من ربك هو الحق» سبأ: ٦)

وقال: «وبالحق أنزلناه وبالحق نزل» الاسراء: ١٠٥)

وقوله تعالى: «لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك» أنزل إليك هذا الكتاب لتنذر به قوماً بأس الله جل وعلا وسطوته أن يحل بهم على كفرهم و شركهم بالله سبحانه، على طغيانهم وتكذيبهم بكتابه، وعلى تمرّدهم وعصيانهم رسوله ﷺ ما أتاهم من نذير من قبلك أن ينذرهم بأس الله على كفرهم، و أن يبين لهم سبيل الرشاد... وقد نزل عليك هذا الكتاب لتنذرهم به لعلهم يهتدون بهذا الكتاب الذى يخاطب الفطرة البشرية والقلوب، فليتبينوا با نذارك سبيل الحق والصواب، وسبيل السعادة والنجاة، فيعرفوا الحق ويؤمنوا به، ويعلموا أن محمداً ﷺ لم يختلقه ولم يفتعله كما كانوا يزعمون. فهدايتهم مرجوة بهذا الكتاب.

قال الله تعالى: «وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ـ إن هو إلاّ نذير لكم بين يدى عذاب شديد» سباء: ٤٤ ـ ٤٦)

وقال: «والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون» يس: ٢ ـ ٦)

وقال: «كذلك أرسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم لتتلوا عليهم الذى أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن» الرعد: ٣٠)

وقال: «كتاب انزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به و ذكرى للمؤمنين» الاعراف: ٢)

وقال: «ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكّرون» القصص: ٤٦)

٤ـ (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى

على العرش مالكم من دونه من ولى ولاشفيع أفلا تتذكرون)

الله جل وعلا هو الذى أبدع وأوجد السموات والارض ، وما بينهما من الخلق بعد أن لم تكن شيئاً فى مقدار ستة أيام من أيام الدنيا من يوم الأحد إلى آخر يوم الجمعة ، ثم استوى أمره على الملك والتدبير .

قال الله تعالى : « ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » الاعراف : ٥٤)

وقد يرى بعض أصحاب الجمود ان بين الاية ونظيرها فى مواضع سبعة من القرآن الكريم بأن الله تعالى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ، و بين قوله جل وعز : « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها و للارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين و اوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم » فصلت : ٩ ـ ١٢)

تناقضاً على أنه يظهر من آيات فصلت : ان الله تعالى خلق السموات والارض وما بينهما فى ثمانية أيام إذ قال : « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين » : ٩)

وقال : « وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها و قدر فيها أقواتها فى أربعة أيام » : ١٠) وقال : « فقضاهن سبع سموات فى يومين » : ١٢) فهذه ثمانية أيام، وليس هذا إلاّ التناقض فى الكلام ؟

والجواب : ان الله تعالى خلق الارض فى يومين ـ الاحد والاثنين ـ وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الشجر والماء يوم الاربعاء فتلك أربعة أيام .فالتقدير: ان الله تعالى قدّر الاقوات فى تتمة أربعة أيام من بدء الخلق ـ فيومان لخلق الارض

و يومان ـ وهما تتمة أربعة أيام فى خلق ما بين السموات والارض و منه تقدير الاقوات . فاليومان الاولان داخلان فى حساب الايام الاربعة و من جملتها كما تقول : خرجت من بلدة قم المشرفة إلى النجف الاشرف فى عشرة أيام وإلى المدينة المنورة فى عشرين يوماً وإلى مكة المكرمة فى ثلاثين يوماً أى عشرة إلى النجف و عشرة إلى المدينة وعشرة إلى مكة فتكون الرحلات الثلاث فى ثلاثين يوماً لا فى ستين يوماً .

وقوله تعالى : « فقضاهن سبع سموات فى يومين » وهما يوم الخميس ويوم الجمعة ، فهذه ستة أيام . . . وعليه فلاتناقض بين الآيات . . . بل ماجاء فى سورة فصلت تفصيل لما جاء فى مواضع سبعة من القرآن الكريم اجمالاً .

وقيل: ان المراد بتقدير أقواتها فى أربعة أيام: أربعة فصول ، فالمراد بيان تقدير أقوات الارض وأرزاقها فى الفصول الاربعة من السنة لاخلق أقواتها فى أربعة أيام. وفيه تأمل ونظر .

وقوله تعالى : « ما لكم من دونه من ولى ولاشفيع أفلا تتذكرون » ليس لكم أيها المشركون من دون الله تعالى من ولى يلى أمركم ، وينصركم من عذاب الدنيا وبلائها ، ولامن شفيع يشفع لكم عند الله جل و علا من عذاب الاخرة و عقابها ، أفلا تتذكرون فى قدرته سبحانه ، أفلا تتفكرون فى خلقه و تدبيره فى هذا العالم الواسع ، فتعلموا انه ليس لكم من دونه ولى ولاشفيع فتفردوا له جل وعلا الالوهية ، و تخلصوا له العبادة ، و تخلعوا ما دونه من الانداد والآلهة المصنوعة . . ؟

قال الله تعالى : « والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون » الاعراف : ۱۹۷)

وقال : « والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير » فاطر : ۱۳)

وقال : « قل أتعبدون من دون الله مالايملك لكم ضراً ولانفعاً » المائدة: ۷۶)

وقال : « ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع » المؤمن . ۱۸)

وقال : « ام اتخذوا من دون الله شفعاء » الزمر : ٤٣)

وقال : « مامن شفيع إلاّ من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلاتذكرون» يونس : ٣)

٥- (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنه مما تعدون)

الله تعالى هو الذي يدبر أمر خلقه من كل سماء إلى كل ارض ويوحى إليهن أمره ، ثم يرجع ذلك الامر المدبر إلى الله جل وعلا بعد إنقضاء الدنيا في يوم كان مقدار هذا اليوم - يوم رجوع الامر إلى الله تعالى وهو يوم القيامة - ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا .

قال الله تعالى : « إن ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » الاعراف : ٥٤)

وقال : « فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم » فصلت : ١٢)

وقال : « وإليه يرجع الامر كله » هود : ١٢٣)

وقال : « وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » الحج : ٤٧)

٦- (ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم)

خلق الله جل وعلا هذا العالم ، ويدبر أمره ، ثم يرجع إليه الأمر كله لانه تعالى يعلم غيب السموات والارض ، يعلم بماكان ومايكون ، يعلم بما يرى ويحس يعلم بمايخفى ويعلن ، يعلم بأعمال عباده ظاهرها وباطنها ، يعلم سرهم و نجواهم ، يعلم بما يقولون وما فى صدورهم ، يعلم بما تشاهد أبصارهم ومالا تشاهده ، ويعلم بماغاب عنهم وماحضر . . . إذ لاقرب ولابعد لديه ، و لاخفاء ولا ظهور عنده جل وعلا.

هو الذى يقدر على ماأراد ، غالب منيع فى ملكه ، قاهر على من كفر ، منتقم ممن عصاه ، ويرحم بمن آمن ورؤف بمن أطاعه .

قال الله تعالى: « ان الله يعلم غيب السموات و الارض والله بصير بما تعملون » الحجرات : ۱۸) .

و قال : « ألم يعلموا ان الله يعلم سرّهم و نجواهم و ان الله علام الغيوب » التوبة : ۷۸) .

و قال : « ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور » فاطر : ۳۸) .

و قال : « و لله غيب السموات والارض و إليه يرجع الامر كله فاعبده و توكل عليه و ما ربك بغافل عما تعملون » هود : ۱۲۳) .

وقال: « ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذوإنتقام » آل عمران : ٤) .

و قال : « و رحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » الاعراف : ۱۵٦) .

۷ - (الذى أحسن كل شيء خلقه و بدأ خلق الانسان من طين)

الله تعالى هو الذى أحسن كل شيء خلقه ، خلقه لغرض و غاية ولم يخلق شيئاً عبثاً و لا غير ملائم أجزائه بعضها لبعض .

قال الله تعالى : « ذلكم الله ربكم لا إله إلاّ هو خالق كل شيء فاعبدوه » الانعام : ۱۰۲) .

و قال : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » الملك : ۳) .

و بدأ خلق آدم عليه السلام الذى هو أول البشر من طين كان تراباً ثم صار طيناً ثم حمأً مسنوناً و صلصالاً إلى أن نفخ فيه الروح إذ قال تعالى : « ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » آل عمران : ٥۹) .

فبدأ بالخلق وهو إخراج من العدم الصرف إلى المادة و هي التراب لقوله تعالى: « خلقه من تراب » هذا مجرد إعطاء الوجود بايجاد المادة الخاصة وقال:

« إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » ص : ٧١ ـ ٧٢) .

و قد عدّ في الاية مبدء خلق الانسان الاول الطين كما في قوله تعالى : « و بدأ خلق الانسان من طين » و ذلك بتعجّن التراب بالماء ثم ترك ذلك الطين حتى تغيّر و إسترخى فصار حماءاً مسنوناً إذ قال : « إني خالق بشراً من صلصال من حماءٍ مسنون » الحجر : ٢٨) .

و ذلك لان الحمأ هو الطين المتغيّر والمسنون ما صبّ عليه الماء حتى خلص عن الاجزاء الصلبة الخشنة غير المعتدلة المنافية لقبول الصورة التي يراد تصويرها منه والصلصال ما تخلخل منه بالهواء و تجفف بالحرارة فصار كالخزف الذي صوت إذا نقربه .

٨ ـ (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين)

ثم جعل الله تعالى ذرية هذا الانسان من صفوة من ماء ضعيف حقير نتن وهم يتناسلون كذلك من ماء يخرج من بين صلب الرجل و ترائب المرأة وهو ماء النطفة الذي هو المرحلة الاولى في تطور الجنين من النطفة إلى العلقة ، إلى المضغة إلى العظام إلى الكمال التكويني الجنيني في هذه السلالة النوعية الانسانية التي تبدأ بالماء المهين .

قال الله تعالى : « فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » الطارق : ٥ ـ ٧) .

و قال : « يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبيّن لكم و نقرّ في الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم » الحج : ٥) .

وقال : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلنا نطفة في قرار

مكين ثم خلقنا النطفة علقةفخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثمأنشأناه خلقاً آخرفتبارك الله أحسن الخالقين » المؤمنون : ١٢ ـ ١٤)

٩ـ (ثم سواه ونفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون)

ثم سوّى الله تعالى خلق آدم عليه السلام خلقاً سوياً معتدلاً ، وصوّره حسّاساً .و نفخ فيه من روحه ، فصارحياً ناطقاً بعد أن كان جماداً ، وأنشأ لكم أيها الناس السمع تسمعون به الأصوات والايات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث ،وبالحق والحساب والجزاء . . . وأعطاكم الابصار تبصرون بها الأشخاص والآيات التكوينية ويتميزون بها المشاهد . . . وجعل لكم الافئدة تعقلون بها الخير والشر ، و تتميزون بها الحق من الباطل . الايمان من الكفر، السعادة من الشقاء ، الهداية من الضلالة ، طريق الرحمن من سبل الشيطان . . . لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك بأن تصرفوها إلى ما خلقت مع أن الله تعالى خلق لكم تلك المشاعر لتدركوا بها الحق وتمشوا سبيل الهدى وتستدلوا بها على حقيقة الآيتين. . .

ولكنكم تشكرون ربكم شكراً قليلاً على ما أنعم عليكم من النعم الظاهرة والباطنة ، ومن النعم المتصلة والمنفصلة . . . حيث ان حسن خلق كل شيء و تلائم أجزائه ونفخ الروح في الانسان ، وإعطاء السمع والبصر والفؤاد نعم إلهية بعضها ظاهرة و بعضها باطنة ،و ان الجوالذى يعيش فيه الانسان نعمة ، والامن والسلامة والصحة في الجسم نعمة ، والهداية والدين الحق والتوفيق بصالح الاعمال نعمة عظيمة الهية لابد من الشكر لديها .

قال الله تعالى : « انى خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى» ص . ٧٠ ـ ٧١)

وقال : « وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون » المؤمنون : ٧٨) وقال : « وقليل من عبادى الشكور» سبأ : ١٣)

١٠- (وقالوا ءاذا ضللنا فى الارض ء انا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون)

وقال المشركون بالله سبحانه المكذبون بالبعث والحساب والجزاء أإذا صارت لحومنا وعظامنا تراباً ورفاتاً فى الارض ، وأهلكت أجسادنا و خفيت و اضمحلت واختلطت بترابها ، وتناثرت ذراتها وتاهت فى الارض ، كيف نخلق بعد ذلك ، ونعاد خلقاً جديداً ، وليس ماهم يستبعدونه وينكرون به بل هؤلاء الكفار بيوم البعث وبما وعد ربهم به من الثواب والعقاب كافرون .

قال الله تعالى: « وقالوا ءإذا كنا عظاماً ورفاتاً ء إنا لمبعوثون خلقاً جديداً» الاسراء : ٤٩)

وقال : « و كانوا يقولون أإذامتنا و كنـا تـراباً وعظاماً ء إنا لمبعوثون » الواقعة : ٤٧)

وقال : « وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميـم » يس : ٧٩)

وقال : « وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا ومانحن بمبعوثين » الانعام :٢٩)

وقال : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت » النحل : ٣٨)

وقال : « و أما الذين كفروا و كذبوا بآياتنا و لقاء الاخرة فاولئك فـى العذاب محضرون » الروم : ١٦)

١١- (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون)

قل أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء المشركين بالله سبحانه ، المكذبين بالبعث والجزاء : يتوفاكم ملك الموت، ويستوفى عددكم الذى كتب عليه الموت واحداً بعد واحد حين إنتهاء أجله ، فيقبض ملك الموت الذى وكل بقبض أرواحكم و إماتتكم هو وأعوانه الذين يعملون عمله بأمره و كلهم بأمر الله تعالى .

قال الله تعالى : « ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم

وأدبارهم » الانفال : ٥٠)

وقال : « ألذين تتوفاهم الملائكةظالمى أنفسهم ـ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم » النحل : ٢٨ ـ ٣٢)

وقال : « وهوالذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهارثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما تعملون وهوالقاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرّطون » الانعام : ٦٠ ـ ٦١)

وان الله تعالى هوخالق الكل ، وهوالفاعل والقابض حقيقة لكل فعل قال الله تعالى : «الذىخلق الموت والحياةليبلوكمأيّكمأحسنعملاً » الملك : ٢)

وقال : « الله يتوفىالانفسحين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسكالتى قضى عليها الموت ويرسلالاخرىإلىأجل مسمىإنفى ذلكلآيات لقوميتفكرون» الزمر : ٤٢)

قوله تعالى : « ثم إلى ربكم ترجعون » يوم القيامة ، فيجازى كلاً بماعمل فيالحياة الدنيا ، فمن كان قادراً على الخلق والابداع ، فهو قادر على الاماتة والافناء ، ومن كان قادراً على الاماتة فهوقادرعلى الاحياء للحساب والجزاء .

قال الله تعالى : « وهوخلقكم أول مرة وإليه ترجعون » فصلت : ٢١)

وقال : « إلىالله مرجعكم جميعاًفينبئكمبما كنتم تعملون » المائدة:١٠٥)

وقال : « كيف تكفرون باللهو كنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثميحييكم ثم إليه ترجعون » البقرة : ٢٨)

١٢- (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً انا موقنون)

ولو ترى أيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم حينأن المجرمين الذين كانوا يقولون فىالحياة الدنيا : « ءإذا ضللنا فىالارض ءإنالفىخلق جديد » هم مطأطؤن رؤسهم يوم

القيامة من الذل والهوان ، ومن الحسرة والندم على مافرط منهم في الدنيا من الشرك والطغيان ، من التكذيب والعصيان ، ومن الضلالة والحيران ، عند محاسبة الله تعالى لهم وجزاء أعمالهم . . .

وهم عندئذ يقولون : ربنا أبصرنا اليوم ما كنا نكذب به في الحياة الدنيا ، فان هذا اليوم يكشف الغطاء ويصير البصر حديداً ، وسمعنا الآن ما كنا ننكر من البعث والحساب والجزاء ، وصدق رسولك وما جاءنا به . . . وهم يبصرون حين لا ينفعهم البصر ، و يسمعون حين لا ينفعهم السمع ، ويؤمنون حين مضى زمن التكليف . . .

وهم يقولون : فارجعنا إلى الحياة الدنيا ، فان رجعتنا إليها نعمل عملاً صالحاً كما أمرتنا ، لانا موقنون اليوم بما كنا نكذب به في الحياة الدنيا ،فلا نرتاب في شيء من الحق والرسالة ، ولا في البعث والحساب والجزاء . . . و أنى لهم ذلك فقد حقت عليهم كلمة العذاب .

قال الله تعالى : « وترى كل امة جاثية كل امة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ـ وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم و كنتم قوماً مجرمين وإذا قيل ان وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ماندرى ما الساعة إن نظن إلا ظناً ومانحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ماعملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن » الجاثية : ٢٨ ـ ٣٣)

وقال : « وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعداً ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه و يقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً » الكهف : ٤٨ ـ ٤٩)

وقال : « وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل و تراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي » الشورى: ٤٤-٤٥)

وقال: « ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم- وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب » سبأ: ٣١ - ٣٣)

وقال: « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم » الملك: ١٠ - ١١)

وقال: « فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون » القلم: ٥ - ٦)

و قال: « لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » ق: ٢٢)

وقال: « ولوترى إذوقفوا على النارفقالوا ياليتنا نرد ولانكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدالهم ماكانوا يخفون من قبل ولوردّوا لعادوالما نهوا عنه وانهم لكاذبون » الانعام: ٢٧ - ٢٨)

وقال: « هل ينظرون إلاّ تأويله يوم ياتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نردّ فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضلّ عنهم ماكانوا يفترون » الاعراف: ٥٣)

وقال: « ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا و كنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولاتكلمون » المؤمنون: ١٠٦ - ١٠٨)

وقال: « وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل أولم نعمر كم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير » فاطر: ٣٧)

وقال: « وكنانكذّب بيوم الدين حتى أتانا اليقين » المدثر: ٤٦ - ٤٧)

١٣- (ولوشئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين)

ولوشئنا يامحمد ﷺ لهدينا الناس كلهم من غير إختيار وإرادة لهم فى

عالم التشريع والتكليف، فلم يكفر منهم أحد إذ كانوا ملجئين إلى الايمان وصالح الاعمال لفعلنا ولكن ذلك يبطل غرض التشريع و غاية التكليف ، وكان الوعد والوعيد ، والانذار والتبشير ، ودار الابتلاء والجزاء ، وبالجملة الجنة والنار لغواً.

وإنما اقتضت إرادة الله تعالى وحكمته أن يكون للناس والجن طبيعة خاصة في التشريع والتكليف ،فيملكون معها الهدى والضلالة ، الكفر والايمان ،وطريق السعادة والشقاء ، فيختاروا ما أرادوا منهما . .

ومن هنا ثبت القول مني أن اجازيهم بالثواب والعقاب بالجنة والنار ،بالنعمة والنقمة ،لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين الذين اختاروا الكفر والعصيان، وانحرفوا عن سواء السبيل والهدى .

قال الله تعالى : « جعلنا منكم شرعة ومنها جاًولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات » المائدة : ٤٨)

وقال : « قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » الانعام : ١٤٩)

وقال : « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » يونس : ٩٩)

وقال : « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولايزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين» هود : ١١٨ ـ ١١٩)

وقال: « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين »النحل: ٩)

وقال : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » الانسان : ٣)

و قال : « قال فالحق والحق أقول لاملئن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين » ص : ٨٤ ـ ٨٥)

١٤ـ (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون)

يقال لهؤلاء المشركين بالله تعالى ، والمكذبين بالبعث والحساب والجزاء

حين الحساب: فذوقوا عذاب الذلة والهوان والاستخفاف بسبب ما نسيتم في الحياة الدنيا لقاء يومكم هذا، و استخففتم أمره و ذهلتم عنه بعد وضوح الدلائل فيه، انا تركناكم و شأنكم اليوم.

وهذا على سبيل المقابلة والمجازاة، فانهم كما استخفوا بهذا اليوم، فقد استخف الله تعالى بهم، و لم ينظر إليهم بعين الرحمة...

ويقال لهم حين يدخلون النار: ذوقوا عذاب النار التي أنتم مخلدون فيها بسبب ما كنتم تعملون به في الحياة الدنيا من الكفر والطغيان، و من تكذيب البعث والحساب والجزاء والعصيان...

قال الله تعالى: «وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا و مأواكم النار و مالكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً و غرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها و لا يستعتبون» الجاثية: ٣٤ ـ ٣٥).

و قال: «الذين اتخذوا دينهم لهواً و لعباً و غرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون» الاعراف: ٥١).

وقال: «ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى و ربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ـ اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون» الانعام: ٣٠ ـ ٩٣).

و قال: «والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها و ترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما اغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ـ ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون» يونس: ٢٧ ـ ٥٢).

وقال: «ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى» طه: ١٢٤ ـ ١٢٦).

و قال : « فذرهم يخوضوا و يلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون » المعارج : ٤٢ ـ ٤٤) .

وقال : « فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق و بما كنتم تفسقون » الاحقاف : ٢٠) .

وقال: « ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم » آل عمران: ١٨١ ـ ١٨٢) .

و قال : « ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذّبون » سبأ : ٤٢) .

وقال : « كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها و ذوقوا عذاب الحريق » الحج : ٢٢) .

١٥ـ (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجداً و سبحوا بحمد ربهم و هم لا يستكبرون)

إنما يؤمن بآياتنا النازلة على رسولنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم و ينتفع بها و يتعظ بمواعظها الذين إذا ذكّروا بها إلى عظمة الله تعالى وجلاله ، إلى علمه وحكمته و قدرته ، و إلى رحمته و غضبه . . . سقطوا على الارض بوجوههم ساجدين لله جل و علا وحده تذللاً و إستكانة لعظمته تعالى ، و إقراراً له بالعبودية ، و خوفاً من سطوته و عذابه ، و نزّهوه عن كل ما لا يليق بساحة قدسه متلبسين بحمده على نعمه التى أجلّها و أكملها الهداية إلى الايمان ، والتوفيق لصالح الاعمال كل ذلك لبقاء صفاء فطرتهم ، وجلاء غريزتهم ، و هم الذين لا يستكبرون عن عبادة الله تعالى ، و لا يستنكفون من طاعته ، و لا يأنفون أن يعفروا وجوههم وجباههم صاغرين له جل و علا .

و هم المؤمنون الذين قال الله تعالى فيهم :

« إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاً » الانفال : ٢ ـ ٣) .

و قال : « و إذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايماناً فاما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً و هم يستبشرون » التوبة : ١٢٤) .

و قال : « الذين آمنوا و تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » الرعد : ٢٨) و قال : « و بشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » الحج : ٣٤ ـ ٣٥) .

وقال: « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم و أنفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون » الحجرات : ١٥) .

و قال : « يتلون آيات الله آناء الليل و هم يسجدون ـ الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار » آل عمران : ١١٣ ـ ١٩١) .

وقال: « إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبكياً » مريم : ٥٨) .

و قال : « إذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً و يقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً » الاسراء : ١٠٧ ـ ١٠٩) و قال : « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » الفتح : ٢٩) خلافاً للمستكبرين الذين قال الله تعالى فيهم :

« فالذين لايؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون » النحل: ٢٢).

و قال : « و إذا ذكر الله وحده إشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة و إذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون » الزمر : ٤٥) .

و قال : « ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم و ان يشرك به تؤمنوا » غافر : ١٢) .

وقال : « انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلاّ الله يستكبرون » الصافات: ٣٥).

وقال : « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صمّاً وعمياناً » الفرقان : ٧٣) .

و قال : « فمالهم لا يؤمنون و إذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون » الانشقاق : ٢٠ ـ ٢١) .

١٦ ـ (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طمعاً و مما رزقناهم ينفقون)

هؤلاءِ المؤمنون هم الذين ترتفع جنوبهم ، تتباعد عن مضاجعهم التى يضطجعون لمنامهم ، وهم لاينامون الليل كله ، وهم المتهجدون بالليل، فيقومون عن فرشهم للنافلة الليلية ، والاستغفار والذكر .

داعين ربهم خوفاً من قهره و عظمته ، من سطوته و عذابه ، و من غضبه و عقابه ، و طمعاً فى لطفه و رأفته ، فى عفوه و غفرانه ، و فى رحمته و جنته .

فهم الذين يشتغلون عن النوم بدعاءِ ربهم فى جوف الليل حين تنام العيون، و عن الراحة بالاستغفار والذكر فى الاسحار والناس نائمون ، و عن الفراش بنافلة الليل حين تسكن الانفاس لا خوفاً من سخطه جل وعلا فقط حتى يغشيهم اليأس من رحمته تعالى ، و لا طمعاً فى ثوابه فقط حتى يأمنوا غضبه و مكره ، بل هو يدعونه ، و هم فى خوف و رجاءِ ، فيؤثرون فى دعائهم أدب العبودية على ما يبعثهم إليه الهدى .

هذه أعمالهم فى الليل ، و هم لا يكتفون بها ، بل انهم ينفقون فى النهار بعض ما رزقهم الله تعالى فى وجوه البر المتنوعة مما فرض الله تعالى عليهم وما ندب إليه . . . و هم المتقون و اولوا الالباب الذين لايزالون يذكرون الله جل و علا لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكرالله سبحانه .

قال الله تعالى فيهم : « كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون و بالاسحارهم

يستغفرون » الذاريات : ١٧ ـ ١٨) .

و قال : « الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار » آل عمران : ١٩١) .

وقال: «الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشى يريدون وجهه» الكهف:٢٨).

و قال : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكرالله و إقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والابصار » النور : ٣٧) .

و قال : « و ادعـوه خوفاً و طمعاً ان رحمت الله قـريب من المحسنين » الاعراف : ٥٦) .

و قال : « انا نطمع أن يغفـر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المـؤمنين ـ والذىأطمعأن يغفرلى خطيئتى يوم الدين ربهبلىحكماًوألحقنى بالصالحين » الشعراء : ٥١ و ٨٢ و ٨٣) .

و قال : « الذين يوفون بعهد الله و لا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمرالله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا إبتغاء وجه ربهم و أقاموا الصلاة و أنفقوا مما رزقناهم سراً و علانية ويدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الـدار جنات عدن يدخلونها و من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرياتهم والملائكةيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بماصبرتم فنعم عقبى الدار » الرعد : ٢٠ ـ ٢٤) .

١٧ ـ (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)

فلا تعلم نفس من النفوس فى الحياة الدنيا ما أخفى الله تعالى و ادّخر لهؤلاءِ المؤمنين مما تقرّ به أعينهم فىجنانه يوم القيامة مالم ترعين، ولم يخطر على قلب بشر ، و لم يسمع اذن ، بحيث لا تطمح إلى غيره و لا تطلب الفرح بما عداه ، إذ لها ما تشتهيه جزاءاً بماكانوا يعملون فىالحياةالدنيا منالطاعة وصالح

الاعمال بعد الايمان والاخلاص .

قال الله تعالى : « الذين آمنوا بآياتنا و كانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم و أزواجكم يطاف عليهم بصحاف من ذهب و أكواب و فيها ما تشتهيه الانفس وتلذّ الاعين وأنتم فيهاخالدون و تلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون » الزخرف : ٦٩ ـ ٧٢) .

و قال : « و فاكهة مما يتخيّرون و لحم طير مما يشتهون و حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون » الواقعة : ٢٠ ـ ٢٤) .

١٨ ـ (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون)

أفمن كان مؤمناً بالله تعالى ورسوله ﷺ وبكتابه واليوم الاخر، وملتزماً بلوازم الايمان من التقوى والطاعة و صالح الاعمال كمن كان فاسقاً كافراً بالله تعالى و رسوله ﷺ وبكتابه واليوم الاخر ، و عاصياً طاغياً ، و متمرداً جانياً، و شروراً فاسداً . . . ! كلا لا يستوون موتاً و حياة ، و لا حشراً و جزاءاً . . .

كيف والايمان والاخلاص نور والكفر والفسق ظلمة، والمؤمن المخلص بصير، والفاسق الكافر أعمى؟ فشتان بين النور والظلمة ، بين الهدى والضلالة ، بين الطاعة والطغيان، بين الاعمى والبصير، بين العلم والجهل ، بين السعادة والشقاء بين الحق والباطل، بين الحسنة والسيئة ، بين الخبيث والطيب ، بين العدل والظلم، بين الحي والميت، بين النعمة والنقمة ، بين الثواب والعقاب ، بين طريق النجاة وسبل الهلاك، و بين الجنة والنار فلا يستويان .

قال الله تعالى : « قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور » الرعد : ١٦) .

و قال : « و لا تستوي الحسنة و لا السيئة » فصلت : ٣٤) .

و قال : « قل لا يستوي الخبيث والطيب المائدة : ١٠٠) .

و قال : « و ما يستوي الاعمى والبصير و لا الظلمات و لا النور و لا الظل

و لا الحرور و ما يستوى الاحياء و لا الاموات » فاطر : ١٩ ـ ٢٢) .

و قال : « أم نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار » ص : ٢٨) .

و قال : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء محياهم و مماتهم ساء ما يحكمون » الجاثية : ٢١) .

و قال : « مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون » هود : ٢٤) .

و قال : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر اولوا الالباب » الزمر : ٩) .

وقال : « لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون » الحشر : ٢٠) .

١٩ ـ (أما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون)

أما الذين آمنوا بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و بكتابه واليوم الاخر ، و عملوا الصالحات في الحياة الدنيا ، فلهم بساتين يأوون إليها في الاخرة ، و لا يخرجون منها نزلاً من عند الله تعالى و كرامة من عنده و عطاياه لهم بما كانوا يعملون من صالح الاعمال بعد الايمان .

قال الله تعالى: « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً » الكهف : ١٠٧ و ١٠٨) .

و قال : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا و أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا و في الاخرة و لكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم » فصلت : ٣٠ ـ ٣٢) .

و قال : « و أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » النازعات : ٤٠ و ٤١) .

و قال : « الذين اتقـوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلاً من عندالله و ما عندالله خير للابرار » آل عمران : ١٩٨) .

٢٠ـ (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها و قيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون)

و أما الذين خرجوا عما تقتضيه الفطرة إلى ما تشتهيه الشهوة ، عن إتباع العقل إلى إتباع الهوى ، عن طريق الهداية والايمان إلى طرق الضلالة والكفر ، عن الطاعة إلى سبيل الطغيان ، و عن تصديق المعاد والاقرار بالحساب والجزاء إلى تكذيبها والانكار بها . . . فمقرهم ومقامهم النار يوم القيامة ، وبئس القرار و هم فيها خالدون ، لانهم حيثما أرادوا أن يخرجوا من النـار لشدة عذابها و حراقتها و ألمها اعيدوا فيها، ويقول لهم خزنة جهنم معذلك أو يقول‌الله تعالى : ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون فى الحياة الدنيا .

قال‌الله تعالى: « والذين كذبوا بآياتنا يمسّهم العذاب بماكانوا يفسقون » الانعام : ٤٩) .

و قال : « و لقد أنزلنا إليك آيات بينات و ما يكفر بها إلاّ الفاسقون » البقرة : ٩٩) .

و قال : « يعدهم و يمنّيهم و ما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً اولئك ماواهم جهنم و لا يجدون عنها محيصاً » النساء : ١٢٠ ـ ١٢١) .

و قال : « فأما من طغى و آثـر الحيـاة الدنيـا فان الجحيم هى المأوى » النازعات : ٣٧ ـ ٣٩) .

و قال : « ان الذين لا يرجـون لقائنـا و رضوا بالحياة الدنيا و اطمأنّوا بها والذين هم عن آياتنا غافلـون اولئك مأواهم النـار بما كانـوا يكسبون »

يونس : ٧ ـ ٨) .

و قال : « ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمت الله كفراً و أحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها و بئس القرار » إبراهيم : ٢٨ ـ ٢٩) .

و قال : « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً و بكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا و قالوا ءإذا كنا عظاماً و رفاتاً ءإنا لمبعوثون خلقاً جديداً » الاسراء : ٩٧ ـ ٩٨) .

و قال : « انها ساءت مستقراً و مقاماً » الفرقان : ٦٦) .

وقال: « ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار و هم فيها كالحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا و كنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلّمون » المؤمنون : ١٠٣ ـ ١٠٨) .

و قال : « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصبّ من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود و لهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها و ذوقوا عذاب الحريق » الحج : ١٩ ـ ٢٢) .

و قال : « و قال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب قالوا أولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا و ما دعاؤا الكافرين إلاّ في ضلال » غافر : ٤٩ و ٥٠) .

٢١- (و لنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون)

اقسم اني لنذيق هؤلاء الطغاة الكافرين، هؤلاء الفجار المكذبين ، وهؤلاء العصاة الفاسقين بعض العذاب الدنيوى الذى يكون هو اقرب إليهم من القتل والاسر ، من السنين والفقر ، من الامراض والاسقام و جلاء الوطن ، وما يلقاهم في الحياة الدنيا من خزى و هو ان على أيدى المؤمنين ، و من آفات الدنيا و محنها، وما إليها عظة وعبرة لهم ليقتلعوا عن ذنوبهم قبل العذاب الاخروى الاكبر

و هو عذاب يوم القيامة .

لعلهم يرجعون بالتوبةعن الشرك والكفر إلى الاخلاص والايمان ، وبالانابة عن الضلالة والحيران إلى الهدى والاسلام ، عن الغيّ وموقف العناد واللجاج والفساد إلى الطاعة والمحبة والصلاح والفلاح . عن الباطل إلى الحق ، وعن طريق الشقاء إلى طريق السعادة ، وبالجملةعن إتباع الهوى إلى إتباع العقل ، وعن العبادة للأوثان إلى العبادة لله جل وعلا وحده .

قال الله تعالى :« ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » الروم : ٤١)

وقال : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » التوبة : ١٤)

وقال : « لهم في الدنيا خزى ولهم في الاخرة عذاب عظيم » البقرة : ١١٤)

وما ورد في الاية من الروايات فمن بيان بعض المصاديق ومن باب التأويل فتدبر جيداً .

٢٢ـ (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون)

وليس أحد أظلم لنفسه ممن ذكّره الله تعالى بآياته ومواعظه ، وبحججه الدالة على وحدانيته وعظمته ، على جلاله وكبريائه ، على علمه و حكمته ، و على قدرته وتدبيره . : . ثم أعرض عنها بترك القبول من غير تفكر ولاتدبر فيها ، بل كذّب بها عناداً ولجاجاً وإستكباراً .

انا من المجرمين الذين يكفرون بالله تعالى ورسوله ، ويكذبون بآياته و باليوم الاخر ، ولا يتعظون بمواعظه ، ويعصون الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم منتقمون منهم في الحياة الدنيا بالخزى والهوان وضنك المعيشة ، وفي الاخرة بالنار والعذاب .

قال الله تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته انه لا

يفلح الظالمون ـ فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بماكانوا يصدفون » الانعام : ٢١ ـ ١٥٧)

و قال : « ساء مثلا القوم الذين كذّبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون » الاعراف : ١٧٧)

وقال : « وما يجحد بآياتنا إلاالظالمون » العنكبوت : ٤٩)

وقال : « ومن أظلم ممن ذكربآيات ربه فأعرض عنها ونسىما قدمتيداه انا جعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً وإن ندعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً » الكهف : ٥٧)

وقال : « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى » طه : ١٢٤)

وقال : « ومن يعرض من ذكرربه يسلكه عذاباً صعداً » الجن : ١٧)

وقال :« أفأنت تسمع الصمأوتهدى العمىومن كان فىضلال مبين فامانذهبن بك فانا منهم منتقمون أونرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون »الزخرف: ٤٠ ـ ٤٢)

وقال : « يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون » الدخان : ١٦)

٢٣ـ (ولقدآتينا موسى الكتاب فلاتكن فىمرية من لقائه وجعلناههدى لبنى اسرائيل)

ولقدآتينا موسى الكتاب ولقيناه من الوحى مثل ماآتيناك من الكتاب وما لقيناك من الوحى فلاتكن فى ريب فيما لقيته من الكتاب ، فانه من عندالله تعالى .

والجملتان فىمعنى قوله تعالى : « فان كنت فى شك مما أنزلنا إليكفسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءكالحق من ربك فلاتكونن من الممترين» يونس : ٩٤)

وقال : « أفمن كانعلى بينة من ربهويتلوه شاهد منه ومن قبله كتابموسى

إماماً ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلاتك فيمرية منه انه الحق من ربك» هود : ١٧)

و قوله تعالى: « وجعلناه هدى لبني إسرائيل » : وجعلنا كتاب موسى عليه السلام سبباً لهداية بني إسرائيل ورشادهم من الضلالة لعلهم يهتدون به ، و يرشدون باتباعه ويصيبون الحق بالاقتداء به والائتمام بقوله :

قال الله تعالى : « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألاّ تتخذوا من دوني وكيلاً » الاسراء : ٢)

وقال : « ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون » المؤمنون : ٤٩)

٢٤- (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لماصبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)

وجعلنا بعض بني إسرائيل أئمة : جمع الامام وهوالذي يؤتمّ به في خير وشر، في ايمان و كفر، في شرك وتوحيد ، في طاعة ومعصية ، وفي صلاح وفساد... واريد هنا أنه تعالى جعل من بني إسرائيل قادة في الخير يؤتم بهم ويهتدى بهداهم، ويقتدى بهم في دينهم . . .

هؤلاء الائمة يهدون بني إسرائيل بأمرنا إلى طاعتنا ، وكانوا هم بآياتنا يوقنون فلا يشكون في الايات الدالة على وحدانية الله تعالى و عظمته على جلاله و كبريائه ، على علمه وحكمته ، وعلى قدرته وتدبيره .

ومن بني إسرائيل الذين اهتدوا بهداهم وأكثرهم ضلّوا ضلالاً بعيداً .

قال الله تعالى :«ولقد أخذالله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً -فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه و نسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلاّ قليلاً منهم » المائدة : ١٢ و١٣)

وقال : « ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون » الاعراف :١٥٩)

٢٥- (ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)

ان ربك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو وحده يفصل بين بنى إسرائيل يوم القيامة: يوم الفصل والقضاء بين الحق والباطل، بين المحق والمبطل، بين الانبياء واممهم، بين المؤمنين والكافرين وبين المصلحين والمفسدين . . . ويوم الحساب والجزاء فيما كانوا فى الحياة الدنيا يختلفون فيه من تصديقهم الانبياء عليهم السلام وتكذيبهم بما يخبرونهم بالعقائد الحقة وبمقتضيات الفطرة السليمة، وفى امور دينهم وأعمالهم... وفى البعث والحساب والجزاء . . .

قال الله تعالى: «ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب وان كلاً ليوفينّهم ربك أعمالهم انه بما يعملون خبير» هود: ۱۱۰ ـ ۱۱۱)

وقال: «وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» الجاثية: ۱۷)

وقال: «ان هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ـ ان ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم» النمل: ۷۶ ـ ۷۸)

وقال: «إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» النحل: ۱۲۴)

۲۶ـ (أولم يهدلهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لايات أفلا يسمعون)

هل غفل هؤلاء المشركون، ولم يظهر لهؤلاء المجرمين بالسير فى الارض، ولم يبيّن الله تعالى لاولئك الطاغين بما شاهدوه، وباخبار الانبياء و اممهم كم أهلكنا من الامم الكثيرة الطاغية بعذاب الاستيصال، بسبب كفرهم و طغيانهم، بسبب تكذيبهم الانبياء ومعاصيهم، وبسبب ظلمهم و إنحرافهم عن طريق الفطرة البشرية من قبلهم من القرون الماضية، وأهل الاعصار السابقة من قوم نوح وعاد وثمود وصالح والمؤتفكات وفرعون ونمرود وقارون ومن إليهم من الطواغيت فى

طوال الاعصار . . .

وهؤلاء المشركون يمشون فيأسفارهم وتجاراتهم في منازل اولئك الامم الهالكة ، ويشاهدون آثارهم الخربة في دورهم خاوية على عروشها إذنزل عليهم العذاب ، فدمّروا تدميراً .

ان فيذلك الاهلاك وآثاره لآيات دالة على قدرة الله تعالى وغضبه ، على قهره وعظمته ، وعلى جبروتهو كبريائهلقوم يسمعون سماع تدبر وإعتبار، سماع تعقلو إتعاظ ، وسماع تفكروإدّكار . . .

قال الله تعالى : « يريدالله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم » النساء : ٢٦)

وقال : « ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض مالم نمكن لكموأرسلنا السماء عليهممدراراً وجعلنا الانهارتجري من تحتهمفأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين » الانعام : ٦)

وقال : « أولم يهدللذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لايسمعون » الاعراف : ١٠٠)

وقال : « كدأب آل فرعون والذين منقبلهم كذبوا بآيات ربهمفأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين » الانفال : ٥٤)

وقال : « ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجائتهم رسلهمبالبينات وماكانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف فيالارضمن بعدهم لننظر كيف تعملون » يونس : ١٣ و١٤)

وقال : « وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقومإبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذّب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية أهلكناها وهيخاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بهاأوآذان يسمعون بها»الحج:

٤٢ ـ ٤٦)

وقال : « ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ماأهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى و رحمة لعلهم يتذكرون ـ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين وماكان ربك مهلك القرى حتى يبعث فيامها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون » القصص : ٤٣ ـ ٥٩)

٣٧ـ (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا تبصرون)

أولم ير هؤلاءِ المشركون بالله سبحانه ؟ أولم يعلم هؤلاءِ المعاندون بالنبى الكريم ﷺ ؟ أو يشاهد هؤلاءِ المكذبون بالبعث والحساب والجزاءِ بعدالموت والفناءِ بأعينهم انا نجرى بقدرتنا الماء النازل من السماءِ إلى الارض اليابسة الغليظة المنقطعة عنها الماء والنبات ، فنخرج بذلك الماء زرعاً، وننبت به فيها نباتاً نافعاً من الكلأ والعشب والحشيش وما إليها تأكل منها أنعامهم ، و ننبت به منها حباً متراكماً وخضراً وثماراً وبقولاً وفواكه كثيرة تأكل منها أنفسهم .

أهم عمى فلاعين لهم،فلايبصرون تلك الايات التى تتملأها العيون،فيستدلون بها على وحدانية الله تعالى و كمال قدرته ، على سعة علمه وغاية حكمته ، وعلى تدبيره فيأمره . . .

ومن الايات الدالة على توحيد الربوبية والقدرة المطلقة . و على كمال العلم غاية الحكمة، وعلى التدبير التام فى العالم والرحمة الواسعة فى هذاالوجود: ان الله جلاوعلا ينزّل من السماءِ ماء فيحيى به الارض بعد موتها ، فتصبح الارض مخضرة ، ويخرج منها ما يأكله الناس والانعام ، وينبت به حدائق ذات بهجة ،و نباتاً شتى : مختلف الالوان ، و كثير الفوائد . . .

وفى ذلك لايات لمن نظر إليها نظر تدبر وتعقل ، نظر تفكر وإعتبار ، و نظر

تأمل وإدكار . . .

قال الله تعالى : « ألم تران الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير » الحج : ٦٣)

وقال : « وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون » يس : ٣٣ـ٣٤)

و قال : « أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها إله مع الله بل هم قوم يعدلون» النمل : ٦٠)

وقال : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور » فاطر : ٩)

وقال : « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى إذا أخذت الارض زخرفها و ازينت » يونس ٢٤)

وقال : « وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكّرون » الاعراف : ٥٧)

وقال : « الذى جعل لكم الارض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا و ارعوا أنعامكم ان فى ذلك لايات لاولى النهى » طه : ٥٣ ـ ٥٤)

وقال : « إنا صببنا الماء صباً ثم شققنا الارض شقاً فأنبتنا فيها حباً وعنباًو قضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأباً متاعاً لكم ولانعامكم » عبس : ٢٥ ـ ٣٢)

وقال : « ألم تران الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم

يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب » الزمر : ٢١)

وقال : « ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزّل من السماءماءفيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ـ فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى وهوعلى كل شىقدير » الروم : ٢٤ ـ ٥٠)

٢٨ـ (ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين)

ويقول هولاءِ المشركون بالله سبحانه على طريق الاستهزاء والسخرية : متى تنصرعلينا يا محمد كما تعدنابه ؟ متى ينتقم الله منا فى هذه الحياة الدنيا قبل الاخرة كما تخبرنا به ؟ وأينما العذاب الادنى قبل العذاب الاكبر كما تزعم أنت وأصحابك ؟ وما نراك وأصحابك إلاّ مختفين خائفين أذلة إن كنتم صادقين فيما تقولون من أنا معاقبون على تكذيبنا الرسول ،وما جاءبه ، و على عبادة الآلهة والاوثان . . . وهم ولاشك لايستعجلون العذاب الدنيوى إلاّ إستهزاءاً و إنكاراً وتكذيباً بماكان النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يعدهم .

والآيةوطرفاهافيمعنى قوله تعالى : « وإذارآك الذين كفروا إن يتخذونك إلاّهزواً أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكرالرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل ساوريكم آياتى فلاتستعجلون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين » الانبياء : ٣٦ ـ ٣٨)

وقوله : « قل سيروافي الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولاتحزن عليهم ولاتكن فى ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون » النمل : ٦٩ ـ ٧٢)

وقوله جل وعلا : « وإما نرينك بعض الذى نعدهم أونتوفينك ـ و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ـ قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراًماذا

يستعجل منه المجرمون » يونس : ٤٦ ـ ٥٠)

٢٩ـ (قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون)

قل يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاءِ المشركين تبكيتاً وتحقيقاً للحق : يوم الفتح والنصرة والغلبة عليهم ، يوم العذاب بالقتل و السبى والذلة فى الحياة الدنيا ، يوم لاينفع الذين كفروا ايمانهم ، ولاهم ينظرون لحلول ما يغشى الابصار ويعمى البصائر وظهور منار الايمان ، وزهوق الفريق الكافر، فلايمهلون لتوبة أومعذرة ، فلا يؤخر عنهم العذاب يعني الذين قتلوا يوم بدر لم ينفعهم ايمانهم بعد القتل و يوم الذلة والعذاب . . .

قال الله تعالى : « يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيراً قل انتظروا انا منتظرون » الانعام:١٥٨)

و قال : « أثم إذا ماوقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون ـ فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين» يونس : ٥١ ـ ١٠٢)

وقال : « وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون » المؤمنون : ٩٥)

وقال : « فاصبر ان وعدالله حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون ـ فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنا لك الكافرون » غافر : ٧٧ ـ ٨٥)

وقال : « ولو نزّلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ماكانوا به مؤمنين كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لايؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لايشعرون فيقولون هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ماكانوا يوعدون ما اغنى عنهم ماكانوا يمتعون » الشعراء: ١٩٨ ـ ٢٠٧)

٣٠ـ (فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون)

فاعرض أيها الرسول من هؤلاءِ المشركين المعاندين ، و عن أذاهم و سفاهتهم ، فلاتبال بهم، وإن تعرض عنهم فلن يضرّوك شيئاً ، وقل لهم قولاًميسوراً وبلغ ما انزل إليك من ربك ، وانتظر النصرة وموعد ربك لك عليهم لان الله تعالى لينجّز لك ماوعدك ، وانه لايخلف الميعاد ،انهم منتظرون مافى نفوسهم من حوادث الزمان ودائرة السوءِ من موت أوقتل . . . فتنقطع الدعوة الحقة ، فيستريحون منك ، ولكنهم سيجدون مغبة إنتظارهم من العذاب الأدنى فى الحياة الدنيا،والعذاب الاكبر فى الاخرة .

قال الله تعالى : « فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون » الحجر : ٩٤ - ٩٦)

وقال : « وإما تعرضن عنهم إبتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً » الاسراء : ٢٨)

وقال : « اتبع ما اوحى إليك من ربك لاإله هو وأعرض عن المشركين » الانعام : ١٠٦)

وقال : « ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لو لاأرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى قل كل متربص فتربّصوا» طه : ١٣٤-١٣٥)

وقال : « أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين » الطور : ٣٠ - ٣١)

﴿ جملة المعانى ﴾

٣٠٠٤ ـ (الم)

سرّ من أسرار إلهية بين الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومن عنده علم الكتاب من أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين .

٣٠٠٥ ـ (تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين)

ذلك تنزيل الكتاب عليك لا شك فيه منزل من رب العالمين .

٣٠٠٦ ـ (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون)

بل يقول هؤلاء المشركون : إن محمداً اختلق هذا الكتاب من تلقاء نفسه ، و ليس بمنزل من الله ، و إفتراه على الله كذباً ، ليس الامر كذلك ، بل هذا الكتاب هو الحق النازل عليك من عند ربك لتنذر به قوماً بأس الله تعالى أن يحل بهم بكفرهم و طغيانهم ، و هم الذين لم يأتهم نبى و لا رسول من الله ، قبلك ، لعلهم يهتدون بهذا الكتاب .

٣٠٠٧ ـ (الله الذى خلق السموات والارض و مابينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى و لا شفيع أفلا تتذكرون)

الله تعالى هو الذى أبدع السموات والارض ومابينهما من الخلق على مثال لم يسبق إليه شيء ، وأحدثه بعد أن لم يكن ، فى مقدار ستة أيام من أيام الدنيا ، ثم استوى أمره على الملك والتدبير ، مالكم أيها المشركون من دون الله من

ولى يلى أمركم ولا من شفيع يشفع لكم من تلك الاصنام والاوثان التى تزعمونها أولياء و شفعاء لكم ، أفلا تتذكرون ، فتعلموا ببطلانها ، فتفردوا له جل وعلا الالوهية ، و تخلصوا له العبادة .

٣٥٠٨- (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون)

الله تعالى هو الذى يدبر أمر خلقه من كل سماء إلى كل أرض ، ويوحى إليهن أمره ثم يرجع ذلك الامر إلى الله جل و علا فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا .

٣٥٠٩ - (ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم)

ذلك أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لان الله تعالى يعلم بما كان و ما يكون ، و انه القادر الغالب القاهر على من كفر ، الرحيم بمن آمن .

٣٥١٠ - (الذى أحسن كل شىء خلقه و بدأ خلق الانسان من طين)

الله تعالى هو الذى أحسن كل شىء خلقه ، و بدأ خلق الانسان الاول من طين .

٣٥١١ - (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين)

ثم جعل الله تعالى ذرية هذا الانسان من صفوة من ماءٍ ضعيف حقير نتن .

٣٥١٢- (ثم سواه و نفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون)

ثم سوّى الله تعالى خلق آدم عليه السلام سوياً معتدلاً ، و نفخ فيه من روحه ، و أنشأ لكم أيها الناس السمع تسمعون بها، والابصار تبصرون بها، والافئدة تعقلون بها ، ولكنكم تشكرون ربكم شكراً قليلا .

٣٥١٣ - (و قالوا ءاذا ضللنا فى الارض ءانا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون)

و قال هؤلاء المشركون : أإذا صارت لحومنا تـراباً و عظامنا رفاتـاً فى الارض ، و اختلطت بترابها ءإنا لفى خلق جديد ، و ليس ما هم يستبعدون بل هؤلاءِ الكفار بلقاءِ يوم البعث والحساب والجزاءِ كافرون .

٣٥١٤ ـ (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون)

قل أيها الرسول ﷺ لهؤلاءِ المشركين : يتوفاكم ملك الموت واحداً بعد واحد إذا جاء أجلكم ، فيقبض ملك الموت الذى وكل بقبض أرواحكم هو و أعوانه ثم أنتم إلى ربكم ترجعون ، فيجازى كلاً بما عمل فى الحياة الدنيا .

٣٥١٥ ـ (و لو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا و سمعنا فارجعنا نعمل صالحاً انا موقنون)

ولو ترى أيها النبى ﷺ حين ان المجرمين مطأطئون رؤسهم يوم القيامة من الذل والهوان عند الحساب و جزاءِ الله تعالى، وهم يقولون عندئذ : ربنا أبصرنا اليوم ما كنا نكذب به فى الحياة الدنيا ، و سمعنا الآن ما كنا ننكره فى الحياة الدنيا ، فارجعنا إلى الدنيا ، نعمل عملاً صالحاً لانا موقنون اليوم بصدق ما كنا نكذب به .

٣٥١٦ ـ (و لو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين)

و لو شئنا يا محمد ﷺ لهدينا الناس كلهم على طريق القهر والاجبار لا ارادة لهم و لا إختيار ، ولكن ثبت القول منى أن يكون لهم إرادة و إختيار فيما كلفناهم بتكاليف ، و أن اجازيهم بالثواب والعقاب ، لأملئن جهنم من الجن والانس الذين اختاروا الكفر والطغيان ، و انحرفوا عن صراط مستقيم .

٣٥١٧ ـ (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم و ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون)

يقال لهؤلاءِ المشركين بالله سبحانه يوم الحساب : فذوقوا عذاب الذلة

والهوان بسبب مانسيتم في الحياة الدنيا لقاء يومكم هذا ، انا تركناكم وشأنكم اليوم ، و يقال لهم حين يدخلون النار : ذوقوا عذاب النار التي أنتم مخلدون فيها جزاء بما كنتم تعملون به في الحياة الدنيا .

٣٥١٨ ـ (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجداً و سبحوا بحمد ربهم و هم لا يستكبرون)

إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها إلى عظمة الله تعالى وجلاله سقطوا على الارض بوجوههم ساجدين لله جل و علا وحده تذللاً و إستكانة ، و نزّهوه عن كل ما لا يليق بساحة قدسه متلبسين بحمده ، وهم لايستكبرون عن عبادته ، و لا يأنفون أن يعفروا وجوههم و جباههم صاغرين له جل و علا .

٣٥١٩ ـ (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طمعاً ومما رزقناهم ينفقون)

ترتفع جنوبهم ، و تتباعد عن مضاجعهم التي يضطجعون لمنامهم ، داعين ربهم خوفاً من قهره ، وطمعاً في رحمته ، و بعض ما رزقناهم ينفقونه في وجوه البر .

٣٥٢٠ـ (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بماكانوا يعملون)

فلا تعلم نفس من النفوس في الحياة الدنيا ما اخفى الله تعالى و أعدّ لهؤلاء المؤمنين تقرّ به أعينهم في جنانه يوم القيامة، جزاء بماكانوا يعملون به في الدنيا.

٣٥٢١ ـ (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون)

أفمن كان مؤمناً بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ملتزماً بلوازم الايمان من الطاعة والتقوى و صالح الاعمال كمن كان خارجاً عن زيّ العبودية عاصياً على الله سبحان و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يستوون قطّ .

٣٥٢٢ ـ (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون)

أما الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبكتابه واليوم الاخر، وعملوا

الصالحات فى الحياة الدنيا ، فلهم بساتين يأوون إليها فى الاخرة نزلاً و كرامة من عند الله تعالى و عطاياه لهم جزاءاً بما كانوا يعملون به فى الحياة الدنيا .

٣٥٢٣ ـ (و أما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها و قيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون)

وأما الذين خرجوا عما تقتضيه الفطرة إلى ما تشتهيه الشهوة ، فمستقرهم النار ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها لشدة حرّها و ألمها اعيدوا فيها و قيل لهم : ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون فى الحياة الدنيا .

٣٥٢٤ ـ (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون)

اقسم بعظمتى وجلالى انى لاذيق بقهرى وغضبى وقدرتى هؤلاء المشركين من العذاب الدنيوى من القتل والسبى . . . قبل العذاب الاخروى الاكبر لعلهم يرجعون إلى الله تعالى وحده بالتوبة والانابة عن الشرك والطغيان .

٣٥٢٥ ـ (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون)

وليس أحد أظلم لنفسه ممن ذكّره الله تعالى بآياته ومواعظه ، ثم أعرض عنها ، بترك القبول والاتعاظ من غير تفكر فيها إستكباراً ، انا من المجرمين منتقمون فى الحياة الدنيا بالخزى والهوان قبل عذاب الاخرة .

٣٥٢٦ ـ (ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل)

و لقد آتينا موسى الكتاب ولقيناه من الوحى مثل ما آتيناك من الكتاب و ما لقيناك من الوحى ، فلا تكن فى ريب فيما لقيته من الكتاب ، وجعلنا كتاب موسى عليه السلام سبباً لهداية بنى إسرائيل .

٣٥٢٧ ـ (و جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا و كانوا بآياتنا يوقنون)

وجعلنا بعض بنى إسرائيل الذين يليقون لقيادة الناس فى زمنهم خاصة ، يهدونهم بأمرنا و كانوا هم بآياتنا يوقنون .

٣٥٢٨ - (ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)

ان ربك يا محمد ﷺ هو وحده يفصل بين بنى إسرائيل يوم فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الامامة والنبوة ، و فى العقائد الحقة .

٣٥٢٩ - (أولم يهدلهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لايات أفلا يسمعون)

هل غفل هؤلاءِ المشركون ، ولم يظهر لهم بالسير فى الارض كم أهلكنا من الامم الكثيرة الطاغية بسبب كفرهم ومعاصيهم من قبلهم من القرون السالفة ، وهؤلاءِ المشركون يمشون فى منازل اولئك الامم الهالكة ، ان فى ذلك الاهلاك وآثاره لايات دالة على قدرة الله تعالى وغضبه على الكافرين لقوم يسمعون سماع تدبر و إعتبار .

٣٥٣٠ - (أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم و أنفسهم أفلا يبصرون)

أولم ير هؤلاءِ المشركون انا نجرى بقدرتنا الماء النازل من السماءِ إلى الارض الجافة المنقطعة عنها الماء والنبات، فنخرج بذلك الماء زرعاً من الكلاءِ والعشب والحشيش و ما إليها تأكل منها أنعامهم ، ومن الحب والثمار والفواكه و ما إليها تأكل منها أنفسهم ، أهم عمى فلا يبصرون ذلك .

٣٥٣١ - (و يقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين)

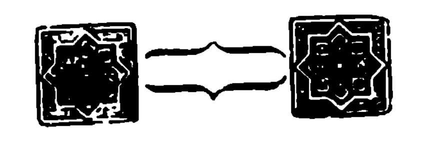
و يقول هؤلاءِ المشركون على طريق الاستهزاءِ والسخرية : متى تنصر علينا محمد كما تعدنا به ، ومتى هذا العذاب الادنى قبل العذاب الاكبر إن كنتم صادقين فيما تقولون .

٣٥٣٢ - (قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم و لا هم ينظرون)

قل يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاءِ المشركين : يوم الفتح والنصرة ، يوم لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ، ولاهم يمهلون لتوبة أومعذرة لحلول العذاب والذلة بهم .

٣٥٢٣ ـ (فأعرض عنهم و انتظر انهم منتظرون)

فأعرض أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن هؤلاءِ المشركين ، و أذاهم و سفاهتهم ، فلاتبال بهم و انتظر موعدى لك بالنصرة عليهم ، لانهم منتظرون عليك ومن معك الدوائر من موت أو قتل ، فيستريحون منك .



﴿ بحث روائي ﴾

قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام : « لكل كتاب الله تعالى خلاصة ، و خلاصة القرآن الحروف المقطعة » .

وفي الخصال : عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: إن العزائم أربع : إقرأ باسم ربك الذى خلق ، والنجم ، و تنزيل السجدة ، وحم السجدة .

و في الدر المنثور : عن الامام على بن أبيطالب عليه السلام قال : عزائم سجود القرآن : الم تنزيل السجدة ، وحم تنزيل السجدة ، والنجم ، و إقرأ باسم ربك الذى خلق .

و في تفسير القمي : في‌قوله تعالى : « تنزيل الكتاب لا ريب فيه » قال : أى لاشك فيه من رب‌العالمين أم يقولون افتراه يعنى قريشاً يقولون : هذا كذب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فردّ الله عليهم : « بل هوالحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون » .

و في روضة الكافي : باسناده عن‌عبدالله‌بن‌سنان قال: سمعت‌أباعبدالله عليه السلام يقول : ان الله خلق الخير يوم الأحد ، وماكان ليخلق الشر قبل الخير ، وفي يوم الأحد والاثنين خلق الأرضين ، و خلق أقواتها في يوم الثلثاء و خلق السموات يوم الاربعاء و يوم الخميس ، وخلق أقواتها يوم الجمعة ، و ذلك قوله عزوجل : « خلق السموات والارض و ما بينهما في ستة أيام » .

و في الكافي : باسناده عن‌عبدالرحمن‌بن‌الحجاج قال: سئلت‌أباعبدالله عليه السلام

عن قول‌الله تعالى : « الرحمن على العرش إستوى » فقال : إستوى في كل‌شيء ، فليس شيء أقرب إليـه من شيء ، لم يبعد منه بعيد ، و لم يقـرب منه قريب ، استوى في كل شيء.

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « يدبرالأمر من السماء إلى‌الارض ثم يعرج إليه . . . » قال : يعني الامور التي يدبرها ، والامر والنهي الذي امر به ، و أعمال العباد كل هذا يظهر يوم القيامة ، فيكون مقدار ذلك اليـوم ألف سنة من سني الدنيا .

و في معاني الاخبار : باسناده عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام في قول‌الله عزوجل : « لابثين فيها أحقاباً » قال : الاحقاب ثمانية أحقاب ، والحقب ثمانون سنة ، والسنة ثلاثمأة و ستون يوماً ، واليوم كألف سنة مما تعدون .

و في أمالي‌الطوسي قدس‌سره باسناده عن‌الامام‌جعفر بن‌محمدالصادق عليه السلام انه قال ـ في حديث طويل ـ : فان في القيامة خمسين موقفاً ، كل موقف مثل ألف سنة مما تعدون ، ثم تلاهذه الاية : « في‌يوم‌كان مقداره خمسين ألف‌سنة » .

و في البرهان : عن أبي‌عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل : « عالم الغيب والشهادة » فقال : الغيب ما لم يكن ، والشهادة ما قد كان .

أقول: و لعل هذا يكون تفسيراً ببعض المصاديق ، و قد سبق الكلام منا تفصيلاً في معنى إسم الجلالة « الله » والاسمين : « الرحمن الرحيم » في تفسير سورة الفاتحة ، فراجع .

و في الدر المنثور : عن الشريد بن سويد قال : أبصرالنبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً قدأسبل إزاره فقال‌له: إرفع إزارك، فقال: يارسول‌الله اني‌أحنف تصطك ركبتاي قال : إرفع إزارك كل خلق الله حسن .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « و بـدأ خلق الانسان من طين » قال : هو آدم عليه السلام « ثم جعل نسله » أي ولده « من‌سلالة » وهوالصفوة من‌الطعام

والشراب « من ماءٍ مهين » قال : أي النطفة المنى « ثم سواه » أي إستحاله من نطفة إلى علقة ، و من علقة إلى مضغة ، حتى نفخ فيه الروح .

و في الاحتجاج : في إحتجاج الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة ـ قال علي عليه السلام : و أما قوله عزوجل: « بل هم بلقاء ربهم كافرون » وقوله: « الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم » و قوله : « إلى يوم يلقونه » و قوله : « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً » يعني : البعث ، فسماه الله لقاء ، كذلك قوله : « من كان يرجوا لقاء الله فان أجل الله لآت » يعني : من كان يؤمن انه مبعوث فان وعدالله لآت : من الثواب ، والعقاب ، فاللقاء ههنا ليس بالرؤية ، واللقاء هو البعث الحديث .

وفيه: و من سئوال هذا الزنديق أن قال : أجدالله يقول: « قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكّل بكم » و من موضع آخر يقول : « والله يتوفى الانفس حين موتها » « والذين تتوفاهم الملائكة طيبين » و ما أشبه ذلك : فمرة يجعل الفعل لنفسه ، و مرة لملك الموت ، و مرة للملائكة ـ

فقال أمير المؤمنين عليه السلام ـ : فأما قوله : « الله يتوفى الانفس حين موتها » وقوله: « يتوفاكم ملك الموت » و « توفته رسلنا » « والذين تتوفاهم الملائكة طيبين » « والذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم » فهو تبارك و تعالى أجل و أعظم من أن يتولى ذلك بنفسه ، وفعل رسله وملائكته فعله لانهم بأمره يعملون ، فاصطفى جل ذكره من الملائكة رسلاً و سفرة بينه و بين خلقه ، و هم الذين قال الله فيهم : « الله يصطفى من الملائكة رسلاً و من الناس » فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة ، ومن كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النقمة ، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة ، يصدرون عن أمره و فعلهم فعله ، و كل ما يأتون منسوب إليه ، و إذا كان فعلهم فعل ملك الموت ، وفعل ملك الموت فعل الله ، لأنه يتوفى الانفس على يد من يشاء ،

و يعطي و يمنع و يثيب و يعاقب على يد من يشاء ، و إن فعل أمنائه فعله فما يشاؤن إلا أن يشاء الله . . .

و في تفسير القمي : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : حضر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم رجلاً من الانصار و كانت له حالة عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فحضره عند موته ، فنظر إلى ملك الموت عند رأسه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : ارفق بصاحبي، فانه مؤمن ، فقال له ملك الموت : يا محمد طب نفساً و قر عيناً ، فاني بكل مؤمن رفيق شفيق ، و اعلم يا محمد اني لأحضر إبن آدم عند قبض روحه ، فاذا قبضته صرخ صارخ من أهله عند ذلك ، فاتنحى في جانب الدار و معي روحه ، فأقول لهم والله ما ظلمناه و لا سبقنا به أجله ، و لا استعجلنا به قدره ، وما كان لنا في قبض روحه من ذنب .

فان ترضوا بصنع الله وتصبروا توجروا وتحمدوا ، وإن تجزعوا وتسخطوا تأثموا و توزروا ، و مالكم عندنا من عتبى ، و ان لنا عندكم ايضاً لبقية وعودة فالحذر الحذر ، فما من أهل بيت مدر ولاشعر في بر ولا بحر إلا و أنا اتصفحهم في كل يوم خمس مرات عند مواقيت الصلاة ، حتى أنا لأعلم منهم بأنفسهم ، ولو اني يا محمد أردت قبض نفس بعوضة ما قدرت على قبضها حتى يكون الله هو الآمر بقبضها ، واني لملقن المؤمن عند موته شهادة أن لا إله إلا الله و ان محمداً رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم .

و في التوحيد : عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ـ في حديث قال فيما سئله رجل عما إشتبه عليه من الايات ـ : فأما قوله: « بل هم بلقاء ربهم كافرون » يعني البعث ، فسماه الله عزوجل لقاه و أما قوله : « قل يتوفاكم ملك الموت الذي و كل بكم » وقوله : « الله يتوفى الانفس حين موتها » و قوله : « توفته رسلنا و هم لايفرطون » وقوله : « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم » وقوله: « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم » فان الله تبارك وتعالى يدبر الامور

كيف يشاء، ويوكل من خلقه من يشاء بما يشاء أما ملك الموت فان الله يوكله بخاصة من يشاء من خلقه، و يوكل رسله من يشاء من خاصته بمن يشاء من خلقه يدبر الأمور كيف يشاء.

و ليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسّره لكل الناس لان فيهم القوى والضعيف، ولان منه ما يطاق حمله، ومنه مالايطاق حمله إلاّ أن يسهل الله له حمله، و أعانه عليه من خاصّة أوليائه، و إنما يكفيك أن تعلم ان الله المحيي المميت، و انه يتوفى الانفس على يدى من يشاء من خلقه من ملائكته وغيرهم.

و فى الفقيه : و سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزوجل: «الله يتوفى الانفس حين موتها» و عن قول الله عزوجل : «قل يتوفاكم ملك الموت الذى و كل بكم» و عن قول الله عزوجل: «الذين تتوفاهم الملائكة طيبين والذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم» و عن قول الله عزوجل : «توفته رسلنا» و عن قوله عزوجل : «و لو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة» و قد يموت فى الدنيا فى الساعة الواحدة فى جميع الآفاق ما لا يحصيه إلاّ الله عزوجل ، فكيف هذا؟

فقال: ان الله تبارك و تعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الارواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الانس يبعثهم فى حوائجه، فتتوفاهم الملائكة و يتوفاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو ، و يتوفاها الله تعالى من ملك الموت.

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : «ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها» قال: لو شئنا أن نجعلهم كلهم معصومين لقدرنا.

وفيه: فى قوله تعالى : «إنا نسيناكم» قال : أى تركناكم.

و فى الكافى : باسناده عن سليمان بن خالد عن أبى جعفر عليه السلام قال : ألا اخبرك بالاسلام أصله و فرعه و ذروة سنامه؟ قلت : بلى جعلت فداك قال : أما أصله فالصلاة و فرعه الزكاة و ذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : إن شئت أخبرتك

بأبواب الخير؟ قلت: نعم جعلت فداك قال: الصوم جنة من النار، والصدقة تذهب بالخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل بذكر الله، ثم قرأ عليه السلام: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع».

و في العلل: باسناده عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام قال: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً» لعلك ترى ان القوم لم يكونوا ينامون؟ قال: قلت: الله و رسوله وابن رسوله أعلم قال: فقال: لابد لهذا البدن أن تريحه حتى يخرج نفسه، فاذا خرج النفس إستراح البدن، و رجع الروح قوة على العمل فانما ذكرهم: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طمعاً» انزل في أمير المؤمنين عليه السلام و أتباعه من شيعتنا ينامون في أول الليل، فاذا ذهب ثلثا الليل أو ما شاء الله فزعوا إلى ربهم راغبين مرهبين طامعين فيما عنده، فذكر الله في كتابه، فأخبرك بما أعطاهم انه أسكنهم في جواره، وأدخلهم جنته و آمنهم خوفه، و أذهب رعبهم قال: قلت: جعلت فداك ان أنا قمت في آخر الليل أي شيء أقول إذا قمت؟ قال:

قل: الحمدلله رب العالمين و إله المرسلين، والحمدلله الذي يحيي الموتى ويبعث من في القبور فانك إذا قلتها ذهب عنك رجز الشيطان ووسواسه إن شاء الله.

و في الدر المنثور: عن إبن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع» قال: هم الذين لاينامون قبل العشاء فأثنى عليهم، فلما ذكر ذلك جعل الرجل يعتزل فراشه مخافة أن تغلبه عينه، فوقتها قبل أن ينام الصغير و يكسل الكبير.

وفيه: عن مجاهد قال: ذكر لنا رسول الله قيام الليل، ففاضت عيناه حتى تحادرت دموعه، فقال: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع».

وفيه: عن سهل بن سعد قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصف الجنة حتى انتهى، ثم قال: فيها مالاعين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على

قلب بشر ثم قرء « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » الآيتين .

و في أمالي الطوسي قدس سره باسناده عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام في قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » قال : كانوا لا ينامون حتى يصلّوا العتمة .

و في المجمع : في قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع . . » قال : أى يرتفع جنوبهم عن مواضع إضطجاعهم لصلاة الليل ، و هم المتهجدون بالليل، الذين يقومون عن فرشهم للصلاة ـ وهو المروى عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام .

وفيه: و روى الواحدي بالاسناد عن معاذ بن جبل قال : بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك ، و قد أصابنا الحر ، فتفرق القوم فاذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقربهم مني فدنوت منه ، فقلت : يا رسول الله أنبئني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: لقد سألت عن عظيم ، و انه ليسير على من يسره الله عليه تعبدالله ولاتشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة و تؤدي الزكاة المفروضة ، و تصوم شهر رمضان قال : و إن شئت أنبأتك عن أبواب الخير ؟ قال: قلت: أجل يا رسول الله قال : الصوم جنة من النار ، والصدقة تكفر الخطيئة ، وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله ثم قرأ هذه الاية : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » .

و في دعاء اليوم الواحد : « بسم الله الذي لا أرجو إلاّ فضله ، ولا اخشى إلاّ عدله . . الخ » .

و في تفسير القمي : باسناده عن عاصم بن حميد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من عمل حسن يعمله العبد إلاّ و له ثواب في القرآن إلاّ صلاة الليل ، فان الله عزوجل لم يبيّن ثوابها لعظيم خطره عنده فقال جلّ ذكره : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ـ إلى ـ يعملون » .

ثم قال : ان لله عزوجل كرامة في عباده المؤمنين في كل يوم جمعة ، فاذا كان يوم الجمعة بعث الله إلى المؤمن ملكاً معه حلّتان ، فينتهى إلى باب

الجنة ، فيقول : إستأذنوا لي على فلان ، فيقال له : هذا رسول ربك على الباب ، فيقول لأزواجه : أي شيء ترين علي أحسن ؟ فيقلن : يا سيدنا والذي أباحك الجنة ما رأينا عليك أحسن من هذا الذي قد بعث إليك ربك ، فيتزر بواحدة و يتعطف بالاخرى ، فلا يمر بشيء إلا أضاء له حتى ينتهي إلى الموعد .

فاذا اجتمعوا تجلى لهم الرب تبارك و تعالى ، فاذا نظروا إليه أي إلى رحمته خروا سجداً فيقول: عبادي إرفعوا رؤسكم ليس هنا يوم سجود ولاعبادة قد رفعت عنكم المؤنة ، فيقولون: يا ربنا و أي شيء أفضل مما أعطيتنا؟ أعطيتنا الجنة فيقول: لكم مثل ما في أيديكم سبعين مرة ، فيرجع المؤمن في كل جمعة بسبعين ضعفاً مثل ما في يديه ، و هو قوله : « و لدينا مزيد » و هو يوم الجمعة ان ليلها ليلة غراء و يومها أزهر ، فأكثروا من التسبيح والتهليل والتكبير والثناء على الله عزوجل والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال: فيمر المؤمن ، فلا يمر بشيء إلا أضاء له حتى ينتهي إلى أزواجه ، فيقلن: والذي أباحنا الجنة يا سيدنا ما رأيناك أحسن منك الساعة ، فيقول: اني نظرت إلى نور ربي ـ إلى أن قال ـ : قلت : جعلت فداك زدني ، فقال : ان الله تعالى خلق جنة بيده ، و لم يرها عين و لم يطلع عليها مخلوق يفتحها الرب كل صباح ، فيقول : إزدادي ريحاً إزدادي طيباً ، و هو قول الله :« فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

قيل : قوله : « أي إلى رحمة ربه » من كلام الراوي ، و ان ذيل الرواية تفسير لصدرها .

و في المجمع : و روي عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال : ما من حسنة إلا ولها ثواب مبين في القرآن إلا صلاة الليل ، فان الله عز إسمه لم يبين ثوابها لعظم خطرها قال : « فلا تعلم نفس ما اخفي لهم » الاية .

و في الكافي : باسناده عن عبدالله بن ميمون القداح عن أبي عبدالله عليه السلام

قال : من أطعم مؤمناً حتى يشبعه لم يدر أحد من خلق الله جل و عزّ ماله من الاجر في الاخرة لاملك مقرّب و لا نبي مرسل إلاّ الله رب العالمين .

و في بشارات الشيعة لابن بابويه رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الحارث بن محمد الاحول عن أبي عبدالله عن أبي جعفر عليهما السلام قال : سمعته يقول : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اسرى به إلى السماء قال لعلي عليه السلام : يا علي اني رأيت في الجنة نهراً أبيض من اللبن ، و أحلى من العسل و أشد إستقامة من السهم فيه أباريق عدد نجوم السماء على شاطئه قباب الياقوت الأحمر والدر الأبيض ، فضرب جبرائيل بجناحه إلى جانبه ، فاذا هو مسك اذ فر ثم قال :

والذى نفس محمد بيده ان في الجنة شجرة تصفق بالتسبيح لم تسمع الاولون والآخرون بمثله يثمر ثمراً كالرمان و تلقى الثمرة إلى الرجل ، فيشقها عن سبعين حلة ، والمؤمنون على كراسي من نور و هم الغرّ المحجّلون أنت إمامهم يوم القيامة ، على الرجل منهم نعلان شراكهما من نور يضيىء امامه حيث شاء من الجنة ، فبينما هو كذلك إذا شرفت إمرأة من فوقه ، فتقول : سبحان الله أمالك فينادولة ؟ فيقول لها : من أنت ؟ فتقول : أنا من اللواتي قال الله عزوجل : « فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » ثم قال : والذى نفس محمد بيده انه ليجيئه كل يوم سبعون ألف ملك يسمونه باسمه و إسم أبيه .

وفي البرهان : بالاسناد عن الصادق عليه السلام ـ في حديث يذكر فيه أهل الجنة ـ قال عليه السلام : و انه ليشرف على ولي الله المرأة ليست من نساء السجف ، فيملأ قصره ومنازله ضوء و نوراً ، فيظن ولي الله ان ربه أشرف عليه أو ملك من الملائكة ، فيرفع رأسه فاذا هو بزوجة قد كادت تذهب نور ما بين عينيه قال : فتناديه قد آن لنا أن يكون لنا منك دولة ، قال : فيقول لها : و من أنت ؟ قال :

فتقول : أنا ممن ذكر الله في القرآن لهم فيها ما يشاؤن و لدينا مزيد

فيجامعها في قوة مأة شاب ، و يعانقها سبعين سنة من أعمار الاولين ، وما يدرى أينظر إلى وجهها أم إلى خلفها أم إلى ساقها ؟ فما من شيء ينظر إليه منها ألا برى وجهه من ذلك المكان من شدة نورها وصفائها، ثم تشرف عليه اخرى أحسن وجهاً ، وأطيب ريحاً من الاولى، فتناديه قدآن لنا أن يكون لنا منك دولة قال: فيقول لها : و من أنت ؟ فتقول : أنا من ذكرالله في القرآن : « فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

و في تفسير القمى : فيقوله عزوجل: « و أما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها » قال : ان جهنم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً ، فاذا بلغوا أسفلها زفرت بهم جهنم ، فاذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد ، فهذه حالهم وأماقوله عزوجل: « وسنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر » الاية قال : العذاب الادنى عذاب الرجعة بالسيف معنى قوله : « لعلهم يرجعون » يعنى فانهم يرجعون في الرجعة حتى يعذبوا .

و في المجمع : في قوله تعالى : « و لنذيقنهم من العذاب الادنى » قال : والاكثر في الرواية عن أبى جعفر و أبى عبدالله عليهما السلام : « ان العذاب الادنى » : الدابة والدجال .

و في البحار : باسناده عن زيدالشحام عن أبىعبدالله عليه السلام قال : « العذاب الادنى دون العذاب الاكبر » : الرجعة .

وفيه: بالاسناد عن زيد الشحام أيضاً عن أبى عبدالله عليه السلام قال : « العذاب الادنى » : دابة الارض .

و في كنز الفوائد للكراجكى رضوان‌الله تعالى عليه باسناده عن مفضّل بن عمر قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول‌الله عزوجل : « ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب‌الاكبر » قال: الادنى غلاء السعر، والاكبرالمهدى بالسيف .

و في كشف نهج البيان للشيباني عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : ان

الادنى القحط والجدب، والاكبر خروج القائم المهدى عليه السلام بالسيف فى آخر الزمان.

و **فى الدر المنثور** : عن أبى ادريس الخولانى قال: سألت عبادة بن الصامت عن قول الله : « ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر » فقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها فقال : هى المصائب والأسقام والأنصاب عذاب للمسرف فى الدنيا دون عذاب الآخرة ، قلت : يا رسول الله فما هى لنا؟ قال : زكاة و طهور .

و **فى تفسير القمى** : فى قوله تعالى : « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا » الاية قال : فى علم الله انهم يصبرون على ما يصيبهم فجعلهم أئمة .

وفيه: باسناده عن طلحة بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال : الائمة فى كتاب الله إمامان : إمام عدل ، و إمام جور ، قال الله : « و جعلناهم يهدون بأمرنا » لا بأمر الناس يقدمون أمر الله قبل أمرهم ، وحكم الله قبل حكمهم، قال: « وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار » يقدمون أمرهم قبل أمر الله ، وحكمهم قبل حكم الله ، و يأخذون بأهوائهم خلافاً لما فى كتاب الله .

وفيه: باسناده عن حفص بن غياث عن أبى عبدالله عليه السلام ـ فى حديث ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جميع أحواله ثم بشّر بالأئمة من عترته و وصفوا بالصبر فقال : « و جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » .

و **فى المناقب** : لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم دعا لعلى وفاطمة عليهما السلام ، فقال: اللهم اجمع شملهما و ألّف بين قلوبهما و ذريتهما من ورثة جنة النعيم، و ارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة ، و اجعل فى ذريتهما البركة ، و اجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك ، و يأمرون بما يرضيك .

و **فى تفسير القمى** : فى قوله تعالى : « أولم يروا انا نسوق الماء إلى الارض الجرز » قال : الارض الخراب ، و هو مثل ضربه الله عزوجل فى الرجعة والقائم صلوات الله عليه فلما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخبر الرجعة قالوا : متى

هذا الفتح إن كنتم صادقين و هذه معطوفة على قوله : « ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر » فقالوا : متى هذا الفتح **إن** كنتم صادقين ، فقال الله عزوجل : « قل لهم يوم الفتح لا ينفع الذيــن كفروا ايمانهم و لا هم ينظرون ، فأعرض عنهم يا محمد و انتظر انهم منتظرون» .

و فى الكافى : باسناده عن إبن درّاج قال : سمعت أباعبـدالله عليه السلام يقول فى قول الله عزوجل: « قل يوم القيامة لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون » قال : يوم الفتح يوم تفتح الدنيا على القائم عليه السلام لاينفع أحداً تقرب بالايمان مالم يكن قبل مؤمناً ، و بهذا الفتح موقناً ، فذلك الذى ينفعه ايمانه ، و يعظم الله عنده قدره وشأنه ، ويزخرف له يوم القيامة والبعث جنانه ، وتحجب عنه نيرانه ، و هذا أجر الموالين لأمير المؤمنين عليه السلام و لذريته الطيبين عليهم السلام .



﴿ بحث فقهي ﴾

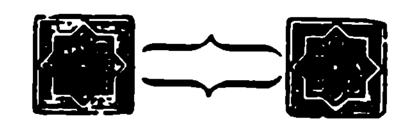
و استدل بعض المتفقهين من العامة بقوله تعالى : « و كل بكم » السجدة : ١١) على جوازالوكالة .

وقال بعض الآخرين منهم : وهذا أخذ من لفظه لامن معناه ، ولو اطّرد ذلك لقلنا في قوله تعالى : « قل يا أيها الناس اني رسول الله إليكم جميعاً » الاعراف . ١٥٨)

انها نيابة عن الله تبارك وتعالى ، ووكالة في تبليغ رسالته ، ولقلنا أيضاً في قوله تبارك وتعالى : « وآتواالزكاة » انه وكالة ، فان الله تعالى ضمن الرزق لكل دابة ،وخصّ الاغنياء بالاغذية ،وأوعزإليهم بأن رزق الفقراء عندهم ، وأمر بتسليمه إليهم مقداراً معلوماً في وقت معلوم ، دبره بعلمه ، وأنفذه من حكمه ، و قدّره بحكمته. والاحكام لاتتعلق بالالفاظ إلاّ أن ترد على موضوعاتها الأصيلة في مقاصدها المطلوبة ، فان ظهرت في غير مقصدها لم تعلّق عليها .

ألاترى ان البيع والشراء معلوم اللفظ والمعنى ، وقد قال تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة » ولايقال : هذه الاية دليل على جوازمبايعة السيد لعبده لان المقصدين مختلفان ، أما انه اذا لم يكن بدّ من المعاني فيقال : ان هذه الاية دليل على أن للقاضي أن يستنيب من يأخذ الحق ممن هوعليه قسراً دون أن يكون له في ذلك فعل ، أو يرتبط به رضاً اذا وجد ذلك .

ويستدل بقوله تعالى : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون» السجدة : ١٨) على منع القصاص بين المؤمن والكافر لصراحة نفي المساواة بينهما ، من غير دليل للتخصيص ، فالحمل على العموم هو الصحيح ، ومن شرط وجوب القصاص المساواة بين القاتل والمقتول ، خلافاً لابي حنيفة إذ جوّز قتل المسلم بالذمي مستدلاً بان المراد بنفي المساواة ههنا في الاخرة في الثواب ، وفي الدنيا في العدالة.



﴿ بحث مذهبي ﴾

قال الله تعالى : « الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام» السجدة : ٤) وفيه ردّ صريح على أصحاب الخرص والتخمين الذين قال الله تعالى فيهم : « ان يتبعون إلاّ الظن وإن هم لايخرصون » الانعام ، ١١٦) .

وقال : « وما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون » الجاثية : ٢٤)الذين-لايبتنى اكثر نظرياتهم على أصل كما ترى انها تخدش وتطرد بعد أيام ويردّ بعد سنين ـ زعموا ان الارض إنفصلت من الشمس ثم بردت تدريجاً إلى أن وجدت عليها المعادن والنبات والحيوان ثم الانسان كذلك وما إليها من الاقاويل الباطلة والاوهام . . . فى طوال الاعصار . . .

ومن الأسف ان بعض المتفسرين ـ الذين لاشأن لهم فى فهم القرآن الكريم وليسواهم إلاّ همج الرعاء ـ قلّدوا هؤلاء الببغاء فى كل نظرة من نظرات واهية كأصل الانسان من القردة ، والخروج من مدار الارض ، والسير فى الكرات السماوية ، وإنفصال الارض من الشمس وما إليها من السخائف من غير تدبر ونظر فى علل ظهور تلك النظرات ، بل سعوا فى إنطباق القرآن الكريم ـ الذى لايمسه إلاّ المطهرون ـ عليها ولابد من تطبيق الآراء على القرآن الكريم لاالعكس وقد قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فى مفسر القرآن حقاً والمتفسرين : «وهو يعطف الرأى على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأى»

وقد ذهبت الاشاعرة من مشبهة العامة ومجبرتهم إلى أن الله سبحانه كائن فى جهة « فوق » مستوياً على عرشه فوق أطباق الثرى ، وانه سبحانه ينزل و

يصعد ويتحرك من مكان إلى مكان فيحويه مكان ويخلومنه مكان مستدلين على ذلك بقوله تعالى : « ثم استوى على العرش ـ يدبر الامرمن السماءِ إلى الارض ثم يعرج إليه ـ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوارؤسهم عند ربهم » السجدة :٤و٥و١٢)

أقول : ولقد سبق معنى الايات في التفسير والتأويل من بحث هذاالكتاب، ومايهمنا في المقام أن نشيرإلى ما ذهبت إليه الشيعة الامامية الاثنى عشرية من الكلام إجمالاً ثم الاشارة الاجمالية إلى معنى الايات الكريمة والسلام .

أما الشيعة : فانهم تابعون لأهل بيت النبوة صلوات الله عليهم أجمعين الذين عصمهم الله تعالى من الخطأ والزلل . . . فهم يقولون ان الله سبحانه ليس بجسم ولافيه شيء من خواص الاجسام ، وانه جل وعلا لا يوصف بالابعاد الثلاثة من طول وعرض وعمق ، ولاهوذوحركة وسكون، ولاخفة ولاثقل ولاوزن ،ولاهو محدود بجهة ، ولايحويه مكان ، ولايخلومنه مكان ، ولاهومعروض الحوادث من الاجتماع والافتراق : ولا الحضوروالغياب ، ولاالانتقال والذهاب والاياب ، فان ذلك كله من لوازم الجسم ، وعوارض حادثة ، والله جل وعلا ليس بجسم ، و هو تعالى قديم في ذاته وصفاته ،منزه عن كل عرض وحدث وهويقول : « ليس كمثله شيء وهوالسميع البصير » الشورى : ١١)

في نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة ـ : « من أشارإليه فقد حدّه ، و من حدّه فقد عدّه ، و من قال : فيم ؟ فقد ضمنه ، و من قال : علام ؟ فقد أخلى منه ،كائن لاعن حدث ، موجود لاعن عدم ، مع كل شيء لا بمقارنة ، وغير كل شيء لابمزايلة »

وقال عليه السلام : «لايشغله شأن ، ولايغيره زمان ، ولايحويه مكان »

وقال عليه السلام : «لايدرك بوهم ، ولايقدر بفهم ولايشغله سائل ، ولاينقصه نائل، ولاينظر بعين ، ولايحد بأين ، ولايوصف بالازواج ، ولايخلق بعلاج ، و لايدرك بالحواس ، ولايقاس بالناس » .

وفي الكافي : قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام : « ان الله عظيم

رفيع لايقدر العباد على صفته ، ولايبلغون كنه عظمته ، لاتدركه الابصار، و هو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير، ولايوصف بكيف ، ولا أين ولاحيث،وكيف اصفه بالكيف ؟ وهو الذى كيّف الكيف حتى صار كيفاً ، فعرفت الكيف بما كيّف لنا من الكيف ، أم كيف أصفه بأين ، وهو الذى أيّن الأين حتى صار أيناً ،فعرفت الأين بما أيّن لنا من الأين ، أم كيف أصفه بحيث ؟ وهو الذى حيّث الحيث حتى صار حيثاً ، فعرفت الحيث بما حيّث لنا من الحيث ، فالله تعالى داخل فى مكان و خارج من كل شيء لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار لاإله إلاّ هو العلى العظيم وهو اللطيف الخبير » .

وفيه: قال عليه السلام فى جواب إبن أبى العوجاء : « فأما الله العظيم الشأن الملك الديان ، فلايخلو منه مكان ، ولايشتغل به مكان ، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان » .

وفيه: باسناده عن يعقوب بن جعفر الجعفرى عن أبى إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام قال : ذكر عنده عليه السلام قوم يزعمون ان الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا فقال : « ان الله لا ينزل ولايحتاج إلى أن ينزل ،إنما منظره ـ أى علمه المحيط ـ فى القرب والبعد سواء ، لم يبعد منه قريب ولم يقرب منه بعيد ، و لم يحتج إلى شيء بل يحتاج إليه(كل شيء خ) وهو ذو الطول لاإله إلاّ هو العزيز الحكيم ، أما قول الواصفين : انه ينزل تبارك وتعالى ، فانما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أوزيادة ، وكل متحرك محتاج إلى من يحرّكه أو يتحرك بـه ، فمن ظنّ بالله الظنون هلك ، فاحذروا فى صفاته من أن تقفوا له على حدّ تحدّونه بنقص أوزيادة ، أوتحريك أوتحرّك ،أوزوال أو إستنزال، أونهوض أوقعود ، فان الله جل وعز عن صفة الواصفين ، ونعت الناعتين ، وتوهم المتوهمين ، وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين » .

أقول: وهذا مذهب الشيعة الامامية الاثنى عشرية فى الاسلام والسلام على

من اتبع الهدى .

وأما معنى الاستواء فهو التمكن الكامل ، والاستيلاء التام من الاحاطة بشئون تدبير العالم ، والمراد من العرش هو عرش التدبير كناية لاغير دون الجلوس كمازعمت المجسمة من العامة .

والمراد من قوله تعالى : « ناكسوا رؤسهم عند ربهم » هو كشف الحق و وضوح الامر .

و استدل الاشعرى بقوله تعالى : « الله الذى خلق السموات والارض و ما بينهما فى ستة أيام » السجدة : ٤) على أن أفعال العباد مخلوقة لله تشملها كلمة « وما بينهما »

أقول : لوصح ذلك لوجب أن تكون أفعال الله كلها مخلوقة فى ستة أيام ولافعل له فى غير تلك الايام ، وهذا لايجوز ، مع أن الآية جاءت فى معرض التمدح، ولا تمدح فى خلق أفعال العباد ومنها القبيح .

فى المجمع : فى قوله تعالى : « الذى أحسن كل شىء خلقه » السجدة:٧) قال : وفى هذا دلالة على أن الكفر والقبائح لايجوز أن يكون من خلقه .

أقول : وفى الاية دلالة على أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله تعالى كما زعمت الاشاعرة وذلك لان الحسن ضد القبيح ، والاية تدل على أن الله تعالى أحسن فى كل شىء خلقه ، ولماكان فى أفعال العباد مالا يحسن ، فانه يمتنع أن تكون من خلقه سبحانه .

وفى المفردات :قال الراغب: الحسن عبارة عن كل مبهج ـ بصيغة الفاعل ـ مرغوب فيه ، وذلك ثلاثة أضرب : مستحسن من جهة العقل ، ومستحسن من جهة الهوى ، ومستحسن من جهة الحس .

قيل : وهذا تعريف له من جهة خاصته وإنقسامه بانقسام الادراكات الانسانية وحقيقته ـ الحسن ـ :ملائمة أجزاء الشىء بعضها لبعض ، والمجموع للغرض والغاية

الخارجة منه ، فحسن الوجه تلاؤم أجزائه من العين والحاجب والأنف والفم و غيرها ، وحسن العدل ملائمته للغرض من الاجتماع المدنى وهو نيل كل ذى حق حقه وهكذا .

والتدبر فى خلقة الاشياء وكل منها فى نفسه متلائم الاجزاء بعضها لبعض والمجموع من وجوده مجهّز بما يلائم كماله و سعادته تجهيزاً لا أتم ولا أكمل منه يعطى أن كلا منها حسن فى نفسه حسناً لاأتم وأكمل منه بالنظر إلى نفسه ، وأما مانرى من المساءة والقبح فى الاشياء فلأحد أمرين إما لكون الشيء السيىء ذاعنوان عدمى يعود إليه المساءة لالوجوده فى نفسه كالظلم والزنا، فان الظلم ليس بسيّىء قبيح بما أنه فعل من الأفعال بل بما أنه مبطل لحق ثابت والزنا ليس بسيّىء قبيح من جهة نفس العمل الخارجى الذى هو مشترك بينه وبين النكاح بل بما أن فيه مخالفة للنهى الشرعى أو للمصلحة الاجتماعية .

أو بقياسة إلى شيء آخر فيعرضه المساءة والقبح من طريق المقايسة كقياس الحنظل إلى البطيخ ، وقياس الشوك إلى الورد ، وقياس العقرب إلى الانسان ، فان المساءة إنما تطرء هذه الأشياء من طريق القياس إلى مقابلاتها ، ثم قياسها إلى طبعنا و يرجع هذا الوجه من المساءة إلى الوجه الاول بالحقيقة ، و كيف كان فالشيء بما أنه موجود مخلوق لايتصف بالمساءة ، ويدل عليه الاية : «الذى أحسن كل شيء خلقه » إذا إنضم إلى قوله : « الله خالق كل شيء » الزمر : ٦٢) فينتجان أولاً ان الخلقة تلازم الحسن ، فكل مخلوق حسن من حيث هو مخلوق.

وثانياً ان كل سيّىء وقبيح ليس بمخلوق من حيث هو سيّىء قبيح كالمعاصى والسيئات من حيث هى معاص وسيئآت والاشياء سيئة من جهة القياس .

وقد تشبثت الأشاعرة المجبرة بقوله تعالى : « ولو شئنا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين » السجدة : ١٣) على نفى الاستطاعة وسلب القدرة عن العباد **إطلاقاً** على ايجاد فعل أو ترك .

وإنماهم مضطرون فيما يفعلون لاإرادة لهم ولاإختيار ، وكذلك فيما يتركونه . وهؤلاء الببغاء السفلة توهموا ان الله تعالى قد حتم على أهل النار من الأزل أن يحرموا من التوفيق والهدى ليملأبهم النار .

أقول : وقد أجاب عن تلك السخائف ، الشيعة الامامية الاثنى عشرية بأن الله تعالى خلق الخلائق لاشريك له في الخلق ، ولاخالق سواه ، وركب في كل مخلوق صفة ، وجعل لكل موجود أثراً ، و جعل من أوصاف الاشياء و آثارها نوعين :

أحدهما - مايصدرعنهاصدوراً لاباختيارها ، ولاهي مقيدة بارادتها ، كطلوع الشمس وإشراقها ، ونبت الشجر وأثمارها . . .

ثانيهما - ما يصدر عنها صدوراً تحت إختيارها ، و مقيدة بارادتها كمشى الانسان ووقوفه ، وطلبه الطعام وأكله . . .

فهناك فرق ضرورى بين حركة يد المرتعش الحادثة لاعن إختياره ، و تحريك اليدلتناول الطعام والشراب ، المنضبط تحت الاختيار. كالفرق بين التنفس والتكلم ، وهكذا بين نبات الشعر وحلقه ، وبين رؤية العين وإغماضها . . . على أن الاول لااختيارفيه ، والثانى إختيارى ، و ان الفعل الاختيارى هوما إذا شاء الانسان فعله ، أوشاء تركه ، وان الامر الذى يجده الانسان في صميم فطرته فارقاً بين الامرين بديهى لاغبارفيه .

فهناك أفعال إختيارية تصدرعن الفاعل المختارحسب إرادته وإختياره، يكون هوالمسؤول عنها ، تحسيناً أوتقبيحاً ، مدحاًأوذماً ، ثواباً أوعقاباً ، ولايسئل عنها غيره بتاتاً ، ولايؤخذالجاربذنب جاره، ولاتزروازرة وزراخرى ، ومضاعفات كل عمل إنما ترجع إلى عامله ، تستند إليه تبعاته من خيرأوشر ، من صلاح أوفساد ، ومن حق أوباطل . . .

هذا ماتشهد به ضرورة العقل وبداهة الوجدان ، و عليه صح التكليف

والتشريع وبعث الرسل وإنزال الكتب ،والامر والنهي والوعد والوعيد ، والمثوبة والعقوبة وما إليها ،وإلاّ لغى التكليف وبطل التشريع والبعث والزجر ،ولم يكن موقع لتحسين أو تقبيح ولا إستحقاق جزاء ، ولأصبح تحسين المحسن على إحسانه عبثاً كمدح الجميل على حسن صورته ، وهكذا لغى ذم المسيء على إسائته كذم الدميم على قبح منظره وقدح القصير على قصر قامته أو الاعرج على عرج رجله .

وقد دلّ صريح القرآن في محكمات آياته الكريمة على صحة ما شهدت به العقول ، وإعترفت به العقلاء ، وذلك ان جميع الايات التي جاء فيها ذكر الوعد والوعيد والامر والنهي والتكليف والتشريع ، والمثوبة والجزاء والدعوة إلى الايمان والخروج عن طاعة الشيطان، ومدح المؤمنين وذم الكفار والمنافقين، وهي تشكل غالبية آي القرآن الكريم

وبالجملة : ان المراد بالمشيئة في قوله تعالى : « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » ونظيره هي المشيئة التكوينية ، وان الارادة التكوينية لاتتخلف عن تحقق المراد قال الله تعالى : « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » النحل : ٤٠) بل لاحاجة إلى قوله « كن» وإنما هي تقدير ، وبعبارة فنية: ان نفس إرادته تعالى لتكوين شيء كافية في تحققه وجوداً ، والامر في قوله:« كن» أمر تكويني أيضاً حيث إرادته هو فعله .

وان إرادة الله جل وعلا لأفعاله هي نفس أفعاله ، وإرادته لأفعال خلقه،أمره بالافعال ، وبهذا جاءت الآثار عن أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم اجمعين و عليه مذهب الشيعة الامامية الاثنى عشرية :

في الكافي : باسناده عن صفوان بن يحيى قال : قلت **أبي** الحسن ـ علي بن موسى الرضا ـ عليه السلام : أخبرني عن الارادة من الله ومن الخلق ؟ قال : فقال عليه السلام: « الارادة من الخلق الضمير و ما يبدولهم بعد ذلك من الفعل ، وأما من الله تعالى فارادته إحداثه لاغير ذلك ، لانه لايروى ولايهم ولايتفكر ، و هذه الصفات منفية

عنه ، وهى صفات الخلق، فارادة الله : الفعل (هى الفعل خ)لاغيرذلك يقول له : كن فيكون بلالفظ ولانطق بلسان ولاهمة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما انه لا كيف له » .

و أما الارادة التشريعية: فهى عبارة عن أمره تعالى ونهيه ، بعثاً و زجراً للعباد فيما يعود عليهم من مصالح ومفاسد كامنة وراء التكاليف ، فشاء الله تعالى هذه الارادة بلاريب لانه تعالى وجّه دعوته إلى الناس كافة إذ قال : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم . . .» البقرة : ٢١) وقال : «وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون» آل عمران : ١٣٢) وما إليهما من الايات القرآنية التى تسند الكفر والايمان ، والطاعة والعصيان وسائر أفعال العباد إلى أنفسهم و إرادتهم و إختيارهم إن شاؤا فعلوا وإن شاؤا تركوا .

وكيف هذا الكلام لوكان الله سبحانه هوخالق الكفر فيهم ؟ ! «إن تكفروا فان الله غنى عنكم ولايرضى لعباده الكفروإن تشكروا يرضاه لكم » الزمر:٧) إذ كيف مريداً منهم الكفر حسب تعبير الاشعرى وأذنابه والله سبحانه لايرضى لعباده الكفر ! ! فالمشيئة التشريعية قد تتخلف عن المراد حيث يعصى العباد ويخالفون أمره تعالى ولامحذور فى ذلك بعد ان كانت دار التكليف دار إختيار حيث لا موقع للتكليف لولا إختيار المكلفين فى الايمان والكفر ، والطاعة والعصيان ، و ان مصلحة التكليف هى التى تستدعى إختيار العباد فى الامتثال والترك تمهيداً لاختبارهم فى هذه الحياة « ليميز الله الخبيث من الطيب » الانفال : ٣٧)

والتفكيك بين الارادتين شيء معروف فى روايات أئمة الهدى أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم أجمعين .

فى الكافى : باسناده عن الفتح بن يزيد الجرجانى عن أبى الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام قال : «ان لله إرادتين ومشيئتين : إرادة حتم وإرادة عزم »

ثم شرح الامام عليه السلام الثانية بقوله: « ينهى وهو يشاء » أى يشاء أن يقع وإن

كان نهي عنه ـ في الظاهر ـ أن لايقع، فنهيه نهي تشريع ، أما إشاعته فاشاعة تكوين، وقد مثل له الامام عليه السلام بنهي آدم عليه السلام عن أكل الشجرة ، وقد كانت المصلحة تستدعي الاكل منها ، حيث خلق آدم عليه السلام ليعيش على الارض ويكـون خليفة الله فيها ، فتخلفت إرادته التشريعية عن إرادته التكوينية .

فظهر ان المراد بالمشيئة في آية السجدة هي المشيئة التكوينية والمعنى: لوأراد الله تعالى ايمان كل نفس بارادته التكوينية لفعل ، ولكنه تعالى لم يشاء الايمان إلاّ عن إختيارهم لغرض الاختبار حيث لاتمييز مع الاجبار والالجاء و إن شاء الايمان بارادته التشريعية .

وبذلك يرتفع ايهام التناقض بين أمثال هذه الاية و آيات اخرجاء فيها : انه تعالى هدى الناس جميعاً ، ولايرضى لعباده الكفر حيث ان هذه الطائفة من الايات تعني مشيئته تعالى التشريعية أمراً ونهياً ، بعثاً و زجراً ، وعداً و وعيداً ، بشارة وإنذاراً في هداية شاملة وإرشاد عام .

قال الله تعالى : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » الانسان :٣)

وقال : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى» فصلت : ١٧)

وقال : « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » الاحزاب : ٤)

قوله تعالى : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون » السجدة : ١٨)

ردّ على الأشاعرة إذ يرون جواز أن يفعل الله مانسميه قبيحاً ، ويترك مانعلمه واجباً لان فعله تعالى هو القانون ، ولذلك فلاقبيح منه ولاواجب عليه ، لانه هو المالك لخلقه يفعل فيهم مايشاء ويحكم بما يريد ، فلو أدخل الخلائق جميعاً في النار لم يكن ذلك منه جوراً ، ولو أدخلهم الجنة لم يكن حيفاً ، فالظلم هو التصرف على خلاف الامر ، والله جل وعز هو الآمر الناهي ، فلا أمر ولانهي يتوجه إليه من سواه فكل ما سواه ملك له .

راجع إلى (المواقف ٨ :١٨٩) و (الخطط للمقريزى ٤/١٨٧) و (شرح

ام البراهين للسنوسى ٤٨) و (نظرية التكليف آراء القاضي عبد الجبار للدكتر عبدالكريم عثمان ص ٢٩٠)

أقول : و قد ذهبت الشيعة الامامية الاثنى عشرية إلى أن الله تعالى كلما وصفه بالقبح فهوقبيح عنده وهولايريده ، وكلما وصفه بالحسن فهوحسن عنده و هومراده ، وان الله سبحانه لايريد ظلماً وجوراً ، ولاقبيحاً وحيفاً ، وإذا لم يرد الله تعالى ظلماً ولاقبيحاً فلاحاجة لنا إلى البحث : هل هوجل وعلاقادر عليهما أم لا؟ ! فان الله تعالى يفعل مايشاء ومالم يشاء لم يفعل.

و يستدل بقوله تعالى : « وجعلناه هدى لبني إسرائيل » السجدة : ٢٣) على أن الله تعالى جعل التوراة هدى لبنى اسرائيل خاصة ، ولم يتعبد بما فيها ولد إسمعيل .

وفي قوله تعالى : « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا . . . » السجدة : ٢٤) دلالة على أن أمر الامامة لابد وأن يكون من عندالله تعالى كالنبوة والرسالة،وفيه دلالة على بطلان إرجاع أمرها إلى الشورى والآراء . . . فتأمل جيداً والسلام على من اتبع الهدى .

﴿الخلق و القرآن الكريم﴾

قال الله تعالى : «الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام - الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين » السجدة : ٤ ـ ٨)

لابدلنا من ذكر معنى الخلق إجمالاً ثم ما جاء ذكره فى القرآن الكريم، بمواضع عديدة على ما يسعه المقام ، لما فيه من بيان العجائب وتنبيه البدائع ، و تذكرة إتقان الصنع وإبداع التركيب فيه ، فليس ذكره فيه كذلك تكراراً محضاً كما زعم بعض الناس .

أما الخلق: فهو إبتداع الشىء على مثال لم يسبق إليه ، والصنع والتقدير ، قال الله تعالى : « هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه » لقمان : ١١) أى صنعه أو تقديره كما يمكن إرادة هذا مصنوعه ومقدّره ـ مجازاً ـ كاطلاق اللفظ وإرادة الملفوظ.

وكل شىء خلقه الله تعالى فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه ، ومن صفات الله تعالى : الخالق والخلّاق ، ولا يجوز إطلاق هذه الصفة ـ بالالف واللام ـ على غير الله جل وعلا .

وان الخلق فى كلام العرب على وجهين: أحدهما ـ الانشاء على مثال أبدعه. ثانيهما ـ التقدير ومنه قوله تعالى : «فتبارك الله أحسن الخالقين » المؤمنون:١٤) أى أحسن المقدرين لان المراد من الخلق هو ايجاد الشىء مقدراً تقديراً لاتفاوت

فيه قال الله تعالى : « ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت » الملك : ٣) ودليله قوله جل وعلا : « ألاله الخلق والامر » الاعراف : ٥٤) .

وفى تفسير النعمانى : باسناده عن إسمعيل بن جابر قال : سمعت أباعبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول ـ وسئل الشيعة أمير المؤمنين علياً عليه السلام عن متشابه الخلق ،فقال عليه السلام : هو على ثلاثة أوجه ورابع ، فمنه خلق الاختراع فقوله سبحانه : « خلق السموات والارض فى ستة أيام » وأما خلق الاستحالة فقوله تعالى: «يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » وقوله تعالى : « هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة و غير مخلقة لنبيّن لكم ونقرّ فى الارحام مانشاء » وأما خلق التقدير فقوله لعيسى عليه السلام : « وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير » إلى آخر الاية ، وأما خلق التغيير فقوله تعالى : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » . الحديث .

قيل : ان الفرق بين « خلق » و «جعل » ان فى الخلق معنى التقدير ،وفى الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شيئاً أو نقله من مكان إلى مكان .

وقيل : ان الخلق قد يطلق على مطلق الايجاد سواء كان مسبوقاً بمدة ومادة، وهو الخلق بالمعنى الاخص كالمواليد أو مسبوقاً بمادة دون المدة وهو الاختراع كالافلاك ومافى جوفها من العناصر أو لم يكن مسبوقاً بشيء منهما مع التعلق بالمادة وهو الانشاء كالنفوس أم بدونه وهو الابداع كالعقول . . .

وأما الايات الكريمة فمنها :

قوله تعالى : «إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق » العلق:١ـ٢)

وقوله : « أولايذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » مريم: ٦٧)

وقوله : « ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » آل عمران : ٥٩)

وقوله : « يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقرّ فى الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً » الحج : ٥)

وقوله : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » المؤمنون:١٢-١٤)

وقوله : « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً » الانسان : ١-٢)

و قوله : « يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم الذى خلقك فسوّاك فعدلك فى أىّ صورة ماشاء ركبك » الانفطار : ٦ - ٨)

وقوله : « فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » الطارق : ٥ - ٧)

وقوله : « هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً و منكم من يتوفى من قبل و لتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون » غافر : ٦٧)

وقوله : « خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لاإله إلاّ هو فأنى تصرفون » الزمر : ٦)

وقوله : « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من نار السموم» الحجر : ٢٦ - ٢٧)

وقوله : « وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً و صهراً و كان ربك قديراً » الفرقان : ٥٤)

وقوله: « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءاً » النساء: ١)

وقوله: « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والارض و إختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لايات للعالمين » الروم: ٢٠ ـ ٢٢)

وقوله: « سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم و مما لايعلمون ـ ومن نعمّره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون ـ أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون » يس: ٣٦ ـ ٧٣)

وقوله: « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عندالله أتقاكم ان الله عليم خبير» الحجرات: ١٣)

وقوله: « الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير » الروم: ٥٤)

وقوله: « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » البقرة: ٢١ ـ ٢٢)

وقوله: « والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً و جعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتمّ نعمته عليكم لعلكم تسلمون » النحل: ٨١)

وقوله: « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور الذى خلق سبع سموات طباقاً ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع

البصر هل ترى من فطور » الملك : ٢ ـ ٣)

وقوله : « ان في خلق السموات والارض وإختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار» آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١)

وقوله : « وما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون » الذاريات : ٥٦)

وقوله : « والانعام خلقها لكم فيها دفء و منافع ومنها تأكلون و لكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلاّ بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالاتعلمون » النحل : ٥ ـ ٨)

وقوله : « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الارض كيف سطحت» الغاشية : ١٧ ـ ٢٠)

وقوله : « ان في إختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون » يونس : ٦)

وقوله : « وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين » الانبياء : ١٦)

وقوله : « انا كل شيء خلقناه بقدر » القمر : ٤٩)

وقوله : « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله مايشاء ان الله على كل شيء قدير » النور : ٤٥)

وقوله: « ومن آياته خلق السموات والارض ومابث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير» الشورى : ٢٩)

وقوله تعالى : «بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا إله إلاّ هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل » الانعام : ١٠١ ـ ١٠٢)

وقوله : « أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء» الاعراف : ١٨٥)

وقوله : « أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير ـ خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمؤمنين » العنكبوت : ١٩ ـ ٤٤)

وقوله : « أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ءإله مع الله بل هم قوم يعدلون » النمل : ٦٠)

وقوله : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علماً » الطلاق:١٢)

وقال : « ان في خلق السموات والارض وإختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون » البقرة : ١٦٤)

وذلك كله طرف من آيات الله البينات ، ولها صلة باثبات الخالق و صفاته تعالى فانها تدل على وجوده وعلمه ، على عظمته وكبريائه ، على حكمته وقدرته، وعلى إرادته وتدبيره في أمره ، والكون كله آيات قويمة بينة تدل على الله تعالى ، ولا نجد أية حقيقة في الوجود تتوفر لاثباتها ، و للبرهنة عليها ـ من كل موجود ، وكائن سوى الله تعالى شأنه .

وإن إنفطار العالم برهان لامردّ له على ضرورة وجود خالق غير منفطر ، برهان قاطع على علم الخالق وقدرته ، على رحمة الخالق وحكمته ،على وحدانية الخالق وربوبيته وعلى تدبيره وبصيرته . . : ولا هكذا ما سواه .

﴿ الخلق و التوحيد ﴾

ومن أوضح الطريق لاثبات وجود الخالق الواحد لهذا العالم الشاسع ستة امور: أحدها ـ الامكان. ثانيها ـ الحدوث ـ ثالثها ـ مجموع الامكان والحدوث. وكل واحد من تلك الثلاثة إما في الجواهر ، و إما في الاعراض ، و ذلك كله محصور في دلائل الآفاق والأنفس . . . وقد أشار إليها في هذه السورة بقوله تعالى: « الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ـ يدبر الامر من السماء إلى الارض ـ ذلك عالم الغيب والشهادة ـ الذى أحسن كل شيء خلقه ـ ثم جعل نسله ـ ثم سواه ـ أولم يروا انا نسوق الماء إلى الارض الجرز . . . » الايات : (۴ ـ ۲۷)

ومن الضرورة : ان كل عاقل سليم القلب يرى ان هذا العالم الشاسع ومنه الانسان ماكان موجوداً من قبل ، وصار الآن موجوداً ، وان كل ماوجد من كتم العدم ، فلابد له من موجد ، وذلك الموجود ـ ومنه الانسان ـ ليس نفسه ، ولا أبويه ولا غيره من المخلوقات لان عجز المخلوق عن مثل هذا التركيب معلوم بالبداهة، فلابد من موجد يخالف تلك الموجودات حتى يصح منه ايجاد الأشخاص...

وهذه الطرق هي أقرب طريق إلى أفهام الخلق ، وأشدها إلتصاقاً بالعقول لينتفع به كل أحد من الخواص والعوام ، مع أن غرض القرآن الكريم من الدلائل ليس مجادلة متعادية . . . وإنما الغرض منها تحصيل العقائد الحقة في القلوب و هذا النوع من الدلائل أقوى من سائر الطرق لان هذا النوع من الدلائل كما

يفيد العلم بوجود الخالق ، فهويذكر نعم الخالق علينا ، فان الوجود والحياةمن النعم العظيمة الالهية علينا ، وتذكير النعم مما يوجب المحبة ، وترك المنازعة وحصول الانقياد .

وقد جاء في بعض الكتب الكلامية بشأن إثبات وجود الخالق : اننالوفرضنا أن ب مثلاً خلق س ، وص خلق ب ، ودخلق ص وهكذا . . . ينتهي بالفرض إلى مالانهاية له من الموجودات ، خلق المتقدم منهاالمتأخر ، وهذا تسلسل،والتسلسل باطل ، لانه لابد من خالق لم يخلقه آخر ، حتى ينتهي الامر إلى خالق هو في الحقيقة خالق جميع الأشياء . . .

ومما لامراء فيه : ان المخلوق ليس فيه قابلية الخلق ، لانه إن كان فيه قابلية الخلق لاوجد شيئاً من العدم ، أوتصرف في نفسه فحقق مايريد ،والمصنوع ليس بصانع شيء من العدم ، أما صانع سيّارة أومخترع طيارة أومبتكر تلفزيون مثلاًفهو قد جمع أجزاءهمما وجده من قبل ، ووجدان له عقلاً يعقل ، ويستنتج وهولايعلم كيف أتاه ، يرى نفسه يأكل و تخرج فضلاته وتقوم أجهزته بأعمال دقيقة مختلفة ، وهولايحيط بكل ما هنا لك من أسباب وعلل . . .

ولايعلم كيف كان كل ذلك ؟ فليس للمخلوق أن يخلق شيئاً من العدم ، و من أين يأتي لهذا المخلوق قابلية الخلق من العدم وهوعاجزعن التصرف في نفسه؟ ! ! فاذا قلنا : باستحالة خلق المخلوق شيئاً من العدم ، لم يبق مجال للقول بهذا التسلسل من المخلوقات أومن الخلاقين ،وجعل المتقدم خالقاً للمتأخر ص،د،ب،وس. .، فلاضرورة لهذا الفرض الباطل :(التسلسل) بل لا يبقى مجال لتصوره .

و أما الدور : فهوأن يكون وجودت متوقفاً على وجود ب ، و وجود ب متوقفاً على وجود ت ، فأصبح وجودت متوقفاً على وجودت أي وجود ت متوقف على نفسه ، ويقولون : ان هذا : « دور » والدور باطل أي توقف وجود شيءمن الممكنات على نفسه باطل ، لان الممكن لكونه ممكناً أي مصنوعاً ومخلوقاًمن

قبل غيره ليس له أن يوجد نفسه بنفسه حتى يكون وجوده متوقفاً على نفسه .

والله تعالى هو الذى متوقف وجوده على نفسه لم يسبق بعدم ، وهو واجب الوجود ، أى لابد من وجوده لوجود هذه المخلوقات بهذا النظام البديع .

ولا أظن ان رجلاً أن يدرس علم الكلام يفكّر فى الدور ولا فى التسلسل كما يفكّر فيهما الكلامى فى علم الكلام ، وذلك لانه يرى ان كل مافى الكون من نبات وحيوان وجماد مفتقر غاية الافتقار ، و ذو حاجات شتى إلى غنى مطلق ، ونواقص عدة ومحل للحوادث ، ومضطهد تحت نير الحوادث والكوارث ، و ليس له أدنى تصرف بل ليس له أن يغير شيئاً من تر كيبه الأساسى من تلقاء نفسه .

فلا يفكر ان هناك خالقين يتوقف وجود كل منهما على الآخر ، حتى يأتى دور توقف وجود الشىء على نفسه ، بل يقطع انه لابد من خالق لايشبه خلقه فى شىء ، لما يرى من عجز و إفتقار فيمن سواه ، خالق لا تؤثر فيه المؤثرات ، ولا الحوادث بل هو خالق المؤثرات والحوادث و موجدها ، و هو الذى خلق الاشياء برمتها ونظمها ورتبها ، ووضع فيها قوانين ليس العلم أن يقف إلا على جزء ضئيل منها ، وذلك أيضاً بمشيئة الله و إلهامه المكتشفين تفضلاً منه ورحمة .

فلا أرى كثير فائدة من تمسك علماء الكلام بالدور والتسلسل فى إثبات الصانع جلّ جلاله ، لان هذا النوع من التفكير ليس بطبيعى ولافطرى ، وليس بمعقول ، ولاتؤيده الحوادث، ان الانسان قد جهّز بفضله تعالى بعقل يحكم بوجود خالقه بصورة طبيعية دون اللجوء إلى تعلم مناقشات الكلاميين والفلاسفة ، بل قد يكون العامى أقوى إعتقاداً من الكلامى بوجود الصانع لنورانية فى نفسه حصل عليها من جراء ماقام به من أعمال صالحات لوجه الله تعالى وعبادات خالصة دونما رياء : «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» العنكبوت: ٦٩)

فعلينا الرجوع إلى القرآن الكريم فى التوحيد وفى كل أمر . . .

﴿ القرآن الكريم والتوحيد ﴾

و قد جاء فى القرآن الكريم نحو : (٨٠٠) آية كونية تشرح بايجاز : عصارة ما أو دع الله تعالى من كمال فى العالم المادى من سماء و أرض ، و فى عالم النبات والجماد ، و فى الحيوان والانسان ، مضافاً إلى آيات اخرى تذكر شيئاً عن عوالم النفوس والأرواح ، و عن عوالم العقول والمشاعر والخفايا . . . كل ذلك ليوقن هذا الانسان ، لو نال قسطاً من طهارة النفس ، ان هذه القوانين والنظم العام التى لم يتوصل الانسان إلاّ إلى جزء ضئيل منها، إنما هى خير دليل على وجود خالقها العليم ، على وجود مبدعها الحكيم ، و على وجود صانعها العلى القدير . . . وخير مرشد إلى مدبر ومسير أوجد جميعها بقدرته ، حياتها بمشيئته ، بقاؤها بارادته ، و زوالها بأمره .

و ان ليس للعلم هذا العلم الذى يعتزّ به المادى و هو من صنع الله جل و علا أن يدير العالم ، لو تخلف هذا العالم عن إرادة الله تعالى ومشيئته طرفه عين: « ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا و لئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » فاطر : ٤١) .

و ان العقيدة بوجود الله تعالى فطرة فى النفس الانسانية و هو جل و علا يقول: « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » الروم : ٣٠) .

و هى شيء ضرورى يحصل للانسان كثمرة من ثمرات مواهبه العقلية ،

فمن الاشياء المتفق عليها ان كل شيء له علة توجـده ، أو صانع يصنعه ، فاذا نظر الانسان إلى الكون و استعرض ما فيه من الكائنات ، حصل لـه علم ضرورى بأن هذه الكائنات لم توجد إتفاقاً ، بل لابد لها من موجد أوجدها ، و لما كان الانسان لا يقف من معقولاته عند حدّ ، فقد تطرف بعض أفراده من الفلاسفة و متبرّقى الافكار ، فانكروا وجود الخالق ، و زعموا انالكون قديم ، و أن ليس فيه غير المادة و نواميسها الأزلية الأبدية ، و سرت تعاليمهم إلى بعض الناس فالحدوا ، و استتبع إلحادهم خروج على نظام الخليقة و تعد على حقوق الغير ، فتصدّى قادة الدين الحق قديماًوحديثاً للرد على هؤلاء السفلة الملحدين، على هؤلاء السفهاء الجهلة ، و على هؤلاء الببغاء و عبيد الشهوة . . . و بيان فساد مزاعمهم . . . فيطوال الاعصار . . . بما تكرر فى القرآن الكريم منالبراهين القاطعة على إثبات وجود الله جلوعلا ، لانه يخاطب أقواماً ينكرونه جلوعلا: « و قالوا ما هى الاّ حياتنا الدنيا نموت و نحيى و ما يهلكنا إلاّ الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون » الجاثية : ٢٤) .

و يخاطب أقواماً يشركون به شيئاً لا يضرّ ولا ينفع : « قل أفاتخذتم من دونه أولياء لايملكون لأنفسهم نفعاً ولاضراً ـ أم جعلوالله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار » الرعد : ١٦) .

و يخاطب أقواماً يدينون بالتوراة والانجيل ، و يختلفون فى التوحيد والعبادة إذ يجعلون لله سبحانه أبناء و يعبدون العجل والطواغيت و يتخذون الرهبان والاحبار أرباباً لأنفسهم : « و قالت اليهود عزير ابن الله وقالتالنصارى المسيح إبن الله ـ اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله ـ سبحانه عما يشركون » التوبة : ٣٠ـ٣١) « ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً منالكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى منالذين آمنوا سبيلاً » النساء : ٥١) . فكذلك ألقى السامرى فاخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا

هذا إلهكم و إله موسى » طه : ٨٧ ـ ٨٨) .

وقد كانت دعوة القرآن الكريم للناس كافة من أبناء العصر الذى نزل فيه، و أبناء العصور التالية إلى يوم القيامة ، فلزم تمحيص القول فى توحيد الربوبية والخالقية والالوهية ، و تدبير الكون و نظام الوجود عند كل خطاب ، و قامت دعوته على تحكيم العقل فى الايمان بالله جل و علا .

فلننظر فى نصوص القرآن الكريم و مداها فى إقامة الدليل الحسى على وجود الخالق الواحد الحكيم المتعال نر أنها سلكت فى ذلك أوضح الطرق حتى ترينا الامر محسوساً ، والحجة واضحة مع غاية الايجاز و يقول : « و إلهكم إله واحد لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم ان فى خلق السموات والارض و اختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس و ما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » البقرة : ١٦٣ـ١٦٤).

فالقرآن الكريم يبين ان فى خلق السموات والارض ، وتعاقب الليل والنهار والسفن التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، و ما أنزل الله من السماء من ماء مما به حياة الارض والنبات ، و حياة الحيوان الذى بثه الله تعالى على الارض ، و توجيه الرياح والسحاب وفق نظام معلوم ، كل ذلك من آيات الله جل وعلا، فعلى الانسان أن يتدبر فيها ليصل إلى معرفة الله تعالى كما هو مطلوب فى آخر الاية : « لقوم يعقلون » .

و على هذه الطريقة يذكر القرآن الكريم كثيراً من الايات بأساليب متنوعة بعضها فى الدلالة على وجود الله تعالى من ناحية خلق السموات والارض، و بعضها من ناحية خلق الانسان والحيوان ، والذكر بجانب الانثى ، و وجود الحياة فى المادة إلى غير ذلك مما يذكر القرآن الكريم . . .

ومن الدلائل القاطعة على وجود الله تعالى فى القرآن الكريم خلق السموات

والارض ، قال الله جل و علا : « إن فى خلق السموات والارض و إختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً » آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩١) .

و ان الدلائل على وجود الله جل وعلا فى السموات هى تألفها من طوائف لكل منها نظام محكم ، و لمجموعها نظام واحد ، و منه النظام الشمسى الذى يسير بسنن إلهية حكيمة يعبرون عنها بالجاذبية ، ولولاها لتصادمت الكواكب و هلك العالم .

فهذه العوالم السماوية تدل بذاتها على وجود صانعها .

و قال لابلاس : « ان النظام المحير العقول ، المشاهد فى حركات الاجرام التى تتألف منها المجموعة الشمسية لايمكن أن يحمل على التصادف، بل التصادف كلمة لايصح النطق بها فى لغة العلم ، إن التصادف معدوم و محال فى هذا العالم الذى نرى فيه كل شىء خاضعاً لقوانين الموازنة ، وقوانين الحساب التى عينتها إرادة غيبية وحكمة بالغة ، و ما الشىء الذى ندعوه التصادف الاّ محصل القوات الغيبية التى لانعلم عن صورة تأثيرها شيئاً ، بل لانعلم عن وجودها شيئاً فى حين انها تحفل حولنا ، و بناء عليه ليس من الممكن حمل هذا النظام الذى نراه فى المجموعة الشمسية على التصادف ، ولابد من الاعتراف بوجود سبب أصلى عام منظم لهذا النظام » .

و من البراهين الواضحة على وجود الله تعالى فى السموات : الشمس التى سخّرها جل وعلا لحياة الانسان والحيوان والنبات، فتأمل أحوالها فى إنخفاضها و إرتفاعها لاقامة الفصول الاربعة و ما فيها من المصالح ، و لو كان الزمن كله فصلاً واحداً لفاتت منافع الفصول الباقية . . .

ثم تأمل حكمة الله تعالى فى إنارة القمر لاحتياج الحيوان إلى شىء من

الحركة فى الليل ، فجعل ضوء القمر معونة للحيوان على هذه الحركات . . . و كذلك جعل الليل ليسكن فيه الناس و ليبرد الهواء على الأبدان والنبات ، فيعادل حرارة الشمس ، و يستريح الجسم و يسترجع نشاطه . . .

ثم تأمل كيف جعل الله تعالى للشمس و للقمر بروجاً و منازل ، وبذلك يعلم حساب الاعمار . . . وهو يقول : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً و قدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلاّ بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » يونس : ٥) .

و من الدلائل الظاهرة على وجود الله تعالى فى الارض قيامها فى الفضاء بأمر الله جل و علا و تدبيره ، و كيف هى متصلة بغيرها من العوالم بنظامها العام و جاذبيتها الشاملة كذلك ما فيها من جماد و نبات وحيوان و إنسان لكل منها ناموس خاص فى تكوينها و توالد ما يتوالد منها .

و ان النظام العالم الحاكم فى الطبيعة ، و آثار الحكمة المشهودة فى تكوين كل شيء ، والحكمة البالغة المبسوطة المنتشرة كضياء الفجر والشفق فى الهيئة العامة ، لاسيما الوحدة التى تتجلى بقانون تكامل كل نوع فى دائرة نوعه الدائمى، تدل على أن القدرة المطلقة الالهية هى الحافظة المستترة للكون ، هى النظام الحقيقى هى المصدر الأصلى لكافة القوانين الطبيعية و أشكالها و مظاهرها . . .

و إذا نظرنا إلى القرآن رأيناه يلفت أنظارنا إلى المظاهر الطبيعية للارض لان فيها دلائل على وجود الله الذى خلقها، انظر إلى هذه الايات الكريمة التى يصف فيها الله جل و علا مظاهر قدرته : « و هو الذى مدّ الارض و جعل فيها رواسى و أنهاراً و من كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل والنهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون و فى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب و زرع و نخيل صنوان و غير صنوان يسقى بماء واحد و نفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » الرعد : ٢ ـ ٤) .

يرينا الله جل و علا فى هذه الايـات الدلائل على وجوده من هذه الارض التى بسطها وجعل فيها السهل والوعر لينتفع بكل هذه الاقسام فى وجهه ، وجعل فيها الجبال و قد يحسبها الجاهل فضلة فى الارض لا حاجة إليها ، كيف ينزل عليها الثلج فيبقى فى قللها حافظاً لشراب الناس ، و جعل فيها ليذوب بالتدريج فتسيل منه الأنهار ، ثم يوجه الله جل و علا أنظارنا إلى الارض بما فيها: حدائق من أعناب والزرع والنخل، والجميع يسقى بماء واحد ، و يفضل الله تعالى بعضها على بعض فى الثمر فترى فيها الحلو والحامض على إتحاد الماء الذى تسقى به ، و قطعة الارض التى تنبتها ، أليس ذلك من أكبر الادلة على أن لها إلهاً واحداً وهب كل نبات من الخصائص مالم يهب غيره و أعده لأن يأخذ من الارض ماينمى فيه خاصته و يؤهله للغاية التى خلق لها .

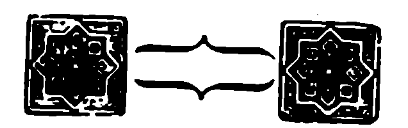
والقرآن الكريم يعطينا صورة اخرى تدل على وجود الله جل و علا من ناحية ما تنبت الارض من أصناف النبات والحبوب والفواكه . . . قال الله تعالى متحدثاً عن قدرته : « و هو الذى أنزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية و جنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر و ينعه ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون » الانعام : ٩٩) .

و ان الايات القرآنية الدالة على وجود الصانع الحكيم الخبير العليم القادر المتعال على قسمين :

أحدهما ـ ما نشاهده من الموجودات السماوية من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والرعد والبرق والسحاب والمطر . . . من العجائب الآفاقية و من المخلوقات الارضية من البحار والجبال والانفس . . .

ثانيهما ـ ما نراه من الحوادث تحدث فى العالم ليلاً ونهاراً كل حين من

الموت بعد الحياة ، والعكس ، والفقر بعد الغنى والعكس ، والضعف بعد القوة والعكس والعزة بعد الذلة والعكس ، والعلم بعد الجهل والعكس ، والصحة بعد المرض والعكس . . . كل ذلك مما يدل على وجود القادر الحكيم العليم كامل فى قدرته و علمه و حكمته و تدبيره فى هذا العالم الشاسع .



﴿خلق الانسان و التوحيد﴾

قال الله تعالى : « وبدأ خلق الانسان من طين » السجدة : ٧)

ان الله جل وعلا يقيم الحجة على التوحيد بابدائه خلق الانسان ، و ذلك لان بدء الخلق حقيقة واقعة يمتنع إنكارها ، ولا يمكن لاحد تعليلها بغير وجود الله تعالى ووحدانيته لان وجود هذا الكون المشاهد يلجيء الانسان للاقرار بوجوده جل وعلا ، ولا يمكن على هذا النحو الذى يظهر فيه التدبير والقصد بغير الاقرار بوجود الله تعالى ووحدانيته فان آثار صنعه ملجئة للاقرار بوحدانيته .

فعليها آثار التقدير الواحد ، والتدبير الواحد ، والخالق الواحد ، والتصميم الواحد والوجود الواحد، وكمال القدرة ، وغاية الحكمة ، ونهاية العظمة والجلال، وفيها من التناسق المطلق ما يجزم بالارادة الواحدة المنشئة للناموس الواحد .

ان الله تعالى جعل خلق الانسان وما يعرض عليه في مدار حياته اطاراً للمنطق الذى يأخذ به القلوب، ويوقظ به الفطرة ويجلوها لتحكم منطقها الواصل البسيط ويستجيش به المشاعر والوجدانات بما هو مركوز فيها من الحقائق التي تغشيها الغفلة والنسيان ويحجبها الجحود والكفر ،ويصل بهذا المنطق إلى تقرير الحقائق العميقة الثابتة في تصميم الكون ، وإغوار النفس والتى لاتقبل المراء الذى يقود إليه المنطق الذهنى البارد الذى إنتقلت عدواه إلينا من المنطق الاغريقى ،وفشا فيما يسمى تارة بعلم التوحيد يتكلم من كل جهة إلا القرآن الكريم ، واخرى بعلم الكلام يملأ فيه كل شيء الا كلام الله تعالى .

وثالثة بفلسفة عملية ونظرية ليس فيها إلا مخلوقات نفس بشرية وموهوماتها

وضعت لانحراف الافكار عن الوحي السماوي وعن كلمات الانبياء والمعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ألا يا أيها العلماء متى ثم متى نبتعد عن القرآن الكريم ، ونرجح كلام المخلوق على كلام الخالق هل هي آيات قرآنية تدرسنا التوحيد بطرق لايقدر الانسان باتيان مثلها، ولعمري هذا خيانة على الله تعالى ورسوله وعلى الوحي السماوي ، وكل مسئول عن التخلف عن المنهج القرآني :

منهج فريد في إنشاء النفوس وتركيبها وفق نسق الفطرة الخالصة حيث تجدها متسقة مع الكون الذي تعيش فيه متمشية مع السنن التي تحكم هذا الكون في يسر وبساطة بلا تكلف ولا تعمل : و من ثم تستشعر في أعماقها السلام والطمأنينة الكبرى لانها تعيش في كون لاتصطدم مع قوانينه وسننه ، ولا تعاديه ولايعاديها متى اهتدت إلى مواضع اتصالها به ، وعرفت ان ناموسها هو ناموسه ، و هذا التناسق بين النفس والكون ، وذلك السلام الاكبر بين القلب البشري والوجود الاكبر ، ينبع منه السلام بين الجماعة والسلام بين البشر وتفيض منه الطمأنينة والاستقرار .

وان الدلائل على وجود الله تعالى في الانفس أكثر من أن تحصى ، و كلما اتسع نطاق العلم تضافرت الادلة على أن لهذا الانسان البديع الصنع إلهاً حكيماً أي ناحية من نواحي الانسان ليست مثار دهشة وعجب ! أليست أطواره في الرحم آية من آيات الله ؟ أليس نظام طعامه وشرابه ، وتحليل الطعام إلى عناصر مختلفة بموازين يذهب كل عنصر إلى حيث يؤدي وظيفته عدا العنصر الذي لايفيد، فيطرد إلى الخارج ؟ أليس هذا كله آية من آياته ؟

أليس نظام توزيع الدم من مكانه الرئيسي ، وهو القلب إلى جميع أنحاء الجسم بواسطة الشرايين التي لايحصى عددها إلا الله تعالى ثم عودته إلى القلب بواسطة الاوردة ، ومرور الهواء الجديد الذي جلبه التنفس ليصلح الدم بعد الفساد ويفيد منه الجسم، أليس ذلك آية من آياته ؟ دع سمع الانسان و بصره ونطقه

و إحساسه ، بل دع مايعرض له من ذكر و نسيان و حزن و سرور و علم و جهل و محبة و بغض ، فانها آيات كبرى على وجود الخالق .

و من الدلائل على وجود الله جل و علا خلق الانثى بجانب الذكر ، قال الله تعالى متحدثاً عن قدرته : « و من آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودة و رحمة ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » الروم : ۲۱) .

فوجود الانثى بجانب الذكر لأجل التناسل ، و دوام بقاء الحياة للنوع الانسانى من البراهين القاطعة على وجود الله تعالى ، و على وجود القصد والارادة فى هذا الكون ، و هذا يدحض القول القائل بقيام الكون على المادة العمياء دون غيرها و نحن اذا افترضنا بطريقة تعلو عن متناول العقل ان الكون خلق إتفاقاً بلافاعل مريد مختار ، و ان الاتفاقات المتكررة توصلت إلى تكوين رجل ، فهل يعقل ان الاتفاقات والمصادفات تكوّن كائناً آخر مماثلاً له تماماً فى الشكل الظاهرى و مبايناً له فى التركيب الداخلى ، و هو المرأة بقصد عمارية الارض بالناس و إدامة النسل فيها ؟

أليس يدل هذا وحده ان فى الوجود خالقاً مريداً مختاراً أبدع الكائنات و نوع بينها و غرز فى كل نوع غرائز ، و متعه بمواهب يقوم بها أمره و يرتقى عليها نوعه .

و ان القرآن الكريم يوجّه نظر الانسان إلى مصدر خلقه ، لان فى ذلك دليلاً على وجود الله جل و علا ، و من ذلك قوله تعالى : « و بدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماءٍ مهين » السجدة : ۷ ـ ۸) .

و قد ألف الاستاذ كريسى موريسون الذى كان رئيساً لمجمع العلوم فى نيويورك كتيباً سماه « الانسان ليس وحيداً » و لخّص فيه سبعة أسباب للايمان بالحقيقة الالهية يعرفها الطبيعيون والرياضيون ، و تأبى عليهم أن يردوها إلى

المصادفة و من أقوى هذه الاسباب السبعة قوله عن الناسلات Gehes وفحواه:

« انها تبلغ من الدقة ان جميع الناسلات التي يتولد منها سكان الكرة الارضية جميعاً لو وضعت في حيّز واحد لما زادت على قمع الخياطة ، ولكنها كانت في كل خليقة حية و في طواياها أسرار الخصائص التي يتصف بها جميع الآدميين » و يقول :

« و ان قمع الخياطة لحيّز صغير إذ يحتوى فيه جميع خصائص الافراد الموزعة بين ألفي مليون من البشر ، ولكنه واقع لا ترقى إليه الشكوك فكيف إذن تنطوى في هذه الناسلات جميع عوامل الوراثة المتخلفة من حشود الاسلاف و تستبقى لكل فرد مقوماته النفسية في مثل هذا الحيز الذى بلغ الغاية من الدقة والصغر » .

في نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين أميرالمؤمنين على عليه السلام :

« أيها المخلوق السويّ والمنشأ المرعيّ فيظلمات الأرحام و مضاعفات الأستار ، بدئت من سلالة من طين، و وضعت في قرار مكين إلى قدر معلوم و أجل مقسوم ، تمور في بطن امك جنيناً لاتحير دعاء ولاتسمع نداءاً ، ثم اخرجت من مقرّك إلى دار لم تشهدها ، ولم تعرف سبل منافعها، فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدى امك ، و حرّك عند الحاجة مواضع طلبك و إرادتك » .

قوله عليه السلام : « السوى » : المستوى الخلقة غير ناقص ، قال الله تعالى : « فتمثل لها بشراً سوياً » مريم : ١٧) .

و «المنشاء» ـ إسم مفعول ـ من « أنشأ » أى خلق و وجد ، و « المرعىّ » : المحوط المحفوظ ، و « ظلمات الارحام و مضاعفات الأستار » : مستقر النطف ، والرحم موضوعة فيما بين المثانة ، والمعى المستقيم وهى مربوطة برباطات على هيئة السلسلة ، وجسمها عصبىّ ليمكن إمتدادها وإتساعها وقت الحاجة إلى ذلك عند الولادة ، و تنضمّ و تتقلّص اذا استغنى عن دلك ، و لها بطنان ينتهيان إلى

فم واحد ، و زائدتان يسمّيان قرينى الرحم، وخلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأة و هما أصغر من بيضتى الرجل ، و أشد تفرطحاً .

و منهما ينصبّ منى المرأة إلى تجويف الرحم ، و للرحم رقبة منتهية إلى فرج المرأة و تلك الرقبة من المرأة بمنزلة الذكر من الرجل ، فاذا امتزج منى الرجل بمنى المرأة فى تجويف الرحم كان العلوق ، ثم ينمى ويزيد من دم الطمث، و يتصل بالجنين عروق تأتى إلى الرحم فتغذوه ، حتى يتمّ و يكمل ، فاذا تم لم يكتف بما تحته من تلك العروق ، فيتحرك حركات قوية ، طلبا للغذاء ، فتنهتك أربطة الرحم التى قلنا : انها على هيئة السلسلة و تكون منها الولادة .

وقوله عليه السلام : « بدئت - مبنياً للمفعول - من سلالة من طين » أى كان إبتداء خلقك من سلالة ، وهى خلاصة الطين لانها سلّت من بين الكدر ، وهذا إشارة إلى خلق آدم عليه السلام و هو أصل البشر كما قال تعالى : « و بدأ خلق الانسان من طين » ثم أشار إلى خلق ذريته بقوله : « و وضعت - مبنياً للمفعول - فى قرار مكين » : الرحم متمكنة فى موضعها برباطاتها لانها لو كانت متحركة . . . .

وقوله عليه السلام : « إلى قدر معلوم » أى منتهياً إلى قدر معلوم فى الرحم « وأجل مقسوم » فى الحياة الدنيا ، و « تمور فى بطن امك » أى تتحرك «لاتحير» : لا ترجع جواباً « إلى دار لم تشهدها » يعنى الدنيا ، و يقال : أشبه شىء بحال الانتقال من الدنيا إلى الاحوال التى بعد الموت ، إنتقال الجنين من ظلمة الرحم إلى فضاء الدنيا . فلو كان الجنين يعقل و يتصور كان يظن أنه لا دار له إلاّ الدار التى هو فيها ، و لا يشعر بما وراءها ، و لا يحسّ بنفسه إلاّ و قد حصل فى دار لم يعرفها ، ولا تخطر بباله ، فبقى هو كالحائر المبهوت ، وهكذا حالنا فى الدنيا إذا شاهدنا ما بعد الموت .

وقوله عليه السلام : « فمن هداك إلى إجترار الغذاء من ثدى امك ؟ » أى إلى إمتصاص اللبن من الثدى ، و ذلك بالالهام الالهى . و « عرّفك عند الحاجة » أى

أعلمك بموضع الحلمة عند طلبك الرضاع ، فالتقمتها بفمك .

و في الاحتجاج : من كلام الامام على بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء في مجلس المأمون - « خلقة الله الخلق حجاب بينه و بينهم ، و مفارقته إياهم مباينة بينه و بينهم ، و إبتدؤه إياهم دليل على أن لا ابتداء له لعجز كل مبتدإ عن إبتداء غيرهم . . . » الحديث .

قوله عليه السلام : « خلقة الله الخلق حجاب » : حاجز « بينه » في كماله وغناه و وجوبه الذاتي، و « بينهم » في حاجتهم إليه ونقصهم وإمكانهم الذاتي « ومفارقته إياهم » في الصفات دليل على « مباينة بينه و بينهم » في الذات .

و في دعاء الصباح : يخاطب سيد الاوصياء أمير المؤمنين على المرتضى عليه السلام رب العباد : « يا من دلّ على ذاته بذاته و تنزّه عن مجانسة مخلوقاته ، و جلّ عن ملائمة كيفياته » .

و في نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام : « اعجبوا لهذا الانسان ينظر بشحم ، ويتكلم بلحم و يسمع بعظم و يتنفس من خرم » .

و في الاحتجاج : في الخطبة الفدكيّة لفاطمة الزهراء بنت المصطفى أم أبيها سلام الله عليها - إلى أن قالت - : « إبتدع الاشياء لامن شيء كان قبلها ، و أنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها ، كوّنها بقدرته ، و ذرأها بمشيئته ، من غير حاجة منه إلى تكوينها ، و لا فائدة له في تصويرها إلاّ تثبيتاً لحكمته و تنبيهاً على طاعته ، و إظهاراً لقدرته ، تعبداً لبريته ، و اعزازاً لدعوته . . . » الخطبة .

﴿هل هناك تولد ذاتی﴾

وقدبرهنت العلوم الطبيعيّة على أن ليس للبيئة أو الطبيعة أدنی أثر أو تأثير فی خلق البشر أو الكائنات الحيّة، وأن الكائنات الحية برمتها قد وجدت بالقدرة الالهية المتجلية فی فعالية النطفة والعوامل والوراثيّة (جينات Genes) والكروموزومات، ان ثلة من الناس (ومع الاسف) كانوا يظنون أن البيئة هی الخلاقة لبعض الحشرات اوالحيوانات ، وكانوا يعتقدون أنّه لو وضعت لبنتان نديتان احداهما فوق الاخری تتولّد بعد مدة يسيرة عقارب كثيرة بينهما، ان هذه العقيدة كانت سائدة من لدن عهد (أرسطو) الی القرن السابع عشر و ان بعض الناس لا يزالون يعتقدون ان الديدان والضفادع والعلق تتولد من تلقاء أنفسها فی اللحوم الفاسدة العفنة أوفی المياه النتنة الآسنة، ويظن البعض أن البيئة هی الخالقة لهذه الكائنات الحية ، وهذا مايسمّی بنظرية التولّد الذاتی : (Generation Spontanee) كما أن البعض يظنّون أن (الآميبات) أو الكائنات الحيّة ذات الخلية الواحدة والأسماك والقواقع وغيرها انما تتولد فی المياه بتأثير حرارة الشمس وضوئها ومواد أخری موجودة فی الماء ، ودليلهم على ذلك أن السمكة لو اخرجت من الماء ، فانها تموت حالاً .

و لقد برهن العلم الحديث على أن البيئة ليست بخلاقة للحياة و انما هی عامل مساعد للنمو واستمرار الحياة ، فقد أثبت (ردی Redi) سنة ١٦٨٨ م ، بعد اجراء تجارب عدة عميقة : أن لديدان التی تتولد فی اللحوم العفنة انما تتولد من

بويضات الذباب الموجودة فى اللحوم ، ولولا هذه البويضات لما وجدكائن حى.
كان يقول الطبيب البلجيكى (وان هلمونت Van Helmont) قبل(٣٥٠)سنة:
انه لو ملىء كوز بالدقيق و سدفوهة الكوز بقماش بال ملوث عتيق ، فان الفأرة تتولد فى وسط ذلك الدقيق وان هذه الفأرة تأخذ با لتوالد بعد ذلك شيئاًفشيئاً.

إلا أن (ردى) فنّد هذه النظرية : بأن جاء بدورق زجاجي ذى عنق ملتو طويل ، بعد أن وضع فيه قطعةلحم ، فعقمداخل الدورقوسدفوهته ، سداًمحكماً، وجاء أيضاً بدورق آخر وضع فيه قطعة لحم ولم يسدّ فوهته ، فرأى أن الديدان تتولد فىاللحم الذى وضع فى الدورق المفتوح فقط من جراء ما تضعه الذباب من بويضات على اللحم ، و قد أجرى هذه التجربة مع لحوم مختلفة و متنوعة فرأى انه يتولد نوع واحد من الذباب مهما اختلفت اللحوم و تنوعت ، وفى نوع واحد من اللحم تتولد أنواع مختلفة من الذباب لاختلاف البويضات التى تقع على ذلك اللحم من الخارج ، فأثبت بهذه التجربة أن التوالد الذاتى فكرة سخيفة وأن التولد لا يكون إلاعن بويضة سابقة أو تلقيح سابق : « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولواجتمعوا لهوإن يسلبهم الذباب شيئاًلا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » الحج: ٧٢) .

ثم ان (ليون هوك Leewen Hoek) اكتشف المجهر (Micro scope) واكتشف بذلك الميكروبات (الجراثيم الحية) التىلا ترى با لعين المجردة ، وضع (ليون هوك)قطرةماء تحتمجهره فرأى أن الأحياء المجهرية:(الابتدائيات ذات الخلية الواحدة) تسير فىهذه القطرة يميناً ويساراً ، فأدى ذلك إلى تنازل الماديين عن رأيهم السابق بالنسبة الى تكون الحيوانات والحشرات من البيئةأو بتأثير البيئة والمحيط ، و لكنهم أخذوا يقولون بعد ذلك : ان المكروبات والكائنات الحية تتولد من تلقاء أنفسها فى المياه العفنة .

ولقدحدث شجار عنيف بين الموحدين والماديين : (Materialistes)

منذ سنة ١٦٧٦ م ، وهى السنة التى أثبت فيها (ليون هوك) : أن ليس فى المطر (حين تحول البخار الى سائل)كائنات حيّة ، وانما تدخل فيه كائنات حية حين هطوله و ملاقاته (أى المطر) الأرض و إختلاطه بالغبار والتراب ، و استمرت إلى سنة ١٨٧٦ م وهى السنة التى أيد فيها تندال : (tyndall) نظرية هوك،حتى جاء (باستور) وبرهن بصورة قطعية ،أن لاتولد ولاتوالد إلامن كائنات حية سابقة وأن الكائنات الحية هي موجودات مستقلة تدخل في المطر من الخارج عند هطوله أوبعد سقوطه على الارض وليس للبيئة أن تولد شيئاً حياً ، ففندت نظرية التولد الذاتى تفنيداً قطعياً .

مع ذلك،جاء (برتلو Berthelot) فادعى أن الكائنات الحية (Bacteris) التى تحصل نتيجة تخمير العنب انما هو أمر مادى وليس هناك موجودات حية سابقة كانت سبباً لوجود هذه الكائنات الحية،وقال بالتكون الذاتى Auto (dynamisme) أوالحركة الذاتية ، و لكن (باستور) قام بتجربة على أشجار العنب تشبه تجربته السابقة من حيث التعقيم ومنع تسرب كائنات حية من الخارج ، فرأى أنه لاتحصل (باكترى) أو جراثيم للتخمير، و أن (الخلايا Cellules) التى توجب التخمير إنما تقع على حبات العنب من الخارج قبل النضج والحلوان بأيام وليس للبيئة أن تولد شيئاً حياً أبداً .

لكن الماديين ما برحوا ينتهزون الفرص لاثبات نظريتهم العقيمة ،حتى اذا اكتشف المجهر الالكترونى(Microscope Electroniqe) وتمكن العلماء من معاينة الجراثيم مابعد الذرية (Ultravirousses) التى كل واحدة منها أصغر من حبة الدخن (٧٠٠٠٠) أومأة الف مرة ، أخذوا يقولون: « ان هذه الجراثيم انما تتولد من المادة الميتة نفسها وليس هناك عامل حيوى أوموجود حى سابق تولدت منه وان الاحياء المترشحة ومابعد المترشحة (Virous Ultra virous) انما هى مواد كيميائيّة سامة وليست هناك حيوية سابقة » .

وتنازلوا عن القول بأن الفأرة تتولد من مادة ميتة ! ولكنهم بقوا مصرين على أن الحيوية انما تأتي من الشمس على وجه الارض وان الاحياء المترشحةو ما بعد المترشحة (الجراثيم مابعدالذرية) هي مولودة المحيط والبيئة وان البيئة (الجامدة الصماء) هي المولدة لها ! الا أن علماء الاحياء برهنوا على فساد هذه النظرية أيضاً بتجارب دقيقة أخرى ، وأخفق الماديون اخفاقاً نهائياً ، وعلم ان كل كائن حي إنما يتولدمن كائن حي آخر أوبانتقال النطفة بالتلقيح .

إذا كانت نظرية التولد الذاتي صحيحةوأن التفاعل الكيميائي وأشعةالشمس وذرات آلفا و گاماوأمواج كاسميك ومافوق البنفسجي و آزوت وبخار الماء وغيرها تكفي لحدوث الحياة على وجه الأرض دون خالق للحياة والحيوية لزم أن نرى رأس قرد مثلاً يتشكل في القفاروالصحاري بصورة تدريجية ثم تتشكل له ساق فأطراف وهكذا . . .

فعلم من كل ذلك أن ليس للبيئة أن تخلق كائناً حياً وان الحيوية شيءقد جاء من الخارج وليس بأمرمادي بحت ، وان الله تبارك و تعالى هوالذي خلق الكائنات الحية وأعطاها نفساً وروحاً بقدرته ولايمكن إدخال النفس والروح في المعادلات الكيميائية أوالتحليلات الرياضية ، « ويسألونك عن الروح،قل الروح من أمر ربي وما اوتيتم من العلم إلاقليلا » .

وزيادة في التوضيح نقول : انالوملأناحوضاً كبيراً بالماء و اتخذنا الاحتيا- طات اللازمة لعدم دخول بويضات السمك أوالضفدع فيه، فلا نشاهد،مهماانتظرنا سمكة أوضفدعاً في ذلك الحوض وان طالت الأعوام ، مع أن الشمس على مايتعقده الماديون ! (أنها أساس الحياة وموجدها) تعمل عملها وترسل أشعتها، ولكنها غيرخالقة للحياة ، بل الشمس عامل من عوامل النمو وإستمرار الحياة على هذا الترتيب الذي نراه، ان الماديين هذه الطبقة الجامدة الجاحدة وجودا لخالق!يحاولون أن يجعلوا العوامل الطبيعة المادية مبدءاً وسببا للحيوية والحياة ، الا أن العلم

يخالفهم في طيشهم وهذيانهم وضلالهم وهم ينسبون (ومع الاسف) نظرياتهم الفاسدة! الى العلم، والعلم من ذلك براء.

وكم من أشياء ينسبها هؤلاء إلى العلم ويدعون أنها نتيجة درس وتمحيص علمي والعلم بعيد عنها كل البعد، «انها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» ويراد بها النفوس، ومايقال عن تبديل الطاقة بالمادة (Materialisiton) إنما هو في النواحي المادية فحسب، ان الطاقات المادية: الكهربائية أو الحرارية أو الحركية، وغيرها تتكدس فتشكل مادة، وهذا لايعني أن هذه الطاقات المشعة مثلاً من الاورانيوم أوالراديوم تتكدس فتولد حيوية وروحا ونفساً، وقد ثبت في الفسلجة أن الخلية: (Cellule) انما تتولد من خلية حية أخرى اذن ثبت أن الروح من أمره تعالى: «قل الروح من أمر ربي»، يستنتج مما تقدم ان المادة لاعقل لها كي ترتب وتنظم ولامنطق لها لتفكر في مستقبل الأشياء وما تحتاجه.

وما أعظم قوله تعالى حين يقول: «والله أخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون، ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء، وما يمسكهن إلا الله، ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون»

وما القمر الصناعي إلانتيجة فكر أودعه الله في بعض عباده ومواد وعناصر أودعها الله في أرضه وتوالي أيادي كثيرة من العلماء منذ ٤٠٠ سنة قبل الميلاد إلى يومنا هذا، وهل قوبل هذا الفوز والاكتشاف بالشكر؟ «وقليل من عبادي الشكور».

ولقد قالوا: ان المثل العليا تابعة إلى ما يحدث من نظم إقتصادية وكذا الحياة الاجتماعية نتيجة من نتائج الوضع الاقتصادي، وهكذا تسافلت البشرية نفسياً من جراء تركها ما أمر الله به على لسان أنبيائه عليهم السلام حتى صارت لاتؤمن إلا

بالمادة وما يحقق شهواتها ، فأمست فلسفتها فلسفة بهيمية : فلسفتها أن تقول :«لا تهمني أخلاق فلان وإنما تهمني أعماله » ، حتى أمست تعتقد أن هنا لك تنافياً بين ركوب الطائرة أو الاستمتاع إلى المذياع أو النظر إلى التلفزيون ، و بين السمو بالنفس إلى أعلى مراتب الكمال حسب ما رسمه الله لنا في القرآن الكريم .

حتى امست أمريكا بلد الحرية الشخصية المطلقة ! والبلد الذى نادت بفصل الفضائل والأخلاق عن الحياة العملية تفصل ٣٣ موظفاً في وزارة خارجيتها لاصابتهم بالشذوذ الجنسي ! لأن هؤلاء لايمكن إئتمانهم على اسرار الدولة !

حتى امسى الولد الثرى لاينفق على أبويه العاجزين !

حتى أن جلسة من جلسات الكونكرس (Congress) الأمريكي تتعطل ، لان امرأة كانت تسكن في عمارة مواجهة للمجلس وقفت في شرفتها عارية تماماً لا يستر جسدها شيء ، فينشغل الأعضاء بفتنتها الشيطانية وتتعطل أعمال الدولة، ريثما يبعث رئيس المجلس يرجو، السيدة الفاضلة ! تدخل غرفتها او تكتسي شيئاً، ليتسنى للمجلس أن ينظر في سياسة العالم .

حتى تأتي فتاة أمريكية إلى باريس فتنزع ثيابها كاملة وتضعها في حقيبة لها يدوية وتمشي وهي عارية في شوارع بارميس لترى الناس الدرجة التـي وصلت إليها أمريكا في الحرية والتقدم الخلقي !

كل ذلك من جراء هذا الاختلاط البرىء! والانتهاء الى فسادوافساد فى الارض ، « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم ، فهم عن ذكرهم معرضون » .

فطوبى لنفوس اتبعت الحق والواقع و ترفعت عن أدران المادة العمياء والملذات المميتة للنفوس و استجابت لله و للرسول لما فيه حياتها و سعادتها في الدارين :

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا

أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنكم إليه تحشرون » الانفال : ٢٤).

تكاد لاتجد فيلسوفاً : درس الرياضيات العالية أوالفيزياء الرياضية العالية أوالفلك العالي وتوغل فيها ، ملحداًينكروجودالخالق ف(بر كسون) و(أنيشتين) و (كاميل فلامريون) وأمثالهم موحّدون .

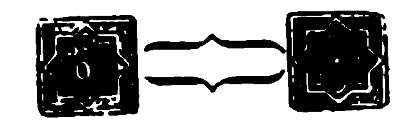
و ذلك لانه عند ما يرى احدهم ان جميع أجزاءِ الكون مرتبطة بعضها ببعض بد ساتير رياضية متقنة ، و أن الرياضيات مفتاح فهم ظواهر الطبيعة ، عند ذلك يعلم أنه لابدمن عاقل قدربط أجزاء الكون بعضها ببعض ، و أن هذا العاقل الجبارهوالله تعالى : واهب الوجود ومرتب أجزاءِ هذا الوجود ترتيباً محكماً بقوانين رياضية رصينة لم يصل العلم الحديث إلا إلى جزءٍ ضئيل وضئيل منها جداً.

لذلك كان يحاول (أنيشتين) أن يستنبط من معادلة المجال المتواصل وحدها عموم الفيزياءِ بمافيها عالم الذرات والخصائص الكمومية (Quantiques) وكان يقول : « لولا الاعتقاد الجازم بالنظام الباطن الذى يسود عالمنا لما قامت للعلم قائمة ، فهذالاعتقاد هو الدافع الرئيسي لكل إكتشاف علمي وسيبقى كذلك إلى الابد » ، وهوالقائل : « مامن شك ان كل بحث علمي عميق يقوم علـى عقيدة تشبه الشعور الديني : مؤداه أن العالم مؤسّس على العقل ومن الممكن تفهّمه ».

لكن الفلاسفة ! الذين رسبوا كثيراً في الرياضيات في تحصيلهم الابتدائي والثانوى وفروا من الرياضيات العالية لعدم فهمهم لها ، وانما صاروا يذكرون إصطلاحات منها فـي كتبهم ! أخذوا يصدرون أحكاماً جزافاً عن الكون دون إرجاعها إلى أصول ثابتة رياضية و مبادىء عقلية عميقة و سموا اعتباطاً نظرياتهم الفاسدة بل أهواءهم فلسفة! وجاؤا باصطلاحات جديدة لا يؤيدها العلم ، فخدعوا العوام والسذج من الناس .

ان هؤلاءِ الذين لايقبلون نقاشاً لهذيانهم : صاروا يأخذون الفلسفة من وسطها وبيد واحد ـ انهؤلاء ، بنفوسهم الملوثة وصفاتهم الذميمة و ما يترشح

من هاتين ، شوشوا على الناس الحقائق الفطرية الحقة وأفسدوا على ثلة من عباد الله عقائدهم بالمبدأ الاعلى ، انهم اخفقوا فى النمو وكسب الشهرة والصيت فى الاوساط العلمية ، فعمدوا إلى ترويج الزيغ والالحاد و ما يترشح من نفوسهم المتسافلة بـ« وكل اناء ناضح بما فيه ».



﴿الانسان الاول ونسله﴾

قال الله تعالى : « وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماءٍ مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه » السجدة : ٧ ـ ٩)

ومن البديهي : انه يمتنع القول بوجود حوادث لاأول لها ، فيجب أن تنتهي الحوادث إلى شيء هوأول الحوادث ، فكذلك حدوث الانسان لابد وأن ينتهي الناس إلى إنسان ، هوأول الانسان أوأول الناس ، وإذاكان كذلك فلاجرم يكون الانسان الاول غيرمخلوق من الأبوين كما قال تعالى : « وبدأ خلق الانسان من طين » .

فعلى هذا فهذا الانسان هوأول الانسان وهو آدم عليه السلام وسمي بشراً كماقال الله تعالى : « إذقال ربك للملائكةإني خالق بشراً من طين » ص : ٧٠) قيل :سمي بشراً لان الله تعالى باشرخلقه بيديه وقال : « ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه ».

ولايخفى ان الانسان : هوإسم جنس قد يطلق فى القرآن الكريم على الذكروالانثى ، وعلى الواحد والجمع ، وقد يطلق على آدم عليه السلام ، وسيأتى البحث فى حقيقته فىسورة الانسان تفصيلاً إن شاء الله تعالى فانتظر .

وان الايات القرآنية تصرح بان هذا النسل الموجودين الحاضرين اليوم ـ و نحن منهم ـ ينتهون بالتناسل إلى الانسان الاول وهو آدم عليه السلام من غير مثال يسبق إليه ، وهذا من ضروريات القرآن الكريم ـ ولايرتاب فيه إلاّ من لا يرى بين نفسه وبين القردة فرقاً كلامارك اليهودى و تلميذه داروين ، وتبعهما أغبياء

سفلة ، وببغاء جهلة ، فافتخروا بان يكونوا من سلالة القرود ، ونحن لانرى لهم شأناً أكثر مما نرى للقرود من الشأن ، فانهم فى زمرة القرود ، فهم وشأنها ـ و تشهد بان سنة الله تعالى فى بقاء هذا النسل أن يتسبب إليه بالنطفة لكنه أظهره حينما أظهره بخلقه من تراب ، وان آدم خلق من تراب وان الناس بنوه .

قال الله تعالى : « يا بنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة » الاعراف : ٢٧)

وقال : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس قال ءأسجد لمن خلقت طيناً قال أرايتك هذا الذى كرّمت علىّ لئن أخّرتنى إلى يوم القيامة لا حتنكن ذريته إلاّ قليلاً » الاسراء : ٦١ ـ ٦٢) وقد سئل بعض هؤلاء الببغاء والسفلة الجهلاء الذى كان يظهر التقدس خدعة وقد ظهر انه كان يترك الدنيا للدنيا فى زماننا هذا : هل الانبياء والائمة المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين من نسل القردة ؟ فهو لايجيب عن ذلك إلاّ السكوت .

و قد خلقت زوجة آدم عليه السلام المسماة بحواءِ من زوجها ، وأما كيفية ذلك فالبحث فى محله .

قال الله تعالى : « ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءاً » النساء : ١)

فظهور الايات الكريمة وما فى معناها فى إنقطاع سلسلة التوالد والتناسل، وإنتهاءِها إلى آدم عليه السلام الشخصى وهو متكوّن من الارض من غير أب ولا ام مما لاينبغى أن يرتاب فيه من له أقلّ فهم فى القرآن الكريم فضلاً عن المفسر الخبير المتعهد المهتدى بهداه .

ومن تلجج فى ذلك ، فللمؤمنين أن يشكّوا فى ايمانه ، وإن ادعى الايمان وأظهر التقدس وتزهد أوفى نطفته ، حيث ان المؤ ن لايقدّم نظرية اليهود العنيد المطرودة على صريح الوحى السماوى الخالد .

ويظهر من الايات الكريمة انه تمت خلقة آدم عليه السلام بتكوين إلهي آني من غير مهل فتبدّل الجسد المصنوع من تراب - على مراحله : من طين و صلصال وحمأ وفخار - بدناً عادياً ذاروح انساني .

قال الله تعالى : « ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» آل عمران: ٥٩) فانالآية نزلت جواباً عن إحتجاج النصارى على نبوة عيسى بانه ولد من غيرأب بشرى، ولاولد إلاّ بوالد فأبوه هوالله سبحانه فردّ في الاية بما محصله أن صفته كصفة آدم حيث خلقه الله من أديم الارض بغير والد يولده ، فلم لايقولون : بأن آدم ابن الله ؟ !

ولوكان المراد بخلقه من تراب إنتهاءخلقته كسائر المتكوّنين من النطف إلى الارض كان المعنى أن صفةعيسى، ولاأب له كمثل آدم حيث تنتهي خلقته كسائر الناس إلى الارض ، ومن المعلوم أن لاخصوصية لآدم على هذا المعنى حتى يؤخذ ويقاس إليه عيسى ، فيفسد معنى الآية في نفسه ، ومن حيث الاحتجاج به على النصارى ، وبهذا يظهر دلالة جميع الآيات الكريمة الدالةعلى خلق آدم من تراب إلى أن صار بدناً عادياً ذاروح إنساني .

وقد توهم بعض المتوهمين :إن إختلاف الالوان في أفراد الانسان وعمدتها البياض كسكان النقاط المعتدلة من آسيا واوربا ، والسوادكالافريقية الجنوبية ، والصفرة كالصينية واليابانية، والحمرة كالامريكية يقضي بانتهاءِ النسل في كل لون إلى غيرماينتهي إليه نسل اللون الاخر، لمافي إختلاف الالوان من إختلاف الدماءِ ،وعلى هذافالمبادى الاول لمجموع الأفرادلاينقصون من أربعة أزواج للالوان الاربعة وربما يستدل على ذلك بان قارة آمريكا إنكشفت، ولها أهل وهم منقطعون عن الانسان القاطن في نصف الكرة الشرقي بالبعد الشاسع الذى بينهما إنقطاعاً لايرجى ، ولايحتمل معه أن النسلين يتصلان بانتهائهما إلى أب واحد وام واحدة. والدليلان - كما ترى - مدفوعان :

أما مسئلة إختلاف الدماء باختلاف الألوان، فمدفوع بجميع الآيات الدالة على إنتهاء النسل الحاضر إلى آدم وزوجه بعينهما لا بنوعهما على ماتوهم بعض، فان المراد بآدم فيها شخص واحد إنسانى خلق منه زوجه، و ان تباين الاصناف الاربعة من الانسان: البيض والسود والحمر والصفر، و كون كل من هذه الاصناف نوعاً برأسه ينتهى إلى زوج غير ما ينتهى إليه الآخر أو كون قارات الارض منفصلا بعضها عن بعض إنفصالاً أبدياً غير مسبوق بالعدم، وقد ظهر بطلان تلك الفرضيات اليوم بطلاناً كاد يلحقها بالبديهات.

فمن الضرورة القرآنية: ان هذا النسل الجارى بالنطفة ينتهى إلى آدم و زوجته، وان آدم عليه السلام خلق من تراب، من غير إتصال بآخر يماثله اويجانسه، و إنما حدث حدوثاً وخلقت منه زوجته.



﴿ كلام في كيفية بدء النسل ﴾

قال الله تعالى : « ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين » السجدة : ٨) .

و قد ورد في المقام روايات كثيرة نشير إلى نبذة منها :

في العلل : باسناده عن زرارة قال : سئل أبوعبدالله عليه السلام كيف بدؤالنسل من ذرية آدم عليه السلام ، فان عندنا اناس يقولـون : ان الله تبارك و تعالى أوحى الى آدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه، وان هذا الخلق كله أصله من الاخوة والاخوات؟ قال أبوعبدالله عليه السلام : سبحان الله و تعالى عن ذلك علـواً كبيراً ، يقول من يقول هذا ان الله عزوجل جعل أصل صفوة خلقه و أحبائه و أنبيائه و رسله و حججه ، والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام ، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال .

وقد أخذ ميثاقهم على الحلال والطهر الطاهر الطيب، والله لقد نبأت ان بعض البهائم تنكرت له اخته ، فلما نزا عليها و نزل كشف له عنها و علم انها اخته أخرج عزموله ثم قبض عليه بأسنانه ثم قلعه ثم خرّ ميتاً .

قال زرارة : ثم سئل عليه السلام عن خلق حواء ، وقيل له: ان اناساً عندنا يقولون : ان الله عزوجل خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الاقصى ؟ قال : سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، أيقول : من يقول : هذا ان الله تبارك و تعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجته من غير ضلعه، وجعل لمتكلم من أهل التشنيع سبيلاً إلى الكلام ، يقول : ان آدم كان ينكح بعضه بعضاً إذا كانت من ضلعه ما

لهؤلاءِ حكم الله بيننا و بينهم .

ثم قال : ان الله تبارك و تعالى لما خلق آدم من الطين ، و أمر الملائكة فسجدوا له ألقى عليه السبات ثم إبتدع له خلقاً ، ثم جعلها في موضع النقرة التى بين وركيه، وذلك لكى تكون المرأة تبعاً للرجل، فأقبلت تتحرك فانتبه لتحركها، فلما إنتبه نوديت أن تنحى عنه ، فلما نظر اليها نظر إلى خلق حسن تشبه صورته غير أنها انثى فكلمها فكلمته بلغته ، فقال لها من أنت ؟ فقالت: خلق خلقنى الله كما ترى ، فقال آدم عند ذلك :

يا رب من هذا الخلق الحسن الذى قد آنسنى قربه ، والنظر إليه ؟ فقال الله: هذه أمتى حواء أفتحب أن تكون معك ، فتونسك و تحدثك وتأتمر لامرك ؟ قال : نعم يا رب و لك بذلك الحمد والشكر ما بقيت ، فقال الله تبارك وتعالى : فاخطبها إليّ فانها امتى ، وقد تصلح أيضاً للشهوة ، و ألقى الله عليه الشهوة ، و قد علمه قبل ذلك المعرفة ، فقال : يا رب فانى أخطبها إليك فما رضاك لذلك ؟ فقال رضائى ان تعلمها معالم دينى ، فقال ذلك لك يا رب إن شئت ذلك ، قال : قد شئت ذلك ، و قد زوجتكها فضمها إليك ، فقال :

أقبلى ، فقالت : بل أنت فاقبل إليّ ، فأمر الله عزوجل آدم أن يقوم إليها فقام ، و لولا ذلك لكان النساء هن يذهبن إلى الرجال حتى خطبن على أنفسهن ، فهذه قصة حواءِ صلوات الله عليها .

وفيه: باسناده عن يزيد بن سلام انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : فاخبرنى عن آدم لم سمى آدم ؟ قال : لانه خلق من طين الارض و أديمها ، قال : فآدم خلق من طين كله أو طين واحد ، قال : بل من الطين كله ، و لو خلق من طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضاً، وكانوا على صورة واحدة ، قال: فلهم فى الدنيا مثل؟ قال: التراب فيه أبيض ، و فيه أخضر ، و فيه أشقر ، وفيه أغبر ، وفيه أحمر، و فيه أزرق ، و فيه عذب ، و فيه ملح ، و فيه خشن ، و فيه لين ، و فيه أصهب

فلذلك صار الناس فيهم لين ، و فيهم خشن ، وفيهم أبيض ، و فيهم أصفر، وأحمر و أصهب و أسود على ألوان التراب ، قال :

فأخبرني عن آدم خلق من حواء أم خلقت حواء من آدم ؟ قال : بل حواء خلقت من آدم ، ولو كان آدم خلق من حواء لكان الطلاق بيد النساء ، ولم يكن بيد الرجال ، قال : فمن كله خلقت أم من بعضه ؟ قال : بل من بعضه ، ولو خلقت من كله لجاز القصاص في النساء كما يجوز في الرجال ، قال : فمن ظاهره أو باطنه ؟ قال: بل من باطنه ، ولو خلقت من ظاهره لانكشفن النساء كما ينكشف الرجال فلذلك صارت النساء مستترات، قال: فمن يمينه أو شماله ، قال : بل من شماله ، و لو خلقت من يمينه لكان للانثى كحظ الذكر من الميراث ، فلذلك صار للانثى سهم و للذكر سهمان ، و شهادة إمرأتين مثل شهادة رجل واحد ، قال : فمن أين خلقت ؟ قال : من الطينة التي فضلت من ضلعه الأيسر .

أقول: ومن له دراية لايرى تنافياً بين هذه الرواية وماقبلها فتأمل جيداً .

وفيه: باسناده عن محمد الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان القبضة التي قبضها الله تعالى من الطين الذي خلق منه آدم ارسل إليها جبرئيل أن يقبضها ، فقالت الارض : أعوذ بالله أن تأخذ مني شيئاً ، فرجع إلى ربه ، فقال: يارب تعوذت بك مني، فأرسل إليها إسرافيل ، فقالت: مثل ذلك ، فارسل إليها ميكائيل، فقالت: مثل ذلك ، فأرسل إليها ملك الموت ، فتعوذت بالله منه أن يأخذ منها شيئاً ، فقال ملك الموت : و أنا اعوذ بالله أن أرجع إليه حتى اقبض منك قال : و إنما سمي آدم آدم لانه خلق من أديم الارض .

﴿نظرية داروين و أذنابه﴾

و قد اتخذ «لامارك» اليهودى المشاحن طريقاً لرفع شنار كينونة اليهود الجحود قردة بسبب كفرهم وعصيانهم ، و بغيهم وطغيانهم على ماجاء فى القرآن الكريم: « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالاً لما بين يديها و ما خلفها و موعظة للمتقين » البقرة : ٦٥) .

و قال : « قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله و غضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير و عبد الطاغوت اولئك شر مكاناً و أضلّ عن سواء السبيل » المائدة : ٦٠) .

وقال: «فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين» الاعراف: ١٦٦) فقال لامارك : ان آدم هو فرد من نوع الانسان تولد من نوع آخر كالقردة على طريق تطور الانواع وظهور الاكمل من الكامل، والكامل من الناقص وهكذا... ولقّنه داروينا و هو من تلميذه ، فأظهره داروين و أذنابه بصورة نظرية علمية لتحميل ما اتخذه لامارك على الناس، تحميقهم لرفع ذلك الشنار عن اليهود الشحناء .

و قد جاؤها بصور مختلفة متلونة فمنها : ان الانواع تسلسلت من الخلية الواحدة إلى الانسان فى أطوار متوالية ، و ان هناك حلقات نشوء و إرتقاء متصلة تجعل أصل الانسان المباشر حيواناً فوق القردة العليا ، و دون الانسان . . .

أقول: و فساد هذه النظرية المخمنة ظاهر فى هذه النقطة ، و ان كشف عوامل الوراثة التى لايعرفها الداروين ولا «لامارك» تجعل هذا التطور من نوع

إلى نوع ضرباً من المستحيل إذ هناك عوامل وراثة كامنة في خلية كل نوع، تحتفظ له بخصائص نوعه، و تحتم أن يظلّ في دائرة النوع الذى نشأ منه، ولا يخرج قطّ من نوعه، ولا يتطور إلى نوع جديد.

فان القط أصله قط، و سيظل قطاً على توالى القرون، و كذلك الفأرة والفرس والهرّة والكلب، والثور والفرس، والقرد والغنم والانسان... وكل ما يمكن أن يقع حسب نظريات الوراثة هو الارتقاء في حدود النوع نفسه، و دائرة نوع نفسه من دون الانتقال إلى نوع آخر، فالانسان في مدار نوعه الانسانى محفوظ، و ان ارتقى ما ارتقى أو انحطّ ما انحط، و كذلك جميع أنواع الحيوان والنبات والجماد...

مع أن الانواع ليست في طولها، و إنما كل نوع في عرض نوع آخر، كما ان الاجناس في طولها بأن كل جنس في طول جنس آخر.

و منها: ان آدم هو فرد من الانسان كامل بالكمال الفكرى تولد من زوج من الانسان غير المجهّز بجهاز التعقل، فكان مبدء لظهور النوع الانسانى المجهّز بالتعقل القابل للتكليف و إنفصاله من النوع غير المجهّز بذلك فالبشر الموجودون اليوم نوع كامل من الانسان ينتهى أفراده إلى الانسان الاول الكامل الذى يسمّى بآدم و ينشعب هذا النوع الكامل بالتولد تطوّراً من نوع آخر من الانسان ناقص فاقد للتعقل، وهو يسير القهقرى في أنواع حيوانية مترتبة حتى ينتهى إلى أبسط الحيوان تجهيزاً و أنقصها كمالاً.

وهذا مدفوع بقوله تعالى: «ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» آل عمران: ٥٩).

وقوله تعالى: «قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين» ص ٧٥-٧٦).

و منها: ان «برنا» تعصب لمذهب داروين من بعده، وقال: ان هذه العوالم

ليس لها موجد ، وإنما وجدت صدفة ، وبامور أربعة : وهي تطور الحياة ، والوراثة ، و تنازع البقاء ، وكون الاقوى يميت الاضعف . و ذلك لان داروين بنى مذهبه السخيف على اصول أربعة :

الاول : ان الحياة ذات أطوار ، و تغيّرات بها ترتقى من حال إلى حال .

الثاني : ان هذه التطورات تنتقل بالوراثة إلى النسل .

الثالث : ان الاحياء جميعها بينها تنازع فى البقاء .

الرابع : ان ما كان أتم وجوداً ، و أقوى و أكمل ، فهو الأصلح للبقاء ، و أما الاضعف فانه محكوم عليه بالفناء ، فالحيوان والنبات والانسان كلها سلسلة واحدة أعلاها مشتق من أدناها بالارتقاء ، ومن ذلك ان الانسان مشتق من القرد ، و هو أعلى الحيوانات بمقتضى هذه القواعد ، و لما كان الاكمل هو الباقى ظهر الشره والطمع . . . فأنشئت فى اوربا المهلكات الحربية . . .

و منها : ان أذناب داروين صاروا أشد حرارة من صاحبها فقالوا : ان الارض ـ و هى أحد الكواكب السيارة ـ قطعة من الشمس مشتقة منها ، و قد كانت فى حال الاشتعال والذوبان ، ثم أخذت فى التبرد من تسلط عوامل البرودة وكانت تنزل عليها أمطار غزيرة ، وتجرى عليها السيول ، و تتكوّن فيها البحار ثم حدثت تراكيب مائية و أرضية ، فحدثت النباتات المائية ، ثم حدثت بتكامل النبات ، وإشتمالها على جراثيم الحياة السمك ، وسائر الحيوان المائى ثم السمك الطائر ذوالحياتين ثم الحيوان البرّىّ ثم الانسان كل ذلك بتكامل عارض للتركيب الارضى الموجود فى المرتبة السابقة يتحوّل به التركيب فى صورته إلى المرتبة اللاحقة ، فالنبات ثم الحيوان المائى ثم الحيوان ذوالحياتين ثم الحيوان البرى ثم الانسان على هذا الترتيب .

قال الله تعالى فى هؤلاءِ السفلة وعبيد الشهوة فى طوال الاعصار . . . « و قالوا ما هى إلاّ حياتنا الدنيا نموت و نحيى و ما يهلكنا إلاّ الدهر ومالهم بذلك من

علم إن هم إلاّ يظنون » الجاثية : ٢٤)

فلامارك وتلميذه داروين استاذ السفهاء الجهلة ، وقائد السفلة المردة يرون لهم أباً أزلياً كان هو في بعض الازمان قردة ، وكان قبل ذلك كيساً هلامياً أومخاطاً، وانه كان نقيعاً في الماء لاصقاً بصخره ومازال يتدرج في سلم النشو والارتقاء، والتطور والتقلب في أيدى العوامل الفعالة في الكون حتى بلغ إلى طوره اليوم .

وهم يقولون : ان نشأ العالم كله جماده وحيّه كان من بخار الفضاء ، ومن نتيجة الجواهر الفردة ، ودقائق المادة الجارى على نواميس معينة ، و من تلك الجواهر تركّب سديم العوالم ، وان تلك التفاعل من الحركة الاضطرارية ،وتضاد الدفع والجذب ، وان تلك المادة والحركة هما الأزليتان الفعاليتان في نواميس الكون وظواهر الوجود .

كل ذلك باصطلاحات بارقة و كلمات خادعة كلها أوهام في أوهام ، و بملتويات معقدة وظلمات مشتبهة . . .

وقد اتبع تلك المضلات عدة اخرى من السفهاء الجهلة وهم في الواقع أذناب مبتورة من أذناب من غير أن يشعروا علل ظهور هذا التلبيس ، واعتقدوا بها مع أن هؤلاء الاذناب الاولين رفعوا أيديهم عن تلك الموهومات الموسوسة المدسوسة الموضوعة، وقد كان الاخرون من الببغاء السفلة يفتخرون بكونهم من سلالة القرود حتى كان بعضهم يروّج تلك الموضوعات في بعض الحوزات العلمية المقدسة ، في أيامنا هذا، وقد كنا نحاور، مراراً في ذلك الموضوع سنة ١٣٩٨ هـ في حوزة قم المشرفة ، و كنا نستدل بصراح من الايات القرآنية ، والروايات الصحيحة الواردة في خلق آدم عليه السلام وهو ينكرها بكلمة واحدة وهي «لا» ويقول : ماقاله داروين :انه عقيدتي و مبناي ، ولايستطيع أحد أن يصرفني عن عقيدتي ومبناي و إذا سئله : هل الانبياء والائمة المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين من نسل القردة ؟ كان يسكت ولا يتكلم كأنه صم بكم عمي خذله الله تعالى واليهود الجحود هذا .

وقد قال علماء التشريح وأكابر الجيولوجيا :

« ليس للارتقاء من ركن علمي ، وان الانسان خلق في الاصل إنساناً بالادلة الصحيحة ، ولم يكن يوماً ماقرداً ولاسلالة قردة ، ولادليل على إستحالة نوع من الحيوان إلى غيره ، وإنما تلك المقالات مضلات ماشمّت رائحة من العلم ، ولا استظلت شبحاً من الادلة والبراهين ، وإنما هي أو حال منتنة و محال متعفنة...

ولو كان الكامل من الحيوان منشعباً من الناقص بالتولد والاتصال النسبي ، فلم لم يعثر هذا الفحص والبحث على طول زمانه على فرد نوع كامل متولد من فرد نوع آخر ، على أن يقف على نفس التولد دون الفرد والفرد ، وما وجد منها شاهداً على التغير التدريجي، فانما هو تغيّر في نوع واحد بالانتقال من صفة لها إلى صفة اخرى لايخرج بذلك عن نوعيته والمدعى خلاف ذلك ؟

وما يتسلّم عند أبناء الانسان الأصيل : ان نشأة الحياة ذات مراتب مختلفة بالكمال والنقص والشرف والخسّة ، وأعلى مراتبها الحياة الانسانية ثم مايليها ثم الامثل فالامثل من غير طريق تبدل كل نوع مما يجاوره من النوع الاكمل »

و من غير مراء ان تبدّل الانواع بالتطور اختلق لرفع الشنار عن اليهود الشحناء الذين من دأبهم أن يختلقوا لذلك ما يسمونه فرضية حدسيّة ثم يلقونها بريق الافكار بصورة فرضية علمية ، وهم يتلقونها بالقبول إلى أن يبتنوا عليها العلوم الاخرى ، ويفتخروا أن يكونوا من سلالة القرود . . .

يا حسرة على شريف نسب أضاعوه ، و رفيع أصل وضعوه ، فجعلوا بينهم و بين القرود نسباً ، وألفوا بين الخنزير والكلاب والشمبازى واخوتها و بينهم رحماً أو اصر قربى ، ووشايج أرحام ، مع أخسّ الوحوش ، وأسفل الهوام أخسأبها من نفوس سافلة ، وأبخس فيها من همم ساقطة ، أسفت أن لاتشارك البهائم في إنتكاس رؤوسها ، ومحدودية شعورها ونفوسها ، فالحقت آباءها بتلك السلايل ، وتقربت إليها بأخسّ الوسائل ، نعم و ماهي لولا الاشكال والصور منها ببعيد جعلوا أنفسهم

اخوان الخنازير وأبناء القرود وسلالة الشمبازى .

ومن الأسف ان بعض هؤلاء الببغاء السفلة الذين تلقوا تلك المضلات ، يدّعى العلم الديني وهو أشد كفراً من لامارك اليهودى المشاحن ، ويدّعى التفسير وهو ينكر نازل القرآن الكريم بالمآل ، ويطعن على مهبط الوحى و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

كيف من له علم وهو لا يدرى كيف وجد ؟ ومن أين ؟ ومن أبوه ؟ كيف وهو ينكر حقيقته وشرفه وكرامته على غيره في أصل وجوده ! وجدير لمن يعتقد بتلك المضلات وهي مبناه أن يقول لأبيه القريب والبعيد : القرد وهو ابنه لا الانسان .

ودع أيها القارىء الشريف أصيل ! النسب ميدان القرود وخله لأهله ، فكل احد ـ هو أعرف باصله ، ولا يسوغ إقراره إلاّ عليه .

تمت سورة السجدة والحمد لله في الاولى والاخرة
وصلى الله على محمد وأهل بيته خير البرية

فهرس ما جاء في تفسير سورة لقمان

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : و فيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة لقمان و فيها بصيرتان :

البصيرة الاولى: و فيها أربعة عشر أمراً :

البصيرة الثانية : و فيها امور ثلاثة :

فهرس ما جاء فى تفسير سورة السجدة

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : و فيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة السجدة و فيها

بصيرة واحدة: و فيها ثمانية امور :